



ذكرى الحب والثورة

رواية

للككتور:

جعفر محمد جعفر

اخصائي الطب النفسي والعصبي

سيرة القسرين

اسم الرواية: ذكرى الحب والثورة.

اسم المؤلف: جعفر محمد جعفر .

المدير العام: نهى محمود سعد .

مدير التوزيع: مصطفى الحلو .

العلاقات العامة: نوسة شوقي .

تجهيز فني: همت العزب .

تصميم الغلاف: محفوظ أحمد .

الدعاية والإعلان: أميرة رمضان .

التصحيح اللغوي: أولي النهى للتصحيح اللغوي/ الشيماء محمد / زينب قناوي .

الطبعة الأولى: ٢٠١٦

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية: .

الترقيم الدولي: .

في مصر والعالم مؤسسة

٨ الجيزة/ ش عبد العزيز الشافعي

مريوطية فيصل .

موبايل / ٠١٠١١٨٩٣٥٣٢

البريد الإلكتروني:

Nohamahmoud.١٧١١٨٦@gmail.com

Alshahdpublishing٢٠١٦@gmail.com





إهداء



إهداء الى هذا الوطن
الذي يسرى في دماء عاشقيه

الى مبادي الثورة التي
صنعت التاريخ

الى شهداء الوطن الذين أرادوا ان يصنعوا مجدا له بدمائهم وجاهلهم

الى شهداء الحب الذين صرعهم الحب وهو لا يبالي

الى أسرى الذكريات.....الذين رفضت الذكري ان تغف اسرهم

الى كل مغترب عن وطنه وأهله واحبابه

الى من عرفت

الى من لم اعرف

لكم جميعها هذا الكتاب





فكرى الحب والثورة



اهداء الى

ابى وامى وزوجتى الحبيبة وابنتى الغالية





الأشخاص في هذه القصة لا وجود لهم الا في الواقع الخاص
برأس الكاتب، أما أحداثها ووقائعها فيعرفها الجميع، ولكن هذه
القصة تحكى لنا خمس سنوات من تاريخ الوطن رجا لن نفهمهم
الآن ورجا لن نفهمهم ابدا...





النهاية....

روما صيف ٢٠٦٣ ميلاديا

أخبرنى أحدهم ذات مرة أننى سأعيش طويلا، ففرحت لذلك كثيرا واعتقدت ان نعيما لا نهاية له سيكون في انتظارى أينما ذهبت ولكنى لم أكن أعرف أن حياتى كثيرا تعني ألما كبيرا وشقاء كثيرا، وحياة وموتا وابحارا وغرقا في محيط الذكريات.

ها أنا ذا ناهزت الثمانين عاما، واجلس على فراش الموت في سرير من ريش النعام في غرفة كبيرة في بيت كالقصر في ارقى أماكن روما عاصمة العشق والحب كم هو جميل بيتى وكم هي جميلة غرفتى تلك التي زيتها بتحف واثنيكات من كل دول العالم وزينت جدرانها بصور من متحف الأقصر والكرنك وجعلت اعمدتها من المسلات الفرعونية ونقشت على جدرانها حبي لوطنى الذى لم أستطع ان أتركه رغم اننى تركته ولم يفارق ذكرياتى ومخيلتى رغم أننى فارقت، كنت أحاول جاهدا أن أنساه وان اغرق في نعيم أوروبا لكن كنت اغرق في نهر النيل الذي يتفجر في داخلى ويروى اعضائى وانسجتى بالماء ويدفع الدماء الى قلبى فلم اعد اعرف هل في جسدى اوردة وشرايين ام في جسدى نهر النيل ولم اعد اعرف هل مصر على الكوكب الأرضى وهل هي موجودة في خرائط العالم لتتوسط الكون أم هي موجودة في كوكبي العقلي وخريطة ذكرياتى.

أه أه أه أه.....





لا اعرف هل اتألم من فراقى للوطن أم من خيبتى في حبه أم من خيبتى في حب من أحببت على تراب هذا الوطن ام من ذكرياتى ام من ندمى على ما فعلت وما لم افعل ام من لوعة العشق والهوى ام من سؤ طالعي الذي سيجعلنى ادفن في بلد غريبة رائحتها لسيت كرائحة وطنى وتراها ليس كتراب وطنى وهوائها واشجارها وجبالها وسماؤها، هل اصرخ من خوفى من تربته غريبة سيقبر فيها جسدى الميت، هل اتألم لأن روحي بعد موتى لن تشتاقي الى الوطن ولأن ذكرياتى انتهت عند هذا الحد، هل سيتوقف حبي لوطنى بعد ان أموت، ام ترانى اتألم من سكرات الموت الذى اشتتم رائحته في كل مكان حولى وارى عزرائيل امامى قد قدم ليقبض روحي والموت يسرى في اوصالى ينتهشها خلية بعد خلية ونسيجا بعد نسيج وعضوا بعد عضو.

هل أخاف الموت حقاً، ام أخاف من الفراق، ام من تأكيد الفراق، هل أخاف اننى لن أستطيع ان أفكر في وطنى بعد اليوم ام اننى لن أستطيع ان أفكر في حبيبتى بعد اليوم او اشعر بها او اتنفس هواءا كان قد مر عليها قبل او سيمر عليها بعدى، هل انا حزين لأننى سأصبح ذكرى؟ ام لأن وطنى واهلى وحبيبتى التي طوى صفحتها الزمن منذ امد بعيد سينتهون من عقلي الى الابد ولن أستطيع ان أفكر فيهم او اذكرهم ابدا ولكنى قد أجد راحتي تحت التراب او يرتاح منى هذا العالم وانا تحت التراب او يغفر الله لى ذنوباً لم اغفرها لنفسي ولم يغفرها لى العالم ولم يغفرها لى وطنى ولم تغفرها لى حبيبتى التي احببتها ولكن..... صار الحب ذكرى وصار الوطن ذكرى أيضاً.





لا زلت اذكر قول والدي لى ذات مرة وهو ينظر الى بعبس شديد وقد اعرض
عنى بوجهه وبدا عليه الحزن وخيبة الامل:

(لا اعرف يابنى، لماذا اسميتك بحمدى ولم تحمد الله ابدا ولم تحمد الناس
يوما، على الرغم من كثرة النعم لديك)

ساعتها ابتسمت ابتسامة صفراء وتمتت: هذا الراجلمحدود الطموح
والتفكير ويريدنى أن أكون مثله.

كان ذلك قبل خمسة وخمسين عاما، وانا الان في سن الثمانين وعلى فراش
الموت اتسائل لماذا اسمانى ابنى حمدى وهل حمدت الله يوما؟

هل حمدت الوطن يوما؟

هل حمدت الحب يوما؟

لا اعرف ربما لم احمد مطلقا وربما كنت كثير الحمد وربما كان اسمي هذا نقمة
على وربما كان نعمة كبرى، حقا لا اعرف وحقا قد فات الأوان لكى اعرف قد
انتهى أوان كل شيء وبدا أوان العدم.

ها انذا بعد كل هذه السنوات والاعوام وكل النجاحات والفشل وكل من
عرفت من البشر وكل من احبنى من البشر وكل من أحببت من البشر وكل من
كرهنى وكل من كرهت، اموت وحيدا بين جدران صماء وبكماء أحدثها فلا
تسمع، واسألها فلا تجيب انظر اليها ولا تنظر الى ولكنها تخبرنى دائما كم انا بائس
وحيد افتقد اهله ووطنه واكتسب المال والسيارات الفارهة وحقق النجاحات
العلمية المتتالية وانتصر فى جولات الحياة ولكنه خسر فى جولة نفسه.





فأنا وحيد.....

ماتت زوجتى أليس منذ عشرة سنوات، واخشي انها لم تكن موجودة في حياتى مطلقا، كانت موجودة في بيتى وعلى سريرى وبين ذراعى لكنها لم تكن ابدًا موجودة في قلبى ولم تكن ابدًا موجودة في عقلى كانت تشاركنى الطعام والشراب والفرح والحزن والمال ولكنها لم تشاركنى ابدًا في الحب.

عرفت أليس اول ما عرفت في مؤتمر طبى عالمى في باريس في خريف عام ٢٠٢٥ وكانت انسانية بمعنى الكلمة وانثى بحق فهى ممشوقة القوام بيضاء البشرة حالكة سواد الشعر شديدة سواد العينين ذات وجه يشع بسمة وعينان تنطلقان بالثقة والتحدى وضحكة تنير درب رجل حياته حالكة السواد، اعجبني فيها كل شيء بداية من انوثتها المفرطة وحتى رجاحة عقلها اللافتة للنظر وفطنتها واتقانها لعملها كطبيبة وناشطة سياسية وحقوقية بارعة، فقد كان البحث الذى قدمته في المؤتمر الدولى عن حقوق المرأة في صحة افضل بحثا يليق بامرأة عبقرية كما كانت طريقة عرضها للبحث تعنى اكثر من البحث نفسه، فكم كانت واثقة من نفسها من وقفته ومن نبرة صوتها ومن نظرتها ومن سكونها وحديثها ومن كل شيء وكم كانت بذتها (بدلتها) الزرقاء تتماشي مع شخصيتها وعقلها فهى تظهر انوثتها وتظهر عقلها.....كم كانت اليس جميلة على كل وجه، وشعرت انها قد تستطيع ان تخرجنى من عزلتى ومن احزانى وانها قد تكون قادرة على غرس ثمرة حب جديد في قلبى او تقتلع بمخالبها وانيابها الجميلة حبا قديما في قلبى ووجدانى او انها قد تكون قادرة على ان تطيل حياتى في هذا العالم الذى لم





اجد فيه غير الحزن ولم اطعم فمى فيه غير المر.

نجدت اليس في كل شيء الا ان تجعلى احبها

نجدت في جعلى طبيبا مشهورا

ساعدتنى في العمل

واطال

وكانت تقدم لى كؤس الحب في فضة وذهب وبلاطين.

وكانت تحنو على وتشفق على من احزاني التي لا تنتهي

كم كنت عظيمة يا اليس، فقد كنتى تعرفين تماما اننى لا احبك واننى لا
أستطيع ان احبك او ابادلك اى شعور للحب فقط اكتفيتى بما بدر منى من
الاحترام والقبول واكتفيتى بما بدر منى دائما حتى ولو كان قليلا او كان غير
مناسبا.

اذكر يوما قدمت اليك فيه وردة حمراء ووضعتها فوق اذنك اليسرى وطبعت
قبلة على جبينك وضممتك الى صدرى، اذكر ساعتها حينما ترقرت الدموع من
عينيك وقلت لى:

احبك رغم كل شيء.

كم كنت محظوظا لاننى وجدت المرأة التي تقبلت منى كل شيء.

وكم كنت بائسا لاننى لم احبها ابدا ولم يدق قلبى لها ابدا

فقد كان قلبى في بلد اخر في صدر اخر ينبض بقوة ليضخ الدماء الى هذا





الجسد وهذه الروح اللتين اذيتهما بقصد وبغير قصد وعن عمد وعن جهل وعن حب وعن كره

نعم لم احب اليس ولم يكن ذلك بتقصير منها او بخطأ ولكن كان ذلك بتقصير منى ولان قلبى لم يكن فيه مكان اخر للحب وعقلي لم يكن فيه مكان للتفكير الا بمرأة واحدة هجرت عالمى منذ خمسين عاما ولم اعد اعرف عنها شيئا ولم اعد ابصر حتى طيفا لها ولا اسمع لها صوتا ولكنى رغم ذلك وحتى هذه اللحظة وربما حتى بعد ان اموت سأظل أحبها، ربما يتوقف قلبى عن الدق وضخ الدماء ولكنه ابدان لن يتوقف عن حبها حتى فى قبره حتى فى جنته او ناره حتى بعد ان يصبح قلبى عدما سيظل يدق لها وينطق اسمها عن قصد وغير قصد فهو ربما لم يملك الا ذلك ولا يملك الا ذلك وسيظل لن يملك الا ذلك، وها هو تفكيرى لا يعرف ان يفكر الا فيها ولها وبها

وها هو ادراكى لم يدرك سواها

ومشاعر عقلى ولدت على يديها وتوفت يوم ان تركتها وتركتنى وهجرتها وهجرتنى

لم أعد اهتدى الا لها فهى قبلة العقل والروح والقلب والجسد وها هي ذاكرتى لا تذكر الا يوم لقيها لأول مرة ويوم ان امسكت يدها لأول مرة ويوم ان احتضنتها لأول مرة وأول قبلة وضعتها على جبينها واخر قبلة واخر يوم رأيته فيها

ضحكاتها اعامى





وبكائها افاى

حتى رؤيتى لنفسى في عينها لا يزال يسيطر على

ورؤيتى لوجهها وبسمتها ونسمتها فقد كانت نسمة صيف في جو حار لا
يحتمل و حياة مليئة بالملل

ذكرياتى معها لا تنتهى ولن تنتهى فهى شاهقة الارتفاع كجبال الهيمالايا
واشد من صخور الجبال وتنساب كمياه الشلالات وتولد الطاقة داخلى كما يولد
السد العالى الكهرباء وتسير بالتوازي مع نهر النيل الذي يتوسط بلادى واوطانى
وهى مرصوفة في وجدانى تماما كما هي متراصة حجارة الهرم الأكبر وربما اشد
تماسكا وتراصا، ذكرياتك يا حبيبتي منقوشة في قلبى كنقوش معابد الفراعنة
زاهية الألوان لم يكسبها مرور الزمان الا اشراقا وازدهارا ورونقا وبريقا ذكرياتك
عندى يا حبيبتي كملكة النحل وسط ذكريات الآخرين وهى اقوى من حب
روميو لجوليت وقيس ليلي ومن حب أولئك الذين عرفناهم او سمعنا عنهم
وأىضا من لم نسمعهم ولم نعرف عنهم اى شيء.

ذكرياتك عندى اشد ضوءا من البدر واشد ظلاما من الليالى التي غاب فيها
القمر وأكثر ارتفاعا من السحاب واشد غزارة من السيول وأكثر طولا وضخامة
من سور الصين العظيم بل هو كنت اسمية حب حمدى العظيم

كنت عندى مدينة الأقصر في قدمك وعظمتك والقاهرة في ازدهامك بالحب
والإسكندرية في نسمايك واسوان في بشرتك الخمرية ومصريتك الاصيله. كنت
باريس في اناقته وروما في عشقه ولندن في ضبابها وبرلين في نظامها كنت الشرق





في سحره والغرب في مدينته، كنت أرى اصالتك في نيو دلهى ومومباى وجنتك في ستوكهولم وامستردام وروحانياتك في مكة والفاتيكان، ولو كان قدرى ان اخرج بعيدا عن هذا الكوكب كنت حتما سابصر كى في الفضاء وسط الكواكب والنجوم والمجرات ربما تكونين في كل كوكب وفي كل نجم وفي كل مكان ولكنك موجودة في قلبى ومخيلتى.

كم انا محظوظ ان التقيتك

كم انا محظوظ ان عشقتك وعشقتنى

كما انا محظوظ لان قلبى كان ينبض في ضلوعك، وقلبك ينبض في

صدرى

كما انا محظوظ لانك كنت جزءا من افاضى وانت الحاضر والمستقبل

لا اعرف لماذا لا يزيد الفراق الحب الا قوة ولا تزيد الذكريات الحب الا صلابه ولا يزيد الموت الحب الا الحياة

حبيبتي اطمئنى سأحبك حتى بعد ان اموت.

اعطانى لقاءك يا حبيبتي اجمل حب واعطانى فراقك اجمل ذكريات، فكم كنتى عظيمة في اللقاء وفي الوداع.

على مدار أربعين عاما وانا اذهب يوميا الى نافورة الفونتانا دى تريفى في قلب

روما

لألقي العملات المعدنية، تعرفين لأدعو لكى بالسعادة ولوطنى بالرخاء





يوميا كنت افعل ذلك لا اذكر يوما تخلفت فيه عن ذلك الا لسفري خارج
روما

وحينما كنت اعود كنت القى عملات بعدد الأيام التي لم احضر فيها لرؤيا
وجهك مبسوطا على الماء.

كنت ادعوا الله ان القاكى مرة أخرى

ادعوه ان تكونى لى

كنت ادعو بدموعى

بدقات قلبى

بخلايا عقلي

ولكنى لم اعرف لماذا لم تعودى لى ولم اعرف لماذا لم يستجب الله دعائي

لم اعرف طازا؟

طازا؟

انتى والوطن اضعتكما منى بفرط انانيتى وسذاجتى وغبائى

كم حاولت ان اعود لكما وكم حاولت، لكنكما لم تعودا الى ابدى

اننى الان اموت بعيدا عن كل احبابى

فما أبأسنى واشقانى

اراكما الان قادمين الى لتمسكى انتى بيدى اليمنى ويمسك وطنى بيدى

اليسرى





ها هو فجر يوم جديد يشرق ولا أبصر فيه نور الشمس وها هي عيني تغلق
الى الابد، تغلق واخر ماتراه صورتكى يا حبيبتي على خريطة مصر

وداعا مصر

وداعا حبيبتي

وداعا أيتها العالم

كم كانت حياتى طويلة وموتى بطيئا ولكنه كان أخف كثيرا من وداعكى يا
حبيبتي

اننى اذهب الى ربى عسى ان يرحمنى ويقبلنى

انتهت حياتى

وطويت صفحتى الى الابد

الى الابد

وينحيم السكون وتشرق الشمس ويبدأ العالم يوما جديدا دون حمدى، فقد

انتهى كل شيء.





البداية

القاهرة ١٦ يناير ٢٠١١

- أى ملابس سترتدى اليوم يا بنى، حتى اجهزها لك؟
- سأرتدي بدلتى السوداء فأنا لا املك غيرها
- غدا يا بنى ستصبح الطبيب الأفضل وتحقق أمني انا وابيك وترفع رأسنا عاليا بما تقدمه من خدمة للناس
- ان شاء الله يا أمى أكون دكتور ممتاز وأحسن دكتور، دعواتك
- قلبى وربى راضين عليك ليوم الدين، ربنا يفتحها في وشك وينجحك ويديك الستر في الدنيا والاخرة.
- أقف امام المرأة مزهوا بنفسى ومحميا نفسى بمستقبل وردى مشرق وأربط رابطة العنق وأضع يدي على شعر الأسود الكثيف حالك السواد وأنظر الى نفسى في المرأة نظرة ثقة وتحدى ثم أقول لأمينبرة فيها استفهام وتنكر وتهكم: ما معنى الستر يا امى؟
- ربما صعقت امى من السؤال ولكنها لم تكن تمتلك إجابة قاطعة فقالت بعفوية: الستر يا بنى كلمة لا تصفها الكلمات، واحنا من ساعة ما طلعتنا في الدنيا واهلنا يقولوها كده.
- ضحكت بصوت عالى: ستر ستر، هو أحسن من الفضايح.





انا هنزل دلوقتى يا ماما، وداعا.

قالت بالتوفيق يا بنى وربنا بنجلك وبوفك انت وكل المجتهدين

.....

أخرج من بيتى وعقلي يفكر في ست أعوام قضيتها في كلية الطب تنتهي اليوم بأخر امتحان لى في الكليه، وأتنفس نفسا عميقا وأنظر حولى وأبصر وجوه المصريين وهم ذاهبون الى العمل ويعلمو وجوههم الوجوم ولا يبدو عليهم اثر نعمة او اثر رضا وتكاد اذني تسمع صوت تأففهم وأنفاس تأوهاتهم الخارج من حلوقهم يندفع معلنا عن صرخة خوف والم وحزن وعدم رضا.

وتسائلت: هل سأكون مثل هؤلاء في يوم من الأيام اخرج من بيتى لا اعرف اين اذهب او الى اى واد ادفع هل سأرسم بسمه على وجهي بالكذب بدلا من الدموع، هل سأتوه واتأفف من كل شيء حولى كهؤلاء البائسين؟

قطعا لا..

فأنا طبيب اجتهدت في التعليم عشرين عاما حتى لا أكون مثل هؤلاء البائسين، بل سوف امسح دموعهم واغرس في نفوسهم الأمل واحوا الدموع وأبدلها ضحكات

سأفعل ذلك دون شك، دون شك.

ثم أذهب الى محطة مترو مصر القديمة وأنتظر القطار

وبحر الوقت وأنا أنتظر





وأنظر الى ساعتي التي ظللت اشهرا طوالا أجمع في ثمنها حتى أشتري ساعة
عالمية من افضل الماركات، ويمر الوقت والقطار لا يأتى وإن أتى لا أجد فيه
موضعا لقدم، ولكنى دفعت نفسى وسط الجموع لأجد نفسى محاطا بكومة كبيرة
من البشر يكاد كل منهم يسترق الانفاس واسترق مكانا أقف فيه بعد عناء ودفع
وشد وجذب، ويمسك كل منهم بجريدة يقلبها بين ناظري بعمق، يمسك الأول
بجريدة قومية كبرى ويقرأ تصريحات المسؤولين، ثم يغلق الجريدة بغضب شديد
ويقول حكومة كدابة بنت.....

والثانى يمسك بجريدة مستقلة ويقرأ حتى يغرق في القراءة ثم يغلق الجريدة
بغضب ويقول البلد دى مش نافعه دى بلد بنت.....

واخران يعلو صوت نقاشهما الذي تحول الى شجار وهما يتجادلان في
المتسبب في تفجير كنيسة القديسين في رأس السنة الجديدة

واخران يتجادلان في مصير محمد البوعزيزى الذى أ حرق نفسه اعتراضا
على الظلم والبطش الذى تعرض له في بلده وتسبب ذلك في اندلاع ثورة
الياسمين في تونس، يتجادلان وقد تقمص كل منهما دور الإله في اصدار حكم
على هذا الشاب المكلوم

واخر يشكو ارتفاع الأسعار

واخر يسب في الاخوان

واخر في اللبراليين

واخر يتمنى الموت لعله يذهب الى مكان أفضل





واخر يقول، ليه البطر بس البلد دى أحسن من غيرها
والباعة الجائلون يصعدون ويهبطون في كل محطة في تناغم وتناسق ويرددون
دعايتهم التي يحفظونها عن ظهر قلب.

وكل انسان هائم فيما يفكر فيه، وانا اتسائل متى وكيف ينتهى هذا المشهد
اليومى الذى يتكرر مع كل يوم اركب فيه القطار او المواصلات العامة، وكيف
ينتهى؟ وهل أساهم في نهايته ام سأصبح جزءا منه، لا أريد ان أكون بائسا لا أريد
ان اتحول الى رجل ذو شارب كث (عميق الشعر) تفوح منه رائحة العرق اشعث
اغبر لا تكاد تميز لون حذائه هل هو اسود ام بنى ام هو لون اخر يجلس في عربة
المتر و ممسكا حقيبة يد او ممسكا جريدة وهو لا يعرف الى اين يذهب او ماذا يفعل
وينتهى طموحه عند لقمة عيش يضعها في فم أولاده او في فمه.....

لا اعرف حقا كيف نصبح بلدا سعيدة واهل الازمة في الحاكم ام المحكوم

في اطنية ام الرجعية ام العسكرية

هل نحن حقا دولة عظيمة ذات ماضى وحاضر ومستقبل

ام اننا لسنا دولة على الإطلاق

وظللت غارقا في الأفكار حتى وصلت الى الجامعة واخذت اعد العدة
واستعد لإخر امتحان لى في كلية الطب وهو امتحان مادة النسا والتوليد وهو
امتحان شفهي، أخرجت عطرى ومشطت شعري واخذت دور الاستعداد لهذا
الامتحان الذي سأحصل بعده دون شك على لقب طبيب.

جلست انا وحسين اعز أصدقائي في الجامعة نراجع ما تسنى لنا قبل





الاختبار، فأغلق حسين كتابه وقال وهو يتنهد: يا حمدي كانوا ست سنين شاقين جدا، انا لا أصدق انهم خلصوا خلاص وانتهو.

- فعلا يا حسين كانت أيام عصيبة، ولكن ساعة او اثنين وهنقي دكاترة ونعائق النجاح ونلعب بالفلوس لعب وحياتنا كلها ستكون نجاحات وسعادة وينتهي القلق والخوف

- واللهي يا حمدي لا أعرف، يبدو أنك فاهم الدنيا غلط تماما،
النفخ الى احنا اتنفخناه في الست سنين الى فاتو ده استعداد للنفخ الكبير في
الستين سنة القادمة.

رديت انت متشائم جدا يا حسين
قال: ان غدا قريب يا حمدي
فأجبت وأنا مبتسم: وأنا اتحرق شوقا لهذا الغد
وبعد الامتحان.....

كيف كان الامتحان يا حسين؟
تمام وانت يا حمدي؟ انا تمام، لنمرح قليلا ونودع هذا المكان الكئيب
- هيا بنا لنودعه الى الأبد.

أجبنى يا حسين بعد ما اتخرجنا وصرنا أطباء بماذا تحلم؟
ياه يا حمدي، نفسي في حجات كتير نفسي بلدنا تكون احسن بلد، ونكون
أفضل ناس ياريت مصر تصبح جنة لا فيها مظلوم او محروم او محتاج او





مسينويكون لنا ثقل سياسي واقتصادي على خريطة العالم ولا نكن مجرد امة لها ماضي، لا بل امة لها حاضر ومستقبل، نفسي كل حاجة حلوة لبلدى تتحقق نفسي اجتهد واعمل واعمل من أجل بلادنا

تذكر يا حمدي ان هذا الوطن يستحق العمل من اجله

تذكر يا حمدي ان هذا الوطن يستحق ان يكون جنة

تذكر يا حمدي ان هذا الوطن يستحق الحياة من اجله ويستحق الموت من

اجله أيضا

تذكر يا حمدي ربنا هيسئلنا يوم القيامة عن بلدنا وعمنا عملنا من أجلها

تذكر يا حمدي ولا تنسي مصر امانة بين أيدينا كلنا

قال حسين هذه الكلمات وكأنه يودعني وقالها وكأنه يحملني أمانة او يبعث

معى رسالة الى نفسه والى نفسي والى مصر والى العالم

وبعد فترة من الفكر والصمت قلت له:

انت بتخطب في مجلس الشعب يابنى

قال وهو متأسي: انا لا أخطب ولا انا زعيم أنا أحلم فقط لأنى لا املك الا

ذلك.

إذن، دورك يا حمدي لتخبرنى بما تحلم؟

ضحكت ضحكة عالية وأجبت: أنا أحلم أن اكون رئيس الجمهورية، وما

إن قلت ذلك حتى انطلقت ضحكات تهكم ولكنها ضحكات تهكم كالصراخ.





فقال حسين كم انت فارغ العقل؟

واستطرد قائلا، اجبنى دون مزاح؟

انا ياسي حسين نفسي اكون دكتور غنى ومشهور واخذ جائزة نوبل في الطب
وأبقى وزير الصحة ويكون عندي فيلا وعربيتين مرسيدس واتجوز واحدة لا
يوجد منها اثنين ولا حتى في منها واحدة ولا ربع واحدة.

انت مادي جدا يا حمدي وانا

اصبر حتى اخبرك الجزء المعنوي

إذن اخبرني يا رجل الشؤون المعنوية

يا حسين: سأبعث امي وابي الى الحج واكشف على العيانيين مجانا واتخصص
في الطب النفسي حتى اساعد الناس الحزينة والمهمومة والمكتئبة انها تكون احسن
وان حياتهم تكون افضل واصالح بين كل انسان ونفسه وبين الانسان وعيلته
وبين الانسان وبلده الى خلاص مبعثش هيا طايقانا ولا احنا بقينا طايقينها،
والف كتاب كامل عن مصر وعن حب مصر واعيش في مصر واموت في
مصر.....مصر مصر تحيا مصر.

ضحك حسين وقال: يا سلام عليك يا حمدي وعلى معنوياتك

تستاهل منى الاغنية دى، ويخرج حسين هاتفه المحمول ويقوم بتشغيل اغنية
الاطلال للسيدة ام كلثوم، ويسود الصمت المكان ويبحر كل منا فيما يفكر فيه.

.....





أخرج من بيتى في مساء نفس اليوم وأجلس على كورنيش النيل في المعادى وأنظر الى النيل وعمقه ولمعة الأضواء المنعكسة فيه ومياهه الغزيرة التي تخفى سر عظمة هذه البلاد وتحتضن الاف المخلوقات وهذه المياه التي تروى الظمأ وتروى الأرض وتروى القلب بل وتروى الروح واخذت اتمتم سبحان الله لكل شيء قلب والنيل هو قلب مصر واخذت أفكر وأفكر في هذه الأبراج

الشاهقة المتراسة على ضفاف النيل وما تخفى ورائها من البيوت الصغيرة المتهاكة والاحياء العشوائية التي ربما يكاد الناس ان يفتك بعضهم ببعض من اجل لقمة العيش ومن اجل الفتات والقليل والعشش والشوارع الضيقة والبيوت التي لا تصل اليها الشمس والبيوت التي لا تصل فيها المياه والكهرباء والبيوت القديمة المتهاكة والبيوت التي هي كبيوت الاشباح التي حتى لا تصلح لسكن الاشباح فكيف يسكن فيها البشر

والسيارات التي تسير على كورنيش النيل هي فرط في التناقض الشديد ما بين أحدث السيارات الفارهة والسيارات القديمة المتهاكة وهذا التناقض الغريب صار قانونا لكل شيء

فالأبراج الشاهقة تزداد ارتفاعا والبيوت القديمة تزداد قدما

والغنى يزداد غنى والفقير يزداد فقرا

والشوارع المتسعة تضيق والضيقة تختفي

الأمراض تختفي لتظهر امراض اشد شراسة

والمسؤولون في الصحة والتعليم والداخلية والمرافق يصدعون أذننا بتصاريح





مفادها أننا حمقى لا نفهم ولا ندرك ولا نعيش وان كل امر على ما يرام وان البلدة
تهرول بل تطير الى الامام لكننا لا نشكر ولا نحمد

لم اعد اعرف فيما يكن الحل؟

هك في تغير الوطن..

ام المواطن..

ام الحكومة..

حتى مجلس الشعب الحالي هو مجلس مريب حصل فيه حزب الأغلبية على
٩٧٪ من الأصوات ولم اعرف احدا ذهب الى هذه الانتخابات، ودماء خالد سعيد
لم تجف بعد ودماء سيد بلال لم نعرف لما اريقت بعد؟
ودمائي انا أيضا لم تجف بعد.

لا زلت اذكر منذ أربعة أعوام وقت ان قمت انا واحد اصدقائي بعمل نشاط
طلابي علمي في كليتنا، طلب الأمن الخاص بالكلية عمل لقاءات معنا ولم اكن
اعرف لذلك سببا، حتى طلبوا منا لقاء رئيس الجامعة الذي لا زلت اذكر جلسته
في كرسي مهيب محاطا بعدد كبير من الموظفين ورجال الأمن ومكتبه ضخم لا
يوجد عليه ملفا واحد أو ورقة واحدة وقال بنبرة استعلاء فيها تصغير لى واحتقار
لشئنى

ماذا تريد يا ولد؟

اجبت وانا اتلعثم: انا حضرتك حمدي في كلية الطب وبعد اذن حضرتك





عاوزين نعمل نشاط طبي علمى بعيدا عن نشاط الاتحاد واكبر من نشاط الاسر
في الكليات وده نشاط توعوى وكمان يكفل فرص سفر وتبادل طلابي بين طلاب
جامعتنا ومدارس الطب المختلفة في العالم كله وكمان.....

قاطعنى بغلظة: الكابتن شديد هو مسئول الامن هنا اشر حله الى انت
عاوزه فاذا وافق اعتبرنى موافق وإذا رفض انسي كل شيء ومتفكرش فيه تانى
احسن ليك واحسن لمستقبلك.

ربما لم افهم

ربما فهمت ولم اصدق

وربما صدقت ولكنى لم افهم فيما كان كل ذلك وهل لهذا الحد يتحكم الامن
في هذه البلد وفي كل شيء اخشي انهم يراقبون حركاتنا وسكناتنا ونومنا ويقظتنا.

ساعتها أدركت ان زمننا طويلا

وعملا كبيرا

وربما معجزة كبرى قد تحدث لتدفعنا الى الامام او اننا سننتهي تماما ونصبح
ذكرى لماض بغيض.

واخذت اذكر ايامى في النشاط الطلابي ومالاقيته من التعنت في كل أمر
والصلف والغرور من المتحكمين في الجامعة والمتحكمين في كل شاردة وواردة
ولكنى اخذت اذكر كم السعادة الغامرة والبسمة الصافية على وجه كل من
قدمنا له خدمة سواء في الجامعة او في غيرها وحتى بسيمات الامل في وجوه





زملائي كلما خرج لنا عمل الى النور وكلما نجحنا في شيء حتى ولو كان هذا
الشيء امر صغير بسيط

وكيف كانت تدار الأمور في بلادى، فالرشوة هي الأساس لانهاء المصالح
والواسطة اهم من العمل

واللّسك اهم من الاجتهاد

والطاعة العمياء هي سبيل الترفيات

والوشاية على الزملاء هي أساس الإخلاص للوطن

والرئيس فوق الشعب

والحكومة فوق الشعب

والدولة فوق الشعب

والولاء للحكومة فوق الشعب

والشعب تحت اقدام الجميع

حتى كان الشعب تحت اقدام الشعب

ولم يقطع هذا السيل المتدفق من الأفكار غير هذين الشابين الذين لم ارهما
قبلا ولم أبصر منهما في ظلمة الليل الحالك الا وجهيهما المشرق بأمل ليوم لم يأت
بعد ولم أعد أعرف هل سيأتى هذا اليوم اما تراه ضرب من الأوهام او هو يوم
سعيد لبلد اخر.

اقبلا وفي وجهيهما بسمة وقال الأول: سلام عليكم





وقال الآخر: مساء الخير

فابتسمت وقلت وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ومساء الخير على
أحسن شباب، خير يا شباب ماذا تريدان.

قال الأول: ضد الحكومة، ضد البلطجة والظلم

وأكمل الثاني: نازلين يوم التلات ٢٥ يناير للمطالبة بالقصاص من رجال
الداخلية الغاشمين، ولوضع حد للظلم والبلطجة الى الشرطة بتمارسها على كل
واحد بصرف النظر عن انتمائه السياسي، المهم عندهم ان محدش يكون ليه صوت
او رأى يخالف رأيهم أو نشاط يخالف نشاطهم

لا ننسى سيد بلال

لا ننسى خالد سعيد

لا ننسى عماد الكبير

وغيرهم وغيرهم

احنا نازلين نطالب بالحرية والعدل لكل الناس

نازلين

للعيش

والحرية

والعدالة الاجتماعية

نازلين عشانك وعشاننا وعشان كل واحد فينا





نازلىن عشان مصر

انت معانا؟

خفت من السؤال كثيرا وخفت من الإجابة وخفت حتى من الشابين وتبادر الى ذهنى تساؤل محفوف بالخوف، هل أطلق أمن رجاله في الشوارع ليعرفوا كيف يفكر الناس، أوروبها يقبضان على الآن ان اجبت إجابة تعنى نقمتى على الشرطة وأجهزة الدولة فسكت وألح على الرجل في السؤال وكرر سؤاله مرارحتى وجدتني أقول دون أن اخطط لما أقول: انا معكم منذ امد بعيد

ابتسما ابتسامة عريضة فيها امل ودهشة وقالا: نتمنى نراك في الميدان.

وانصرفا كما اتيا بإبتسامة صافية، ولكنهما حملاني عبئا ثقيلا واطرقا سؤالا كاد ان يثقب طبله اذنى وان يعمى عينى ويمحى عقلى، هل هذه المظاهرات لها امل؟ وهل في هذا الوطن امل؟ وهل في هذا الشعب امل؟، ثم من دعا الى هذه المظاهرات والى اى مكان سنسير والى اى مكان نقف وماذا سنحقق من هذه المظاهرات؟

اقالة وزير

اقالة حكومة

حل برلمان

القتلى والمصابين من الشرطة والشعب

تعديل دستور





إطلاق سراح متهمين

وهل ستركنا الشرطة بغربانها السود نتجمع

وهل سيقبوا منا رجلا واحدا

وهل هذا الوطن يستحق ان نموت من اجله كما اخبرنى حسين سابقا

وهل اذا فشلت هذه المظاهرات سأرى ببصري مرة أخرى هل ساعتها

سيتركون لى عقلا يعمل وقلبا ينبض.

انا رئيس جمعية طلابية وملفاتى جميعا فى امن الدولة وسيكون القاء القبض

على وتحطيمي أيسر مما يتوقع هؤلاء؟

لا اعرف هل اذهب، ربما يكون ذهابى نصرة لهذا الوطن واعلاء لشأنه

واعتقالى شرف لى ولوطنى ودمائى وجمعتى عمودا لبناء شاهق وهو مجد

الوطن؟

ام لا اذهب واكتفى بالبكاء والعيول على وطن تداعت اعمدته حتى كأنى

أخشى ان يهوى على رؤوس ابناءه من الكادحين والطامحين

هل اذهب لان الذاهبين ابطال؟

ام اجلس فى بيتى لان الذاهبين خونة ولصوص ومأجورين وفشلة

سيخربون هذا الوطن ويحطمون مابقي منه؟

هل اذهب حتى اشعر انى اديت واجبى تجاه وطنى

ام اقعد لان الأوطان لا تبنى بالتظاهرات





هل من الممكن ان تحدث ثورة عظيمة كما حدثت في تونس

ام اننا لسنا اهلا لذلك

هل اذهب واشاهد فقط

ام اشاهد في التلفاذ

هل هذا العمل خير ام شر

انا لا اعرف

ولم يقطع هذه الأفكار الا اتصالا من حسين

الو: ايوه يا حسين كيف احوالك

بخير يا حمدى وقولى، سمعت الدعوات التى على الفيس وفى كل مكان

للنزول يوم عيد الشرطة وعمل مظاهرة في التحرير وكل الميادين يوم ٢٥ يناير

نعم يا حسين سمعت وعرفت

هتشارك معايا يا حمدى؟

لا أعرف يا حسين

أخشى أنك جبان وخائف وانانى يا حمدى ولا تحب وطنك كما ادعيت سابقا

اتركنى افكر يا حسين، الموضوع مش بسيط

هسيبك لنفسك ودماغك يا حمدى بس خليك فاكرا

هذا الوطن يستحق الكثير من اجله





انتهت المكالمة ونظرت الى القمر والنجوم وقالت ترى ماذا يخبئ لك القدر يا

حمدى؟

وماذا يخبئ لك القدر يا مصر

وأى تاريخ سيكت قريبا بحروف من نور أو بحروف من دماء؟





امل

القاهرة... ٢٢ يناير ٢٠١١

تجلس امل على كرسى امام المرأة في غرفتها الصغيرة وتنظر الى وجهها الشاحب والى عينيها اللتين أرهقهما السهر واستبد بهما القلق وحول بسمتها الى دمعة ولونها الأسود الضاحك الى لون اسود حزين والى بشرتها الخمرية التي تكالب عليها الهم وجعلها تبدو أكبر من سنها بعقود والى شعرها الأسود الذي كان غزيرا وكثيفا وكان يتدلى على جانبيها ثم أصبح يسقط عن جبينها والى جسدها الذي صار نحिला وظهرها الذي احناه الزمن وتبحث عن بسمتها التي لم تعد موجودة ولم يصبح منها غير شبح بسمة ورقتها السابقة التي لم يبقى منها الا بقايا رقة وانوثتها التي لم يبق منها الا اطلال لأنثي واخذت تتمم وتقول لقد بلغت لتوى الثانية والعشرين من عمري منذ شهر تقريبا ولكنى اعتقد اننى ناهزت المائة عام، تتكالب على الأحزان ويحيط بي الهم والغم كأنهما لا يعرفان أحدا غيرى وكأني لا اعرف أحدا غيرهما

واخذت أقول:

مجروح فؤادى من غدر احبابي
واسراب الألم تطرق بابى
والهم والغم يحيطان بى





كأننا الهم للغم او صابى
وتابعت وهي تحقق حينا في مرأتها وحيننا تعرض عنها بوجهها، لا اعرف
لماذا اتعذب هكذا؟

ولماذا خلقتنى الله في هذا العالم؟

وهل خلقتنى ليعذبنى؟

هل هو يكرهنى؟

هل انا فعلت ما يستوجب كل هذا الألم؟

الى متى سأتحمل كل هذا الألم والشقاء؟

قلبى لم يعد يحتمل

جسدى لم يعد يحتمل

عقلى لم يعد يحتمل

روحى لم تعد تحتل أيضا

لا اعرف ماذا افعل؟

ولماذا أعيش؟

وما هي قيمة هذه الحياة الدنيا؟

وما هي فائدتى لنفسى؟

وما هي فائدتى لهذا العالم البائس البغيض؟

لم أجد من احتفى به او يحتفى بي لم أجد من أحب او يحبنى حقا اطارد





الأمان فيطردنى

اطارد الحب فيطردنى

اطارد المال فيطردنى

انا الأخت الكبرى لشابين، لم ينالا من متع الزمن الا الحطام ولم يبصرا من الدنيا الا الظلام فكلنا فقير حظ، فلا اعرف لماذا نحلم او لماذا نعيش؟

ابى اسمه امين، ولم يكن ابدا أميناً على لم يهتم بأى شيء في حياته سوى نفسه مأكله وملبسه وحياته الخاصة ربما لا يعرف أنه أنجب ثلاثة أبناء او ربما يعرف، ربما لا يعرف كيف يكون أباً، او ربما يعرف، وربما لا يعرف كيف يكون انساناً وربما يعرف، لكنه سواء عليه اعرف ام لم يعرف، لا هو يعرفنا ولا نحن نعرفه.

ورث ابى عن جدى مالا كثيرا ونصف بيت وبازار سياحى في منطقة نزلة السمان في حى الاهرامات وهى منطقة جميلة عريقة سياحية تكاد تشم منها رائحة الماضى وكأنك تعيش أياما مجيدة من تاريخ اخنى عليه الذى اخنى على لبد، انا اسكن هناك اسكن في قلب التاريخ.

لم يكمل ابى تعليمه بعد وفاة ابيه واكتفى بما ورث منه من المال خاصتا البزار السياحى وكان ابى مسرفا في المال على ملاهى شارع الهرم وعلى الفاتنات من راغبى المال والمتعة حتى بعد ان تزوج لم يثنه الزواج عن متابعة الانغماس في الاهواء والسفه المفرط، وانجبنى ولم يتغير وأنجب اخوتى ولم يتغير.

ومر الزمن وأيضا لم يتغير





يزيد ماله وينقص ولم يتغير

يصح ويمرض ولم يتغير

ومر به الزمان وأهمل تجارته وتراكت عليه الديون، فأسقط في يده وشعر انه
قد غرق في بحر رمال متحركة كلما أراد الخروج غاص أكثر، فقرر المجازفة بكل
ماله في تجارة الاثار والبحث والتنقيب عنها في منطقة الهرم وسقارة ونزلة السمان
وكلما نقب أكثر غرق أكثر

وكلما وجد اثرا اغتصبه منه اباطرة تجارة الاثار فالجميع يغتصب الجميع
وتوالى الخسائر وتوالى الاحداث وابى لايزال غير مستبصر ولا يزال لا يجيد
الحكم على الأمور وربما لا يجيد الحكم على اى شيء نعم على اى شيء

كثرت الديون

وأفلس الرجل

ولاذ بالفرار

وانقلب الناس علينا انقلابا شديدا

وتغيرت نظرات الاحترام

وتبدلت الى نظرات كره وحقد وشفقة ورغبة، نعم كل هذه النظرات من

الجميع

البعض كرهنا لأننا لصوص نعبث بتاريخ الوطن

والبعض أشفق علينا وكان يقول ارحموا عزيز قوم ذل





والآخر ينظر الينا كما يقول المثل الشهير (العجل وقع هاتو السكينة)
والبعض أراد ان ينتقم دون ان نوذيه ربما لأنه يريد ان ينتقم، وينتقم فقط
والبعض أصبح ينظر الينا ويسيل لعابه وكأننا لقمة يريد ان يمضغها او
يزدردھا سرعيا

شعرت ساعتھا اننى بلا ملابس، وان الجميع يملئ نظره من سؤاتى ومفاتنى
واننى أصبحت وحيدة حقا في هذا العالم
ونسيت الأمان وافتقدته تماما والى الابد

كلما حل المساء وسمعت قرع مخبرى الشرطة على بابنا بحثا عن ابى
واقترحهم غرفنا دون شفقة او رحمة او دون مراعاة لحرمة بيت او حرمة شخص
او اى حرمة في هذا العالم، بكيثوانتحتبت، فأنا لا أنسى انى افقت يوما على وجه
مخبر بائس حقير اقتحم غرفتى وهو يقول بصوت اجش: ابوكى فين يا بنت
ال.....

ساعتھا تمنيت الموت والموت فقط

كنت قد ناهزت السابعة عشر عاما من عمرى وانھيت الثانوية العامة
بمجموع يقارب ال ٦٠٪ الا قليلا، حتى بعنا كل شيء ولم نعد نملك الا شقتنا
التي نعيش فيها

وسددنا الكثير من الديون ووعدنا بسداد الباقي.

عاد امين من مهر به بعد ان شعر بالأمان، وبعد ان ضاع كل شيء





نعم كل شيء

ضاع امان

والأمان

ضاع الاب، نعم ضاع الاب الى الابد

وعاد عبوسا قمطيرا قلقا متوترا عاد لينتقم منا ويعاقبنا نحن، ولم اعرف لم عاد ولماذا ينتقم وتحول الى رجل بائس يسب ويلعن ولا نسمع منه خيرا ولا نبصر منه الا الشر، حتى انه كان سريع الانفعال واستخدام اليدين والقدمين في الصفع والضرب والإهانة لامى البريئة الطيبة واخوتى وانا.

اعتقد اننى لم يكن لى اب

او ربما عاقبنى الله بهذا الاب

فهو انتقام العالم منى

تحول ابى من صاحب بازار الى عامل متواضع في نفس البزار الذي كان يملكه سابقا.

وتحول من صاحب المال الى الاجير ومن الرئيس الى الغفير، نعم كان اجيرا عند الناس وغفيرا على أمواله ولكنه كان متجبرا فرعوننا على أولاده وفلذات اكباده.

خرجت من التعليم، بعد انتهاء مرحلة الثانوية العامة والقيت بنفسى في اتون الحياة المشتعل، اتون العمل عملت في البازارات وعملت في محلات الملابس





وعملت في الدعاية والمكتبات عملت مشرفة على تربية الأطفال في الحضانات ومعلمة لهم أحيانا ولم اكن اشعر انى اعمل او انى ذات قيمة على الاطلاق.

حتى عملت في صيدلية وتعلمت بعض أسماء الادوية وتعلمت كيفية إعطاء الحقن حتى جاءت سيدة ذات يوم حالك السواد وقالت لو سمحتى ادينى الحقنة د وما ان اعطيته الحقنة حتى ابتسمت وقالت لى، ايدك خفيفة يا انسة، ايه رأيك تشتغلى ممرضة في المستشفى الخاصة الى موجودة عند الهرم؟

انا قريرت الإعلان، دول هيدو مرتب كويس جدا واهى وظيفة محترمة، أحسن من الواقفة في الصيدليات واستحمال رخامة الى يسوى والى ميسواش.

ابْتَسَمْتُ ابْتِسَامَةً سَعَادَةً وَبِالْبَيْتِ مَابْتَسَمْتُ

وَشَعَرْتُ بِانْفِرَاجَةٍ وَبِالْبَيْتِ مَا شَعَرْتُ

وَقُلْتُ رَجَا سَأَتَعْلَمُ مَهْنَةً أَسَاعِدُ بِهَا نَفْسِي وَأَسَاعِدُ بِهَا النَّاسَ

وَبِالْبَيْتِ مَا تَعْلَمْتُ

ليس الامر في مهنة التمريض، لكن الامر في قدرى الذي خبأ لى الكثير بسبب امتهانى لهذه المهنة الراقية السامية، التي لا يعتبرها الناس راقية ولا يعتبرونها سامية

منذ ان عملت في مهنة التمريض، بدأت معركتى الحقيقية مع الحياة وبدأت مأسأتى الحقيقية.

وبدأ الشعور بعدم الجدوى، وبدأت صراعاتى النفسية تفتك بروحى وعقلي





وقلبي قبل ان تفتك بكل معنى في حياتي .

اهاهاها

كم هذا العالم بائس ومرير

ربما ليس في هذا العالم اى شيء جيد غير امي

نعم غير امي

امي اسمها رضا، وربما كان يعرف ابوها حين اسمها هذا الاسم ما ستعانيه

في هذا العالم فأراد لها ان ترضى او كان يعرف انها سترضى فأسمها رضا

رغم قسوة ابي وغلظته

وشح عواطفه وشح يده

رغم فقره بعد ذلك وهربه

رغم علاقاته النسائية السابقة والحالية

رغم تربيتها لثلاثة من الأولاد وحدها

رغم سدادها للديون وحدها

رغم كونها وحيدة الا انها راضية

رغم وفاة اخيها في حادث اليم

ووفاة اختها موتا فجائيا

رغم اصابتها بالضغط والسكرى

رغم معاناتها العاطفية والمالية





الا انها راضية

الا انها تحب ابى، يالها من امرأة غريبة لتحب هذا الرجل

الا انها تحبنى انا واخوتى وتبتسم دائما في وجوهنا العابسة

الا انها لازالت تحب الحياة

كنت اتسائل دائما، لماذا يا إلهى اعطينى أبا سيئا واما في غاية الروعة، لماذا لم تعطنى أبا واما في غاية الروعة او على الأقل لماذا لم تعطنى أبا واما كأى اب وام فأنا مشدودة بين قطبين احدهما موجب والقطب الاخر سالب احدهما يدفعنى لليأس والاخر للحياة، احدهما يمثل لى اكتئابا والاخر علاجا لهذا الإكتئاب احدهما يمثل لى موتا والاخر حياة، كنت اخشي ولا زلت اخشي دائما ان يصعقنى تيار اسرتى بموجبه وسالبه و تتلاشي شخصيتى وتنتهى سعادتى من شدة هذا التيار.

فانا أحب الحياة بأسمى ولا مى

وأكره الحياة بأبى ولأبى

لذلك انا مشوشة، مشوشة تماما، لم اعد اعرف عن نفسي شيئا ولا عن

الاخرين ولم اعد اعرف هل اريد ان أعيش

هل اريد ان اموت

انا حتى لم اعد اعرف من انا وماذا اريد ولماذا اريد ولماذا أعيش؟

كنت ادخل الى البيت نهاية كل يوم وكأنى ادخل الى المقابر، على قدمى او





ادخلها على نعشي، ولم لا فقد قتل بيتى الأمان والحب والامل، لا اعرف لماذا
أسمانى ابى امل؟ وهل لى امل في هذه الحياة وهذا العالم؟
اريد ان اخرج من هذا البيت

بزواج

او بهوت

او بهجرة الى بلد اخر لا يعرفنى فيه أحد ولا اعرف فيه أحد

نعم يجب ان ارحل، يجب ان ارحل سريعا.

.....

ربما جعلنى ذلك مريضة او بالأحرى انا مريضة فعلا.

مريضة بالحب ومريضة بالكراهة مريضة بالرغبة والامل في غد افضل ومريضة
بالأس من هذا الغد مريضة بحب ابى وبكرهى له وبحب امى وخوفى وشفقتى
عليها مريضة بحب اخوتى وخوفى عليهم مريضة بقلبى الذى يسعى الى الحب
والأمان ويطلبهما ويطاردهما منذ ابصرت عينى على الدنيا وانا لم اعرف معنى
للحب ولم اعرف معنى للامان.

مريضة لأننى كرهت التعلم وانتهت مسيرتى فيه عند الثانوية العامة

مريضة لأننى خرجت من بيتى الى سوق عمل لا يرحم

مريضة لأننى لا أعرف أي شيء عن أي شيء في أي شيء فقمت في حياتى

كهذا البائس الذى لا يقوم الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس





وانا غبية أيضا لاننى لا أفكر او حتى أفكر بشكل خاطيء ولا أدرك او أدرك إدراك شخص مصاب بالهلوس

ولا اجيد الحكم على اى امر

ربما اختزلت قواى العقلية في المشاعر والحب او الرغبة في المشاعر والرغبة في الحب.

حتى ذاك المدعو حبا خذلني، وای خذلان خذلني وای ذل اذلني وای ويل اذاقني.

فأنا في الثانية والعشرين من العمر ولم اذق حبا حتى الان رغم اننى طاردته
وتشبثت به ولكن كل من احببتهم لم يحبونى، جميعهم فارقونى وانا لا اعرف لماذا
يحدث معى ذلك دائما جميعهم يتركوننى بشكل مختلف ولكن بحجة القدر
ويصبون تجاهى سهام القدر والنصيب ويلكموننى لكمة الظروف وينهون حياتى
وحبى بكلمة واحدة

[illegible]

الظروف....

الظروف.....

الا لعنة الله على الظروف التي تجعلني غير مناسبة للحب





غير صالحة للإستحواذ على قلب رجل

غير جديرة بحمل اسم رجل وشرفه.

كنت في السابعة عشر من عمري منذ خمسة أعوام حتى التقيت بهذا الشاب
الوسيم احمد الذى كان شعره يتدلى عن جانبيه ويرتدى زيا شبابيا على اعلى
صيحة، اعجبني

ادهشنى

وشعرت بخفقان قلب لأول مرة في حياتي، تعرفت عليه عن طريق صداقتي
لاخته وأحب كل منا الاخر حتى درجة العشق.

كنت لا أفكر إلا به ليلا ونهارا

كنت أتمنى لقياه دوما

واحسب الساعات والثواني حتى القاه

واستمر اللقاء بعد اللقاء،،،،،، واستمر الحب او هكذا سولت لى نفسي

واخبرنى عقلى او هكذا تمت روى.

حتى افقت على خبر خطبته

وخطبته ممن؟

من اعز صديقاتي

سألته لم تركتنى

ابتسم ساخرا وطأطا رأسه وقال: انا ماتجوزش بنت اتفسحت وخرجت





معاها

غالبت دموعى وقلت له في صراخ
انت غبي، تسيب بنت بتحبك وخرجت معاك انت بس وتخرج مع بنت
متعرفش إذا كانت خرجت مع غيرك ولا لا
اجابنى بنفس البرود: كل شيء نصيب، بكرة نفرحلك.

غضبت

حزنت

هزنت اطون

حاولت الانتحار وفشلت

وانتهى كل شيء

حتى ظننت انه قد انتهى الحب.....

ومرت أيام سوداء قائمة تلتها أيام أكثر سوادا وأكثر قتامة وفقرا وانهمكت في
العمل ثم العمل كنت ابيت في المستشفى حتى لا أرى العالم ولا يرانى العالم
وحتى لا ابصر نور شمس قد انخدع فيه واعتقد بسذاجة انه نور امل او نور حب
او نور نجاح.

فأسرنيالظلام، وبللت دموعي ملابسي ووسادتي وفراشي وبللت قلبي
وجميع جسدى

ومرت الأيام حتى جاء رجل اخر ليطرق قلبي ولأفتح له بابى





لا اعرف لماذا؟

ربما لإننى احتاج الى ذلك

او ربما لأنه لم يكن امامى الا ذلك

ربما لإننى اردت الخروج من قبر الحزن الى روضة الفرح

ام ترانى احبته حقا؟

اتدرون الحقيقة؟ انا لا أعرف الحقيقة

وبدأت قصة حب جديدة مع حسين الذى ابهرنى عمله واعتماده على نفسه

حيث كان يعمل محاميا، تعرفت عليه عن طريق عملى حيث جاء مع مريض له قد

تعرض الى حادثة فقامت بتمريض قريبه والسهر عليه

اعجبنى

واعجبته

احببنى

واحبيته

ولم يمر وقت طويل حتى فاجئنى برغبته في التقدم لخطبتى

كانت سعادة غامرة

غامرة حتى اغرقتنى في الحب والحنان

وتمت الخطبة في جو عائلى مليء بالحب والدفء

وقضيت شهورا سعيدة





ولكنها لم تدم كثيرا
فاجئني بأنه سيسافر الى جنوب افريقيا
فقلت له هذا جميل
خذني معك يا حبيبي
فأجابني انه لا يقدر ان ياخذني معه
فقلت له اذن ابق الى جوارى
فقال المستقبل يناديني
فقلت له ارجوك ابق جوارى او خذني معك
ارجوك لا تفارقني
بربك لا تفعل
فنظر الى في علو وشموخ وكبرياء واستكبار وكأن ملكا ينظر الى خدمه وقال:
قد انتهى كل شيء
انتهى تماما
لن تبقى الى جوارى ولن ابقى الى جوارك بعد يوم
غدا قد يحمل لكى من هو خير منى مالا وأكثر جمعا وأكثر حبا
صعقتنى كهرباء الفراق
وطعننى سهم الحزن مرة أخرى





وعدت اكرر حزنى والمى واشكو بثي وحزنى الى الله
وأبكى في حضن وسادتى
والقى بنفسى في اتون الحزن المشتعل
ويزداد جسمي هزلانا
وبشرتى شحوبا وتختفي ضحكى تدريجيا
حتى تموت

وادندن قول العندليب (وسترجع يوما يا ولدى مهزوما مكسور الوجدان
وستعرف بعد رحيل العمر أنك كنت تطارد طيف دخان)
وتستمر الحياة ولا تتوقف دقات قلبي مليئة بالحزن والأسى وليتها تتوقف
وتطول الليالي وليتها لم تطل
وظننت ان الحب قد ولى عنى وأدبر وألاح عنى بوجهه الصبوح واختار الا
يكون لى والا أكون له

.....

وتتوالى الأيام حتى قررت ان انتهى من هذا المدعو حبا وارتضى اول رجل
يطرق باب بيتنا طالبا منى الزواج

وكان ياسر محاسبا في البنك المركزى ذو أصل طيب ومن عائلة ميسورة
فاخترت ان أوافق لعل القدر يرضى عنى يوما وتتبدل حياتى الى أفضل
ولم أفكر طويلا ولا قليلا ودون تردد وافقت لعل الحب يأتى بعد حين





او لا يأتى فليس بالحب وحده يحيا الانسان
لذا سأعطى نفسي فرصة للحياة دون حب ربما يكون هذا أفضل واسعد
وفى غضون أيام قليلة
تمت الخطبة أيضا في جو عائلى وتمت وكأنها لم تتم
لم اشعر اننى في عرس
لم اشعر بفرح لم اشعر بحزن لم اشعر باى شيء على الاطلاق
وكأننى ذبحت نفسي بنفسي وقدمت نفسي لمن يأكلنى
حاولت ان أحب ياسر
حاولت ان اتقبله
حاولت ان أكون معه
حاولت وحاولت
وكعادتى فشلت وفشل هو ان يعطينى اى حب واى امان
كان شحيحا في الحب والمال والحنان والطمأننة لقلب جريح لم يطلب من
العالم الا الحب ولم يطمع من متاع العالم الا في الأمان.
هذه المرة انا من أنهى العلاقة
واخبرته بجمود وقوة وثبات: انت ابن حلال يا ياسر وتستاهل كل خير
وألّف من يتمناك وانت طبعا تستاهل واحدة أحسن منى ألف مرة وكل شيء
قسمة ونصيب.





نعم انا من أنهي هذه العلاقة البائسة

انهيتها دون أدنى تردد

فأنا اعتقد ان الحياة بدون حب قد تكون نعيما لا يطاق ومرحى لجحيم الحب

فهو جحيم يطاق

طأحزن ابدًا

بل كنت اعتقد اننى نجوت من الموت وشعرت للمرة الأولى في حياتى أننى

قوية ليس لأننى رفضت رجلا وربما قد أكون كسرت قلبه

لا لا لا ليس ذلك ابدًا ولكن لأننى استطعت ان اخذ قرارا

انا انسانة تستطيع ان تقرر ما تقول وما تفعل وتتحمل تبعات قراراتها

كم هو شعور عظيم لم اشعر به كثيرا اننى اتنفس واننى قادرة على صنع شيء

ما

واعتقدت ان كفة الميزان قد تعدلت وان أياما أكثر سعادة قادمة

وان ألوان طيف مبهجة ستلوح قريبا في الأفق

واخذت اعد العدة استعدادا لحب جديد او لحياة حقيقية أكون فيها انسانة

سوية وقوية وحقيقية.

ومر عام كامل ولم ابحت عن الحب ولم ابحت عن نفسي ولم ابحت عن اى

متعة وسعادة.

.....





حتى التقيت هذا الطبيب الوسيم طويل القامة ناعم الشعر وكثيفه أيضا
ابيض البشرة ممتليء الوجه واثق الخطوة يمشي ملكا ذو نظرة عين ثاقبة وابتسامة
صاخبة أحيانا وهادئة أحيانا وعابثة أحيانا، تحيطه هالة كأنها يسير محاطا بالحرس
كالرؤساء والملوك

لبق في الحديث، معتنيا بزيه فهو مهندس وای هندام هو له ولا يرتدى الا
المركبات العالمية ويرتديها واشعر كما لو كانت حيكت له ومن اجله فقط، ولا
يرتدى الزي الواحد أكثر من مرة واحدة.

يجبه مرضاه ويقدرونه

وزملاؤه ومرؤسيه ورؤساؤه

واحبيته انا أيضا، بل عشقته، بل لم أرى مثله في حياتي

ربما يكون هو العالم الذي حرمت منه، بل هو ربما الجنة التي اشتاق اليها، كلما
رأيته شعرت بتجمد وبرودة اطرافي وسخونة قلبي وحرارة شوقي اليه

نعم احبيته

وربما يكون الحب اقل من وصف ما شعرت به بل هو العشق بل هو الجنون

انت من تمنيت ان تكون ابى

من يكون امى

من يكون اخى

من يكون صديقى





من يكون زوجي

من يكون في روحي واكن في روحي

احببته في صمت

واستمر الصمت

وظللت اكنم حبا قد برا جسدي ستة أشهر

اراه في مناسبتين أسبوعيا أيام الاحد والثلاثاء وكأني تمنيت ان يكون الأسبوع كله أيام الاحد والثلاثاء، اراه في كل مرة ساعتين وكأن كل ساعة منهما عمرا وقدرا ومصيرا جميلا.

وكلما رأيت وجهي في عينيه شعرت انني أرى وجهي في بحار الجنه
كنت اشعر انه يهتم بي، ويبادلني الاهتمام ولكن كنت أقول انه يهتم بالجميع
ويبادل الجميع نفس الاهتمام، كنت أعرف ان جميع الفتيات يحببنه او يريدون
ذلك، كنت أعرف أيضا انه مطلق وان لديه ابن صغير وهو رائع الجمال مثل
والده، كنت اعرف انه متعدد العلاقات او هكذا تقول عنه الفتيات
كنت اعرف انه في السماء مع النجوم او هكذا يخبره الجميع.
وانا على الأرض او تحت الأرض او هكذا يخبرني الجميع
كنت اعرف انه أكثر مني جمالا او هكذا يخبرني الجميع
كنت اعرف انني احبه او انني احتاج الى حبه او هكذا اخبرني عقلي وسولت
لي نفسي





لن انسي ايامى معه او هكذا تخبرنى ذاكرتى

حتى جاء يوم أحد لن انساه ما حييت وليتنى انساه ولا اذكره ابدا.

اطل على من علياءه وقال لى:

امل، عاوز أتكلم معاكى شوية

-تحت امرك يا دكتور

-ادخلى العيادة واقفلى الباب

-انتى عارفة انا بشتغل معاكو هنا في المستشفى بقالي ادايه؟

-تقريبا حضرتك ٦ شهور.

-برافو عليكى، فعلا ٦ شهور

-وانا من ساعتها بقي عندى امل ان ربنا يعوضنى خير

امل، انا عاوز اقابلك واعزمك على العشا واتكلم معاكى شوية

ابتسمت وكأن طارقا من السماء ينادينى ووافقت على الفور

وتقابلنا المرة تلو المرة في أماكن راقية وفنادق خمس نجوم لم احلم ان اطأها

بقدمى يوما، حتى اخبرنى انه يريد ان يزورنا في البيت

فوافقت أيضا دون تردد ولكنى كنت خائفة

خائفة وقلقة وغير مصدقة ومتفهمة لما حدث

خائفة ان أكون أحد نزواته التي سمعت عنها الكثير





خائفة ان يحول فكره عندما يري اهلى البسطاء في التعليم والمأكل والملبس

خائفة ان يرفضه اهلى

خائفة ان استيقظ من هذا الحلم الجميل على كابوس الواقع المزعج الذي لم

يفارقنى بعد

خائفة من شيء ما لا اعرفه

بل اعرفه

انا خائفة من كل شيء

وقدم الينا واستقبله اهلى بالترحاب واستقبله قلبى كما تتزين المدن لإستقبال

فاتحيها

وذقت طعم السعادة أخيرا وعرفت الأمان والحب

ولكن هذا الوهم لم يصمد طويلا وانهار الحلم سريعا

لقد تظاهر بالمرض وذهبت اليه لأزوره في حضور اهله فلم أجد اهله ولم

أجد الا المكر

ووجدت وحشا يستعد لافتراسي وازدرادى دون مضغ

لا اعرف كيف نجوت من من مخالفه وانيابه

غير ان قدر الله كان سابقا.

اتدرون توفي فجأة وبنوبة قلبية نعم توفي دون سابق انذار دون مرض

توفي هو لا عيش انا





توفى لأبقي شريفة امام نفسي وامام الناس

توفى وتوفى الامل معه والحب معه وبقي الخوف والقلق والشك والرغبة في
الموت والرغبة في الانتحار الرغبة في اللا رغبة

هرولت الى بيتى أبكي

لا أبصر امامى الا نفقا طويلا مظلم لا ينتهي، يقف الناس على الجانبين
ينظرون الى فقط يحدقون بعضهم حزين والأخر في دهشة يتسائل ماذا حل بامل،
قد خاصمها الامل

هذه حياتى منذ أبصرت الدنيا

اسمي امل

ولكن لا امل في بيت ولا اهل ولا مال ولا حبيب ولا زوج ولا وطن
حتى وطنى أعيش على ارضه وسماؤه واتلفح هوائه واستر نفسي بشمس
ولا اعرف عنه شيئا ولا يعرف عنى شيئا
حقا انا لا افهم كثيرا مما يدور حولى ولكنى اعرف انه

لا عدل

لا امان

لا حرية

لا كرامة

أتمنى لوطنى هذا كل خير ورقي وازدهار وأتمنى ان تكون بلادى خير البلاد





ولكنى لا اعرف كيف السبيل الى ذلك
سأشارك في المظاهرات التي تنطلق يوم ٢٥ يناير
ربما يكون وطنى أفضل بعد ذلك
او تنتهي حياتى في ذلك اليوم
وليته تنتهي
سأنتظر الثلاثاء القادم بفارغ الصبر
ربما يتحقق الامل لى او لوطنى او اموت انا ووطنى في خندق واحد
لا اريد الحب
لا اريد الأمان
لا اريد حتى أن أعيش
فقط سأحاول ان انفع وطنى
او هكذا حدثنى نفسي







ونارة أخشى على نفسي واهلى

أخشي الموت او الجرح او الاعتقال وقضاء الأيام وربما الأشهر وربما السنوات خلف القضبان وينتهي مستقبلى قبل ان يبدأ ويطوى صفحتى طوى الفشل واذهب انا واحلامى سدى

ونارة ابدو غير مكثرنا، فما شأنى وما مجردى، ليس على سوى نفسي

نعم.. ستنتهي هذه المظاهرات الى فشل

ويفرض الامن سطوته وجبروته، ولن تستجيب الحكومة او الرئيس الى مطالب هذا الشعب البائس المسكين، او ييأس هؤلاء المتظاهرون سريعا ويرحلون من فرط اليأس والوصب والنصب.

او من حرارة الحر او برودة البرد

ترى هل نستطيع ان نفعل كما فعل اشقاؤنا في تونس

لا اعرف؟

بل اعرف اننا لا نستطيع.

بل اعرف اننا نستطيع

نعم سأشارك، ربما ننجح في تغيير هذا النظام البائس المتداعى المتهالك

او ربما استبريء صفحتى تجاه هذا الوطن الذي علمنى حتى صرت طبيبا

حتى لو اعتقلت او ضربت او انتهت حياتى

سيكون لذلك كله معنى عظيم، وربما تكون نواة لشمس جديدة او حلما





سعيدا او وطننا قويا عظيما

حقا انا لا اعرف ماذا سأفعل، وماذا يجب ان افعل وماذا سأجد اليوم ومع
اي رفقة ستكون نفسي

لكن مجدا عظيما ينتظرني اليوم او قبرا فسيحا اتوسد فيه حبي لبلدى واهلى
اجمعين

سأنهض من هذا السرير، فهو لم يخلق للكادحين وللراغبين في عالم مجيد،
سأنهض الى شرفتي واستقبل ضوء الشمس واملاء صدرى بنسيم وعبير الحقبة
الجديدة

نعم سأحمل وطنى ليلقي مكانا عظيما تحت الشمس.

وأنهض حمدي وأجلس الى حاسوبى وأتابع كل الدعوات الى حركة اليوم
والذى اطلق عليه يوم الغضب، وانكب على متابعة الجديد حتى دقت الساعة
الثانية عشر ظهرا، نهضت من فوري وارتديت ملابسى، وقلت اليوم يوم الغضب
او يوم السعادة، لنرى ايها اقرب

اللهم وفقنا يا إلهالكون.

واستخدمت هاتفى الجوال لأتحدث الى صديقى حسين:

- الو أجبنيا حسين، كيف ستكون الحركة اليوم؟

- أنا لا أصدق يا حمدي انت هتنزل تشارك؟

- بالطبع سأشارك، أولست مصر يا مثلك؟





- هذا مايجب أن يكون، انت حمدى الان بحق
- أخبرنى الان كيف سنتقابل
- في التحرير، حيث البداية والنهاية
- اخبرنى كيف ستذهب يا حسين؟
- انت تعرف يا حمدى انا أسكن في مدينة نصر يعنى سأسلك شارع رمسيس
- حسنا يا حسين انا سأنزل الان عن طريق شارع القصر العينى
- ونتقابل في الميدان يا حسين، يمكن نقدر نعمل حاجة لمصر
- حسنا يا حمدى القاك في الميدان



الساعات تمر ببطء على امل في هذه النوباتجية الهادئة نسبيا وكل شيء مستقر تماما، وكل شيء على مايرام، الا قلب امل الذى اصبح كقلب مصر يمر به المستعمرون يعبثون به وينكتون عليه نكتا سوداء ويغرسون فيه الخناجر ويتركونه ينزف ويرحلون، تماما كمصر يمر بها الغزاة والطغاة كل على حد سواء يعبثون بمقدراتها وبشعبها ويرحلون، حتى الكثير من أبناء شعبها يفسدون ويرحلون.

ظلت امل تراقب ساعة يدها وتترقب خروج الشمس من عتمتها عساها تحمل نورا جديدا يمحو ظلام القلب وظلام بلد يترنح وتساءلت وهي تنهد: لماذا انتظر ذلك الصباح؟

اجل حتى اذهب والقى نفسي في اتون مشتعل من الهتاف ضد الظلم والفقر





والجهل وضد نظام مجتمعى افرز مظطربى الشخصية والممسوخين والمشوهين من
فقراء واغنياء واقوياء وضعفاء

متى تنتهي هذه الغابة؟

سأخرج اليوم للأنادى واهتف بعقلي وقلبي وروحي، فاما أن اعود
بهمفائزين، او اتركهم وديعة للوطن

انا لا أخاف الموت، فأنا ميتة

انا لا أخاف الاعتقال، فأنا معتقلة

ولا أخاف الضرب، فقد اعتاد جسدى على لكمات الأيام ونوائب الدهر

انا حتى لا أخاف الاغتصاب، فالشرف وديعة في الوطن ووطنى مغتصب،
فما الفائدة من شرفى المزعوم.

سمعت ذات مرة بيت شعر يقول:

الا أيها الليل الطويل الا انجلى

بإصباح وما الإصباح منك بأمثل

هذا البيت يمثلنى الان

ساعات ودقائق وثنائى حتى اذهب الى ميدان التحرير لنحرر بلدنا وأنفسنا

فقط سويغات، بل دقائق بل ثنائى، انه الآن.







ويطالبون بإجراءات رادعة لحماية المصريين من تجاوزات رجال الشرطة
ويطالبون بحماية المصريين في الأقسام من البلطجية ومن الشرطة
ويسير المترو ويسير والاعداد تتزايد

والاعداد تتزايد..



وتقرر هذه الجموع مغادرة
القطار في محطة سعد زغلول لأن
رجال الامن كانوا يطوقون ميدان
التحرير من كل جانب ويلقون
بالقبض على الشباب عند مداخل
ومخارج محطة التحرير ويلقون بهم

في سيارات اجرة او سيارات ملاكى دون ارقام او سيارات الشرطة، هكذا
سمعت الناس يقولون.

ونزلت مع هؤلاء الشباب، وبدأت رحلة لم تنتهى ابدا ولم اكن اعرف كيف
ستنتهى ولم اكن اعرف كيف اريدها ان تنتهى؟ ولكنى بدأت

وما ان ابصرت السماء فور خروجى من مترو الانفاق حتى شعرت ان الأيام
القادمة ستحمل الكثير، وأن كتاب التاريخ صار مفتوحا كباب كبير على
مصر اعيه، لينفذ منه الجميع.

خرجنا يدا بيد ذراعا بذراع لا فرق بين صغير وكبير وبين شاب وفتاة، بين
مسلم ومسيحي وبين متعلم وجاهل وبين غنى وفقير كلنا يقصد وجه الوطن كلنا





يقصد قبلة مصر

والهتافات نتعالى ونتعالى ونتعالى..

والخطوات تتسارع والانفاس تصنع سيمفونية مجيدة من الشهيق والزفير،
ربما لو سمع موتزارت ويتهوفن وقع اقدامنا وسيمفونيات انفاسنا لترددوا كثيرا
وقليلا ودائما قبل ان يعزفوا مقطوعاتهم الغنائية الخالدة.



ونتقدم في شارع القصر العيني
وهو المدخل الجنوبي لميدان التحرير
في هدوء تحت ظلال سماء حانية
وكان السماء تباركنا وشعاع الشمس
يرسم لنا طريقا والنسيم العليل
يلطف انفاسنا وكان الملائكة تبارك
عملنا وتهتف معنا من أجل العدل

والحرية، حتى هذه اللحظة لا عنف لا دماء لا فرقة لا شياطين لا تحزب ولا شيء
الا مصر

وكلما اقتربنا أكثر لاح في الأفق رجالات الامن بزيهم الأسود وخوذهم
المعدنية وعصيتهم وسياراتهم ومدركاتهم وزجاجهم الواقي واسلحتهم التي
تقذف الخرطوش وتقذف قنابل الغاز المسيلة للدموع.

رايتهم بعيني يتراصون في نهاية شارع القصر العيني ليحولوا بيننا وبين
التقدم والمضي ولكن أنى لهم.





تقدمنا وتقدمنا وتقدموا ناحيتنا أكثر وأكثر حتى في لحظة ما رأيت أناسا من
بيننا يلقون القبض ويختطفون أناسا آخرين من بيننا ويضربونهم ويأخذونهم الى
الشوارع الجانبية ليلقوا بهم الى عربات شرطة وعربات خاصة أكبر
وفى ثوانى قليلة تبدل السكون والهتاف الى هرج ومرج وهرولة في كل اتجاه
هربا من بطش المخبرين ورجال الامن المركزى الذين اندفعوا صوبنا بكل قوة
واوسعونا ضربا بعصيتهم يمينا ويسارا دون تمييز ودون فهم لأننا فقط متظاهرون
ومتظاهرون عزل من كل شيء الا الحق في الحياة

في الصراع

في الحب

واللّٰه

والاعتراض

لنا الحق في كل مانريد وعلى الجميع ان يحترم ذلك
تقدمت سياراتهم وحاولت تشتيت جموعنا برشاشات المياه ولم اصدق اذنى
حينما سمعت أحدهم يقول لرفيقه وهو يصبوب رشاش المياه تجاهنا:
رشهم يا صاحبي بالميه عشان نهدهم زى ما هدينا خط بارليف بتاع اليهود
سمى باسم الله ورش اليهود دول، الله يلعنهم
لم اعرف هل اضحك هل أبكي، ولكنى تابعت الهتاف وتابعت الركض
وتابعت الهروب من قبضة المخبرين





حتى استخدمو قنابل الغاز المسيلة للدموع فلم أستطع التنفس وتقهقرت الى الخلف، رغم انى خريج من كلية الطب الا انهم لم يعلمونى يوما كيف اتفادى موقفا كهذا

واخذت الجموع في التفرق والتراجع والتشرد في الشوارع الجانبية، وكل من دخل الى شارع جانبي التقمه الامن بلا شفقة ولا رحمة، ويتقدم الامن ونستمر في التراجع

ويتقدمون ونراجع

حتى ظننت ان اليوم قد انتهى وقررت العودة من حيث جئت وانا حزين لكنى كنت فرحا لأننى لم أصيبسؤ ولاننى لم أعتقل وسلكت طرقا كثيرة متعددة هربا من الشرطة حتى وصلت الى محطة المترو التي جئت منها وانا أتصور أن ألاقى من هم مثلي ممن اكتفوا بذلك او ممن يلوذون بالفرار أو ان الاقى رجال الامن فأثرت التقدم بهدؤ وحذر، حذر شديد. ولكن يالها من مفاجئة سارة وجميلة وعظيمة

حينما رأيت افواجا وافواجا قادمة ولا تبالى ورمقت في عيونهم الثقة اللازمة لدحر الخوف في نفسي ولضخ دماء جديدة في اطرافى المرتعدة.

تقدمت نحوهم لأنزل الى المترو ولكنى وجدت نفسي معهم أتقدم حيثما تقدموا، وعادت الكرة من جديد بروح جديدة بدماء جديدة





واخذ هؤلاء يهتفون كل هتاف ويطلبون كل طلب

ومنهم من يهتف ويقول

ضد الحكومة، ضد البلطجة والظلم

ضد الحكومة، ضد الحاكم والحكم

وتغيير

حرية

عدالة اجتماعية

كرامة إنسانية

وانزلو من بيوتكم عاوزين نجيب حقوقكم

وتتعالى الأصوات يلتهب الحماس

وتقابل صلابتنا شراسة الامن

واصرارنا اصرارهم

واستبسالنا عنادهم

وجموعنا جموعهم

وكلما زادت اعدادنا زادت اعدادهم

وكلما زاد حماسنا زاد عتادهم

وكلما تقدمنا نحوهم تقدموا نحونا ونحن نتقدم أكثر وأكثر







اخرسن باللى زيك خلونا فرجة للعالم

اخرسن باللى بنشتم ناس احسن منك

وربو ناس احسن منك

اخرسن باللى متعرفش في الدنيا غير جزمة سيدك

اخرسن بابن ال.....

وأفلت الشاب منه ولذنا بالهرب لنختفى وسط جموع أخرى من المتظاهرين
ويستمر المشهد على ذلك والكر والفر سمة الموقف، وتتأرجح مشاعري ما
بين يأس وأمل

وتتأرجح قواي ما بين تراخ وشدة وتكاسل وهمة
والأعداد تتزايد

والصراخ يتزايد ويعلو ويعلو
والشمس تخفت والظلام يأخذ في التقدم والقرب

لا نحن نرحل ولا هم يرحلون

لا نحن نستسلم ولا هم يستسلمون



أمل، تقف امام مرأتها كما تفعل عادة ولكن هذه المرة تنظر الى مراتها في تحد
وإصرار تارة وفي امل تارة أخرى وتهندم ملابسها وقد اختارت ان ترتدى الأسود





ليكون دليلا للكفاح والصمود، وتمتت: النهاردة يوم مهم ياما اقلع الأسود الى لبسته على مصر وعلى حالى والبس بداله الوان زاهية والبس ابيض، ياما افضل لابسة اسود على مصر وعلى حالى، بس يكون احسن بصراحة لو قلعت الأسود ولبست الكفن بعدها، يارب خدنى وريحنى انا تعبت من الدنيا ومن الناس ومن نفسي.

وتندفع امل من الهرم الى جامع مصطفى محمود في شارع جامعة الدول العربية حيث موجة ثورية هناك تبدأ وحياة جديدة تكتب سطورها

ابتسمت امل ابتسامة فرح وقد كانت تعتقد انها لن تبسم ابدا، ورفعت يديها عاليا وبع صوتها بالهتاف والهتاف، وشعرت بالأمان والحب والمودة والطمأنينة لأول مرة بسبب شيء اخر غير الرجال وعالمهم، وربما لأول مرة تشعر بالألفة وهى وسط الناس ولا ترى عيونهم ترمقها او تشفق عليها ولا تجد من ينظر الى جسدها او يرغب في شيء منه، فقط شعرت ان في وسط الجموع الاب الذي تبحث عنه والاخ الذى تحبه وتخاف عليه والام التي تدافع عنها والحب الذى تطارده ويطردها، تلك المرة الأولى التي لا يلفظها المجتمع أو يشتهيها بل يقبلها بحب ويقبلها بلطف ويحتضنها بدفء.

ونسيت نفسها وذابت بين الجموع.

ويمر الوقت والجموع تحتشد وتحتشد ويسIRON على اقدامهم صوب كوبري ٦ أكتوبر ليذهبوا الى ميدان التحرير.

حتى تلاقى الجمعان وبدا الكر والفر والمياه والغاز والخرطوش في مقابل





السلمية والإصرار على حق المواطن في حياة كريمة وحياة أفضل.
وتتلاطم الأمواج حتى وقت غروب الشمس.

.....

ولم يكن حال حسين في محاولة دخوله الى الميدان أفضل من حال حمدي وامل
ولكنه لم يكن مختلف، حتى انهك الوقت والعدد وإصرار المتظاهرين قوى الامن
الذين لم يكونو يعرفون حتى هذه اللحظة لم يفرقون بالقوة أناسا لم يستخدمو
القوة ولم السلاح في مقابل الهتاف، ولكنهم نفذوا تعليمات رؤسائهم وساداتهم
ليس من اجل الوطن بل من اجل الحفاظ على العمل او من اجل المال او من اجل
أشياء أخرى لم اعرفها واخشي انهم مردوا على القمع والبطش دون ان يعرفوا فيم
كان كل هذا؟



السادسة مساء ودقائق قليلة

بدأت الكثير من الافواج تصل الى ميدان التحرير وبدأ الميدان يمتليء بالبشر
الصغير والكبير الرجل والمرأة الغنى والفقير الليبرالى والعلمانى والملحد
والسلفى والاخوانى ومن لا ينتمى لاحد من هذه المسميات ولا ينتمى الا الى
مصر بدا كل هؤلاء ولأول مرة منذ عقود وربما لأخر مرة واخشى ان يكون ذلك
لأخر مرة.

تقابل حسين وحمدي وتعانقا عناقا حارا





استرق صوت حسين وبدت لمعت عينه وهو يأخذ حمدي الى صدره ويقول:

أخيرا في الميدان

- لا يا حسين هذا هو اول الطريق

- نعم، هذه بداية الدولة العادلة

- نعم، اليوم هو بداية مصر الجديدة

- هل أنت بخير يا حمدي؟ تبدووا مرهقا الى اقصى درجة

- انا بخير ولكنى خائف وقلق ولست أدري الى أي شاطئ سترسي مراكبنا،
كما إننى أخشى أن يضربونا بالرصاص الحى.

- انا عليا لرغم من عدم معرفتى بحدوث ذلك أم لا، الا أننى لست خائفا

يا حمدي

- يا حسين لم نفرح بعد بكوننا أطباء

- ليس مهما أن أصير طبيبا، المهم هذه البلد تكون أفضل

المهم انى حسيت أخيرا ان لى قيمة

لا يجب إضاعة الوقت يا حمدي، ويللا نهتف ونهتف ونهتف

وأقيمت صلاة العشاء في الميدان واصطف الجميع لإداء الصلاة في الميدان

وصلى الجميع حتى انى اعتقدت ان البعض صلى بغير وضوء وان رفاقنا من غير

المسلمين يصلون معنا أيضا

وهزت إقامة الصلاة ميدان التحرير





ومع اول قول للمؤذن الله أكبر

شعرت اننى في يوم الحشر واننى سأزف قريبا الى الجنة

واخذ حسين يبكي من الخشوع والامل واخذ يتضرع ويقول:

يارب انصر مصر وخلي الى بنعمله ده لفائدة مصر وخير ليها ولناسها

وأقيمت الصلاة، وبدانا فيها وبدأ الأمن صلاة من نوع آخر وهي صلاة

رشاش المياه الذي اندفع بقوة تجاهنا ونحن نصلى ولكن انى لهم

قد كان الجو باردا ساعتها ولكن كل منا كان يستدفيء بالآخر

وانتهت الصلاة، وبدأت الاعداد تقل في الميدان وكأن الناس كانوا يصلون

الجمعة وقد انتهت ولكن كانت عليهم فرحة كفرحة العيد ولم لا فقد اخرج كل

منهم شحنة وطاقة كادت ان تحرقه، وصرخوا أخيرا صرخة للحياة وخرجو من

رحم الكبت تماما كخروج الرضيع من رحم امه مستقبلا الحياة بالصراخ، نعم كنا

كاطفال خرجوا الى الحياة وتنفسوا هواء لم يعتادوا عليه من ذي قبل.

قل العدد وبدا الامن يضربنا يمينا ويسارا دون رحمة وكان حسين بجوارى

دائما اميل مثلما مال واغدوا اقتفاء لآثره أينما حل او ارتحل.

وتنفسنا الغاز وغرقنا بالمياه وتلقينا عصيان الامن بصبر وثبات، وكاد اليوم

ان ينتهي وساعات اليوم تتجه الى الحادية عشر. نظرت الى وجه حسين وسألت في

ترقب؟

ماذا يجب أن نفعل الان يا حسين؟





المفروض أن نبيت حتى نكمل مطالبنا وحقوقنا

ستبيت فعلا يا حسين؟

- لن أبيت اليوم فقط، بل سأعتصم هنا حتى نحقق العيش والحرية والعدالة الاجتماعية.

يكفي ذلك بالنسبة لى، وامى وابيلا يعرفان أننى هنا ولا أعرف ماذا سيفعلان بى أو سيحل بهما ان عرفا ذلك؟ انا لا بد ان ارحل الان على وعد أن القاك غدا ان شاء الله.

- ولكن هل أنت متأكد يا حسين من صحة وجدوى ما نقوم به الان؟
- طبعا متأكد، ولن أبرح الميدان الا لو مصر أصبحت أحسن او اموت هنا.
- كم انت عظيم يا حسين، ياليتنى مخلص في حب البلد مثل ما أنت مخلص، ربنا معانا

سأنتظر الساعات حتى تشرق الشمس، سلام يا صاحبي
ورحلت الى البيت وانا أرى الناس في وسائل المواصلات قد طار عقلهم ومشاعرهم أحيانا من الفرح وكثيرا من الخوف والقلق.

ودخلت الى البيت في هدوء فوجدت ابى يسألنى في خبث واستنكار
- اين كنت يا دكتور حمدى؟ ولا تحب اقولك يا سيادة الثورجى ولا اقولك
يا سعادة رئيس الجمهورية؟

- كنت مع اصحابى.
- لا تكذب، وجهك احمر وعينك حمرا وهدومك متربة وباين عليك اجهاد





وتعب، وتليفونك غير متاح اغلب اليوم وهدومك غرقانة ميه وريحتك غاز.

- كنت مع اصحابى يا بابا

- اكيد كنت معاهم في التحرير!

- نعم، كنت معاهم في التحرير.

وما ان انهيت الكلمة حتى صفعنى ابى على وجهي، فدمعتينى، وهممت

بالرحيل من امامه، حتى جذبنى الى حضنه بقوة ولف ذراعه حول عنقي وعانقنى

بقوة وهو يبكي وويقول بطريقة هستيريه

-يابنى لا ابن لى غيرك وأحبك، لاتضيعنا انا وامك واخواتك ولا تخسر

وتدمر نفسك.

انا أحبك ولا أريدك أن تموت.

-انا أحبك وأريدك أن تعيش من بعدى زمنا طويلا وتدفننى في التربة بيديك

وتغسلنى وتكفننى وتصلى علي، لا أن ادفنك انا، يا ولدى لن أطيع أن اتقبل فيك

العزاء وأريدك أن تصير أفضل طبيب في هذا العالم.

-انا أحبك وأريدك أن تحفظ أمك وأخوتك من بعدى.

-لن أتحمل ان يجرحك أحدهم او يضربك او يسبك او يعتقلك، لن اسمح

لك ان تموت مادمت انا على ظهر الأرض.

ارجوك يابنى لا تشارك في أي تظاهرات قادمة مهما حدث، ارجوك لا

تشارك من أجلى، وراح في بكاء لا ينقطع.

بكيت انا أيضا ولم اعرف ماذا يجب ان أقول او افعل ولا حتى بم يجب ان





اشعر

صمت وطال صمتي

وانتهى اليوم على قبلة وضعها ابى على ناصيتى وقال:
ربنا يخليك ليا يا بنى، او عى تزعلنى منك او تزعلنى عليك
حبنى زما بتحب مصر.





ما قبل الغضب الكبير

لم اعرف كيف انام وكيف اغمض عيني بعد هذا اليوم الشاق والعظيم
والمختلف في حياتي فقد عشت حتى هذا اليوم خمس وعشرين عاما وعشت يوما
بكل هذه الأعوام، رغم انى تنفست الغاز الا انى تنفست الحرية.

رغم انى صادفت الخطر، الا اننى لم اعرف الخوف
رغم ان برودة خراطيم المياه كادت تجمد الاعصاب والأطراف الا انها
صنعت اعصابا واطرافا جديدة

قمت الى التلفاز وقلبت في القنوات الحكومية فوجدتها تعيش في كوكب اخر
وربما مجرة أخرى حتى وجدت في احدى القنوات حديثا مع وزير الداخلية
للحديث عن امجاد وتضحيات واستبسال الشرطة في عيدها وكيف تحمى
المواطنين والوطن من غدر ومكر الماكريين والمخادعين ويتحدث الوزير وكأن
كل شيء على مايرام وكأنه لا تتجاوزات من قبل الشرطة وكأنه لا ظلم ولا تعذيب
ولا تزوير ولا قسوة ولا جبروت ولا صلف ولا غرور

وكانهم يحتفلون بالوزير ووزارته وكأن أبناء الشعب صاروا أعداء للوطن

وكان الشرطة هي الدولة والدولة هي الشرطة

وكان الرئيس هو الدولة والدولة هي الرئيس

ابتسمت بسخرية وتذكرت قول لويس الرابع عشر ملك فرنسا

(انا الدولة والدولة انا)





وعلى النقيض من ذلك رأيت تغطية شاملة لأحداث اليوم على قنوات
إخبارية عربية متعددة وقنوات عالمية وكأنهم كانوا معنا خطوة بخطوة نفس بنفس
رغم انى لم الحظهم جيدا وربما لم أكن اريد ان الحظهم او ربما لاحظتهم لكنى لم
أهتم.

وهالنى والمنى اننى عرفت بمقتل متظاهر فى مدينة السويس فى حى
الأربعين، لم أتذكر اسمه وربما لم اسمعه جيدا وربما لم يكن احد يعرفه،
ولكنيشعرت اننى انا من مات وظللت اتسائل؟

لماذا قتل؟

هل هو مجرم؟ هل هو عدو؟ هل هو مفسد فى الأرض؟

من قتله؟

الشرطة؟

البلطجية؟

ام من القاتل؟ وهل هو من قتل نفسه او قتله من اخرجه للتظاهر.

من يحمل دمه؟

من صوب سلاحه نحو روحه وجسده؟

ام هو من دعاه للخروج والتظاهر

وهل هو شهيد؟ ام هو شيطان مريد؟

وهل من قتله كان ينوى قتله؟ ام كان مضطرا لقتله؟





أسئلة، أسئلة، أسئلة، بلا أى إجابات قاطعة.

ولكنى كنت مدركا الاجابه

قتله الظلم والقهر والبأس

وهو شهيد ثورة ولدت اليوم ولا يجب ان تموت قبل ان تسطر تاريخا جديدا

نعم انا كنت مقتنعا بذلك.

كنت أفكر أيضا كيف ستابع المشاركة في هذه المظاهرات وقد اخبرنى حسين انه سيبيت ويعتصم ولن يبرح الأرض حتى يظهر الحق والعدل او يكون حرضا او يكون من الهالكين.

كيف اتابع المشاركة وابى وامى يقفان حائلا بينى وبين ما اريد

هل اعصيهما واتابع، ام اطيعهما واجلس؟

هل ستكتمل هذه المظاهرات؟ ام تتوقف عند حد الإجهاض؟

هل لومت مثل شهيد السويس سأكون شهيدا وامى وابى غير راضيان عنى؟

وهل هذا البلد يستحق الموت من اجله او الحياة من اجله؟

لم اعرف كيف اجيب

لذلك اثرت الصمت والمتابعة

وقررت ان اتواصل مع حسين تليفونيا كل ساعة حتى يقضى الله امرا كان

مفعولا.

وغلبنى النوم وابصرت صباحا جديدا فيه رغبة وخوف، وكان اليوم هادئا





ولا حديث عن جديد وهممت بمتابعة ما يحدث في وسائل الاعلام.



يستيقظ حسين من نومه وقد كان متوسدا جرائد حكومية ومتلحفا معطفاً اسودا وواضعا حذائه تحت رأسه، وقد أبصر نور يوم جديد وكانت الساعه الثامنه صباحا

وعدد المعتصمين لم يتجاوز المئات، وقد تحول الميدان الى قاعة سياسية كبرى مليئة بالتنظير والجدال السياسي، وابتسم حسين ويقول كنت أتمنى مشهدا كهذا منذ ان ابصرت العالم وابصرنى العالم لم احلم يوما ان حلمى قد يتحقق واعيش واتجول فيه، لنأفرط فيك يا وطنى، لنأفرط فيك يا حلمى.

ولكن ضوء الشمس لم يصمد طويلا امام غبار الغاز الذي أطلقتته قوات الامن والنسيم العليل تحول الى دخان يخنق الأنفاس والامال وجنود الامن المركزى المدججين بالعتاد اقتحموا الميدان لكى يخلوه بالقوة ودارت معركة غير متكافئة بين من يملك هتافا وحجارة ومن يملك عصا وصوتا وغازا وخرطوشا ورسا صا حيا

حسين يستبسل في مكانه والأرض تتزلزل من تحت اقدامه وهو لا يتحرك الا ليصمد والا ليثبت في الميدان حتى لا يضع العمر سدى والهتاف يشتعل ويملاء الأركان

يسقط النظام





يسقط النظام

الشعب يريد اسقاط النظام

ولولا الوفود الحاشدة والجموع الهادرة لتم اجهاض الحلم، فكلما اخلى الامن
فوجا تبعه أفواج

وكلما ألقى الامن القبض على بعض المتظاهرين اتى بعدهم الكثير والكثير
والشباب والأمن يطوفون الميدان والاشاعات تملأ الأركان

استخدموا رصاص حى

هينسفوا الميدان

والصراع مستمر

والغاز يخنق الجميع

وحمدى يتصل بحسين ولكن عبثا أحيانا لا توجد تغطية شبكة واكثرها حسين
لا يرد

حتى تلقى حمدى اتصالا من حسين

الو، انا بخير يا حمدى وثابتين في الميدان، طمن امى عليا

وشد حيلك انت يا حمدى والحق بينا في الميدان

مصر في انتظارك يا حمدى

لم أكد أجيب حتى انتهت المكالمة

وظللت أراقب الاخبار عن كذب دقيقة بدقيقة وساعة بساعة ونهارا بنهار





والتلفزيون الحكومى لا جديد عنده سوى ان بعض الخونة والمغرضين يقومون بالإفساد في الأرض والسعى لقلب نظام حكم ديموقراطى مستقر، المثقفون والمحللون الاستراتيجيون على كافة المنافذ التلفزيونية يحذرون من مؤامرة كبرى تحاك ضد هذا الوطن الابى

وعلى النقيض تماما القنوات الفضائية العربية والعالمية تنشر كل الاخبار وتحلل وترصد كل ما يدور وكان من بعض أنبائها:

- في مشهد جديد على الشارع المصرى اشتبكت الشرطة المصرية مع الالف المصريين المتظاهرين في ميدان التحرير والذين رفضوا مغادرة الميدان وقالت مصادر في وزارة الداخلية ان الشرطة القت القبض على زهاء ٥٠٠ متظاهر.

- استعانت أجهزة الأمن بنحو ١٠٠٠٠ جندي من جنود الأمن المركزى

و ٢٠٠٠ عربية مصفحة

٣٠٠٠ من قوات مكافحة الشغب

٥٠ اتوبيس نقل عام

- المظاهرات تضرب العديد من المحافظات المصرية في القاهرة والسويس والجيزة والقليوبية والإسكندرية والفيوم

- المتظاهرون يرددون في كل الأنحاء يسقط يسقط حكم العسكر

- الاتحاد الاوروبى يناشد رئيس الجمهورية المصرى ان يستجيب لمطالب

المصريين





- اسفرت حصيلة المواجهات عن ٤ شهداء حتى الان.

كل هذا وغيره طالعنا به وكالات الانباء العربية والعالمية والتلفزيون المصرى لم يهب من نومه وثباته بعد.

كم كنت حزينا وانا اتابع الأخبار من بعيد من خلف شاشة صغيرة، هناك حيث الابطال يدافعون عن الحرية والحق في الحياة والشهداء يرتقون الى ربهم، انا اكتفى بالمشاهدة والدعاء وانتظر دورى في كتابة تاريخ جديد اكتبه بصوتى او بدمائى

هكذا انتهى اليوم الثانى من الثورة وبدأ معه اليوم الثالث وكأنهما يوم واحد وكأن الساعات تتأهب ليوم حشر صغير ابى إلا ان يأتى بعد ساعات ولم يكن اليوم الثالث بمختلف عن سابقه كر وفر وتصريحات من الجميع بها رغبة من الثوار في الإستمرار وإدانة ووعيد من الحكومة ورغبة في تهدئة الموقف من مثقفى النظام ورغبة في حشد الثوار من بعض مثقفى الثورة وجدل ولغط في كل بيت.



لا تذهبي الى العمل اليوم يا أمل.

لما يا أمى، سيتم رFDى إذا لم أذهب، المستشفى بها طواريء

ضحكت أمى وقالت: هل تظنين نفسك طيبة يا أمل

ليس مهما انا مين، المهم انى اساعد

يابنيتى انا أخاف عليكى، التلفزيون يقول للناس اقعدوا في بيوتكم ولا





تشاركوا فى الفتنة

اما زلتى تصديق هذا التلفزيون اللعين.

أمس وما سبقه وما سيليه كان التلفاز يخبرنا أنه لا توجد مظاهرات وان
الدنيا ربيع والجو بديع.

فجأة، شعروا ان البلد فيها ثورة

يا امل انا أعرف ان دماغك ناشفة

نعم، انشف من الحجارة

اذهبي يا بنيتى واتركى تليفونك مفتوح

ولا تخرجى من المستشفى وأنهي شغلك وعودى سريعا الى هنا أو هناك

خرجت امل من بيتها وعلى شفيتها ابتسامة انتصار على أمها وعلى واقعها

وفى عينيها نظرة تحد وإصرار ان تحقق ما ترمى اليه والا تتراجع عن الموت فى

سبيل وطن لم يعطها الكثير ولكنها ترغب فى ان تعطه كل ما تملك نعم كل ما
تملك.

وقد كانت امل أشجع من حمدى كما ستكون أشجع منه دائما، انطلقت الى

ميدان التحرير ولم تبال بأى عائق

وما ان دخلت الى الميدان وهتفت بأعلى صوت

الشعب يريد اسقاط النظام

الشعب يريد اسقاط النظام

حتى صفعها جندي امن مركزى على وجهها

فوقعت على الأرض





واحست ان الماضي والحاضر والمستقبل هم من يصفعونها واحست برغبة
في التحدى والانتقام
وهمت به وهم بها
فبصقت على وجهه وصاحت
يا جاهل يا خاين
فرد بغلظة اخرسي يا مرة
والقى القبض عليها
واخذها الى الضابط
الذي نظر اليها بجوع
مانتى حلوة وخسارة في البهدة
ردت بتهكم انت والى زيك الى تستاهلو البهدة وانت والى زيك الى
جبتولنا البهدة.

شوفى يا حلوة انا مش فاضيلك، دخلوها البوكس مع اخواتها الشرا...
والقوا بها الى عربة الترحيلات وظلت بها مع بعض الفتيات والسيدات
الذين اعتقلهم الامن من الطبييات والمهندسات والمدرسات وربات البيوت
حتى ان احدهن كانت مع طفلها الصغير.
وساد الصمت والوجوم على وجوه السيدات المحتجزات في عربة صغيرة
لا يسمعن سوى السباب ولا يستنشقن سوى الغبار والغاز
ومع انتهاء اليوم كان الامن قد أطلق سراح هؤلاء السيدات الماجدات





ليستغل هذه السيارة في احتجاز الشباب من الذكور
لم تشعر امل بالسعادة لأنها خرجت من هذه السيارة
ونظرت الى السماء التي كادت تبدوا للناظرين بصعوبة وقالت قد خرجت
من سجن صغير الى سجن كبير
ولكن لا بأس إن غدا لناظره قريب





جمعة الغضب

الجمعة ٢٨ يناير ٢٠١١ يوم الحشر الصغير



دخل ابى الى غرفتى وهو
مضطرب وهزنى بقوة وقال: استيقظ
يا حمدى.

نعم يا بابا.

قوم يا بنى انا وأمك واخواتك
نجمع ملابسنا ونروح البلد لا أحد
يعرف ما اذا سيحدث اليوم؟

لا داعي خوف يا بابا، ما سيحدث هنا سيحدث هناك ورب هنا رب هناك

لا تكن عنيدا ورتب معنا ما نحتاج إليه

نظرت الى امى موجهها لها استفهاما، قولى شيئا يا أمى؟

نظرت الى ابى وهي تقول:

واللهى يا بنى انا رأيي اننا مننزلش من البيت خالص النهاردة لا البلد ولا
حتى اخر الشارع واذهب انت وابوك احضرا عيش وخزين للإن الناس يقولون
اننا لن نجد ما يؤكل أو يشرب.

ابتسمت ساخرا: واللهى يا ماما انتى وبابا القلق هيقضى عليكم

وتدخل أبى قائلا: لا حاجة الى الفلسفة وطولة السان





انا اسف يا بابا، ماذا سنفعل الآن؟
سنذهب لشراء الخزين كما قالت أمك بالطبع.

“ “ “ “ “ “ “ “ “ “ “ “ “

لم أكن اعرف انى سأحضر يوم الحشر مرتين مرة في الدنيا ومرة يوم القيامة، ذهبت انا وابى لشراء الخبز واحتياجات المنزل من الطعام والشراب ووجدنا مثلنا الكثير يفعل ذلك في صباح ذلك اليوم، الذي كان كل شيء فيه هاديء ولكنه هدوء يسبق العاصفة او هدوء يسبق قيام الساعة، وقلبت وجوه الناس وانا في الطرقات وتذكرت قول أحمد شوقي

تَرَى النَّاسَ سُكْرَى لَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَيْسَ فِي صَنْمِهِمْ

كلهم يسير في طريقه خائف مترقب حذر ويحاول الجميع ان يبدى تفاؤله ويخفى قلقه من المجهول، فلا احد يعرف ماذا سيحدث الان او بعد حين ومرت الساعات على ذات وتيرة الهدوء، هدؤ في كل مكان ولكنه هدوء الخوف او سكون رجل شارف على الموت، وامعانا في الهدؤ قامت الحكومة بعمل تدابير هامة واجراءات في منتهى الحكمة

- قطعت النت تماما

- قطعت التليفون المحمول

– قطعت التليفون الأرضي

- قبضت على بعض القيادات الكرى للتيارات المعارضة المختلفة ومن

دعوا لتظاهرات ۲۵ یناير





- حجبت بعض القنوات الفضائية الإخبارية.

فلا تكاد تشاهد تليفزيون الدولة حتى تشاهد النيل والخضرة والجو العليل
ومشاهد قديمة لكورنيش النيل وكوبرى قصر النيل، وصيحات المناشدة للناس
ان يلبثوا ماكثين في بيوتهم حتى لا يشاركوا في الفتنة ولا يكونوا وقودا لنيران تحرق
الوطن، مر كل شيء كذلك حتى جاءت ساعة صلاة الجمعة

الله أكبر..... الله أكبر

الله أكبر..... الله أكبر

انطلقت صيحات المؤذنين في كل مكان إيذانا ببدء صلاة الجمعة، ولا اعرف
كيف سمح لى ابى ان اذهب لصلاة الجمعة ولكنه قبل خروجى من المنزل قبض
على يدى وشد ساعدى الأيمن وربت على كتفى وقال في توسل ورجاء بهما بعض
الحزم او محاولة ذلك على الأقل: انا أعرف انك لن تشارك في اى مظاهرات وانك
هترجع بعد الصلاة

اجبت في هدوء: نعم يا أبى

ولا زلت اقلب وجوه الناس قبل الصلاة واثناء الخطبة كلهم كان على
رؤسهم الطير كلهم يسير وكأنه منوم مغناطيسيا كلهم لا يعرف شيئا عما
سيحدثحتى من نوى ان يحدث شيئا لم يتكلم عما يتتويه.

وخطيب الجمعة يبدوا غير واثقا من اى كلمة مما يقول فهو تارة يحذر الناس
من الفتن ومن الانجرار وراء دعاة الفتنة وتارة يحرض الناس على عدم الصمت
تجاه الظالمين وان أفضل الجهاد هو كلمة حق في وجه سلطان ظالم، كنت استمع







الشعب يريد اسقاط النظام

والامواج الهادرة تتزايد وكأنه يوم زحف والغضب والوجوم والحماس كل ذلك يعلو هامات الجميع، لا خوف من موت لا خوف من جرح لا خوف من اعتقال لا خوف من اى كائن من كان لا خوف الا من المجهول.

ولكن ذلك لم يدم كثيرا لم يدم مع تقدم الجموع نحو قسم الشرطة أكثر وأكثر فإذا بالغاز ينطلق من كل مكان وخراطيم المياه.

لكن ضحك المتظاهرون مستهزأين عابثين فقد اعتادوا ذلك على مدار ثلاثة أيام خلت، ولم يفت ذلك في عضدهم ابدا بل ربما جمعهم أكثر

امسكت بقنبلة غاز وألقيت بها من حيث أتت

والثوار كذلك يفعلون والكر والفر مستمر نعم انه مستمر

لكن صوتا كنت اسمعه لأول مرة في حياتى سمعته الان: انه صوت طلقات رصاص حى نعم رصاص حى هكذا قال الشاب الذي كان متلحفا بعلم مصر والذي كان واقفا الى جوارى فقلت في خوف وارتعاد.

رصاص حى، إنها كارثة دون شك

- وماذا تتوقع من هؤلاء.

- ربنا يستر

- اتخذ ساترا أو هاجمهم أو ارحل الى البيت، كان يقول الفتى ذلك ويبدو

عليه إصرارا غريبا على التقدم والمضي أكثر فأكثر الى المجهول.





شعرت اننى يجب ان ارحل فلا اريد ان أشارك في قتال من الجانبين فلا انا
اجيد القتال ولا أهوي القتل ولم أخلق لأقتل ولا يوجد ما يستدعى ذلك غير اننى
خائف نعم خائف

اجل انا خائف جدا اطرافى باردة مرتعشة

حاولت الخروج من بين المتظاهرين املا ان أجد طريق عودة الى البيت
ولكن صوت الرصاص لا يزال في اذنى وهو في كل مكان اسمعه وكثر
الهرج والمرج وأصبح الجميع لا يعرف ماذا يفعل وبدا كل منا متخبط الخطوات
الى اليمين والى اليسار والى الامام والى الخلف وتحركنا تحركات عشوائية وكان
الارتطام هو نهاية كل حركة والتدافع هو سيد الموقف والرصاص من كل مكان
يجح الينا من القسم ومن اعلى العمارات
وتحول الهتاف الى صراخ

وبادله صوت رصاص بالتبادل مع صوت سباب من كل ناحية
حتى رأيت بعينى اول شاب يسقط كان متوسط الطول نحيل الجسد خمرى
البشرة يرتدى جينزا اسودا وقميصا اخضر عليه جاكيت اسود احترقت
الرصاصه جسده النحيل واستقرت في رقبته نعم في رقبته من الخلف سقط على
اثرها فورا على الأرض مدرجا في دمائه

ارْتَبَلَتْ

خَفَتْ

صرخت

بَلَّيْتُ



وجدتني دون ان ادرى اجري تجاهه غير عابئ بالرصاص غير مهتم بالخوف
توجهت نحوه وانا ابعد الجمع عن عيني كمساحات سيارة تمسح عن زجاجها
المطر واقتربت منه انا وجمع من الناس واحتضنته الى صدرى وحملته من على
الأرض وصرخت انا ومن حولي

[illegible]

ربنا يتقم الظالمين

حسبى الله ونعم الوكيل

وحملته على كتفى انا ورجل اخر لم اعرف اسمه ولم أكد اعرف اسمه حتى
اصابته رصاصة قاتلة في صدره جعلت جليابه الأبيض احمر تماما

قبل ان يفارق هذا الشاب الحياة

نظر الى وقال:

الان انا لست خائفا من الموت

الان اعرف اننى سوف ادخل الجنة

الان اعرف انني أحب وطني

ولم یکد یکمل کلماته حتی مات وهو بین یدی

تملكتني الدهشة

واستبد بي الخوف والغضب

واستحوذت على رغبة عارمة في الإنتقام والقتل

والغبطة والحسد لهذا الشهيد الذي مات بين يدي ولم اعرف عنه حتى اسمه







الاصوت الرصاص الذياصبح من الجانبين

نعم من الجانبين

حتى أصبحت لا اعرف من يضرب من؟ ومن مع من

ورأيت مولوتوفا لأول مرة في حياتي حتى انى لم اعرف اسمه في ذلك اليوم،

القاه المتظاهرون الغاضبون صوب قسم الشرطة حتى بدأت النيران تأكل المبنى

والدخان واللهب يتصاعدان حتى عنان السماء

ورصاص من الأعلى وطلقات من اليمين ونيران من اليسار

ومولوتف من الخلف

وصياح وهرج ومرج

وموت ودماء

حتى بدأ بعض ضباط الشرطة يخرجون هارين من القسم الذى كاد أن

ينفجر

ورجال الشرطة يخرجون والثوار والمتظاهرين يقتحمون والجميع ملتحمون

والسب واللعن والضرب يسيطرون على المكان حتى انى رأيت رجلا غاضبا

استل سكيننا وتوجه بها بغضب الى رجل خارج من قسم الشرطة وقال بإعلى

صوت

ده امين شرطة خاين ومرتشي وكان بيضرب علينا نار

التفت حوله الجموع وانهاالو عليه ضربا بالأيدى والأرجل وسدد اليه الرجل

طعنة في البطن كادت ان تقضي عليه ولكنى وبعض الجماهير حاولنا إنقاذه





وأنقذناه من تحت اقدام الجماهير الغاضبة ولكن بعد ان فقد وعيه قبل ان يفقد حياته

وهكذا تكرر المشهد مع كل خارج من القسم لكن لم يقتل منهم الا هذا القتل والنار تأكل القسم حتى بهت ملامحه واحتله المتظاهرون تماما والهتاف في كل مكان بكل صيحات الفرح المخلوط بالبكاء والحزن والانتقام



اما انا فقد فقدت عقلى تماما

لماذا قتل كل هؤلاء؟

ومن قتلهم؟

وكيف سيحاسب؟

وهل سيحاسب؟

ولم دمر القسم؟

وهل كان يجب ان يدمر

وهل كما قال روبسبير اثناء الثورة الفرنسية

(الحرية شجرة لا تروى الا بالدماء)

وهل سنحصل على الحرية هكذا؟

وهل سنحصل عليها يوما، ام هذه الدماء ليست الا ذبيحة لظلم مقيم لم

ينتهي وربما لن ينتهي

غسلت وجهي وملابسي

وقررت العودة الى البيت، لأرتقى في أحضان ابى وامى





وأبكي فقط أبكي.

ولكنى دون ان أفكر كثيرا او قليلا استقلت سيارة وذهبت الى ميدان
التحرير لإننى كنت اريد المزيد من الحرية

او اريد الموت

او اريد ان أرى ثورة او مظاهرات بلا دماء

وذهبت ودخلت الميدان كعادتى من مدخل القصر العينى كان الجو مشمسا
والأعداد كثيره جدا ما يقارب مائة ألف او يزيدون شعرت بالآلفة والذوبان
وسط هؤلاء البشر ولكن صوت الرصاص والغاز والخرطوش لم يمهلنى كثيرا
حتى علمت وايقنت ان معركة أكبر من معركة قسم الشرطة تدور رحاها في
ميدان أكبر وتحت شمس أكبر وتحت سماء أوسع والكر والفر يسودان الموقف
والأطفال والنساء والشيوخ والشباب يملئون المكان والجرحى أيضا يملئون
المكان ورجال الامن المركزى يملئون المكان

والهتاف هنا اعلى صوتا من الرصاص

والتقدم أكثر من التقهقر

والشجاعة أكبر من الخوف

والخوف والامل يتنازعان ايها يسيطر على الميدان.

رأيت طفلا صغيرا يبلغ من العمر خمس سنوات ممسكا بتلابيب ابيه ويقول

له في برائة:

مش مصر دى يا بابا هي صاحبنا الى بيحبنا، وبيجبنا الاكل والحجات





الحلوة.

نظر الوالد في دهشة وقال مبتسما: نعم يا حبيبي

فقال الولد في براثة أكثر:

طب ليه في ناس وحشة مش بتحب مصر

قال الاب: لا بد من وجود شرير لكى يكون هناك طيب

وحمل الرجل طفله وظل يهتف هو وابنه والولد يهتف تماما كأبيه حتى

اصابت الولد رصاصة في ساقه وسقط من ذراع ابيه واخذ يبكي وهو يقول: ليه يا

مصر تعملي تعويرة دانا بحبك اوى

حملنا الطفل الى الإسعاف وقد كانت اصابته بالغة حتى اننى اعتقدت ان هذا

الطفل قد لا يستخدم ساقه اليمنى مجددا او ربما لا يجدها بعد الحين

رتبت على كتف والده الذي لم يكن يدرك شيئا واخذ ينظر الى ولده في

سكون ودموع صامته وقلت له

سنكمل مابدأنا من أجل ابنك ومن أجلك ومن اجل كل ابن في هذا الوطن.

ارتمى الرجل الى صدرى واخذ يبكي كطفل صغير

واكملت هتافى واكملت كرى وفرى حتى رأيت فتاة تهتف بكل ما أوتيت

من قوة صوتها كأنه صوت مصر وجهها كوجه مصر حتى زياها كان كعلم مصر

(وقد خلعت أمل الأسود هذا اليوم وارتدت زيا مشابها لعلم مصر)

وجهها خمرى نصف رفيع ونصف ممتليء بها حسنة سوداء على انفها وعيناها

سوداوين يصيران الى لون بنى كلما اقتربت منهما اشعة الشمس بهما لمعة تحد

وإصرار لم ارهما من قبل وبهما دمعة شجن تشعر وكأنها دمعتك وبهما نظرة حب





ورحمة كأنها والدتك وبها أنوثة كأنها فينوس وبها جمال يجعلك تنسي جميع عيون النساء ابصرت نفسي في عينيها وكأننى لم أبصر نفسي من ذي قبل وكأننى ولدت من جديد امام هاتين العينين، وجبهتها تشع ضوءاً وكأنه انعكاس لضوء الشمس لينير جنبات الكون المظلم ورموشها كأنها خيوط حرير نسجت بإبداع من الخالق لكى تحرس هاتين العينين التين تنيران درب كل من رأهما ولها وجنة كأنها سهل تتفجر عليه الأنهار لتروى ظمأ كل ظمآن الى الجمال والى الحياة والى الحب، وشفتيها وهما تهتفان بالحرية والعدالة والمساواة كأنهما سلام لموسيقىة تعمالان بتناغم ليصدر اجمل السيمفونيات والالخان وكأنهما يحتضنان الكلام قبل خروجه الى العالم ليشنف بتراتيله أذان سامعيه، وشفتيها أيضاً كأنهما وسادة مصنوعة من الحرير او هما ظل من حر الشمس ورى بعد ظمأً واسناناها بيضاء تشع نورا كنور البدر، لم اكن اعرف هل هذا الكائن ملك او بشر، وتساءلت هل رضى الله عنا الى هذا الحد حتى يبعث لنا ملائكته تبارك ثورتنا وعملنا هذا، أم اننا سننتصر ونحصل على كرامتنا وحریتنا لأن بیننا بشرا كهذه

أى بشر هي؟

أى كائن هي؟

ای نوع من النساء هذه تلك التي افقدتني صوابي وجعلتني اتوقف عن

الهتاف

وجعلت لسانى يصمت

وجعلت قلبى لا يتوقف عن النبض





وتسائلت، هل يمكن ان تكون جان دارك بعثت من رقادها لتهتف مع
المظلومين والمقهورين من هؤلاء المصريين

اقسم ان جان دارك لو كانت كهذه الفتاة في جماها حين تصمت وحين
تتحدث وحين تهتف وحين تنظر، لما كان أحد جرؤ على قتلها او حتى الاقتراب
منها بسوء، ماأجمل هذه الفتاة، لم تبصر عيني فتاة كهذه ابدا اوربما كنت أظن ذلك
ولم أكن أعرف ان هذه الفتاة التي خرجت تهتف من أجل الموت ستكون سببا في
حياة جديدة لى وسأكون أنا سببا في حياة جديدة لها الى حين

نعم الى حين

أطلت النظر وتوقفت عن كل شيء الا النظر والمراقبة لهذه الفتاة التي
سحرت عقلي وقلبي ويدي وقدمي وانستنى من انا وماذا اريد
تبعتها وتحركت معها كظل وارف لها، ربما جذبتنى بمغناطيس كان في يدها،

لا لا

لم يكن في يدها وانما كن في عقلها

في قلبها

في روحها

في سكونها

في حركتها

جذبنى الى حيث لم اعرف الا اننى سأتبعها وسأتبعها حتى النهاية.

وتسائلت لماذا لم ينجذب أحد لهذه الفتاة الا انا

ولكننى أدركت ان هؤلاء لم ياتوا الى هذا الميدان الا لها





هل هذه الفتاة مصر

نعم هذه الفتاة هي مصر، نعم هي وطني

شكرا لك يا وطني ان جعلتنى أرى هذه الفتاة التي تهت في عينيها وانا

ابحث عن سر سحرها

شكرا لكى أيها التظاهرات، شكرا لكى أيتها الثورة ان جعلتنى اقابل نفسي

في قلب هذه الفتاة واقابل روحى في روحها واقابل بسمتى في بسمتها ونسمتى في

نسمتها وحركتى في حركتها.

شكرا لك يا إلهى ان خلقت هذه الفتاة التي اعطتنى سعادة لم اشعر بها من

قبل ولا اجد وصفا لها غير انها سعادة.

ايكون ذلك حبا من نظرة أولى؟ او من نظرة أخيرة؟

او يكون ذلك حرارة شمس ووهم حب كوهم ثورة تميت القلب وتميت

الوطن

لم اعرف اى شيء

الا ان اتبعها

ظلت تهتف

الشعب يريد اسقاط النظام

وانا اتبعها في صمت

وترك عقلي لقلبي الدفة أخيرا ليتولى إدارة الأمور.

ولم أدرك الى اين أسير والى اين تذهب هذه الجموع وكيف ينتهى ذلك اليوم





العظيم او العصيب وما هو مستقبل هذه التظاهرات؟

وما هو مستقبل هذه البلد؟

ومن تكون هذه الفتاة؟ ومن أكون انا؟ وهل استطيع ان اتحدث معها؟

او اتحدث عنها؟

وهل ولد قلبى اليوم؟ ولد يوم ان ماتت بعض القلوب؟

وهل كنت املك قلبا من ذي قبل؟

ام كنت املك قلبا ميتا وبعثته هذه الفتاة اليوم؟

هل يمكن ان تحبنى هذه الفتاة؟

وهل سيكتب لى القدر صفحة معها في كتاب الزمن، اتورق اوراقى على

شجرتها وتنبت ازهارى في بستانها وتجري دمائي في عروقها كما سبحت هي في

دمائي؟

ومن تكون هذه الفتاة؟

رايت شفيتها تتحركان وتتمتجان بكل هتافات الحرية والثورة وتتحرك يديها

اليمنى الى اعلى والى اسفل معلية قيمة شعارات الثورة، كانت ترتدى زيا يشبه

تماما الوان علم وطنى الحبيب ترتدى بنظالا من القماش او الجباردين اسمر اللون

وسترة علوية بيضاء عليها شالا من اللون الأحمر ومرتدية حجابا من ثلاث

طبقات طبقة سوداء عليها طبقة بيضاء تعلوها طبقة حمراء، ذكرتني بذي الفتيات

اثناء احتفالاتنا المتكررة بانتصاراتنا في مباريات كرة القدم، ولكنها لم تكن تحتفل

بنصر ولكنها كانت تجاهد من اجل ذلك النصر الذى هو اغلى واثمن من كرة

القدم وانما هو كرة الوطن وكرة الحرية وكرة الكرامة.





كنت على مسافة امتار قليلة منها، وكنت حائرا هل اقترب منها ام ارقبها من تلك المسافة، كنت احب ان ترانى عيناها كما رأها قلبى قبل ان ترها عينى، ولكنى كنت اخشى ان تبصرنى ولا ترانى أو ترانى ولا ترانى. فأثرت ان انظر اليها من هذه المسافة الى حين.

حتى يأتى يوم اقترب منها اكثر واكثر حتى تكون جزءا منى واكن جزءا منها، ربما اصابتنى غيبوبة وثبات عميق وكنت كأولئك الموتى الذين لا يستمعون الى شيء مما يقال حولهم ولا يشعرون بالعالم من حولهم وكنت احتاج الى زلزال قوى لأفيق من ثباتى واتابع ما جئت من اجله او لاموت وينتهى كل شيء.

.....



صراخ صراخ عويل وبكاء
دموع ودماء وغازات
واختناقات وضباب يحجب
اشعة الشمس وحرارة لهب في
كل مكان تفوق برد ذلك اليوم
واختفت هذه الفتاة من امام
عينى، ولم اعد قادرا على تحديد

المكان الذى ذهبت اليه وهل أصيبت او اعتقلت او هربت او قتلت وهل هي الان في الدنيا او هي في الآخرة، واخذت اعرض اناملى ندما على هذه الفتاة التي ضاعت منى بعد ان قضيت خمسة وعشرين عاما بحثا عنها في كل مكان، ولم يكن





هناك وقت للندم على امرأة رحلت قبل ان تعرفنى او اعرفها وكأننى افقت من غيبوبتى وقد تغير شكل الميدان تماما حرائق هنا وهناك، وعربات امن مركزى في كل مكان وطلقات حية والجموع تجرى شرقا وغربا، تارة تجرى هربا من سيارات الشرطة ولكنها تارة ما تجرى نحوها، وقدمت الينا سيارة في منتصف الميدان اظن انها مدرعة شرطة وخرج منها جنود وصوبوا بنادقهم وعتادهم وعصيتهم وصولجانهم صوب صدور المصريين إخوانهم دون شفقة او رحمة حتى جرح عدد كبير من المتظاهرين بجراح مختلفة في الساق والذراع والبطن والصدر، لم اكن قريبا كفاية لاعرف هل مات احد ام لم يمت، ولكن قوة خفية وشجاعة لم اعهد لها في نفسي ولم اكن اعرف انى سأمتلكها يوما، دفعتنى تجاه هذه السيارة غير عابىء بالموت وتوجهت نحو باب القائد وتعلقت بهذه السيارة وما ان راي ذلك المتظاهرون حتى تقدموا نحوى وصوب هذه المدرعة حتى أوقفوا سيرها واخرجنا السائق وانهلنا عليه ضربا باليمين وبالييسار حتى قام احد الثوار بأخذ سلاحه واطلاق النار على المدرعة ولا سيما تنك البنزين بها حتى انفجر، قام اخر باشعال النيران في هذه السيارة التي تفحمت تماما ولم يبق منها غير اطار خارجى لهيكل سيارة قديمة وصاح الناس في هذه الفوضى العارمة

الله أكبر.... الله أكبر

وتسائلت مرارا وتكرارا عن جدوى ذلك؟

لكنى لم أجد اى جواب، لمأجد جوابا من عقلى او قلبى

واستمر الكر والفر كما كانا وانا جزءا منهما، جزء من الكر وجزء من الفر،

واخذت ادور بعينى في الفضاء اتفحص هذا الميدان الذى اعرفه عن ظهر قلب





وقد كان نزهتى المفضلة للجلوس في الحديقة التي تتوسط هذا الميدان ورقادى على نجيلته واضعا قدم على قدم وانظر الى الفضاء او انظر الى المتحف المصرى العتيق الذى زين هذا الميدان قرنا كاملا من الزمان ومبنى جامعة الدول العربية الذى يعطى جانبه الايسر الى الميدان وكأنه يعرض بوجهه ويقول عفوا فأنا لا املك لكم الكثير او القليل لأقدمه لكم اتركونى وشأنى، وفنادق الهيلتون وسميراميس التي كانت تمثل اسوار للميدان العتيق، والعمارات المصرية قديمة البنيان بديعة الطراز التي يعلوها إعلانات للماركات العالمية والمحلية الراقية والتي هجرها سكانها الا قليلا واستأجرتها المكاتب والشركات لتطل على ميدان التحرير او ميدان التاريخ وكأنها كانت تنتظر يوما يصنع فيه هذا الميدان التاريخ او على الأقل يكون شاهدا عليه، كانت دائما هذه البنايات العريقة تنتظر أيام الحرية وايام التحرير، وهذا هو جامع عمر مكرم الذى نفاه محمد على باشا خارج القاهرة لأنه عارض حكمه وديكتاتوريته وصلفه وغلظته. قد عاد عمر مكرم من موته ليأخذ بالثأر من الظالمين، وها هو مبنى مجمع التحرير اكبر المباني في الميدان واكبر المصالح الحكومية على الإطلاق يلف الميدان ويزين المدخل الجنوبي او الجنوبي الشرقي للميدان وهو شاهد على البيروقراطية العفنة التي قذفت بنا حيننا بعد حين وزمنا بعد زمن الى واد سحيق من الجهل والفقر والموت نعم الموت، ومداخل ومخارج محطة مترو الانفاق والتي سميت باسم احد رؤساء الجمهورية السابقين وكأن بلادنا لم تفرز للعالم الا ضباط الجيش الذين يصبحون رؤساء للجمهورية بعد ذلك، كثر هذا الميدان عن انيابه اليوم واظهر مخالفه وامسك





بسلاحه واخذ أهبة الاستعداد للزود عن الحرية والكرامة والعدالة الإنسانية.
ومن المضحكات المبكيات وعجائب هذا البلد الحبيب ان مقر الحزب
الحاكم كان الى الجوار من مكتب حقوق الانسان، فأى انسان وأى حقوق في هذا
البلد.

رأيت الميدان في هذا اليوم وكأني أراه لأول مرة في حياتي وكأني لم أعرفه
قبلا فقد رأيته مبتسما ومرحاً وحزيناً وضاحكاً وبائساً رأيته مستعد للحياة ورأيته
مستعداً للموت. رأيت شركات السياحة والسفريات والمصارف والبنوك
ومحلات الأطعمة والمأكولات العالمية ومحلات الملابس قد أغلقت أبوابها
والبازارات قد أغلقت على تحفها وانتيكاتها، ونظرت الى ارض الميدان ورأيته
جوعى وعطشى للحرية ولكنها أيضاً كانت جوعى وعطشى للدماء
رأيت لها فما يهتف مع المتظاهرين ويذا تحميه وتحنوا عليهم ويذا أخرى
تبطش بهم أيضاً، رأيت كل ذلك وشعرت بكل ذلك، واندفعت مع المتظاهرين
في كل مكان نجوب الميدان وكأننا نجوب مصر كلها وكأن مصر كلها أصبحت
في ميدان التحرير.



أوه أوه أوه..... كم انا متعبة مما رأيته ومما لم أرى ومما حدث ومما لم
يحدث، هكذا حدثت امل نفسها وهي جالسة في أحد الشوارع الجانبية لتلتقط
أنفاسها وتتنهد وتبتسم وتضحك وتبكي وتصرخ مما حدث لها في هذا اليوم.
اه اه اه، منك يا وطنى واه لك واه عليك ايه الوطن العظيم، لكم اعيانى





حبك واضناني فراقك، فأنت داخلي ولست معى تحيطنى وتلتف حولى ولكن من بعيد، واخذت تصرخ وتصرخ وتعلو صرخاتها حتى كانت اعلى من صوت المدافع وربما القنابل وابحرت في البكاء، لماذا يقتلنا هؤلاء؟

السنا مصريين مثلهم؟

الا يحق لنا ان نعترض؟ او نمتعض؟ او نصرخ؟ او نبكى؟ او نضحك؟

الا يحق لنا من ذلك شيء.

اى شيء؟

لما ذاموت هذه الفتاة التي عبرت الى جوارى كوبري قصر النيل وكانت قائدتنا في اهتاف ولم يكن معها من سلاح سوى صوتها

ولم يكن لها اى غرض الا نسيم الحرية ونسائم الكرامة

لماذا تموت وقد كان قلبها محبا لهذا الوطن أكثر من قلب قاتليها

ظلت تهتف ممسكة بيدي وتقول لى ببسمة جميلة بريئة وجميلة:

تمسكى بيدي جيدا، فلا نجاة لنا الا وايدينا متشابكة وقلوبنا متراصة.

بادلتها البسمة بالبسمة والحماس بالحماس وقلت: أكيد وتابعت: لنهتف

بأعلى صوت حتى يصل هتافنا الى الظالمين فيستفيقوا أو يثقب هتافنا طبلة أذنهم.

ابتسمت في وجهي وقالت:

- انا اسميسمية مهندسة كهرباء وطاقة؟

- انا امل وأعمل ممرضة.

- ضحكت وقالت: هذا رائع حتى تعالجيني ان اصابني مكروه





- ان شاء الله يحدث كل خير يا سمية، لكن انتى مهندسة ومتعلمة وتعملى واكيد مرتاحة في حياتك وشغلك، لماذا انتى في المظاهرات؟
- ابتسمت سمية ابتسامة خفيفة وهزت رأسها برفق ونظرت الى أعلى واستنشقت نفسا عميقا ثم نظرت الى امل وأطلت في وجهها وكأنها الشمس وهمست في اذنها:
- تعتقدين اننى غنية وميسورة لأننى مهندسة.
- او مرتاحة او أششعربالآمان
- او أعمل في أكبر شركة في العالم او في مصر
- او انى اسكن في شقة فارهة على النيل او في فيلا كبيرة
- انا يا امل خالية عمل، يعنى انتى حالتك أحسن من حالتى
- انا الأولى على الدفعة ولم اعين في الجامعة وعينت دفعة أخرى غيرى لأن فيها بنت رئيس الجامعة
- انا الى كل اما أقدم على وظيفة يسألونى عن واسطتى قبل ما يسألونى عن قدرتى على العمل وتحملى للمسؤولية
- انا التى مرر طعم الطموح في حلقي حتى ما إستعذبت طعم الفشل
- شاركت في مظاهرات كثير من اجل التعيينفي الجامعة او وظيفة جيدة ووقفت على سلام المسؤولين كثيرا لكن فضلت واقفة من مسؤول لمسؤل لم أجدأى أحد مسؤول





- حتى حاولت أشارك في العمل السياسي لم أجد غير حزب واحد فقط والباقي كله معارضة كارتونية لا قبلنى الحزب الحاكم ولا أنا قبلت المعارضة الهشة الى بينظموا فاعليات حتى يأكلو جاتوه ويتصوروا صوراً للذكرى ويباخذوا مصر وفهم من الحكومة

- ياااااه يا امل ان انقطع عندى الامل
ضحكت امل ضحكة فيها الدموع غالبية على ملامح وجهها لتقول وهي تتأوه:

لا المتعلم فالح ولا نص المتعلم فالح ولا حتى الجاهل فالح
-ماذا تريد منا هذه البلد؟

- اجابت سمية وهي تسخر: البلد تريد أناسا طبالين لا يأحد يرقصيا امل، بيرقص في الحكومة او الجامعة او التلفزيون ومطلوب من الناس انها تنقطهم بفلوسها ودموعها وعيالهم وأصواتهم في صناديق الانتخابات، وتلعثمت في كلامها صم صمتت قليلا وتحجرات دمعات في عينيها وهزت أمل من ساعدها وقالت:

لنهتف يا امل نهتف ونكمل هتاف حتى يمكننا أن يعتدل الحال او نموت ونحن نحاول، يمكن أولادنا واحفادنا في المستقبل يقدرُوا تضحيتنا او يدعولنا ردت امل متهمكة: إذا كان هناك مستقبل!

لا تضيعى الوقت يا امل ويلا نعلى ونعلى الصوت والى هيهتف مش

هيموت





وكانت بسمة اول من هتف بروحها قبل حنجرتها

ارحل..

ارحل..

ارحل..

ارحل..

ولكنها لم تكمل دعواتها بالرحيل او كانت تطلب الرحيل لنفسها فقد رحلت قبل ان يرحل من هتفت لرحيلهم.

استقرت رصاصة في عنقها أسفل حنجرتها

وسقطت على الأرض وقد حوطتها دماؤها من كل جانب وسقطت معها

امل على الأرض ساهمة واجمة باجمة لا يتحرك منها غير رموشها لتزيل الدموع من اعلى عينيها، وقبل ان تكمل سمية رحيلها قالت وهى تبسم ابتسامتها الأخيرة.

- اجعلى يا امل من موتى امل وحياة ولا تجعلى من موتى موتا للثورة،

اخبرى والدى ان رايته وعرفته، ان سمية تحبك كما تحب وطنها.

واخبرى امى ان رايتها ان سمية ستسبقك الى مكان أفضل

واخبرى مصر ان عشت بعدى اننى لست نادمة ان مت لكى تبقي هي

وأتمنى ان يهب موتى لوطنى الحياة والكرامة والحرية

وانتهت سمية كما انتهى غيرها، ، ، ، ، ورغم ان امل قد اعتادت من ذي قبل

على مشهد الموت وكم رات من شخص يفارق الحياة، لكنها لم تري مشهدا كهذا

من قبل وكيف وأين لها ان تراه!

لم تنس امل بسمة سمية ولا نظرتها الى السماء ولم تنس عنقها الذي حطمته





رصاصه أطلقها مصري على مصري

وصمتت طويلا امل قبل ان تهتف وتهتف ولا تتوقف عن الهتاف
تذكرت امل ذلك وهى تهندم ملابسها وتمسح دموعها في احد الشوارع
الجانبية القريبة من المتحف المصرى قبل ان تخرج من الضيق الى السعة ومن
الوحدة الى جموع الجماهير، والتحقت بالمتظاهرين الذين تمركزوا عن ميدان عبد
المنعم رياض واخذت الجموع تتزايد وتتوافد على هذا المكان لسعته وهربا من
بطش الشرطة ولكن الشرطة لاحقتهم والتحمت بهم مجددا وهكذا تفرق الناس
بين شرطي يمسك عصا ومن يمسك رشاشا للمياه ومن يطلق قنابل الغاز ومن
يطلق الخرطوش ومن يطلق حى الرصاص

والمتظاهرون بين من يهرول للهرب ومن يهرول صوب الشرطة ومن يهتف
فقط ومن يمسك عصا ومن يلقي مولوتوفا على الشرطة ومن يحمل أولاده على
كتفه ومن لا يحمل الا روحه يقدمها هبة للوطن

واندس بعض المخربين وسط المتظاهرين وحاولو سرقة المتحف المصرى
والبازارات التي كانت حوله ولكن تصدى لهم الشرفاء وتصدت لهم امل ولكن
دون جدوى فالصوص هم الصوص والفساد لا اب له والخيانة تسرى في دماء
الخائنين، وتحطمت بازارات المتحف وتم سرقتها ولم تعرف امل من هؤلاء، هل
هم لصوص ام شرطة ام متظاهرين، ولكنها حزنتم كثيرا لذلك وقالت لا اعرف
متى اكتسب الامل

وتابعت الهتاف وقرص الشمس يأخذ في المغيب





لم يكن حال حسين هذا اليوم
يختلف عن حال امل وحمدى ولكنه
لم يكن يستطيع ان يتواصل مع
حمدى فكل وسائل الاتصال ممنوعه
تماما حتى انه لم يستطع ان يتواصل
مع اى ممن كان قد نوى ان يثور

معهم ويتظاهر معهم ولكنه لم يجد نفسه وحيدا فكل هؤلاء الناس يعرفهم جيدا
نعم فهم التواقون لغد أفضل لبلد أفضل.

بعد ان انهى الامام صلاة الجمعة في مسجد الفتح القابع في وسط ميدان
رمسيس وبدأت الهتافات تخرق الميدان من كل اتجاه وكأنها سهام مدببة تخرق
الهواء لتصل الى عنان السماء ولتهتف معها الطيور وكل الكائنات الحية وتعجب
الميدان من هذه الهتافات فربما يكون له لسان او عقل او قلب ليهتف معها هو
أيضا، وها هم أصحاب الثياب الأسود بمتاريسهم وجنازيرهم يصبوبون كل
شيء لديهم نحو الثوار، والبخار والدخان يحجبان ضوء الشمس، وحسين يوزع
الكمامات على المتظاهرين ويدعوهم الى عدم التراجع والى التقدم من كل مكان
صوب ميدان التحرير

وسأله احدهم: ما هذا الذى تعطينا إياه يا أستاذ؟

فأجاب مبتسما:

هذه كمامات وأغطية واقية من الغاز





فأجاب الرجل وقد كان شابا في نهاية العقد الثالث من العمر ويرتدى جلبابا ابيض وحفيف الشارب ذو لحية طويلة مهذبة وشعر اسود كالليالى التي غاب منها البدر ويتعطر بعطر نفاذ ويبرز مسواك من جيبه الذى على صدره وهو خمرى الجبهة متوسط الطول والحجم وعلى جبهته علامة صلاة، اخذ الكمامة ووضعها في جيبه وقال:

- اخوك في الله علاء

- وانا اخوك في الله والوطن والإنسانية حسين

- من أين يا حسين؟

- من مدينة مصر، وحضرتك؟

- انا من بولاقبو العلا، وبشتغل فني سيارات، ولكن انا متعلم وخريج كلية

التجارة وكنت التانى على الدفعة

- ولكن لماذا لم تعين في الجامعة؟

- أحيانا يقومون بتعيين الأول وأحيانا لا يعين أحد وأحيانا يعينوا أكثر من

واحد.

وانا لم أعين لإسباب امنية لإننى عضو في جماعة سياسية دينية محظورة، او

يمكن لإننى ملتزم او لإسباب أخرى لا أعرفها رغم اننى لست ارهابيا ولست

قتال قتلة وعمري ما مسكت سلاح ولا اعرف حتى السلاح يتمسك بأى طريقة،

ولكن الحمد لله كل شيء نصيب.

قاطعه حسين متعجبا، ولكن لماذا أنت تعمل ميكانيكى؟!





- معاك حق تسئل هذا السؤال، انا لم أجد عملا غير هذا، بنوك مرضيتش تشغلنى وانا لم أحب البنوك لأن فيها شبهة ربا، حتى بعض التقارير الأمنية ضيعت منى عمل كثير، فاتعلمت صيانة العربيات ولا زلت على قيد الحياة، وانا هنا حتى أعيش أفضل، ولكي تسير عربة بلادنا الى الأمام بدلا من الخلف فتدهس التاريخ المجيد

- وانت ماذا تعمل يا حسين؟

- انا متخرج من كلية الطب من ١٠ أيام ولم أستلم سنة الإمتياز بعد، ثم تابع حسين بعد صمت قليل:

- ونازل المظاهرات من اجلك ومن أجلي ومن اجل مصر من اجل أولئك الذين لم يجدون عملا بعد ومن اجل التمييز بسبب الدين او الاهل او الانتماء السياسي، حتى أعيش واموت في بلد تستحق انى أعيش واموت من اجلها

- لكل من تم تعذيبه في اقسام الشرطة

- وذلك الذي اختفى قسريا ولم يعرف عنه أحد شيئا

- ومن لجأ الى القضاء ولم يجد من ينصفه

- وهذا الغنى الذي انفجر من الغنى على غير وجه حق

- والفقير الذي لا يجد ما يستر به نفسه

- وهؤلاء الذين يموتون من حر ومن برد في الصعيد

- وهذا الرجل الذي تحصل على شهادة عالية ولكنه يضعها جانبا ويعمل





اي عمل من اجل ان يسد رمقه فقط

- ولأولادى في المستقبل وامى وابوي من الماضى ولنفسى في الحاضر
- قاطعنى الرجل وقد بلل دمه لحيته: كفايا يا اخ حسين قطعت قلبى، ربنا
يعزك ويباركلك ويوفقك ويوفقنا ان شاء الله

والهتاف مستمر والنيران مستعرة، وكل هتاف يصارع قنبلة غاز وكل شعار
يعانق رصاصة وكل دقيقة تمر يسجلها الزمن ويسطرها التاريخ ورصاصة حية
اخرقت صدر علاء وسقط على ظهره واخذ شهيقه وزفيره يختلطان بالدماء
وبشابه وامسك بيد حسين ووضعها على صدره وتمتم وهو في النزاع الأخير: لا
تأس يا صديقي واستمر في ثورتك من اجل مصر ولا تجعل موتى او موت غيرى
يفت في عضدك، واتخذ من جسدى جسرا تمر عليه تجاه الحرية وصوب الأفضل
لهذا البلد

اشهد ان لا إله الا الله وان محمد رسول الله

واغلق حسين عيني الرجل وحمله الى الإسعاف وصرخ ارحل

ارحل..

ارحل..

من اجلك يا علاء ومن اجل كل المصريين اما ان الحق بكم او ادفع بمصر الى
مكان أفضل وأتمنى ان الحق بكم يوما على خير

وداعا يا علاء، فكما رأيتك في جنة الدنيا، أراك في جنة الآخرة حدث ذلك
امام قسم شرطة كبير في رمسيس مجاور لمسجد الفتاح، واستمر زحف حسين





والثوار يخترقون الضباب والغبار ويسبحون ضد التراب والغبار، يهرولون عكس الخوف والاصوات العالية والخراطيش المترامية في كل مكان يطيطون بأجنحة من الشجاعة والأمل في شارع رمسيس صوب ميدان التحرير، وتمر الدقائق والساعات حتى يصل حسين الى الميدان ويشعر أنه قد وصل الى المكان الذي لن يرحل عنه ابدا إلا وهو يمسك مفاتيح الأبواب المغلقة من هذا الوطن.

وقد دخل الى الميدان قبل الغروب بساعات قليلة وتوجه مع بعض الناس الى مبنى وزارة الخارجية ومبنى ماسبيرو لأنه سمع أحد الشيوخ ممن بدا عليهم الوقار وهو يقول للمتظاهرين بنبرة حماسية

- لا بد من الذهاب الى مبنى الإذاعة والتلفزيون ونعلن من هناك اسقاط الحكومة والرئيس إذا كنا نريد للثورة أن تنجح وكان هذا الرجل من المعارضين المثقفين البارزين في المجتمع

اعجبت الفكرة حسين وتبع الموجات المتوجهة صوب ماسبيرو.

لكن هذه الموجات لم تتمكن من الوصول الى هدفها ابدا وايداء المحاولات المستمرة في سبيل ذلك كان هناك معركة ضروس يخبط فيها الامن بالمتظاهرين خبط عشواء يملؤه الفوضى والدماء وكان حصيلة هذه المعركة شهداء من المصريين أيا كان انتماءؤهم. والسنة لهب كالجحيم تحرق مبنى الحزب الحاكم وسط غروب الشمس.

وحسين يتسم ابتسامة متتصر ويقول هذا عمل عظيم الطواغيط في طريقها للسقوط، وسيأخذ الوطن طريقه للنهوض على جثثهم او اعناقهم

ولكنه رأى بعض الناس يقومون بسرقة محتويات مبنى المجلس القومى





لحقوق الانسان ومحتويات مبنى الحزب الحاكم، فأردف متمتا هذا ما أفرزه ستون
عاما من الجهل والبطش والظلم والقهر والعناء، يا ألهى خلصنا من كل ذلك
واجعل لبلدنا مكانا بين العظماء

.....

اخذت أراقب قرص الشمس وهو يهبط في النيل ونيران مبنى الحزب الحاكم
وادخنة في كل مكان واناس يسرون في كل اتجاه ونسمات غريبة أنفستها لم أكن قد
تنفسها قبلا، سيل التأمل ما يزال جاريا في عقلى الصغير ولكنى رأيت حركة
مختلفة تحدث غير ما ألفت في ثلاثة أيام سابقة.

قوات الشرطة تنسحب وتخلي الميدان ما هذا الى اين يذهب هؤلاء، لماذا
يخلون الميدان، هل هي مناورة ام انسحاب هل هو تعقل وروية ام حيلة ماكرة،
هل اشعر بالسعادة واستمرار التظاهرات إيذانا بنصر مؤزر للثورة لا يفصلنا عنه
سوى أيام قلائل وربما سويغات قليلة، ام ساعات ويجهزون علينا ويقتلوننا جميعا
ويبيدوننا عن بكرة ابينا.

لا أعرف لا أعرف، ما هذه الصيحات، إنها صيحات نصر وتكبير وتهليل
اسمعها حولي من كل مكان ولكن ترى لماذا يكبرون وبماذا هم فرحون

دبابات.... مدرعات..... رجال في ذي مموه..... عربات جيش
ماذا يعنى ذلك، ماذا يعنى نزول القوات المسلحة الى الشارع، اللهم انى
اسألك السلامة

هل يعلن الجيش الحرب على الشعب؟





ام تراه جاء يثور ويتظاهر معنا معلنا نصرنا وانضمامه للشعب؟
 لكنى أرى على وجوه هؤلاء الضباط البسمة والتقرب من المتظاهرين ولا
 أرى أحدهم يحمل سلاحه ويصوبه في وجه اخ له في الوطن، يبدو ان شيئاً جميلاً
 سيحدث وان الأيام القليلة القادمة ستحمل الكثير والكثير
 ذهبت الى أحدهم وسلمت عليه وابتسمت في وجهه
 ماذا تفعلون هنا، وأين راحت الشرطة؟

أجاب بحزم: سيادة رئيس الجمهورية والحاكم العسكرى استصدر قرارا
 بإنسحاب الشرطة من أماكن التظاهر ونزول الجيش لحماية الامن والأمان
 والمتظاهرين وحماية الأماكن الحساسة والحيوية في البلد

- يعنى ذلك أن الثورة نجحت؟

لن انسي ما حييت بسمة التهكم والسخرية التي ارتسمت على وجه هذا
 الضابط الذى لا اعرف رتبته وهو يقول: انا لا أستطيع أن أتكلم مع حضرتك في
 هذا الكلام، الجيش لا يجب أن يتكلم في السياسة، احنا هنا لحفظ الامن والأمان
 وفقط ولا علاقة لنا بالثورة او غيره، واعمل حسابك في حظر تجول من خمسة
 المغرب حتى السادسة صباحاً.

سألته في بلاهة:

- يعنى ايه حضرتك حظر تجول؟

أجاب بثقة، يعنى حضرتك تروح تروح دلوقتي
 سلمت عليه بيدي وقد شعرت بشيء عظيم جداً ان يدي قد لامست
 وقبضت على يد رجل عظيم وفرد من افراد قواتنا المسلحة الباسلة التي دافعت





عنا وحمتنا على مدار نصف قرن ورفعت راسنا عاليا وانتصرت لنا في
١٩٧٣ وحررت اوطاننا من هؤلاء المعتدين، كم انت عظيم أيها الشعب وكم انت
عظيم أيها الجيش.

.....

لم يكن قرار حظر التجوال قد دخل حيز التنفيذ فعليا، لذلك كان من السهل
اليسير ان أجد طريقا للعودة الى البيت وأنا قلق بشأن قلق والدي علي اللذين كانا
يحباننى حبا جما وربما هو حب تملك او سيطرة وربما هو حب مرضي وخوف دائم
من الفراق ومن كل شيء في الحياة، لكن في هذه الاثناء معهما كل الحق ان يتأبها
الخوف والقلق والهلع والرعب، فانا ابنهما الذكر الوحيد الذى جاء الى عالمها بعد
عشرة أعوام من الزواج، كنت أحيانا اقدر هذا القلق وحيانا لا، كثيرا امقته
وقليلا احبه، على كل حال لا اعرف كيف سيستقبلنى البيت في يومى هذا وهل
سيصفح عني ابواى ويقدران مدى احتياجى لأن اجد نفسي ام لن يقدر ذلك؟
لن استبق الزمن، دقائق واعرف

اقتربت من البيت فوجدت ابي وامى واخواتى الأربعة كلهم يطل من شرف
المنزل بعضهم يرفع يديه الى السماء وبعضهم يمسك مصحفا وبعضهم يضع يديه
على وجهه وما ان رمقونى بأعينهم حتى حدثت جلبة وارتابك بين صفوفهم
واخذوا يهتفون ويصيحون

حمدى جه حمدى جه حمدى جه





لمارات امل بعينيها ضباط القوات المسلحة قد انتشروا في الميدان فرحت لذلك فرحا شديدا وتمنت لو استطاعت ان تقبل جبين كل فرد من هؤلاء ولكنها تنهدت فرحة وقالت الان أستطيع ان اذهب الى البيت فقد أكملت عملي اليوم، وغدا اعود من جديد ليبدأ سطر جديد من سطور كتاب الامل ورحلت امل الى بيتها فوجدت ابوها نائما لا يعرف عما يحدث قليلا او كثير ولا يريد ان يعرف عما يحدث قليلا او كثير

واخيها الأصغر ممسكا بسيجارة يلوكها وهو يتسائل اى كارثة كبرى ستحدث لهذا البلد العظيم، وينفخ دخان سيجارته ويتأفف ويتبرم ويتلوى ويلوم الثوار ويتهمهم بالخيانة الكبرى ويطلب من الرئيس ان يبيدهم جميعا ولكن برفق لأن اخته الحبيبة قد تكون معهم.

وأخيها الأصغر الاخر يمسك مصحفا ويرتل ايات الذكر الحكيم ويدعوا الله ان يقدر خيرا لهذا البلد ولاخته المسكينة، وقد أخفى عن أمه وأهله أمر مشاركته في المظاهرات وأمر انضمامه للإخوان المسلمين منذ سنوات ولكن أمه عرفت ذلك ولم تتكلم وكل من في البيت عرف ذلك ولكن الصمت كان سمة هذا البيت المريب.

اما أمها فقد كانت في انتظار امل على امل ان تعود اليها بعافية وخير وسلام، رقصت عيناها فرحا لرؤيا ابتتها بخير وعافية وضمتها الى صدرها وداعبت جبينها وقالت لها

الحمد لله أنك بخير يا امل او عى تغيبى عنى تانى انتى اخر امل ليا في الدنيا بادلت امل أمها نفس الدموع وبكت، وبكت فقط ولم تنفث بنت شفاه





هذه الخيام المنصوبة في الميدان لا بدا ان أجد لى مكانا فيها او افترش الأرض
او افترش الجرائد واخذ حسين يدندن جزءا من قصيدة نزار قباني الخالدة أصبح
عندى الان بندقية:

افترش الأشواق والغبار

واركب الطنبة

انا من الثوار

انا مع الثوار

انا مع الثوار

وظل يبحث عن مكان يبيت فيه فقد قرر الاعتصام مع المعتصمين فإما ان
تبرح البلاد مكانها الى الافضل والا فلن يبرح هو تراب هذا الميدان.



لم أكد أطرق باب بيتى حتى كان ابى فاتحا لى إياه وما ان تلاقت أعيننا حتى
ادار ابى ظهره الى والتفت عن واعرض بوجهه وذهب بعيدا عنه.

ونظرت الى امى نظرة جامدة وقد حفرت الدموع خندقين عظيمين على
جبهتها ورفعت ذراعها الأيمن عاليا حتى سقط على وجتيا ليمنى، وقبل ان أضع
يدى اليمنى على وجتى اليمنى وأنا متعجب مما فعلت امى فأنا لا أذكر ابدا ان
صفعتنى امي قبل اليوم على جبهتى ثم صرختو صرخت بصوت عال: هتخرب بيتنا
يا حمدى



[illegible]

فخيم الصمت برهه





امسكت المصحف الشريف وقد ترقرت الدموع في عيني واقسمت على ما
أرادته امي، وما إن فرغت من ذلك حتى جذبتني اليها بحرارة وقالت الان انت
ابنى الذى ارجوه من هذا العالم البائس الكئيب

لا تنحب قلبى عليك يا ولدى ولا تقتلنى بغيابك عنى مرة أخرى
وامسكت بوجنتى اليمنى وقبلتها بجنون وأومأت الى يدي اليمنى وقبلتها
بعنف حتى انها سجدت عند قدمي وأرادت ان تقبل قدمي ولكن نهيتها عن ذلك
واجهشت بالبكاء ورفعتها من الأرض وقبلت يديها وجهتها وضممها الى
صدرى برفق

وابوى يراقب الموقف وهو ثابت ولا يتحرك ولا يقول من الكلام قليلا او
كثير ولكن صمته قد قال الكثير وربما قال كلاما ابلغ من الخطب والشعر والنثر



سأحضر لك يا حمدى طعاما شهيا احتفالا وابتهاجا بعودتك الى سالما
قالت الام ذلك وهي فرحة وكأنه العيد

ابتسمت ابتسامة لا معنى لها وقمت بتشغيل التلفزيون وأخذت أراقب ما
فاتنى وما لم أعرفه واردة ان أعرف كيف تعرض الشاشات ما عرفتوا الفت وما
شاركت لتوى في صناعته وما كان جزءا منى، لم أندesh كثيرا لما رأيت ان
القنوات الحكومية تقول ان مجموعة من الخارجين على القانون والافاقين يثيرون
بلبة كبرى في البلد وان القيادات العليا تهيب بالمواطنين وتطلب منهم عدم
الإنسياق خلف العتاة المجرمين





وعلى النقيض الإذاعات العربية والاجنبية تنقل الحقائق كما لو كانت في الميدان ولم العجب فقد كانت في الميدان فعلا
وإذا بتنويه عبر شاشة التلفزيون الحكومى ان رئيس الدولة سيلقى خطابا بعد قليل لاهناء الوطن

وهكذا تحدث سيادة الرئيس:

- الرئيس يعى تطلعات الشعب لمعيشة أفضل
 - الرئيس ينعى ببالح من الحزن والاسي الشهداء من الجانبين
 - الرئيس يعى حق المصريين في التظاهر
 - الرئيس يقيل الحكومة ويشكل غدا حكومة جديدة
 - الرئيس يهيب بالشعب عدم الانجرار لدعاة الفتنة والمخربين
 - الرئيس لن يترك منصبه
 - الرئيس يعين لأول مرة منذ ٢٩ عاما نائبا له
- الجميع تابع الكلمة المسجلة لرئيس الجمهورية عبر الشاشات ولم تحمل هذه الكلمات اى فريق على تغيير رايه وتحويل بوصلته والتحول عن قبلته
فمن كان معه هو معه ولا يزال
ومن كان مع الثورة هو معها ولا يزال
ومن يخشى الفتنة هو يخشاها ولا يزال.
- واويت الى نومي في انتظار ما سيحمله الغد من جديد، ولكن كيف انام بعد يوم حافل كهذا وجافى جنبى مضجعه وجافت عيونى النوم وجافى وجدانى





مشاعره القديمة وتغيرت افكارى تماما، كنت كل ما اويت الى فراشي سابقا في
ايامى الخوالى اخذت أفكر في مستقبلي كطبيب

وكم سأجنى من المال

وكم سأحاط بالشهرة

ومن هذه السعيدة التي سيقترن اسمها بإسمى

لا اذكر اننى كنت اعرف كثيرا او قليلا في الشأن العام

ولا في اى شان

ربما كنت موجودا قبل هذا اليوم وربما لم أكن

ولكنى الان أفكر في كل شيء

أفكر فيمن قتل ومن قتله

ومن هتف ومن لم يهتف

ومن تظاهر ومن لم يتظاهر

في ابى وامى واخوتى، وما قطعت من عهد لهما وهل سأفى بهذا العهد ام أننى

سأنكث في وعدى

وهل تنتهى مشاركتى عند هذا الحد

ام أشارك غدا وبعد غد وكل غد حتى نحقق ما نريد او نهلك دونه

وهل املك الجراة والاستعداد للموت حقا ام اننى أضعف من ذلك بكثير

ومن هذه الفتاة التي رأيته؟

هل سأبصرها مرة أخرى؟ هل اتحدث اليها؟ هل لاتزال على قيد الحياة ام





اخذتها رصاصة غدر قاتلة، وهل احبها حقاً؟

وهل يمكن ان تحبني يوماً؟

كل هذه الأفكار تحكمت في رأسي كمريض قلق او مريض وسواس قهرته
الأفكار التي تتشعب وتتداخل وتتوالد وترفض ان تسلمنى للنوم وارفض ان
أسلم نفسي الا لها

اى عالم هذا الذي أعيش فيه الان

واى يوم هذا

ترى كيف حال حسين؟

وكيف حال هذه الفتاة التي لم اعرفها؟

وكيف حال مصر بعد ذلك اليوم الذي لم افكر ان ينتهى ابدا وقد انتهى

الان؟





فهي البيت



شمس يوم جديد تشرق بعد
ان كنت اخشي الا تشرق الشمس
مجددا تشرق من مغربها او تشرق
شمس أخرى غير تلك الشمس
التي الفتها منذ ان الفت الحياة،
ليس من عادتي ان استيقظ في مثل

هذا الوقت الا بداعى القلق وقلما عرفت القلق وقلما عرفنى، انها الساعة السادسة
صباحا، ويال العجب فالجميع مستيقظون في البيت ولا اعرف هل خلدوا لنوم ام
لم يخلدوا

ابى وامى يجلسان امام التلفاز، ويحملقون ويشاهدون ولا يحركون ساكنا
كأنما يشاهدان فيلم رعب افقدهما الصواب والحواس والقدرة على النطق ثم
يمسك ابى بالريموت ويقلب القنوات ويتابع الجديد والمختلف والمتناقض في
القنوات الحكومية والمحلية والدولية

واخذت امى نفسا عميقا ورفعت كفيها الى السماء واخذت تدعوا: اللهم
ارفع مقتك وغضبك عنا

وابى يقول: اللهم احفظ بلادنا يارب العالمين

وانا ارفع يدي وأقول متمتا: اللهم انصر ثورتنا واحقن دماءنا واحفظ شعبنا





وبلادنا واعراضنا.

ينظر لى ابي ويقول محاولا ان يبدوا متماسكا وهادئا وحكيما ومفكرا، تقدر
تقولى يا فالح، ماهى نهاية هذه الفوضى اللعينة والعبث؟

تحممت وصمت برهة واخذت أفكر فيما يجب على ان أقول، ثم قلت بنبرة
صوت هادئة وخافتة: انا لا أعرف ماذا كتب الله علينا، ولكن انا أعرف اننا لا بد
أن نحاول أن نكون أحسن ونعمل كل مانستطيع من أجل ذلك؟

قاطعنى بنبرة ونظرة خبيثتين، نحن لا نفعل الا الدمار والفوضى فكيف
تكون بلادنا بخير؟ واستمر على نفس الوتيرة قائلاً:

انت لا تعرف ان البورصة خسرت حتى ما قفلت

انت لا تعرف ان السياح سيتركوا البلاد ولن يعودوا اليها مرة أخرى

انت لا تعرف ان المولات سرقت

وبازرات شارع الهرم والمتحف المصرى دمرت تماما

وان هذه مؤامرة كبيرة عملاها إسرائيل وامريكا ودول كثير على مصر حتى

تكون مثل العراق.

اجبنى يا فالح، اهى الشرطة وقعت وانهارت مين يقدر يحمينا، ابقى انزل

انت وأمك واخواتك واحمو الشوارع واقبضوا على البلطجية واحفظوا الامن

والأمان

يابنى الاستقرار لا احسن منه، والرئيس الله يباركله كان محافظ على الامن





والأمان والاستقرار، روح يا بنى انت واللى زيك ربنا يهديكم.

انتفخت اوداجى غضبا وللمرة الأولى من ابى وتمنيت لو انه ليس ابى او اننى كنت ابوه لاتعامل معه معاملة مختلفة تماما عما يجب ان افعله الان، لم امتلك الا ابتسامة ادب صفراء ممزوجة بايقاع تمثيلي لا يخلو من الاستعراض واتكأت على مسند الكرسي ونظرت في عين ابى قليلا نظرة تحد وقبل ان اخرج عن ادبى قلت له في هدؤ.....

اى استقرار هذا يا والدى العزيز؟

استقرار الناس التى تعيش في المقابر أم أولئك الناس الذينلا يجدون العيش الحاف ولا الناس الى اخرجت من سنين ولا مكان تعمل فيه ولا اى وظيفة والناس الذين يسحبون على الأقسام من غير ذنب او بذنب انهم معارضين او حتى يحبون المعارضين استقرار الناس التى مرتبها لا يكمل ألف جنيهه في الشهر السلع التى تغلى ولا ترخص

ومجلس الشعب الى تزورت انتخاباته

ورئيس جمهورية مكث ٣٠ سنة تغير فيها كل شيء في العالم ونحن لازلنا كما نحن ولم نتحرك الى الامام وانما هرولنا الى الخلف استقلال واستقرار دولة تعيش على المساعدات ومعاهدة سلام تعد علينا أنفاسنا





ودول حوالينا بتتقسم

ودول محتلة

وفلسطين التي تمارس عليها إسرائيل اقصى حدود الارهاب

والانسان الذي انهارت قيمته وصار المواطن لا وزن له ولا قيمة في بلده ولا

اعتزاز له بوطنيته

علمت بنفسك ما حدث في سيد بلال وخالد سعيد وآخرين لم نعرف اسما

لهم ولا عدد ولا ذنب

الفلوس كلها تصرف على الكورة والمغنيين ولا شيء للمصريين

قاطعنى ابى قاتلا بغضب وحدة، كم انت أحق قليل النظر والحيلة

هل يعجبك موت المصريين أمس وأول أمس؟

وأولئك الذين يموتون اليوم

والجيش الى في الشارع

والشرطة التي انهارت

وحودنا التي أصبحت على الشارع ومستباحة للجميع

قاطعته بحدة وصوت مرتفع

من استشهد أمس قتلته عنجهية النظام وصلفه وغروره

وبدلا من لومك لهم على موتهم يجدر بك ان تلوم من قتلهم

والشرطة التي اختفت هذا تقصير وعبت منها





والجيش الى ترك الحدود تركها من لان الناس اهم من التراب
قاطعنى: ربما غدا لن تجدوا حتى التراب لكى تأكلوه
هذا إذا كان هناك غدلى ولك، ادر محرك التلفاز واعرف بنفسك
البورصة قفلت
لا يوجد شرطة
لا يوجد جيش
مقرات امن دولة اتحرقت
خطوط غاز في سينا انفجرت
البنك المركزى قفل
يعنى مصر تنهار
وانت فالح تكلمنى في أمور سطحية عديمة النفع والقيمة
انا حزين لان هذا فكرك وفكر امثالك من الطائشين
استمعت اليه بحزن عميق لانها اول مرة يتحدث الى بهذه الطريقة
وقلت له الثورات في العالم تدفع دائما الى الأفضل ولكي نحصل على
الأفضل لابد من انهاء التراث العفن ومورثات الفساد التي هي اعلى من الجبال
قال: كلام انشاء
وساد الصمت





امل تنظر من شرفتها الى الشارع الضيق الذي تطل شرفتها عليه وقد اطبق
الظلام وجميع الرجال يجلسون امام منازلهم يحملون أسلحة ثقيلة وفتاكة من
مطابخهم وعصيتهم وسكاكينهم ونبايتهم ويشعلون النيران ويجلسون جميعا جنبا
الى جنب عند رأس كل طريق وكل شارع وكل حارة وحتى كل بيت، الرجال
يجلسون ويتسامرون ويضحكون واحيانا يحزنون ويمسك كل منهم بما يملك من
سلاح ويشعر ان لحظة موالية انتظرها طويلا ان يكون له دور فيما يحدث وان
يمسك سلاحا حتى ولو كان عصا صغيرة وانه بعد مرور الأيام والزمان اصبح
شريكا في الدفاع عن شيء ما ربما يعرفه وربما لا يعرفه، ومع برودة الجو كانت
انفاس الرجال ومالها من شهيق وزفير تدفيء صدور الرجال وتدفيء الجو وتشع
بالحب والالفة اكثر مما تدفيء النيران التي اشعلوها للتدفئة وكانت نظرات الناس
حائرة ما بين سعادة غامرة لما اكتسبوه من قيمة، وقلق لما تحمله الأيام القادمة
وخوف وغضب لمقتل الشباب الاطهار وغضب وسخط من بعض الرجال لما ال
اليه الحال وما ارتكبه هؤلاء الشباب ممن دعوا الى التظاهر من حماقات جرت
الوطن الى ويلات وويلات ودفعته الى الهاوية والى قاع الفوضى والعبث

تباينت الرؤي والدوافع لكن اتحد الجميع للدفاع عن البيوت وعن الأرض
وعن الشرف ولكن ضد من؟

ضد الشرطة

ام ضد الجيش

ام ضد المتظاهرين





ام ضد البطحية

ام ضد المجهول

لا أحد يعرف الحقيقة، الاشاعات كثيرة للغاية وهى اكثر من الحقائق فلا توجد الا حقيقة واحدة وهى حقيقة الخوف ولا يوجد الا القلق والترقب والحذر ولكل شخص ما يخافه ولكل أسبابه في القلق

ولم تعرف امل مما تخاف او مما تقلق او ماذا ترتقب ولكنها كانت كعادتها دائما تقاتل خوفها وحزنها وتغلب المها الشديد بإبتسامة الامل وقوة التعلق بالغد الذى كانت تحلم دائما ان يأتى لها بالأفضل وان يحملها على جناح طائر جميل الى الجنة او الى الشمس

ترى عن اى شيء يدافع هؤلاء؟

انا حقا لا اعرف ولكنى اشعر بالسعادة لاننى اول مرة أرى الناس متحدين هكذا قاصيهم ودانيهم صغيرهم وكبيرهم يدافع عن امننا وسلامتنا، هم متحدون للمرة الأولى وأتمنى الا تكون هذه هي المرة الأخيرة لإتحادهم

نعم هم متحدون من اجل

لإجل حمايتى

حتى ابى الذى لم افكر ابدا ان يرجى منه خير او نفع ها هو يجلس مع اخوتى الاثنين امام البيت ليحموننا من الشر

تلك هي المرة الأولى التي اشعر فيها ان لى اب





وانه يحمينى ويفعل شيئاً لى او شيئاً نافعا على الاطلاق
كم احبك يا ابى كم اريد ان احتضنك وان يحملنى ذراعك وان يضمنى
صدرك

كم احبكم يا اخوتى واشعر انكم قريبين منى اكثر من نفسي
انظرى يا امى الى ابى واخوتى

انظرى الى جيراننا وهم على قلب رجل واحد
انظرى الى المصريين وهم على أهبة الاستعداد لمواجهة التحديات
انظرى يا امى هذا الليل سينجلى قريباً

وتشرق شمس الوحدة والحب على مصر ولن تغرب ابدا
ضمتها أمها الى صدرها واحتضنتها واختلطت دموع الام وابنتها ورغبت
كل منها لو دام هذا العناق الى الابد
ونظر ابوها الى الأعلى وقال: يارب احمينا جميعاً وحلها من عندك يارب



أتحرك في ردهة بيتى الفسيحة ذهاباً وإياباً تارة في شكل دائرى وأخرى في
شكل مستقيم وثالثه في شكل مربع ومستطيل ورابعه من غير شكل هندسي
ويبدو علي توتر وقلق شديدين وتباغتني امى بنبرة حادة
اجلس يا ولدى ولا تسبب لنا الدوار
لا أستطيع يا أمى الناس كلها في الشارع تحمى بيوتها وشرفها وعرضها وانا





أجلس هنا في البيت أشاهد على التلفزيون ولا أعمل ما يفيد، ارجوكى يامى
اتركينى انزل البى نداء الرجولة فى داخلى وحبى لأهلى وناسى وانا اعدك اننى لن
ابتعد كثيرا ثم ان الساعه الأنهى السادسة والحظر بدا يعنى لن استطيع الرحيل
بعيدا على أى حال.

انا يا حمدى يابنى لا يمكن اعطيك امان ابدًا ولن اتوقف عن خوفى عليك
أبدًا وقلبى لن يطاوعنى ابدًا انى اتركك تنزل من البيت وانا لا أعرف ما يمكن أن
يحدث؟

لا تخافى يأمى لن يحدث الا الخير

أنت تعرف ان مكروها لن يحدث فلم تصر على النزول من البيت؟
حتى أكون جزءا من الناس وجزءا مما يحدث، لا بد أن أكون راجلا وعلى
مستوى الحدث

اسأل والدك فإن وافق ارحل ولكن لا ترحل بعيدا

ضحكت ضحكة منتصر وانصرفت



وخرجت من بيتى حاملا في يدى اليمنى عصا كان يتوكأ عليها جدى منذ
زمن بعيد ولم يفت فى عضدها الزمن، قد مات جدى منذ زمن وبقيت عصاه، ربما
يكون لها قيمة اليوم اذا استخدمتها وربما لا يكن لها قيمة الا في ذاكرتى ومخيلتى،
خرجت من بيتى وانا اتنفس هواء طلق كما لو كنت محبوسا داخل هذا البيت او





السجن منذ زمن لا اذكر في حياتى اننى بقيت داخل البيت أربعة أيام كاملة لم أرى فيها وجه الطرقات او وجوه الناس او اعتصر الما في وسائل المواصلات.

وها هم المصريون بنسخة جديدة وطبعة جديدة و مشاعر جديدة لم اختبارها لديهم من ذي قبل فلم اختبر فيهم الا الحزن والكأبه والهم والغم ولكنى الان أرى في هاماتهم املا في المستقبل او حتى خوفا من المستقبل، فأنا لم اعهدهم قبل اليوم يفكرون في المستقبل من قريب او من بعيد.

اننى اقترب من اصدقائى على قارعة الطريق ونحن لم نجتمع بهذا الزخم قبلا في اى وقت مضى منذ ما يقرب من خمسة او ستة أعوام

فها هو ايمن صديقى والذى يعمل مدرسا للغة الإنجليزية في المدارس الثانوية وهو يجلس حاملا قدميه الكثيفتين وبطنه وصدره المنتفخين فقد قارب على المائة والعشرين كيلو جراما الا قليلا وهو يجلس يلتقط أنفاسه بصعوبة بسبب وزنه وبسبب شرهه وولعه الشديد للسجائر، ويحمل ساطورا ضخما واضعا ايه على قدميه

قد افتقدته كثيرا ولم اره منذ زمن طويل، مرحى لك يا ايمن

وها هو سامى صديقى مهندس الميكانيكا الذى لم اعرف عنه شيئا منذ عام وهو قصير نحيف وكأنه يعانى من نقص في التغذية وهو عبوس دائم الحزن والكأبة قلما يضحك ونادرا ما يتسم رأيته جالسا ويضحك للمرة الأولى في حياته ويضع الى جواره عصا أطول منه واشد غلظة.

وها هو مناع ضابط الشرطة وهو ضخم الجثة ابيض الوجه ممتلىء شديد





سواد الشعر عيناه عسليتان رياضي الجسم مفتول العضلات وهو نقيب شرطة في احد المحافظات الساحلية ويجلس ويبدو عليه الشرود ولم يكن يحمل اى سلاح على الإطلاق او هكذا بدالى

وها هو جميل وكيل النائب العام منذ اقل من عام وهو يعمل هذه الوظيفة وهو جميل حقا في الوجه والطبع ومتوسط القامة ويجلس دون سلاح واضعا قدما على قدم ويبدو عليه علامات الابهة واقلنا قلقا واكثرنا ترقبا واكثرنا رغبة في تمضية الوقت اذ كان لا يمر عليه دقائق قليلة حتى ينظر الى ساعة يده

وأخيرا رامز وهو شاب طيب تخرج من كلية التجارة ولا يجد اى عمل ويعمل اى شيء لجنى اى شيء من المال ولا هو يجنى المال ولا هو يجنى حتى كرامته ويحمل مطواة يفتحها ويغلقها مزهوا بها كيف لا وهو يحمل مطواة للمرة الأولى في حياته وربما الأخيرة

تقدمت منهم والقيت عليهم سلاما حارا

سلام عليكم، كيف حالكم يارجال؟

وما ان رأونى والتقت عيني بأعينهم حتى تعانقنا عنقا شديدا مخلصا حارا، عناق يحمل وحشة الأيام والسنين والقلق والحب يحمل فى طياته الكثير

سحبت كرسي خشبيا وجلست واضعا عصا جدى الى جانبي وقبل ان اعتدل في جلستى بادرنى سامى قائلا:

اخبار الطب على حسك ايه يا أبو قراط





ضحكت وقلت: أبو قراط حديث التخرج ولا يعرف اى معلومة في الطب
ولا حتى يعرف يدى حقنه عضل، لا تخرجنى يا سامى فانا اشعر اننى سألتحق
بالتعليم من البداية.

وانت كيف حالك يا سامى؟

انا بخير والشركة التى كنت أعمل بها صفت شغلها من سنة ولا أجد عملا
كنت هسافر الخليج قبل المظاهرات، ولكن يبدو انه لا نصيب.

واستدرت الى مناع وسألته وانت يا مناع كيف حالك؟

رفع رأسه الى ووضع عينه في عيني وقال غاضبا:

ظباط شرطة ولاد

اضاعوا سمعتنا وهييتنا وجعلوا من شوية رعا ابطالا وشهداء

بسبب انعدام قوتهم وضعف شكيمتهم وعزمهم وعدم ضربهم بيد من

حديد

جعلونى بعد ماكنت برنس في نفسي وأسير متمختر وسط الخلايق ببدلتى

الميرى وسلاحى في جيبي ونضارتى الشمس على عيني ووراسي فوق اخدم

الناس واخدم بلدى واتنطط على اى حد قبل ما يتنطط عليا

جعلونى الان مختبىء لا اريد ان يعرف أى شخص ما اعمل ومدى اهميتى

لبلدى ومدى عظمتى حتى سلاحى أضعه داخل ملابسي ولا استطيع ان ارفع

عيني في عين احدهم حتى لا يخبر الرعا عن شخصيتى او عملى الحقيقى





ولكن هانت وهتهون وبكرة ارجع واشتغل وكل واحد يعرف وضعه
وكل كلب ايديه اتمدت على حد في الشرطة يعرف وضعه وكل واحد قتل
ظابط يقتل

وكل واحد ولع في قسم يتجاف ويتدبح كالخروف
قاطعه ايمن ضاحكاً ضحكة حادة:

لا فائدة ترجى من الشرطة ابدا لن تتعلم من اى درس، تقول ما تقول يا
مناع بدلا من ان تبكى على ما اقترفت ايدى الشرطة من الجرائم وبدلا من محاولة
اصلاح فساد نفوسكم وكبركم الى القى بكم بين انياب ومخالب شعب جائع
توافق للانتقام حقا لا فائدة لا فائدة ثم اشعل سيجارة جديدة واسند ظهره الى
كرسيه.

حاولت تهدئة الحوار وقاطعت ايمن قائلا:

بهدوء يا ايمن انت تعرف مناع جيدا وهو صديقك هون عليه وانت تعرف
انه لا عمره كان قاتل ولا عمر ايدى اتمدت على الحرام ولا حتى اتمدت على خلق
الله بالباطل

ثم التفت الى مناع وقلت متسائلا؟

كان الحق كل الحق مع اولئك الذين قتلوا بدءا من يوم الخامس والعشرين
وحتى الثامن والعشرين

الناس كان معهم حق وهم يتظاهرون سلمية سلمية سلمية





والرصاص يصيبهم من كل جانب والخرطوش والغاز
والناس تهتف ولا يصلهم رد على هتافهم الا بالموت من قبل الامن وانت
تعرف جيدا يا مناع اننى ضد الموت والخراب والقتل ايا كان القاتل او القتيل.
وليس كل ضباط الشرطة خونة وقتلة ولكن منهم الشريف والطيب ايضا
ولكن ما بدر من بعض فئات الشعب الغاضبة انما كان محض ردة فعل رغم انى لا
احبه

والكيل طفح طفح بنا أجمعين

اجبنى الناس تعمل ايه مع الاعتقال بحق ومن غير حق
تعمل ايه لما جهاز الشرطة يسبب شغلته الأساسية ويبقى أداة قمع
للمعارضة وأداة قمع للجميع اخوان وسلفيين وملحدين وكفاية والجبهة الوطنية
للتغير و٦ ابريل والأحزاب المعارضة اذا كان في أحزاب معارضة وليس هؤلاء
فقط بل حتى الانسان العادى الي بيعترض او يمتعض او يقترح
قولى بالله عليك يا صاحبي الناس كانت تعمل ايه؟

أجاب مناع في غلظة: حتى انت يا دكتور غسلو دماغك وخلوك تقتنع
بالمؤامرة المحاكة بإقتدار على مصر

من له حق يا باشا يناله بالقانون مش بالبطجة واقتحام السجون وقتل
الشرطين

وانت تابعت اقتحام السجون





الاخوان هربوا من السجن

الإرهابيين هربوا من السجن

تجار السلاح هربوا من السجن

تجار المخدرات هربوا من السجن

والبلطجية هربوا من السجن

وبسبب كل ده انت سايب شغلك وحالك وانا سايب شغلى وحالى

وقاعدین نحكى على الناصية!

وقاعدین نشتغل شغل الشرطة العظيمة حتى نحمل نفسنا ونحمى بيوتنا من

البلطجية الى المظاهرات او الثورة كما تقول كانت سبب في خروجهم من السجن

وساد صمت...

ثم بدأت في الحديث بهدوء:

كلامك يا مناع فيه شيء من المنطق ولكن لا يجب ان تنس

ان ممارسات زملائك هي السبب في كل ماجرى

ولا تنس ان سوء توزيع المرتبات على الموظفين هو السبب ايضا

ولا تنس ان لولا الشرطة هربت من اماكنها وقياداتها لم تكن على قدر

المسئولية لم يكن البلطجية والمساكين هربوا من السجون

ولا تنس ايضا اننا هنا نعمل عمل الشرطة والجيش العظيم يعمل عمل

الشرطة لان الشرطة هربت الى حيث لا تعرف





استفزت الشرطة والحكومة الشعب وانت تعرف جيدا انه لا احد يقدر على
كبح جماح الشعب

ضحك ساخرا: هؤلاء ليسو شعب هؤلاء هم بلطجية

وما يحدث ليس ثورة ما يحدث هو عينالمؤامرة

والزمن بينى وبينك وغدا لناظره قريب ايها الطبيب

ثم التفت الى جميل ووجه اليه سؤالا: انت تشاهد من بعيد ايها النائب
المحترم.

تحدث جميل بعد صمت فى هدوء شديد وقال: كل ما يحدث ليس قانونيا
وبعد هدوء الهوجة كل واحد هيتحاسب

👉 الشرطة

👉 الرئيس

👉 الحكومة

كل هؤلاء سيحاسبهم القضاء النزيه وكل واحد سيأخذ حقه ولا أحد فوق
القانون

قاطعته: انتظر قليلا يا صديقى لو كان هناك قانون لما خرجت الناس الى
الشوارع فى مثل هذا الغضب. واردفت ولما باتو خارج منازلهم فى العراء ولما
عرضوا صدورهم للقتل بالرصاص والغاز ولما سمحوا لانفسهم ان يعتقلوا او
ينخسروا وظائفهم وما لديهم من مال او حتي يتعرضو للضرب او الاعتقال





او يجرح احدهم او يفقد احد اعضاءه

أجاب جميل ساخرا: انت لا تعرف الا مشاعرك وعواطفك وهذا لا يكفي
وهذا لا يجدى مع القانون نحن دولة القانون والقانون فوق الجميع

تدخل سامي:

الشرطة فوق الجميع

والقانون فوق الجميع

والجميع فوق الشعب

لهذا الشعب يضيع

نفخ ايمن في سيجارته وقال: ارجوكم ارجوكم الهدوء نريد ان تمر الأيام على

خير وساعتها انا هنفخ الجميع

ضحكنا وفي قلب كل منا غصة ولكن جميعنا لا ينسي ماضينا وتربيتنا سويا

وكل منا يحمل للآخر في قلبه حبا اكثر من وظيفته وربما احبا اكثر من نفسه

وساد صمت وساد حتى قطعه صوت صراخ لشاب اقبل علينا يركض وهو

يصرخ ويتنفذ ويتصبب عرقا: البلطجية جم البلطجية جم

امسك كل منا بيد الاخر وفي اليد الأخرى سلاحه وانتظرنا المعتدين وطال

الانتظار وطال.



يتقلب الليل والنهار ويفترش حسين الاشواك والغبار ويتتظر ان يركب المنية





او يركب وطنه طائرة يخلق فيها الى السماء، ويقلب وجوه المعتصمين الذين يتزايدون ويتزايدون وتأخذهم النشوة والحماس وينعمون بالأمن والأمان تارة ويتعرضون للمناوشات والمضايقات تارة أخرى من بعض المندسين الذين يرغبون في تكدير الاعتصام ويرغبون في تدمير الثورة في مهدها، وكان حسين يقلب وجوه البشر اسودهم وابيضهم صغيرهم وكبيرهم غنيهم وفقيرهم عالمهم وأمهم من يعمل حرفة بيده ومن يعمل بعقله، مهندسون وأطباء ومحامون ومدرسون وعمال وغير متعلمين نساء ورجال شبابا وانسات وقد كان أكثر السواد الأعظم من المعتصمين والمتظاهرين من الشباب ولا سيما الطلاب في مرحلة التعليم الجامعى، أولئك أكثر من أهمهم وطنهم وهم أكثر من حلم لوطنهم بمستقبل عظيم فهم وقود الثورة وحراسها وأهلها ووطنها وهم المخلصون والخونة وهم الاذكياء والحمقى، انهم كل شيء، تغير شكل الميدان تماما أصبحت الخيام البارزة على الأرض والمنصات والتجمعات للذكر والصلاة والأغاني الوطنية والأناشيد الحماسية هي كل شيء والشباب الذي يصطف عند مداخل ومخارج الإعتصام للتحقق من هوية كل متقدم للدخول الى الميدان والتجمعات والمنابر السياسيه فهناك تجمعات الإخوان وتجمعات ٦ ابريل وتجمعات كفاية وتجمعات أخرى غير معروفة والمسلمين والمسيحيين لحمه واحدة حتى الفرقاء والخصوم السياسيين ينظر بعضهم الى بعض بعين الرضا بنظرة فيها الود والتقبل او بعض الود والتقبل الجميع ضحايا الظلم والقهر ونظام لم يسمح لهم ان يعبروا عن انفسهم او يخبروا العالم انهم على قيد الحياة او انهم جزء من هذا الوطن ومن حقهم المشاركة ومن حقهم ولو قليلا ان يكن لهم رأى او





قبلة غير قبلة الحاكم. وكم كان حسين سعيدا لما يرى او يسمع فقد اجتمع المصريون بكل فئاتهم في ميدان واحد وتمنى حسين لو يتوقف تاريخ مصر عند هذا الحد طويلا او يقف دائما، ولم يفت في عضد المعتصمين ما ترائي لهم وما قفز الى مسامعهم من اشاعات مغرضه واخبار كاذبة، وكان كل منهم للآخر



لهواء تنفسه

ورداء بسترة

وعينا ينظر بها

وقلبا يدق له

وعقلا يفكر معه

وروحا يجبا بها

ولم يخرج حسين من هذه النشوة الروحية والزاد والمتاع الوطنى الا صعود رجل لا يعرفه ولم يسمع اخباره عن نفسه جيدا وهو يعتلى احد المنصات بالقرب من مدخل ميدان طلعت حرب وهو يقول اننا ندعوا الى مظاهرة مليونية في ميدان التحرير يوم الثلاثاء القادم ليس هنا فقط بل في كل ميادين مصر الكبرى، تهللنا وفرحنا وما اشد فرحتنا كلما اذاع المذياع الموجود على المنصة ان المتظاهرين يملئون الميادين في السويس والإسكندرية والجيزة واسيوط وبنى سويف وبور سعيد والفيوم والمنصورة وغيرها من المدن والمحافظات التي خرج احرارها الى ميادينها اعلانا للثورة على الظلم وتحريرا للوطن من الاحتلال الداخلى





نادتنى أفعى قائله:

افتح التليفزيون يا حمدى الرئيس سيقول كلمة هامة اليوم
 قمت بتشغيل التلفاز وانا أقول ماذا عساه ان يقول بعد مليونية اليوم لم يبق له
 الا ان يرحل، نعم لم يبق له الا ذلك او يعلن حربا على شعبه، وساعتها لن يقف
 احد الى جواره او حتى خلفه سيجد الجميع امامه، والجيش مع الشعب ولا أتوقع
 ابدا ان جيشنا العظيم يخون ثورتنا ويقف ضد شعبه باى حال من الأحوال
 التفتت انا واسرتى جميعا امام التلفاز لمتابعة كلمة الرئيس

وهكذا تحدث الرئيس:

- لن ارحل واترك قيادة الدفة في هذا الوقت العصيب
- لازلت اعزى المصريين في شهدائهم من أبناء الشعب والشرطة
- للشعب الحق في التظاهر
- حل قيادات الحزب الوطنى
- لم اكن انتوى الترشح لفترة رئاسية قادمة
- لا تورث في الحكم
- لقد عملت من اجل هذا الوطن الكثير وخضت المعارك لاجله فانا
 سأحيا له وسأموت له ولن اترك السلطة
- اما انا او الفوضى





فكرى الحب والثورة —

١٤٦

- سيحاسب المقصرين والمتسببين في الفراغ الامنى

- سيحكم التاريخ بما لنا او علينا





ففي الميدان مرة اخرى



ما ان فرغ رئيس الجمهورية
من كلمته والتي صيغت بشكل
حماسي والقاها بشكل دغدغ
مشاعر سامعيه وهيج عواطفهم
والهب عقولهم بالافكار واطار
الصواب وغير كثيرا من وجهات

النظر وحمل الجميع على الإلتفاف حول هذه الكلمات ولكن وقت الثورات
لا يجدى الكلام ولا تعيد الخطب الحماسية او العاطفية هم بركان خرجت من
فوهته او طلقة خرجت من سلاح او سهم نفذ من قوس.

بكت ابنى كثيرا لسماعتها خطبة الرئيس

بكت ابنى وتاثر اباها تاثر لخطبة الرئيس

وبكى اخوتى

واظبعين واظبعات بكوا أيضا

انا لم ادر لم اعرف وكأنى مصدوم ولكن لم اعرف لماذا فأنا لست ضليعا في
السياسة والخطب ولكنى حقا تأثرت وشعرت بل وتأكدت ان الأمور في بلدى
لن تعود الى الخلف وان هذه التظاهرات غيرت كثيرا في الواقع القديم وانها تسطر
واقعا جديدا قد يكون افضل او قد يكون اسوأ الى الابد





تركت من يفرح مع فرحه ومن يحزن مع حزنه وذهبت الى غرفتي والقيت
بجسدي الى سريري وتلاعبت بى الظنون، حقا كم هو رئيس عظيم او هو ممثل
قدير

انا لا اعرف ولكن غدا سأعرف وسنعرف جميعا كل شيء

يجب ان تنتهى التظاهرات

يجب ان يهرول الجميع الى بيته

يجب ان نتحد جميعا خلف الرئيس الذى تنتهى ولايته قريبا

انتهى كابوس التوريث

سنحيا غدا في جو ديموقراطي جميل

غدا نيل جديد وشمس جديدة

غدا بلد اخر ووجوه أخرى غير عابثة، غدا سأغدوا اعظم أطباء العالم

غدا سأرفع رأسي عاليا وأقول انا مصري

غدا تنتهى إسرائيل

غدا يتحد العرب والمسلمون

غدا كل شيء سيكون أفضل، انا اقسم بذلك دون شك ومن يدرى فقد

اصبح غدا رئيسا للجمهورية.

سأنام لكي يأتى الغد الذى حلمت به طويلا

شكرا لك وسقيا لك سيادة الرئيس





استقبلت امل خطاب الرئيس بتناقض شديد في الفكر والمشاعر فتارة تفرح
وتدعوا للرئيس وتقول هذا الرجل يستحق ان يكون ابى وتارة أخرى تقول
لا شك ان في الامر سر وان في الامر مؤامرة كبرى، انا سأنتظر فصول هذه الرواية
حتى كلمتها الأخيرة، ربما أكون حزينة لأن التظاهرات ستنتهى وتعود كوابيسي
تطاردنى في يقظتى قبل نومى واعود لأبصر الواقع بشكله الكئيب وتطل على
الاحزان كما اطلت دائما بلباس اسود وعينان حمراوين وسيف قاطع تحمله في يدها
تقطع به اوصالى واحيا كالموتى، اللعنه انا حقا لا اعرف ماذا اريد

لا انا اعرف

لا انا لا اعرف

لا انا اعرف اننى اريد الخير لبلدى حتى ولو كان في ذلك حزن وهم مقيم
وألـم يعتصر مهجتى

كم انا بائسة حزينة مهیضة الجناح في كل حال، سقطت ورقة سعادتى منذ
زمن واخشي انها لن تعود الى سابق عهدها ابدا

ووضعت وجهها بين كفيها كما تعودت دائما واسلمت نفسها لـزفير وشهيق
لا ينتهيان واوغلت في صمت مطبق وانتظرت الغد كما ينتظره الجميع



أحدثت كلمات الرئيس صدى وأى صدى في الميدان وصالت وجالت في





مخيلات واحلام المعتصمين والمتظاهرين على السواء واحداثت فرقة بينهم وای فرقة.

استمع حسين الى الخطاب وهو يعرض نواجزه ولايدري التحكم في ضربات قلبه ويتصبب عرقا في جو بارد وينفخ اوداجه الغضب ويتمتم ويقول: هذا الرجل خدعنا واستمر في خداعنا ردحا طويلا من الزمن ولكنه مستمر في خداعنا ومستمر

انه يخيرنا بين الديكتاتورية أو الفوضى
ويخبرنا بين ان نكون سجناء للماضي او يجلدنا بسياط تحكمه في المستقبل
هذا الرجل يمن علينا ان حارب لبلادنا وبلاده منذ أربعين عاما
هذا الرجل يخبرنا بين وجوده ووجودنا ويضع أحلامه ورغباته في كفة
ويضع أحلام ومستقبل امة كاملة في كفة أخرى
هذا الرجل يكسب الوقت ويكسب الأرض
يريدنا ان نرحل من الميدان لكي ندخل الى السجن او تنتظرنا المشانق او ربما يعيدوا استخدام المقصلة معنا من جديد
اذا خرجنا من هذا المكان قبل ان يرحل الرئيس ونظامه فلن تقوم دعوات أخرى للإصلاح لعدة أجيال وربما لألف عام
لن يرحل هذا الرجل بعد ستة اشهر
سيسير المظاهرات في حبه ويعتمل جهاز الشرطة مرة أخرى تحت امرته أما





انا وهؤلاء الشرفاء الذين تركوا بيوتهم واهليهم فإنهم سيتركون الحياة بعد ذلك
والى الابد وسيتركونها وهم محكوم عليهم بالخيانة والعمالة

قبل ان يقطعوا رأسي او يصوبوا رصاصاتهم الى جسدى سيخلعون على ثوبا
احمر مكتوب عليه خائن الوطن او عميل الموساد او يهودى او امريكى وسأكون
انا ومن هم مثلى سبب الخراب والدمار وتصبح ثورتنا ذكرى ويصبح ميداننا هذا
شبح ميدان ويصبح املنا شبحا لأمل

يا الهى كم اشعر بالخطر والخوف وفقدان الامل

الهى فيك الرجاء فلا تردنا خائبين

ونظر حوله وقد استفاق لما يجرى من الجلبة والصخب والضجيج

فقد انقسم الناس في رحى الميدان ما بين مؤيد ومعارض لخطاب الرئيس
وبعض الناس قرر الرحيل وانتهاء التظاهرات والبعض الاخر وهم الأكثرية ممن
فطنوا الى الخدعة قرروا استمرار الاعتصام والاستمرار في كتابة فصل جديد من
فصول التاريخ.

وصاح حسين وصاح في الجميع

اثبتوا اثبتوا

ارحل ارحل ارحل

وكأنه الهب شرارة وحماسة في الجميع

وضج الميدان بصراخ واحد ارحل ارحل ارحل ارحل وظل الهتاف يعلو





ونخفت يزيد وينقص ولكنه استمر حتى مطلع الفجر

نعم قد رحل خلق كثير عن الميدان

نعم قد تذبذبت المشاعر وتباينت الرؤي

نعم شقت كلمة الرئيس الصف

ولكنها ابدا لم تنه امرا قد بدا واعتصاما لا ينفك وقدرا كان محتوما وكان

أقوى من كل شيء ومن كل الخلائق

ولتنفذ إرادة الله على كل حال



كل يوم يبدأ هادئا ثم تتلاحق الاحداث كالانفجارات التي تحدث في
الشمس لتنير العالم وتبعث بالحياة الى الجميع، نعم بدأ هذا اليوم هادئا أيضا، ولم
يكن من جلبته وضجته الا اختلاف الافئدة وانقسام المشاعر بين الجميع
والتراشق في الفكر والرأى

ادرت التلفزيون لأعرف أى جديد سيحقق بالجميع، وكما دأبت اسرة حمدي
على الالتفاف حول هذا الجهاز فهو نافذتهم على العالم ويستشرفون من خلاله على
ما يحدث خارج بيتهم الصغير، كنت أرغب ولا أزال أرغب ان كون جزءا من
عجلة صناعة التاريخ ولا يجب ان أكون متفرجا أحب ان يكون فاعلا لا مفعولا
وأرغب ان يكون مبتدأ لا خبر.

قلبت في القنوات المتعددة وكان كل شيء يشير مبدئيا الى نجاح خطة





الرئيس، حتى ان الناس بدأت تتهمل وتهتف له

واذاعت القنوات الانباء التالية:

- القوات المسلحة تقلل عدد ساعات الحظر
- القوات المسلحة تهيب بالمواطنين ان يعودوا الى منازلهم وان ينهوا الاعتصام والتظاهر
- اكد نائب رئيس الجمهورية ان التظاهر حق مشروع وان مظاهرات الخامس والعشرين من يناير كانت حقاً للشعب وان ما حدث فيها من تخريب وعنف ماهو الا من اعمال القلة المندسة.
- النائب العام يمنع بعض الوزراء المثيرين للجدل في الوزارات الحساسة من السفر ويضعهم تحت الإقامة الجبرية
- عودة النت والاتصالات الى سابق عهدها ولكن بخدمة اقل
- انفجرت اسراير الاب لمتابعته وقراءته هذه الاخبار ونظر الى نظرة نشوة وانتصار لا تخلو من الشماته ولكنها لم تلبث ان تبدلت الى نظرة حب واشفاق حتى استقرت أخيرا الى نظرة جدية وتحمحم قليلا واعتدل في جلسته وقال بنبرة هادئة يغلبها العقل والكياسة كانت فارقتة منذ اندلاع الثورة: الحمد لله انا كده مطمئن، كل شيء سيرجع كما كان وستعود الأمور كما كانت وأتمنى ان تعود الى افضل حال، ولا ايه رأيك يا بنى؟
- صمت واخذت أفكر وأنا قليلا ما لأجد ما أقول من كلمات لتعبر عن سريرة نفسى وعقلى ولكننى قلت بهدؤ وسكينة أيضا: الحمد لله على كل حال





ولكنى لا اعرف اى طارق سيطرق اليوم وأى حادث سيحدث ولكن الحمد لله
يا ولدى على كل حال

واخذ الجميع يترقب، الاب والام سعداء ويريدون تأكيد انتهاء الازمة
والابن يشعر بكل مشاعر البشر في ان واحد حتى ان راسه كاد أن ينفجر واستولى
عليه الصمت وعلته الدهشة والذهول



وتعامدت الشمس وصار كل شيء مثل ظله، وتواترت اخبار عن نزول
بعض المتظاهرين الى ميدان مصطفى محمود ينادون بالمجد لسعادة الرئيس
ويهتفون من اعماقهم له ولعظمته وحنكته وابهته وكان اغلبهم من الممثلين
والمطربين ولاعبى كرة القدم المرموقين وتعالى هتافاتهم وكانو يحملون اعلاما
وصورا للرئيس ولافتات تحيي بطل اول طلعة جوية فتحت باب الحرية للأرض
وللاوطان وللامة العربية.

رايت تجمعاتهم في التلفاز وشعرت ان امرهم مصطنع تماما من اجل حبهم
لمن ينتفعون من وجوده على رأس السلطة وعدم شعورهم بمن لا بيت له ومن لا
عمل له ومن له عمل ولا يحقق منه الا الكفاف ومن ومن ومن ومن؟ والقائمة
تطول

شعرت انهم في حفلة صاخبة او انهم يقومون بعمل تلفزيونى في مسلسل او
فيلم وان لاعبى الكرة هؤلاء يحتفلون ببطولة كرة قد حصلوا عليها، ملابسهم
وهتافهم واعلامهم ولوحاتهم لم تكن كأعلام المصريين الحقيقيين وحتى ملابسهم





واصواتهم واجسادهم والوانهم، تملكنى الغضب الشديد والنقمة وهتفت في
اعماقي، هؤلاء يحتاجون ثورة أيضا هؤلاء هم من يسرقون مقدراتنا ويعبثون
بطموحاتنا ويستولون على اموالنا واورقاتنا ولكن برضانا، نحن من صنعناهم
ونحن من سينتهى منهم

قطعا وبلا ادنى ريب.

فرحت والدتي وضحكت وقالت: هؤلاء هم المصريون الحقيقيون يهتفون
لأعظم رئيس في الكون.

ولكن والد حمدي عاوده القلق وساوره الشك والارتياح في كل ما يجري
حوله وعاد بظهره الى الخلف والقى رأسه الى خلفية الكرسي وادار رأسه يمينا
ويسارا ومصمص شفتيه وتبرم وتلوى وضرب كفا بكف واختفت بسمته
ورسمته وحل محلها القلق واحمرار العينين وصفار الوجه وقال وهو ينفخ الهواء
بعيدا عن وجهه: حمقى واغبياء

تعجبت الام من مشهد زوجها وابتدرته قائلة، ما جرى لك يارجل؟

- انتى لستى تفهمين ما يجري بدقة

- اجابت فى تعجب، لا أفهم؟

- خروج مظاهرات مؤيده للرئيس، سيجعل المعارضين له يتشبثون بالميدان

ويملاء عن آخره من جديد

وممكن كمان ولاد الحرام يجعلوهم يشتبكوا مع بعض

وتحصل مجزرة

او تحصل حرب أهلية





وانا ما صدقت ان الأمور هدت بعد كلمة الرئيس

تعرفين يأم حمدى، الرئيس لم يحسن اختيار أولئك الذين يفكرون معه أو يأترون بإمرته.

أخشي مما يمكن أن يحدث اليوم ثم اضاف رافعا يديه الى السماء (ربنا يعدى النهاردة على خير)

تنهدت الأم وتأوهت وقالت: ءامين

وراقبت حوار امى وابي وتعجبت من فطنة ابي وحسن ظنه وصدق توقعه، فلم يكذب الاب ينهى كلماته حتى طار خبر عاجل على كل القنوات التلفزيونية وهى أنباء مؤكدة عن وجود اشتباكات بين معارضين الرئيس ومناصريه في محيط ميدان مصطفى محمود

صاح الرجل غاضبا: متخلفين، اغبياء وسيضيعون البلد، البلد هتروح في الرجلين وربنا يستر والأمر متطورش عن كده، محدش عارف المخ المتأخر ممكن يودى أصحابه لحد فين.

قالت الام: ربنا يستر

تمت انا ايضا: ربنا يستر

اخذت اقلب في كل قناة لإشاهد فيلما قديما او حديثا او اشاهد ما من شأنه ان يكون بعيدا عن المشهد السياسي لأن رأسي يكاد ينفجر، فهو لا يهتدى الى شيء ما ولا يزال لا يرفع عن التفكير ولكنه تفكير دون غاية واضحة او هدف جلى، فالضباب يعم جميع المشاهد والتخبط يسيطر على كل التحركات حتى لكأننى





للمرة الأولى لأعرف الى اى فريق أنحاز وأنضم، هل الى فريق المتظاهرين الذين كنت واحدا منهم قبل أيام قليلة ورأيتهم يهتفون ويركضون ويجرحون ويموتون أيضا.

ام ينضم الى فريق يرغب في السلام والهدوء والراحة والاستقرار ونبذ الفرقة والعنف

هل هذا الرئيس عظيم؟

هل هو فاسد؟

هل يستحق الخروج عليه؟

ام تراه يستحق الخروج اليه؟

اللجنة على هذه الأفكار التي لا اعرف من اين أتت واقتحمت هذا العقل

الصغير، سحقا لكل شيء

سحقا للثورة

سحقا للوطن

سحقا للرئيس

حتى سحقا لى انا

وسحقا لهذه الفتاة التي انستنى احداث جسيمة مهجتها ومحياها، ولكنى عدت اذكرها من جديد، اتدرون اشتقت لرؤياها مجددا، ولكن انى لى، فقد عصفت بها الزمن بعيدا عنى، عصفت بها الى حيث لا اعرف لها زمانا او مكان، لا اعرف لها اسما او عنوان.

وارتسمت علامات السخرية على وجهى وانا أقول قد يكون التفكير فيها





هو افضل سبيل للخروج من ازمتى الوجدانية الحالية، اه اه يا وطنى
اه يافتاتى الجميلة التي لا اعرف.



بينما يقلب حسين الوجوه ويقلب الألوان واللهجات في كل مكان في الميدان
ويستمع بأذن منصته لكل ما يقال ويرى بعينه اختلاف الايدولوجيات، هتف في
نفسه هاتف الشهادة التي تمنها منذ ان ادرك عقله الحياة، هتف صوت مصر وهى
تناديه ليقرب منها اكثر واكثر ليقرب من ترابها من هوائها من نيلها من اهراماتها
من مساجدها من كنائسها من معابدها اليهودية من سمرة النوبة وحمرة الدلتا من
قلب كل رجل مسكين لا يرغب في هذا العالم الا القليل او اقل من القليل وهذه
المرأة التي تطلب الستر والستر فقط وهذا الشاب الذى يرغب في الكفاف وهذه
الفتاة التي ترغب ان تلقى بنفسها بين ذراعى وطن كبير، اقترب من نفسه اكثر
التي ربما لم يعرفها الا في هذا الميدان الذى صار جزءا من التاريخ وربما كان
التاريخ جزءا منه والذى صار جزءا من حسين او ربما صار حسين جزءا منه.

ولكن ترى هل صفحتى تجاه وطني يستبرئها فقط عمل ثورى؟
لا ليس بالثورة فقط تبني الأوطان ولكن الحرية شجرة لا تروى الا بالدماء
والعرق

اعاهد نفسي واعاهدك يا وطنى ان بقيت بعد هذه الثورة ان اعمل واكد
واجتهد وان اصل الليل بالنهار من اجلك من اجل وطن لا ينفك يبرح مكانه
درة وتاجا على جبين تاريخ كل البشر.





وجلس حسين وأوى ظهره الى حائط بعد ان
طاف الميدان مرات ومرات ليهتف حينا وليصمت حينا
ويفكر حينا
ويسعد حينا ويحزن حينا
وليحب بلاده دائما
جلس وقد استبد به الوصب والنصب واخذ زفيرا وشهيقا ثم دار ببصره الى
الفضاء ثم ثبت ناظريه الى السماء ورفع يديه الى السماء وقال:
اللهم انصر بلادنا على كل من يريد بها الشر
اللهم وفقنا الى ما تحب وترضي
يارب اقبلنى شهيدا عندك حتى وان لم يقتلنى الشياطين
ولكن جلبة كبرى وصراخ من كل مكان وخطوات تتسارع هنا وهناك
ووجوه عابسة وأخرى ضاحكة مستبشرة وخبط العشواء يسيطر على المكان
والناس تسير بشكل دائرى من غير هدف والكل يتسائل في عجب وغضب
وخوف وقلق
في ايه يا جماعه؟ بتجروا ليه؟
وكانت الإجابة واحدة لم تتغير
جمال وبلطجية وعصي وحمقى ومأجورين يقتحمون الميدان من جهة المتحف
المصرى ويعملون الضرب في المعتصمين.





نهض حسين من فوره وشمر عن ساعديه واطلق ساقيه الى الريح واخذ
يتمتم: الان نعم الان والا فلا واليوم ليس غدا ينتهى كل شيء او يبدأ كل شيء
من جديد.

وانطلق صوب المهاجمين وانطلق بصدر عار الا من الحب

ويدين عاريتين الا من الامل

وقدمين عاريتين الا من التشقق والتعب

وتقدمت الجمال وتقدمت الخيول وتقدمت الأسلحة البيضاء وتقدم
المولوتوف وتقدمت الحجارة وبعض الخراطيش واقتحمت الخطوط الامامية
للمعتصمين وحدثت إصابات بالغة في شباب تأمين الميدان بين جرح بسيف
وكدمة بحجر ورفصة من خيل او دهسة من جمل، ولكن المعتصمين كانوا جوعى
وعطشي للإنتقام للشهداء الذين سقطوا في الأيام السابقة وكانو جوعى وعطشي
للنيل من المعتدين وكانو جوعى وعطشي للموت وجوعى وعطشي أيضا لإثبات
الذات وللحياة الجديدة وللعالم الجديد

جريح هنا وجريح هناك

دماء على الوجوه وعلى الصدور وعلى الاقدام ودماء على الأرض

حجارة على الرؤوس وخناجر في الصدور ومولوتوف وحرائق على الظهور

وخراطيش غير معلومة المصدر وهرج ومرج

وحسين يرى ويسمع ويشارك تارة يمسح الدماء وتارة يمسح الدموع وتارة





يلقي بحجر وتارة يستقبل الحجر في صدره ويطفئ النيران تارة ويلقي بمولوتوف ويشعل النيران تارة أخرى.

والسباب من جانب المهاجمين يقابله الهتاف من جانب المعتصمين

والهجوم بالخيول يواجهه دفاع من المعتصمين

حتى صار السلاح بالسلاح والهتاف بالهتاف والسباب بالسباب وكأن معركة حربية من القرون الوسطى تدور رحاها في ميدان التحرير.

وحسين يتصبب عرقا وجبهته تقطر دما وضربات قلبه اعلى صوتا من الرصاص والمدافع وعيناه جاحظتين اكثر بروزا من الجاحظ وبشرته يملؤها التراب حتى لا تكاد تميز ملامح وجهه ولكنه منتصب القامة لا يحنى ظهره ابدا، ويبصر خيلا قادما نحوه عليه رجل ملثم لا يبدوا منه الا عينين وكأنهما عينا ابليس وتلاقت العينين وفي كل منهما تحد وإصرار لإثبات الأحقية في الميدان والأحقية في الوطن وربما الأحقية في الحياة

تحدثت العيون بدلا من اللسان وتلاقي شعاع العينين وكأنها اشعة الشمس تعاملت على الأرض وقالت العيون ما لم تقله الأفواه فلم يعد الصراع صراع وطن بل صار صراعا على الحياة وحينما يكون الصراع صراع حياة أو موت يتلاشي كل شيء اخر نعم يتلاشي كل شيء أمام رغبة الانسان في البقاء والبقاء فقط.

وهنا نظر حسين الى الرجل المثلث ورأه وكأنه رجل من زمن الحملة الفرنسية اقتحم الجامع الازهر بخيله.





رأه رجلا من زمن الهكسوس وقد اعمل الخراب والتدمير في وادى النيل
وحدثت حسين نفسه بإن كل أولئك الذين قاوموا قديما ليسوا خيرا منه
وكل من مات فداء لهذه الأرض لم يحبها اكثر منه

وان فرصته لاحت لكي يكون احد الابطال المنسيين الذين لا يذكروهم
التاريخ ولا يذكروهم الناس، ولكن يذكروهم الله ويذكروهم الوطن وتذكروهم هذه
الأرض الطيبة

تقدم المثلثم راكب الخيل الذى يحمل سنجة في ذراعه الأيمن ويضع جنزيرا
على سياج خيله ويعلى صوته بسباب ولعان
وتقدم حسين الذى لا يملك في يده اليمنى شيئا ولا يملك في يده اليسرى
شيئا ولم يدخل جوفه طعاما منذ يومين او اكثر، وتقدم بخطوات اسرع من
خطوات الخيل وبصوت هتاف اعلى من صوت السباب وبروح لا يهزمها شيء
حتى الموت حتى تلاقي الرجلان

او تلاقى الحزبان

او تلاقى الوطنان

او تلاقى ملكان

او شيطانان

بل تلاقى ملك وشيطان

وقام المثلثم بتوجيه ضربة بسيفه الى حسين ولكنها اخطأته فمال المثلثم الى





الامام وفقد توازنه فقفز اليه حسين عاليا وهبط به من الخيل وكشف وجهه فإذا هو عبوسا قمطيريا ولكنه لم يزل وجه مصري ولكن مصري وجب تأديبه
لكم الرجل حسين لكمة قوية في وجهه ووضع الجنزير على عنق حسين حتى كاد ان يزهق روحه لكن قوة ليست كقوة حسين دفعت الرجل بعيدا ووثب حسين عليه كرجل على امرأة وكصائم على مائدة وانهاى على الرجل ضربا يمينا ويسارا في وجهه وصدره وهو يصرخ



ياخاين يالعين يا شيطان
من الى بعثك الى الميدان
من يخطط لقتل الثورة
من يدفع لك المال
انطق انطق
يستحيل تبقي مصري
انت خائن وعميل

يستحيل تكون انسان، انت اكيد شيطان، شيطان
وانهاى الناس ضربا على الرجل حتى فقد الرجل وعيه وكاد ان يفقد حياته.
وانقسموا في شأنه

- احنا لازم نقتل ابن ال..... البلطجى ده

_ لا احنا نسلمه للجيش





- لا يا جماعة احنا نوديه المستشفى الميدانى ونعالجه وبعدين نمشي، ده مهما
كان مصري وتلاقيه عنده عيال

- لا يا جماعة احنا ناخده رهينه

- لا يا جدعان الواد ده نفضل نعذب فيه ونقطع فيه بالحته لحد ميموت من

الأم

- لا يا جماعة احنا نحقق معاه ونعرف مين الى وراه وبعدين نشوف هنعمل

فيه ايه

وضاع حسين وسط هذه الاقتراحات ولم يعرف ماذا يفعل وسأم النقاش
والفراق والشقاق وسوء التلاق وجد نفسه قد ابتعد عنهم ولم يدر ماذا هم فاعلون
ولكنه سمع جلبتهم وصياحهم وهم يقولون

- شفتوا، اديه طلع داخله

انا كنت متأكد انه امين شرطة

- انا شفت كارنيه الشرطه بعينيا

واخر يقول: ده طلع حزب وطنى انا طلعت من جيبه الكارنيه بايدى

- واخر يقول: الواد ده يهودى حاطط نجمة داوود لا مؤاخذ على ظهره

- الحقوا يا جماعة ده طلع ماسونى

- لا لا ده من تنظيم القاعده

- لا من قطر





- لا ده امريكى

- لا ده اخوان

واستمرت الآراء تتباين حتى وجد حسين نفسه بعيدا عنهم في قلب الميدان
وعينهاه حمراوين محدقتين في عينيى فارس جديد
والشمس لا تزال تتعاند على الميدان والأدخنة تتصاعد والجروح تزداد
والدماء تسيل والوقت يمضي ببطء على الجميع



طاذا مجرث كله ذلك؟

لماذا يصبر الناس على كسر جناح طائر الحرية والعدل والمساواة والحب؟
لماذا يظهر الشيطان دائما بوجهه المخيف في كل احلامى؟
لماذا لا يسمح لنا احد ان نبني بلدا جديدا
لماذا يوجد مثل هؤلاء البلطجية والاشرار في بلادى؟
انا اعرف اننى اتسائل بعقل طفل صغير وبروح امرأة لا تحيا على كوكب
الأرض، وانما تحيا على كوكب اليوتوبيا؟
سأترك عملى الان واوتجه الى ميدان التحرير
فمكاني ليس هنا الان، ولكن مكاني دائما في صناعة الحدث، في الدفاع عن
وطن ملتاع مرتاع مهيض الجناح، نعم سأذهب، فدون ذهابى الى الميدان خرط
القتاد!

ربما يكون ذهابى انا ناصرا لهذه الثورة المجيدة





ربما يؤدى هتاف واحد الى الكثير
ربما تضمض جراحى جراح الوطن
ربما يقتل جرحى دما لكى تجف جراح الوطن
ربما استفد أخيرا من مهنة التمريض واطمض جراح الوطن واشد على اذره
واحمل ساعده على ساعدى واحمي قلبه بقلبي واشدو بلحن الحب الحقيقي، الذى
لن يخذعنى ولن يتركنى حزينه كسيرة الملم جراحى وابعثرها في الهواء لاعدود
واتنفسها من جديد

ولكى احتسى مشروبى المفضل في الميدان ساعة نصر حاسم مؤزر للمصرى
البائس الحزين

سأذهب حتى اكتب قصة حب جديدة لى مع حب قديم لم يخرج من صدرى
ابدا ولأخطب ود وطنى الذى لطاما رفض ودى وقلبي وحبى
سأذهب، فانا لايسعنى الا ذلك

سأذهب حتى وان لم اعد الى بيتى الا محمولة على الاعناق
سأذهب لانى اشعر ان شيئا جديدا لم يحدث من قبل سيحدث لى اليوم ولا

ريب

سأذهب لأننى أصبحت اقوى من اى وقت مضي



تدخل امل الميدان وادخنة ولهب وغبار في كل مكان وقد وصلت الى الميدان
بعد عناء شديد ووقت طويل، ونظرت في كل اتجاه ورأت كرا وفرا في كل اتجاه





وخيول وجمال وعصي وسيوف وهراوات، وانا سا فوق المباني يلقون بالمولوتوف
واناسا اعلى الكوبرى عند المتحف المصرى يلقون بالحجارة الصغيرة والكبيره
على رؤوس المعتصمين وحجارة من هنا وحجارة من هناك ومولوتوفا من هنا
ومولوتوفا من هناك وجريح من هنا وجريح من هناك ودموع من هنا ودموع من
هناك، ولم يتحمل قلب امل الصبر حتى انفطر في البكاء كما اعتادت امل ان تبكى
دائما، وتسارعت ضربات قلبها وانتفخت اوداجها واحمر وجهها ونظرت امل الى
حجر ملقي تجاهها حتى كاد ان يرتطم بوجهها ويبدل ملامحه تماما ويغير كل شيء
فيه، نظرت اليه وكأن الزمان توقف وكأنها مستسلمة لقدرها وكأن نهاية امل
الآن، نهايتها بحجر يشج رأسها ويخرج عقلها ويفتته الى مكونات عقل صغيرة

اغمضت عينيها

وتوقف قلبها عن الدق استعدادا منها لتوقف النبض الى الابد

وارخت عضلاتها وبسطت شرايينها استعدادا للموت

وقالت وهى ترتجف مرعى للموت الذى تأخر عنى كثيرا

مرعى له

ولكن شيئا لم يحدث

لم يصبها شيء

ولم تمت

فتحت عينيها، لتجد شيخا كبيرا يضع على رأسه (حلة طعام) ويمسك بيده

اليمنى غطاء هذه الحله وقد تلقى الحجر بدرعه ليحمى هذه الزهرة الجورية من

الأذى ومن الموت





ابتسم في وجهها وقال وهو يربت على كتفها المرتعش
يابنتى انتى لسه صغيره، وخدى بالك من نفسك، مكانك مش هنا، مكانك
وسط اهلك يفرحوا بيكى
روحي يابنتى، ربنا يحميكى
وخدى الحلة دى البسيها على راسك عشان تعرفى تخرجى من الميدان
وبعدين ابقى ارميها اول ما تخرجى من الميدان
ومتنسيش تدعى لراجل عجوز زيي، انه يموت شهيد فدا الوطن وفدا كل
البنات الحلوين زيك
واستمر في ابتسامته وابعد امل بعيدا ثم انصرف عنها
وامل واجمة باجمة لا تحرك ساكنا
يداها مرتعشتان ودموعها لا تتوقف
وقلبها ينبض كما لم ينبض من قبل، فهى لا تعرف لماذا لم تمت ولماذا كان
يجب ان تموت
اثاقلت امل الى الأرض فجلست قليلا على التراب، حتى نهضت تجر قدميها
وتهم بالخروج من الميدان بعد ان قررت ان ترحل لأنه لا فائدة من الحياة ولا
مرجى من الموت فلتبحث عن الحياة والموت في مكان اخر في زمان اخر وربما في
عالم اخر.

أعطت ظهرها للميدان وولت الى حيث لا تعرف وجهة ولا هدفا
سارت بخطوات ابطأ من خطوات سلحفاة، ولكنها وقفت فجأة واستدارت





الى الميدان، ولم تعرف لم استدارت ربما لتودع الميدان وربما ليكون جزءا منها الى الابد.

وياهلول مارأت

مجموعة من الرجال يحملون الرجل الذى لم يلبث ان انقذ جبينها وربما حياتها
مدرجا في دمائه، صريعا يصارع الموت وهو محمول على اكتاف الرجال وقد
تبدلت ملامحه وتغير وجهه ولكن روحه لن تتغير

عرفته امل من حجم جسده ومن ملابسه ومما بقى من ملامح وجهه، ربما
يتغير ذلك ويتبدل وربما يختلط بغيره

لكن ابداء روح الانسان لا تتغير ولا تتبدل

ايقت به من روحه التي انقذت روحها

فهى لا تخطيء من احبته ابداء

هرولت سارعت تعثرت سقطت على الأرض ولكنها قامت مجددا

رأت وجهه كادت تسقط على الأرض مجددا ولكنها تماسكت او هكذا بدا

عليها

عيناه جاحظتان وصدره ملطخ بالدماء، توقف نبضه وتوقف قلبه ولكن قبل

ان يتوقفا تماما نظر الي وجهها وابتسم ولكنه لم ينفث ببنت شفاة، فقد قضى نحبه

وانتهى اجله وصار جزءا من احداث يوم لن يطوى صفحته الزمان

ضمته الى صدرها بقوة وحملت رأسه بين ذراعيها ولم تأبه للدماء التي غيرت

وبدلت لون ملابسها

احتضنته بقوة وكأنها تحتضن وطنا كاملا وحبا ضائعا وسعادة غائبة





ضمته اليها كأنها تضم جزءا من أعضائها وكأنها تحتضن قلبها وروحها
بكت

صرخت

استمرت في البكاء والصراخ

ومضى الوقت ببطء شديد وادخنة ولهب وخراطيش ورصاص وهرج ومرج
وموت وحياة يسيطرون على الميدان ويسطرون بالدماء ملا تدونه الأقلام وما
يعجز الخبر عن خطه وعن رسمه

والوقت يمضي الى حيث لا أحد يعلم متى وكيف ينتهى كل ذلك؟



عينان جاحظتان ورؤس عليها الطير وعرق يتصبب في برد الشتاء وصمت
مطبق على المكان وخوف وقلق، هذا ما بدى على حمدي وابويه واخوته
حتى كسر الاب حاجز الصمت وتأفف وتأوه ومن ثم أردف قائلا: انا
خائف او شاكك او متأكد اننا خلاص دخلنا حرب أهلية، خلاص البلد وقعت
ولن تقوم مرة أخرى يا أم حمدي، عليه العوض ومنه العوض وانا لله وانا اليه
راجعون

بكت والدته حمدي وقالت: الله يكون في عون الأمهات الى عيالهم ييموتوا
ولا يقدرّون على فعل قليل أو كثير

الله يكون في عون الرئيس

الله يكون في عون الجيش





الله يَكُون في عون الشرطة

الله يَكُون في عونك يا مصر

بكت والدة حمدي وهى تبكى وتتنحب على ماوصلت اليه الأمور.
لم أخرج عن صمتي وظلت أراقب ردات فعل الجميع، ولكنى لم أعد يلوى
على احد ولم أعد أُلوى على شيء ما.
لم أقل أى شيء

ولكنى ذهبت الى غرفتي، واغلق بابى دونه
لم أفكر كثيرا كما اعتدت دائما ولكنى فتحت خزانة ملابسى واخرجت منها
ملابس سوداء قاتمة وفتحت بابى وهممت بالخروج من المنزل ولكن أبأى رأى
ذلك فنهض من فوره وامسك بى من ذراعى وسألنى وهو يعرف الإجابة مسبقا
الى أين يا حمدي؟

تمت بصوت لم أسمعته حنينفسى، (الى الميدان)
ارفع صوتك يا حمدي فأنا لا أسمعك
الى التحرير يا والدى
الى التحرير لتفعل أى شيء؟
لكى أعيش صح أو اموت صح

انت غبي ولا تفهم، لعلك تكون فاهم ان الى ييموتوا دول شهداء، لا اصحى
وفوق دول مش شهداء ابدا
انها فتنه

يعنى القاتل والمقتول في النار





وانا لا أريدك قاتل أو مقتول يا بنى
انا اريدك على قيد الحياة متنعما برغد العيش
احنا جهادك احنا وطنك احنا بيتك احنا حياتك احنا موتك احنا كل حاجه
احنا مصر يا حمدى
لم أنطق بأى كلمة ولم أبد اى علامة من علامات التأثر وهممت ماضيا في
طريقي حتى وقفت والدتى حائلا بينى وبين الباب وقالت بدموعها ليس بلسانها
لن تخرج يا حمدى من الباب ابدا
اقتلني قبل أن تخرج
واعرف يا بنى إذا خرجت انت من الباب ستخرج روحى قبلك من الشباك
وجثت على ركبتيها وقبلت قدمي حتى بللت دموعها حذائي
ابنى لا تتركنى يا بنى
ارجوك
بكيت أيضا وجثوت على ركبتي وقبلت قدم امى وابي
ووعدتهم بعدم المغادرة، ثم أويت الى غرفتى وأوصدت بابى دونى
والقيت بجسدى على سريري لكى أفكر وقد اعتاد ان يفعل ذلك دائما
سأذهب، نعم سأذهب لا محالة
ماهى فائدة الحياة
كم هي بائسة مملة، عديمة الجدوى
سأذهب لأننى أحببت الموت كما أحببت الحياة





نعم لا احب ان أكون قاتلا او قتيلا
نعم لا املك إرادة القتل والدمار
لكنى املك إرادة التغيير
املك حكمة ومنطقا ولسانا قد يفيدان
غير انى طبيب
اننى اعرف انى لا اعرف في الطب قليلا او كثير
ولكن يمكننى المساعدة
بالكلمة او بتضميد جراح جريح
او بالهتاف
او اساعد بروحى لا قدمها فدائا للجميع
فدائا لابى وامى واخوتى
وبلدى
ونفسي قبل كل شيء

نهضت من فورى، وخرجت من بيتى امام ابي وامى اللذين لم يبرحا مكانهما
هذه المرة وقد استسلما تماما لرغبة ابنهما وفلذة كبدهما، شد الرجل على معصم
زوجته وقال لها وهو لا يعنى شيئا مما يقول ولكن استبد به اليأس واعتصر قلبه
الخوف والحزن
اتركيه يمضي الى قدره





خرجت من بيتى وكأنه رمضان في وقت الإفطار، لا أحد في الشوارع الا التراب والهواء واعمدة الإنارة والمتاجر مغلقة وابواب البيوت مغلقة وكل شيء مغلق حتى انوار المنازل وكأن الناس هجرت بيوتها وصارت اطلالا

لم أعدم حيلة في الدخول الى الميدان فقد دخلت اليه والشمس تميل للغروب ولم يبق في الميدان خلق كثير بل هم بضعة الاف، ورأيت الميدان وكأننى مررت على اطلال معركة من معارك العصور الوسطى او الحرب العالمية، حجارة وحصى في كل مكان واثار دماء وواجهات محلات ومبانى غريبة بها الكثير من الحطام، تمر في كل مكان وخطوات وجلبة في كل مكان وتراب وادخنة وعثرة في كل خطوة أخطوها وخيام في منتصف اطراف الميدان ووجوه محملة بالتعب والوصب والبعض ملثم والآخر يضع على رأسه ما يشبه الحلة او ما كان يرتديه الفرسان في العصور الغابرة وكمامات على الأوجه وقطع زجاج على الأرض وقطع قماش وملابس رثة قديمة وبالية ورائحة جاز وغاز وخراطيش على الأرض وتجمعات وتكتلات من الشباب لعمل متاريس لتأمين الميدان من كل مداخله وخلع أبواب المتاجر وعمل حوائط صد في كل بقعة متوترة حرجة ولا سيما بالقرب من ميدان الشهيد عبد المنعم رياض والمتحف المصرى واكوام الحجارة كالأهرمات والتهتافات الحماسية تلهب المشاعر والقلوب وتطير العقول، ربما لم أشعر بالراحة لأننى لم أَلَف ذلك على اى حال

بحثت عن حسين لعلى أهتدى اليه وأراه بخير، فأنا أعرف انه موجود وانه لن يبرح الميدان حتى يتم امره او يهلك دونه؟ بحثت عن سبعة الاف عام من





الحضارة، بحثت عن غد أرجوه او شهادة تدننى من ربي أو وطنى او تنهى القلق والتوتر الذى يصاحب حياتى منذ ان ابصرت العالم في يومى الأول، بحثت أيضا عن المستشفى الميدانى فرأيتها من بعيد وذهبت اليها وانا اقول: هنا سيكون اول عهدى بالطب واخشي ان يكون اخر عهدى بالحياة



رأيت أمل وهى حزينة مهمومة ومستمرة في بكاء ونحيب لا ينتهيان، رايتها ولم تكن على سابق عهدها من الجمال والندرة والابهة والاشراق وحب الحياة بل قد بدا عليها الهلاك والاشراف على الموت ولكننى فرحت وشعرت بوغزة الحب تعتمل في قلبى ولأول مرة في حياتى ولم أكن أعرف الحب قبل اليوم ولم أكن أوّمن به ابدا وكنت أقسم اننى لن أوّمن به حتما، شعرت به بناره وثلجه وبرده ودفعه وحره وامانه وجماله، شعرت به أخيرا ولكن مع فتاة لا أعرف عنها الا مظهرها الخارجى الذى هالنى في رونقه وهالنى صدقه في حزنه، فهى هى أمل هذه المرة وبعد خمسة أيام من الرؤية الأولى لها وقد حفرت الدموع لديها الخنادق واسمرت وجنتيها وابيضت عيناها من الحزن وغيرت الدماء المخضوبة بها ملابسها وايديها مظهرها الخارجى تماما فلم أعد أعرف اى لون ترتدى هذه الفتاة واى لون لعينين جميلتين غيرهما الحزن ولكنه لم يفت في جماله ابدا، فقد كانت عيناها صادقة في الحزن وصادقة في الفرح، وما اشد احتياج قلبي للصدق

وما اشد احتياجه الى شخص حقيقي يفرح بصدق ويحزن بصدق، وقد كانت أمل كذلك، انسته كل شيء مجددا وهو يهيم تأملا في ميدان وجهها وثورة





انوثنها وانسانيتها وعبير بسمتها وعدوبة دموعها وجمال سرها وعلنها وقوتها التي
تبدوا عليها حتى في لحظات جزعها.

تقدمت اليها ولكنى لم أشأ ان أبدا معها حديثا فقد كنت أجيد جميع أنواع
الحديث الا الحديث مع النساء

وهى ليست كأي امرأة، انها من عشقها منذ الوهلة الأولى
اقتربت واقتربت، وقررت ان أراقبها من بعيد دون ان أبدا حديثا خوفا من
صدها الى وحتى أترك الامر للقدر يصرفه كما يشاء فأنا دائما أثق في حكمة الله،
كنت على بعد مترين منها وأنا أراقب دموعها وأود لو أننى كنت منديلا ليجفف
هذه الدموع او اننى أستطيع ان أمد يديالى عينيها وأمسخ دمعاتها او أضممها الى
صدرى فتتوقف عن البكاء او أبدا أنا في البكاء على صدر من أحب، لكم أتمنى ان
استطيع الاقتراب ولكم اتمنى ان اقضي عمري كله الى جوار هذه الفتاة سمراء
النيل جميلة المحيا وارفة الخضر نضرة القلب والنظرة، وكنت مخدرا في نظرى
ومراقبتى لها وكأن الزمان قد توقف الان وأنا أبتهل الى الله ان تكف عن الدمع
وان تبدا البسمات والنسمات، فقلبي ينفطر لرؤياها تبكى او لرؤياها حزينة.



يد على كتفى الايسر أعرفها جيدا، لم أكد ألتفت حتى وجدت حسين وقبل
ان ينطق احدنا بكلمة جذب كل منا الاخر الى صدره ووضع قبلة على وجنته
وجبينه وكتفه وقلت مبتهجا او محاولا ان أبدوا كذلك: كنت على يقين يا صديقي
أننى سأجرك فى الميدان شاهرا سلاحك ممتطيا جوادك ولكنى دعوت الله دائما ان





تكون بخير ولم يصبك مكروه

- سبحان الله يا حمدي أنا على النقيض منك تماما، فلم أتوقع ابدا ان اجدك
في الميدان خاصتا في ايام عصيبة كتلك ولكنك يا حمدي لاتزال بخير ولايزال
حس الوطن نابضا في قلبك وعاليا في صوتك
- اخبرني يا حسين ماجرى لك في الميدان من الصرخة الاولى للحرية حتى
اليوم؟

- لا وقت للحديث والقصص الآن فالوقت وقت العمل والكفاح وربما
غدا نكتب ماجرى في كتاب فالنكمل المشوار حتى خط النهاية، كل شيء يا حمدي
يبدأ من هنا وكتابة سبعة الاف عام جديد قد تبدأ اليوم أو بدأت من ايام قلائل.
- الحضارة يا حمدي ليست في الطوب والحجارة، الحضارة في الناس
والتراث في قلوبهم والتاريخ على جلودهم والامبراطوريه والدوله هي أنفاسهم
ونبضهم وجماعهم

- هنا يا حمدي هنا كل شيء

- هنا بدا كل شيء يا حمدي ويجب الا ينتهى هنا

- هنا نستطيع ان نكتب كتابا جديدا في تاريخ البشر، هنا المصرى امام نفسه
اما ان يكون اهلا للحياة او يكون حطاما للموت

- لم اشعر بالسعادة كما شعرت بها هنا ولا الحزن أيضا عرفته قبل ان تطيء
قدمي هذا المكان

قاطعته وقد حاولت ان أخفى دمعات قد لمعت في عيني، انا ايضا اشعر بما





تشعر به ولكنى لا اجيد التعبير مثلك

- ربت حسين على كتفى وقال: لنرتح قليلا الان ولنأكل شيئا

- ابتدرته بالسؤال: كيف حال كنتاكي هنا واللحوم والكباب؟

ابتسم حسين وقد كان نسي البسمة وقال ناكل من خيرات الله الكباب
والكفتة الى مالين المكان ومالين البطون وبنشرب ميه معدنيه او ويسكى
وشمبانيا ثم أضاف:

انا ماكلتش من ثلاث أيام غير شوية جنبه وتمر وعيش حاف. ثم تسائل:
كيف يتناقل الاعلام ثورتنا يا حمدى؟

وضعت اصبعى على شفتي ومررته يمينا ويسارا ثم حككت بإبهامى ماين
حواجبى ثم قلت: كل يغنى على ليله

التلفزيون الحكومى يصور النيل ويقول ان الناس في الميدان هؤلاء مجرد
اخوان وعملاء و قلة مندسة وخونة ومرترقة

والقنوات الفضائية مصورة ان مصر احترقت تماما
والفضائيات العالمية تقول ان مصر فيها حرب اهليه.

- ولكن ما رأى الناس خارج الميدان؟

المصريين خارج الميدان كل امريء منهم بما كسب رهين.

يعنى كل واحد ورأيه، بس كله خايف وقلق ومتقرب والجميع يدعوا
بالسلامة للجميع، الناس وهى قاعدة تحت بيوتها ومولعه نار تتدفى بيها وهما
متكاتفين ومتالفين خلونى أتمنى ان كل الأيام تكون كده وكل الأوقات تكون





اعصب من كده.

انها ولادة متعثرة يا صديقى

نعم انها ولادة، ولادة وطن



البرد قارص هذا المساء والظلام حالك ولكن لهب المولوتوف يرفع الحرارة
ولهيب النيران ينير كل مكان، مولوتوف من كل جانب من اعلى العمارات من
الشوارع والحارات من اعلى كوبرى أكتوبر وحجارة كأنها حجارة من سجليل
تتدافع في كل اتجاه الى اعلى والى اسفل والى كل جانب وبعض أصوات الرصاص،
والناس في الميدان عددهم لا يتجاوز الألف هذا المساء العصيب، ولم تبرح امل
مكانها ولم تجف دموعها ولكنها انتقلت من مصاب الى جريح وتهافتت الى العمل
كما يتهافت الفراش على النار، وتمنت ان تنتهى هذه الأيام العصيبة بأقصى سرعة
او ينتهى العمر اسرع، واستمعت الى حسين وهو يتحدث الى حمدي بنبرة حماسية
لا تخلو من الغضب والضجر:

لقد سئمت وجودى في الصفوف الخلفية في هذه العيادة البدائية
ترى يا حمدي ايها افضل لنصرة قضية، ان تحمل سلاحا تخرق به صفوف
اعدائك، او تحمل مطهرا لتجفيف الم زملائك؟
ايها افضل انتظار الموت او الذهاب اليه؟
انتظار فرصة عظيمة لغد افضل، او الذهاب الى هذا الغد؟
لا اطيق الانتظار، لا احسن الصبر





سأنطلق يا حمدي الى المتاريس الموجودة عند ميدان الشهيد عبد المنعم
رياض، ربما التقيه قبل الصباح.

انتظر هنا يا حمدي فسوف تكون طبيبا ماهرا.

هل جنت يا حسين، حقا انك مجنون

انت لا تجيد استخدام السلاح ولا تعرف الضرب والركل والقاء المولوتوف
والحجارة كما ان كف يديك

ووجودك في المستشفى الميداني اشرف واغلى

وكل واحد يخدم وطنه وقضيته بما يفهم وما يعرف

ولو خرجنا جميعا وتركنا المستشفى من سيداوي الجراح ومن يمسح

الرؤوس ومن يبعد عن الناس شبح الموت؟

انت لست جيفارا يا حسين

ومصر ليست كوبا

ونحن لسنا في حرب يا حسين

عليك أن تدرك دائما أننا ليست حرب

ومن يضربنا أو يعاديننا في الرأي هؤلاء مثلنا تماما وكما انهم ليسوا اصحاب

حق في ضربنا نحن ايضا لسنا اصحاب حق في ضربهم او ركلهم، لابد ان يعتدل

ميزان العدل يا رفيق ولا تميل الكفة لفريق على الآخر.

استمعت امل الى الحوار جيدا ونظرت الى وجه حسين وقالت كم هو فارس

نبيل ولم تلق بالا لأى كلمة تلفظ بها حمدي وكأنه لم يقل شيئا او كأنه لم يكن





موجودا.

التفت حسين الى حمدي وضحك بسخرية وقال: اذكرنى عند مصر يا حمدي،
اذكرنى لا ولادك واحفادك، فإن مكانى ليس هنا
وانطلق حسين وانطلق حمدي خلفه ولكن وابلا من الرصاص والزجاج
والحجارة صدهم عن التقدم ولكن حسين تقدم وتقدم حتى اختفى عن انظار
حمدي، الذى عاد الى المستشفى الميدانى يعرض على أصابعه من الندم انه لم يستطع
ان يحمي صديقه ومثله الأعلى من الاشراف على خطر الموت، او الإصابة البالغة،
وتسائل في دهشة: هل يمكن ان يموت حسين؟!
هل هذا الوطن يستحق الموت من اجله؟!
هل يكون حسين شهيد؟!
لماذا لا اذهب والقي الحجارة مع حسين؟
وهل يجب ان يموت حسين ولماذا يموت فالكل يلقي بالحجارة والقليل
فقط يموت

هل انا أخاف الموت، اننى اشعر بالبرد الشديد، اننى اشعر بالخوف، يا الهي
لماذا جئت الى هذا المكان الموحش المقفر، فليتهى كل هذا فليتهى كل هذا
وجلست على الأرض في زاوية في المستشفى الميدانى أنتظر الصباح حتى
أرحل وأنتظر حسين حتى أشعر بالأمان وأنتظر دفء الشمس وأنتظر المجهول
الذى لا أعرفه، وغفوت ورحت في نوم ولكننى افقت على صوت بكاء امل وهى
تجثو على ركبتيه وتكاد ان تحثوا التراب على رأسها وترتعد فرائصها من خوف
وهلع وينخلع قلبها من الحزن واصوات الأطباء لم يفهم منها الكثير ولكن وقتنا





قليلا مضي حتى ادركت ان احد الأطباء او المساعدين قد أصيب وربما اصابته
مميته وربما يكون حسين

لا ابدا لن يكون حسين
ياألهى خيب ظنى ولا تجعله حسين
ما ذا افعل ان كان حسين
ابدا ابدا ابدا لن يكون هو

وتقدمت وكأن قدمي ليستا قدمي وجبني يندى بالعرق بعد ان كان البرد
يرعد فرائصي وضربات قلبي يسمعها الجميع، ولم أكد أشتم رائحة صاحبي
الذكية وأبصر وجهه حتى انهارت قواى تماما وسقطت على صديقى وصرخت
صرخة سمعها الرئيس وهو يجلس في قصره المنيف يتابع انباء هذه الثورة او
التظاهرة او المؤامرة، ولا عجب ان تكون صرختى قد اسمعت من في القبور،
اختلفت دموعى بدماء حسين وجذبتة الى صدرى ودفعته وجذبتة وخبطته في
وجهه وصدره

اجب

قل شيئا

اخبرنى انك لا زلت على قيد الحياة
اخبرنى انك ستكون اعظم مواطن في هذه البلاد
اخبرنى انك ستكون اعظم طبيب
اخبرنى ان قلبك لا يزال ينبض





وان رأيتك يندفع فيهما الهواء
اخبرنى ان عقلك لا يزال يفكر
وان جلدك يشعر
وان روحك لا تزال موجودة في هذا العالم
اجبنى يا حسين اجبنى
من يحمل عنى همى؟
من يكن لى مثلا اعلى؟
من يحمل هذا الوطن على راحت كفيه؟
من يكون ضميرى وضميرا لهؤلاء؟
من يحب مصر اكثر منك
اخبرنى من قتلك
ولما قتلك
وبما قتلك
وصرخت وصرخت واخذت أقول فيما كان كل ذلك فيما كان كل ذلك
لماذا يموت حسين برصاصة في قلبه، وقد احب قلبه مصر كثيرا



ثلاثة أيام مرت على هذا اليوم وهذه الليلة وقد وارى حسين التراب
وصارت روحه بين يدى خالقه، وأنا لم أبرح الميدان واقسمت اننى لن أبرحه
حتى يتم ما أردت وما أراد حسين وما يريده هؤلاء جميعا ولن يزحزح قدمي عن





هذه الغاية سوى الموت، ثلاثة أيام لا طعام ولا شراب ولا نوم ولا حتى أعرف شيئاً عن اهلى فقط أجلس في مكانى أراقب كل ما يحدث حولى ولا أحرك ساكنا الا اذا كان اشتباك او تدافع أكن في مقدمة الصفوف في الكر وآخر الصفوف في الفر....

ما هذا يا الهى أصبحت زاهدا في الحياة زاهدا في الطعام والشراب حتى زاهدا في الموت، لم اشعر بهذه المشاعر سابقا، اننى حقا اشعر بللا شيء اللا شيء نعم لا شيء يستحق اى شيء، لا افكر لا ادرك لا اهتدى لزمان او مكان او اشخاص ولا حتى اعرف ماذا افعل الان او ماذا يجب ان افعل ولكنى سأبقى هنا حتى بعد ان يرحل الجميع سأبقى هنا لأبكى على جزء منى اخذه الزمان وطواه عنى في عالم غير العالم، ترى من منا توفي يا حسين؟
انه قطعاً انا لا انت

انت ارتقيت شهيدا عند ربك
اما انا فانا اموت بين الناس على الأرض
انت خدمت وطنك ولفظت انفاسك من اجله
اما انا فانا لا اعرف متى سأموت ولا كيف سأموت
انت صادق في حبك لبلدك وقضيت نحبك من اجله
اما انا فانا كاذب في كل مشاعرى وأفكارى في حبى وفي كرهى وفي حديثى
وفي صمتى

في كل ما يدور داخلى وما يعتمل فى صدرى





ترى من تنتهى حياته؟ هل هو من مات فداء لرسالته او من بقي حيا دونما رسالة او هدف.

حقا قول الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميتة الاحياء

يارب اقبل حسين شهيدا وادخله برحمتك في عبادك الصالحين.

نهضت من ثباتى كأنها بعثت كما بعث أصحاب الكهف او من بعث يوم القيامة من الموت واخذت أتفقد الوجوه لعل أحداً يأخذ بيدي الى الغاية المنشودة او يساعدننى على ما أقوم به لعل صفحتى تمتليء بشيء مما مليء به رفيقى الشهيد وعائه سابقا

نادانى رجل كبير بصوت قوى ضخيم وكأنه صوت من السماء، يا حمدى يا

حمدى

التفت الى مصدر الصوت، فإذا به رجل وقور ذو جسد رياضي طويل القامة قوى البنيان ذو شعر بين الأسود والأبيض ويميل الى الرمادى لا توجد به شعرة بيضاء خالصة ولا سوداء خالصة وجهه مستدير وحواجبه كثيفه وجبهته خميرية اللون يرتدى ملابس تعرف من خلالها انه ميسور الحال وربما قد يكون غنيا جدا لم يمهلنى هذا الرجل أن أسأله عما يريد، فبادرنى قائلا:

أبحث عنك من أيام من ساعة رؤياك تتحب على صديقم الشهيد فى ليلة العرس الى الجنة، لكى اعزيك وأواسيك فى بطل قلما رأيت مثله او سمعت به، ثم تابع شد حيلك والبقاء لله





- شكرا لحضرتك

وقبل ان أهم بالانصراف، ربت الرجل على كتفى وقال في اباء وفخر

انا: ذكى حسين رضا

٦٧ سنة ومن اهل الميدان

انا مدرس فيزياء على المعاش ساكن في المهندسين

عندى ٣ أولاد واحد اكبر منك وواحد من دورك وواحد يمكن اصغر

شويه كلهم كويسين وبصحة كويسه

انا مرتاح ماديا ويمكن أكون غنى كمان

وارث شويه وشغل شويه وسفر في الخليج شويه

معنديش اى مشكله في حياتى على الاطلاق

صحة ومال وتعليم

يعنى كله كويس

بس كان لازم انزل الميدان يابنى، رغم ان كل حاجه في حياتى كويسه

ويمكن معنديش الصراعات الى جواك وجوه جيلك

ولا عندى مشاكل الناس الطيبين الفقرا ولا مشاكل مع الحكومة والنظام كله

تعرف كمان انا مش ليبرالى ولا علمانى ولا اخوانى ولا سلفى ولا ليا في

السياسة خالص

زبي زي اكثر الناس اقرا الاخبار وحل الكلمات المتقاطعه





واشجع الاهلى والمنتخب

بصوم بس في رمضان وبصلي الجمعة في المسجد الكبير

بنام بالليل كويس ومش قلقان ولا شاييل هم بكره

بس تعرف ايه اللى نزلنى الميدان؟

حرب أكتوبر ١٩٧٣ انا حاربت في حرب أكتوبر في العاشر من رمضان

وعبرت مع اللى عبروا وهتفت وكبرت وجريت في كل شبر من سينا عشان

احررها من كل عدو ليها وعدو للوطن شيلت جرحى ودفنت شهدا صوبت

سلاحى للعدو وكان صدرى مفتوح دايا للموت

وانتصرنا في الحرب

انتصرنا وبس

وهنا انتهى كل شيء

كنا ليه بنحرر وطننا

مش عشان العيش والحرية والعدالة الاجتماعيه

مش عشان نبقى دولة قوية وتهتم بالعلم والايمان والعمل والاجتهاد

حاربت عشان العيانيين في المستشفيات والأطفال في المدارس والشباب في

الجامعات عشان الصحرا اللى كان لازم تخضر والمصانع اللى كان لازم تتبنى

حاربت عشان كان عندى امل نكون اقوى من عدونا مش بس في الحرب

لا لا يابنى نكون اقوى في الحياة وفي الحب، كان نفسي نكون دولة قوية





وعظيمة ونرجع حضارة غطاها التراب

انا هنا عشان ازيح التراب عن المواطن المصري الى بقي كأنه قطعة من
الاثار

انا هنا عشان نفسي في بلد اقوى واعظم بلد ديموقراطى اقدر فيها اصرخ
واعيط واضحك وأقول رأيي بمنتهى الحرية ومبقاش خاين او عميل او مجنون
ومعتوه وعشان عندي امل زى ما عبرنا في الحرب وحررنا بلدنا من الاحتلال
نحرر المصريين من الخوف والجهل والمرض
الدهشة والصمت الرهيب تملكا من جسدى وشعرت ان دمائنا جديدة تسبح
في شرايينه ونبضا جديدا في قلبه

شكرت الرجل ووعدته ان لا أياس ابدا وان أستمر في عملي لبلدى لطالما
داخلي قلب ينبض بالحب ورئة تتنفس نسيم الحرية وامل في انسجته وخلاياه
انصرفت هائما على وجهي تارة أهتف وتارة أقف وتارة أجلس وتارة أستمع
الى خطباء المنصات وتارة أغنى مع من يغنى

ارفع راسك فوق انت مصرى

وأهتف

ارحل يعنى امشي

يا رئيس يا طيار الطيارة في المطار

والأيام تمضي ويتقلب الليل والنهار وأنا ثابت رابط الجأش رابض في الميدان





الذى يزداد عليه التوافد ما بين مؤيد ومتفرج كأنها هو ذاهب الى متحف مفتوح،
أراقب كل ذلك، نعم أراقبه عن كثب.

وأسير وأنتقل ما بين الجموع وأستمع الى كل تجمع بغية ان أتعرف على
أصدقاء جدد او من ينير طريق اسير فيه او من يزرع فيى امل او حتى ان أجد امل
وأتحسس طريقى بين اكوام البشر المتلاطمة وامواجهم الهادرة.





لقاء امل.....وجبهة الرحيل

انتصف النهار في يوم الخميس العاشر من فبراير لعام ٢٠١١ وتأهبت امل لدخول الميدان كما اعتادت منذ اندلاع الثورة وهى تطير بجناحين لا تسير على قدمين وتمنى نفسها بساعة نصر حاسم سيأتى لا محالة ودون شك سيأتى اليوم او غدا او بعد غد، وبعد انتصار الوطن سيأتى لا محالة انتصار الحب، ذهبت وهى ترى ان الألوان زاهية والشمس ساطعة ونسائم عليلة تقتحم رثيها الصغيرتين، ذهبت وهى ترتدى اجمل ثيابها وقالت ربما يعانق اليوم وطنى فتى أحلامه ربما اليوم يزف الوطن الى فارسه ذي الجواد الأبيض وبعد ان تنتهى محنة وطنى تنتهى دون ادنى شك محتتى مع الحياة فكما سيجد الوطن إنفراجه ساجد انا انفراجى وسأجد من يحنو على ومن يحبني حقاً ومن يضمنى الى صدره ويربت على كتفي ويقبل جبيني وجبهتي ويداعب بأنامله الذهبية خصلات شعري، نعم انا أيضا سأجد من احب بعد ان يجد الوطن من يحب، انا سأجد الحرية والعدالة الاجتماعية وحينما يرحل الرئيس سارحل انا أيضا الى السعادة ويرحل همى وغمى وبشي وحزنى وشقائى الى الابد.

نعم انا امل، صار عندى امل



ما هذا اليوم الغريب، اشعر ان الانفراجه تقترب وان ذهابى الى اهلى في المنزل يقترب رويدا رويدا وان عرق العمل سيبدأ قبل ان تجف دماء الثورة





لن انساك يا حسين، ستكون معى ابد الدهر تهدينى الى ماكنت تحب لبلدك
وللعالم اجمع، وعقلى في تأملاته وذكرياته ودموعه في عينيه التي تتحرك يمينا
ويسارا ليستلهم القوة والصبر والثبات من المتظاهرين في الميدان، اذ وقع بصره
على امل وماكادت لتخطئها عيناه وما كاد يجاوزها قلبه فهي رغم الحزن مصدرا
للسعادة ومصباحا منيرا لطريق الغيوم الذى بدا ولن ينتهى ابدا بل ربما تجلب له
سعادة تهشم شقائه وتصنع له حسا جديدا وتصنع له بسمه جديدة، رآها عقلى
كفراشة تحلق بين الزهور والغصون واستنشقتها نسمة عليله ملئت صدره بهواء
الحب وعبرات العشق الذى لم أختبره مطلقا ولم أكن يريد ان أختبره سابقا
واستجمعت قواى وقررت أخيرا ان أتحدث اليها نعم سأحدث اليها وليكن ما
يكن

سأتحدث اليها وكأننى مت ودخلت الجنة وسأتحدث مع حور العين
سأتحدث اليها وربما يتعلم لسانى النطق من جديد
تقدمت اليها وتقدمتوقد كان الميدان يغص بالبشر ولكننى وجدت طريقا
اليها وقبل ان أفتح فمى بكلمة اختفت عن بصرى وراحت وسط الزحام.
احنيت رأسى وعضضت على نواجذى ندما وقلت يبدوا ان الحب سينتهى
قبل ان يبدوا واختفيت انا أيضا وسط جموع البشر، حل الليل وتأهبت المنصات
لإذاعة خطاب هام من السيد رئيس الجمهورية والجميع يتسائل وقد بدأ الصبر
ينتهى:

سيرحل اليوم





سيرحل غدا

لا لن يرحل ابدا

هل سيهرب كالرئيس التونسي

هل سيدك الميدان بالطائرات

هل سيناور وسيكسب الوقت

تكاثرت الأسئلة في انتظار الجواب

وقبل ان يتحدث الرئيس صدر قرار من المجلس الأعلى للقوات المسلحة وهو البيان رقم واحد والذي يفيد ان المجلس منعقد وانه مستمر في الإنعقاد لمراقبة الأزمة عن كثب ومتابعة ما يحدث لوطننا العزيز في هذا الظرف الدقيق وأذاعت الشاشات صورا ملتقطة للمجلس الذي غاب عنه الرئيس وهنا تجمدت عيناى وتحجرت مكانهما، هل رحل الرجل وانتهى كل شيء وعقدوا اجتماعا دونه، وهل سيتنحى اليوم وماذا سيقول وماذا سيحدث غدا هل اقتربت نهاية لكل هذا وهل اقتربت نهاية الرئيس وهل انتهى عهد الظلم واستبداد أم انتهى الوطن بأسره

اووووووووووف لقد مللت التفكير

ووو قاطعنى صوتها نعم انه صوتها

انها رائحتها

انه وقع اقدامها





انه نفسها

نعم انه هوائها الجميل الذى يقترب ويدفئنى

نعم خفقات قلبى تشعر بها

و اذهلنى سؤالها، تفتكر الرئيس هيرحل النهارده يا حمدى؟

التفت

تلعثمت

احمر وجهى

تصببت عرقا

صمت وحاولت ان أتكلم ولكنى تلعثمت مجددا فصمت

ثم لاحظت امل ما بدا على من التوتر والقلق وشعرت بما انا عليه من

التخبط

رتبت على كتفى وشعرت برعشة غريبة وهزة تسير فى كل خلايا جسدى

وكانها صعقنى تيار كهربى أو أصابنى مس من عالم اخر

وددت لو انى قبلت يدها، واحتضنتها الى صدرى وبكيت او صمت

شعرت ان يدها ليست كأيدى البشر، انها يد من عالم الحور

واستمر صمتى واستمر

حتى ارخت يدها عن كتفى وقالت وهى تواسينى: شد حيلك يا حمدى،

البقاء الله فى حسين صاحبك ربنا يرحمه ويرحمنا جميعا ويجعل مثواه الجنة





- بدت على وجهى كل علامات البلاء، حينما حاولت متصنعا ان ابدوا
مندهشا وانا اسألها محاولا ان ابدوا متعجبا، هو حضرتك تعرفينى؟
استمرت في نظرتها الجادة الحزينة وهى تقول:
ايوه انا اسمى امل ممرضة
كنت معاكم في المستشفى الميدانى في يوم الجمل
وسمعت كلام كثير بينك وبين حسين الله يرحمه من غير ما اقصد
صاحبك شاب عظيم وربنا يقبله شهيد
وانت شاب ممتاز، ربنا يصبرك
واضح انك بتحبه كثير، وقليل من يحب بصدق في زماننا الآن
ويا بخته هو بالجنة
مقولتليش، يادكتور حمدى، تفتكر هيرحل؟
كنت استمع اليها وكأنى استمع الى شذو ام كلثوم او سيمفونيات بتهوفن
ونسيت امر الوطن
ونسيت امر حسين
ونسيت نفسي
ومالبت ان عادت الى حكمتى ووقارى او ما بقي لى منها بعد ان افقدنى
رؤيتها كل شيء، واكسبنى قلبا نابضا بالحب والشوق والحياة
فاجبت بهدوء: شكرا ليكى ياميس امل والبقاء لله





الظاهر ان الوطن يختار احبابه ويترك اعدائه
وربنا ييختار الطيبين الى جواره
ربنا يرحم حسين ويسعد في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين

ويارب نلحق بيه على خير ان شاء الله
وانا بصراحه مش عارف هيرحل ولا لا؟
انا كمان مشكلتى اكبر انى من جوايا مبقتش عارف اذا كنت عايزه يرحل ولا
لا

انا خايف من اللى هيحصل بعده
او بصراحه خايف منطلعش اد المسئولية لما نتحط قصاد نفسنا
واستمررت في الحديث واستمرت امل في الاستماع الي ولكن شيئاً عجيباً لم
تشعر به من قبل بدأت امل تشعر به الان

يا الهى ماهذا، اى شاب هذا الذى يجذبني بهذا المغناطيس اليه
ويجذبني الى حديثه ويدفعني الى الإنصات اليه بكل ما أوتيت من قوة و طاقة
ايكون حبا جديدا

لا لا لا وربى ووطنى لن يكون حبا ابداء، لن اسمح لاحد مجددا ان يقتحم
حياتى بمثل هذه الطريقة، سأجعل بينى وبين الحب حائطا منيعا وسدا حصينا لا
يقوى على عبوره الا الأشداء الأقوياء والفرسان الصناديد





ولكن ما اذا افعل بهذا الشعور

وما يكون هذا الشعور الغريب، الذى ليس بشعور حب او عشق ولكنه
شيء اخر

ايكون هذا هو الشعور بالأمان

وما ادرانى انا ما الأمان؟ فهذا الشعور لم اجر به قط في حياتى ولم يتسرب الى
عقلي او قلبي مسبقا

نعم هو الأمان والطمأنينة وراحة البال

وراحت امل تتسائل لماذا لا يكون حمدى هذا هو ابى نعم كنت اريد ان
يكون ابى او اخى او حتى امى

كم هو حكيم وعادل وحانى ومخلص في حبه ومخلص لذكرى صديقه

نظرة عينيه تبعث الدفء كما لو كانت ممزوجة بأشعة شمس في نهار يوم بارد

وانتصاب قامته يدل على عظيم ثقته بنفسه

ونبرة صوته كأنها أصوات اذان او أجراس كنائس او كنغم متناسق يعزف

لحن الهدوء، حقيقتا اريد ان انام على صدر هذا الرجل واغمض عيني لأشعر

بالأمان

لقد جئت الى هذا الميدان لأبحث عن وطن

وأرانى وجدت أبا

مرحي لك يا حمدى او مرحي لك يا أبى، سأكن لك نعم البنت، لذا ارجوك





ومن كل قلبى كن لى نعم الاب

قاطعت تأملاتها: - انا اسف انا ساعات بقول كلام مكلكع وساعات
مبعرفش أتكلم خالص، ياريت أكون قدرت أوصل لحضرتك وجهة نظرى
وارجو انك تفهميها، ولم يكن أعرف ان امل لم تسمع شيئاً مما قلت ولكنها كانت
تأمله كمن ذهب فى رحلة خلوية ليتأمل فى ضفاف النهر ويجلس مبلاا قدميه
ناظرا الى الشمس طامعا فى الدفء او الأمان او لينسى ويتناسى قسوة وظلف
العيش وليسخر من ماضيه وحاضره وليتطلع الى مستقبله ببسمة امل
ابتسمت وقالت: لا ابدا انا مركزه معاك وواضح انك انسان متعلم جدا
وذكى ومثقف، ياريت كل شبابنا زيك انت وحسين

اقولك ياريتنى انا كنت او ابقى زيك فى يوم من الأيام

وقاطعنا هتافات عالية من كل حذب وصوب واهتز الميدان بزلزال الهتاف
وبرقت السماء ورعدت من أصوات المتظاهرين واستمعوا الى بيان الرئيس الذى
لم يأت بأى جديد، كنت أسترق النظر الى امل خلصة وأستمع الى البيان بأذنين
فارغتين من الفهم، فكانت امل هي كل ما يعنينى

او كذلك سولت لى نفسى

وانتهى البيان ولم ينتهى الهتاف والصراخ والسباب واللعان وتزايدت
الاعداد وتوتر الجميع ونظرت امل الى حمدى فى يأس وخوف وعقدت حاجبيها
واصفر وجهها وامتقعت بشرتها وقالت: يعنى ايه الكلام ده؟

أجبت بثقة، يعنى سير حل دون شك





غدا او بعد غد، باللين او العنف، لا امل له في البقاء، كانت هذه اخر صرخة
لرجل ميت لا محالة، تعرفين سيرحل هو او سنرحل جميعا الى عالم اخر
انظري من حولك الى هذه الوجوه التي خلعت قناع اليأس وارتدت قناع
التصميم والتحدى اعتقدي يا امل ان بناء الاهرام قد بعثوا من جديد وهبوا بعد
ثبات عميق

هذا هو الرجل المصرى كما يجب ان يكون، بعد ان نزع عن نفسه اكواما من
تراب واطنانا من صخور، هذا هو الرجل المصرى الذى لم يفت في عضده الزمن
ولم تزده الاحداث الا قوة وثباتا هذه هي المرأة المصرية التي انبتت افضل نبت
وهتفت بأعلى صوت ونزفت دمائا جعلت شوارعنا ومياديننا اذكى الشوارع
والميادين وقدمت روحها لأعلى من تحب، انه الوطن يا امل حيث يتلاشي امامه
كل شيء

ذرفت امل دموعا جديدة وامتزجت بالابتسام فتعجبت وتهكمت:

عياط وضحك، طب ازاي

اجابت في هدوء، دموع الماضي وابتسامات المستقبل

اين كنت أيها الرجل منذ زمن، لماذا لم أرك مسبقا؟

انتشيت فرحت ضحكت صرخت صرخة عالية من غير صوت وشعرت

انها تحبنى أو اننى رقت لها

ولكنها باغتتنى: كان نفسي تكون ابويا او اخويا او على الأقل يكونوا زيك





- الوقت اتاخريا دكتور وانا لازم امشي
 - طب ان هشوفك تانى يا امل؟
 - طول ما الميدان موجود وانت موجود اكيد هتشوفنى
 - طب اوصلك لاي مكان؟
 - متقلقش عليا، انا قردة وهعرف اروح، خليك الميدان محتاجلك اكتر منى،
 وانا كان نفسي ابات بس للأسف مش هينفع
 - طب هشوفك بكرة ان شاء الله
 - ان شاء الله
 واختفت كما اختفت سابقا وسط الجموع ونظرت الى الفضاء ودرت ببصرى
 ودعوت الله ان أراها ثانيا بل ان أراها دائما، وعدت الى الهاتف وكما ان لى حنجرة
 جديدة ويكأننى رجل جديد



نهار جديد، شمس جديدة وربما وطن جديد ولكنه دون شك تاريخ جديد
 حمدا لك يا الهى ان جعلتنى جزءا من هذا التاريخ وجعلتنى من صانعيه
 قلبي يحمذك ان عشق الوطن وعرف ماهو الوطن حقيقتا
 رثتاي تسبحان بحمدك ان قررت لهما ان تستنشقا عبير الحرية
 اليوم سيحدث جديد لا محالة
 سيرحل الرجل





او يدك الميدان

لكن لن ينصرف الناس

ولن تنصرف عنى امل التي وجدتها وتحدثت اليها ولمستها بيدي ولمسنى

كفها

كيف اهلى الان؟

كيف شوارعنا وازقتنا؟

كيف حال وطن ابى الا ان يكون عظيما قوى البأس؟

اه، كم اشتاق الى انتصار الثورة التي ستكون كالثورة الروسية والفرنسية

والإيرانية، بل دون شك ستكون اعظم من كل هذه الثورات

لإن شعبنا اعظم الشعوب

ولم تلبث هذه التأملات الا ان انقلبت الى اصغاء لبيان جديد من القوات

المسلحة كان مفاده ان المجلس الأعلى للقوات المسلحة ينحاز للشعب ويعمل

على تحقيق متطلباته بما لا يتنافى مع الدستور والقانون

سألنى احدهم في اندهاش فور البيان، يعنى ايه يا أستاذ الكلام ده؟

أجبت فى ثقة: يعنى الجيش هيقف معانا، احنا جيشنا عظيم ووطنى وعمره

ما هينصر رئيس على شعب

ابتسم الرجل وفرح وقال: الجيش والشعب ايد واحدة

واهتز الميدان من خلفه

الجيش والشعب ايد واحده





ارحل ارحل ارحل
يا مبارك يا طيار الطيارة في المطار
على القصر رايجين شهداء بالملايين
ومرت الساعات بطيئة كما كانت تمر كلما انتظرت حدثا عظيما في حياتي
الماضية.

طفت في الميدان فوجدت أستاذ ذكى الذى رأيتة سابقا ولكنى وجدته باكيا
منتحبا، فتوجهت اليه واخرجت منديلا ورقيا كان في جيبى وناولته إياه وداعبته
قائلا: اكيد دى دموع فرح يا أستاذ ذكى لان حضرتك متأكد ان الرئيس هيمشي
خلاص

رد بعينين حمراوين وصدر مبلل بالدموع ونظرة جادة ثابتة
-ياحمدي يابنى دى دموع اب ابنه هيتجوز ويسيبه بس هيعيش حياته بعد
كده معتمد على نفسه

ياحمدي يابنى دى دموع فرح زى دموع يوم العبور
ياحمدي زى ما عبرنا في أكتوبر وخلصنا بلدنا من الاحتلال
النهاردة نعبر ونخلي بلدنا تخلص من الظلم وتروح للعدل
ياحمدي يابنى دى دموع على كل شاب وبنت وحتى ضابط شرطة اتوفى في
الثورة

وكل اب وام فقدوا ابنهم
وكل ابن وبنت بيكوا على ابوهم





يا حمدى يابنى دى دموع ببيكيها عشان عينى بعد كده متبكيش وتتفرغ للسهر
والعمل

ياه يا حمدى دى دموع على الماضي ودعاء لربنا ان المستقبل يكون احسن
-قاطعته: ياريتنعدى دم زيك او بفكر زيك، انا كمان هبكى على كل لحظة
محبتش فيها بلدى ومعملتش ليها حاجة عظيمه تستحقها

-انا كمان بيعط على سعد الدين الشاذلى اركان حرب جيشنا العظيم الى
خطط لحرب أكتوبر وكان من اهم ابطالها وعظمائها، اتوفى النهارده ومحدث عرف
ولا اهتم ولا حتى يمكن في حد يعرفه او يسمع عن بطولاته والظلم والنفى الى
حصله واتعرض له.

- انا سمعت عن سعد الدين الشاذلى بس معرفتش عنه كثير، بس اوعدك يا
استاذي انى اقرى واعرف ابطالنا الحقيقيين وانى اجتهد انى أكون واحد منهم
لأهلى وناسي

-الامل فيك وفي الى زيك يا دكتور، مصر امانة مصر تاج متضيعهاش

-انا على العهد يا أستاذ ذكى



اين يمكن ان اجد حمدى وسط هذه الحشود فالميدان اليوم ليس ككل يوم،
أراه عروسا تزينت لتزف على وطن حر، اين حمدى لبيعث في داخل طاقه، اين
حمدى لأرى فيه مستقبلا مشرقا، اين هو ينسينى همى، اين هو اتعلم منه ما





جهلت، اين هو يحملنى على ساعديه ويرفعنى عاليا لأهتف بالحرية، اين هو يهددنى كما لم يهددنى ابى؟

انا دائما كما كنت سريعة التعلق بالرجال، انا اعرف ذلك جيدا، ولكن حمدى ليس رجلا احبه ولكنه أبا اريده سيعالجنى من احتياجى المفرط للحب والاهتمام ويزرع ثقة جديدة في نفسي تمكننى من اختيارات افضل لاحقا، او هكذا احلم وهكذا اريد

لن اتعلق بك يا حمدى

لن احبك

حتى لا تصفعنى الأيام صفقة جديدة فليس في قلبى موضعا لحزن جديد وليس في وجهى موضعا للكلمة الجديدة، سأأخذك يا حمدى قفازا او اواجه به وكزات الحياة، او لن اتخذك اى شيء وتذهب بعيدا عنى وكأنى لم ارك ولم اعرفك.

نعم انا قوية ولن اخسر مجددا مهما حدث



اننى اسجد لله الان وادعوه من قلبى في هذه الصلاة الجامعة في هذا الميدان الطاهر ان يثلج قلوبنا بما يفرحنا، ولكن ما هذه الضجة والصياح اللتين لم اسمع بهما قبلا وما هذا التكبير الذى يعلو بنا الى السماء؟

كنت اعرف ان الرئيس او نائبه سيلقي كلمة اليوم فترى ما ذا حدث

هل فعلها الرجل؟





او حررنا الجيش؟

او انقلب عليه نائبه؟

بحق الله ماذا حدث، أيها الامام ارجوك انتهى سريعا من الصلاة التي
وددت لو اقطعها لكنى لا أستطيع، فضولى يقتلنى وشوقى يدفعنى لمعرفة سر
التهاتف

وسلم الامام وانتهى من صلاة المغرب وكأننى لم اصل غير هذه الصلاة في
حياتى

ارفع رأسك فوق انت مصري

انت واحد من اللى نزلو في الميدان

انت رجعت المصرى بتاع زمان

الجيش والشعب ايد واحدة

الشعب اسقط النظام

الشعب اسقط النظام

اقبلت على امل وهى تضحك وتهرول في مشيتها بل وتعدو وتقفز

خلاص يا حمدى الرئيس مشي الظالم مشي الطاغية مشي

واحنا خلاص اسقطنا النظام

نائب رئيس الجمهورية قال ان الرئيس تخلص عن منصبه وفوض المجلس

الأعلى للقوات المسلحة بإدارة شؤون البلاد، جيشنا العظيم حامينا هو الى





هيحكمنا يا حمدى وهو الى هيخلينا نرفع راسنا لفوق، خلاص ماعدش ظلم او
استبداد او قهر، خلاص بقينا اعظم شعب في العالم وهتبقى بلدنا احسن بلد في
العالم عاوزة ارقص عاوزة افرح عاوزة اغنى عاوزة اطيرو في السما عاوزة أوصل
للسحاب أوصل للنجوم أوصل للملايكة عاوزة اسجد لربنا سجدة طويلة
متخلصش خالص ابدًا مهما حصل واموت وانا ساجدة بحمد ربنا على كل فضله
وكرمه

وهتفت بكل ما اوتيت من طاقة

الجيش والشعب ايد واحد

واخذتنى من يدى كما تمسك ام بطفل صغير لها تعلمه السير على قدمين
وراحت بى لنسلم على افراد القوات المسلحة وتبادل معهم التهاني ونلتقط
صورا تذكارية مع جنودنا البواسل حماة الوطن في كل وقت ونلتقط الصور مع
المدرعات والبدبابات

ضحكنا وفرحنا ومرحنا وهنأنا من عرفناه ومن لم نعرفه

السماء أصبحت حمراء من الألعاب النارية والليزر وضجت منصات الميدان
بالغناء والدعاء والفرح بكل لهجة وكل لون وكل طريقة وانتشر الناس في كل
مكان وعاشت مصر ليلة لم تعش مثلها منذ زمن طويل



احب ان اصطحبك في طريق عودتك الى البيت





لا أريد أن اسبب لك تعباً يا دكتور

تصدقى أول مره اشعر انى دكتور مع انى لم أمارس الطب ولا أعرف حتى
إعطاء الحقن

انت فى أى تخصص؟

انا ماسشتلمتش سنة الامتياز، انا لسه متخرج قبل الثورة على طول
كنت عاوز اتخصص فى الطب النفسى او المخ والاعصاب عشان هموت
واعرف المخ ده بيشغل ازاي، بس بسمع انهم مش لاقين ياكلوا وفقروا وانا بفكر
اتخصص فى حاجه فيها فلوس فانا هتخصص نسا وولادة او عظام او تخدير
وعنايه

ابتسمت وقالت مش باين عليك انك ماذى وبتحب الفلوس
ابتسمت انا أيضا وقلت انا مش بحب الفلوس انا بحب النجاح والفلوس
هي مرادف النجاح فى بلدنا

-انت تقصد مصر الجديدة ولا مصر بتاعت زمان

اجبت وكأن على رأسي الطير، انا اقصد مصر بتاعت كل عصر، على كل حال
ربنا يحب خير

سرت انا وامل حتى ميدان الجيزة ولم نشعر بكلل او ملل او تعب واخبرتها
بأن نستقل سيارة اجرة او حافلة فأجابت بإنها تريد ان تسير معى أطول فترة ممكنة
لأنها تريد ان تحتفل فى كل طريق تسير فيه بذكرى ثورة مجيدة عظيمة خالدة قد لا





تتكرر مرة أخرى وسرنا نتحدث عن مصر وعن امل وعننى وعن الحياة

قلت لها وانا جاد اين تسكنين تحديدا؟

- انا ساكنه في حته انت مش هتعرفها هي شارع جانبي عند ابوو الهول

والبازارات ونزلة السمان

ضحكت بشكل هيسيرى حتى سمع المارة صوتى وتعجبوا من رنين

ضحكاتى، تأسفت لها واخبرتها اننى اعرف هذه المنطقة جيدا لان احد اعز

أصدقائي يقطن في هذا المكان وأننى اعرفه عن ظهر قلب.

وبتشتغلى فين؟ بشتغل في مستشفى في المهندسين ممرضة طواريء وقسم

داخلى، شد حيلك وانا اشوفلك شغل معايا في المستشفى؟

ان شاء الله

بص يا سيدى، انا امل ابويا كان عنده بازار في الهرم وبعدين حالنا اتحددر

وامى ست بيت هي كل حاجه ليا في الدنيا وعندى اتنين اخوات واحد عامل فيها

شيخ واخوان والتانى تلفان ومش بيعمل اى حاجه في الدنيا

وانت يا دكتور؟

انا حمدى لسه متخرج من كلية الطب طازه ابويا رجل محامى وامى ست بيت

ومعنديش اخوات ولاد كلهم بنات وبس ونفسي ربنا يكرمنا بمصر ويكرمنى

ببنت الحلال

وتحدثنا كثيرا حتى تحدثنا في كل شيء





وتبادلنا ارقام هواتفنا وودعنا على مقربة من منزلها

وصافحتها بيدي وقبلت يدي التي صافحتها وانصرفت الى عالم جديد والى
غاية جديدة والى امل منشود جديد



الشوارع مزدحمة، لا مكان لقدم سائر، الكل يطير بجناحيه وكأنها طيور في
اسراب تقابل اسراب تتبادل التهانيء وكأنه يوم عيد، عيد لم يألّفه الناس منذ
زمن، عيد صنعه الناس بسوا عدهم وجماعهم وقلوبهم ولم يصنعه اقدام لاعبي
كرة قدم او فنانيين او اى حد الا المصريين صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانشاهم،
رأيت الناس وكأنى لم ارهم سابقا، تبدلت الوجوه العابثة الى وجوه ضاحكة
مستبشرة وتبدل الخوف امنا والإحباط املا والحزن سعادة، كل شيء سار مختلفا
وكانى أسير في الشارع للمرة الأولى واستنشقت رائحة المصريين عطرا لم استنشقه
قبلا، ياألهى فالتدم الفرحة وليدم الحب والسلام والوحدة بين هؤلاء الناس
لا فرق بين مسلم ومسيحي ولا علمانى ولا اخوانى ولا ليبرالى بل لا احد يسال
عن ذلك ولا احد يريد ان يعرف شيئا من ذلك فقط انت مصري

انت مصري

وهذا يكفي لكى احبك لكى اصافحك لكى أتمنى لك الخير لكى افتح لك
بيتى وقلبي وعقلي لكى تكون منى واكن منك لكى نكون واحدا

نعم واحدا





تأوهت وانا أتمنى ان يدوم ذلك الى أطول فترة ممكنة وتساءلت في شغف لماذا
لا يدوم ذلك الى الابد؟

وصلت الى بيتى ولكن كان الوضع مختلفا عما رايت في كل مكان مررت به في
يومى الذاخر بالاحداث، دخلت بيتى فلم يسلم على احد لم يسلم على ابى لم تلوح
لى امى بتحية الحب كما اعتادت ذلك دائما ولم يتسم اخوتى في وجهى ويحمدون
الله على رجوعى سالما كما كنت أتمنى وكما كنت أتوقع، كانوا في عالم اخر مليء
بالحزن والخوف والترقب، رأيتهم كما لو كانوا في عزاء ونصبوا سرادقا كبيرا
للحزن في ارواحهم وعقولهم وقلوبهم واحشائهم وكل عضو فيهم وكل خلية في
البيت، وكأن ابى مات او امى ماتت او اخوتى ماتوا او كأنى انا مت او كأن بيتنا
احترق او ربما غزا بلادنا معتدى اثم واحتل اوطاننا شيطان رجيم، رأيتهم ثكلى
لايقوون على حراك ويرتدون ملابس سوداء ومتعصبين باغطية رؤوس سوداء
وكانهم اعجاز نخل منقعر، دخلت الى غرفتى وجلست اتفكر فيهم وفيما يجب ان
أقول لهم وكيف اواسيهم واخرجهم مما الم بهم من حزن والم وكيف ابدل اتراحهم
افراحا وكيف اقنعهم بأن ما حدث كان خيرا للجميع وان رحيل الرئيس وسقوط
نظامه وتبدله ما هو الا عين الخير وحق الخير لبلاد مهیضة الجناح كانت مصابة
بالعرج والكساح وان ساعة نصر لاحت في الأفق وان هذا هو أوان الفلاح،
ولكنى أثرت الصمت وان احترم حزنهم فلهم الحق في ذلك فليسوا اعداء للوطن
وليسوا اعداء لى، فقط هم أصحاب رأى مخالف ويجب استيعابهم جميعا وتقبلهم
في مجتمعنا الجديد مجتمع الثورة الذى يقبل الجميع ولا يميز بين مسلم او مسيحي





ولا مدنى ولا عسكرى ولا يمينى ولا يسارى ولا يفرق بين احد ابدا.

نعم هم مصريين أوفياء لرئيس قضي زهاء ثلاثين عاما في سدة الحكم له ماله
وعليه ماعليه وكلنا لنا مالنا وعلينا ما علينا وحسابنا جميعا على الله

تقدمت امى الى بخرى حثيثة وطرقت باب غرقتى ودخلتها ونظرت الى
شذرا وقالت: أنت فرح فخور بنفسك وجيلك من الأطفال اجهزتم على رجل
كبير اكبر من ابائكم وأجدادكم ورجل أرخى على بلادنا الامن والامان

راجل حارب في ٧٣ حتى يحرر البلد التى تأكلون من خيرها
وانت وجيلك شردمة أطفال تأخذون المصروف ولا أحد فيكم حتى يعرف
كيف يحتمل مسؤولية نفسه

مبسوط ان البلد اصبحت فراغ، لاعاد ليها حاكم ولا رابط
مبسوط انك خرجت على طوع امك وابوك ورحت بيتت في الشارع مع
البلطجية والرعاع و الخونة وعملاء ضد الوطن أصحاب اجندات خارجية
ويأكلون من كتناكى وكل واحد فيهم قابض عشان يخرب البلد

البلد الى انتهت وانتهت الى الابد
استمعت اليها ولم يكن كلامها على اذنى بعجيب فأنا اعرف خلجات نفسها
سابقا ولكنى ذهلت من امر كتناكى هذا وامر المال وامر الخراب وامر الاجندات
وسألتها مستنكرا ومتعجبا، انتى جبتى الكلام ده منين؟
انا فضلت في التحرير اكثر من عشر أيام لا اكلت كتناكى





ولا قبضت فلوس

ولا خربت ولا قتلت ولا كسرت ولا اشتغلت جاسوس لأى جهة خارجية
انا نمت على الأرض واتدفيت بنفس الناس وعرقهم واكلت عيش حاف
وملح وزيت وهتفت لمصر وليس لأحد غير مصر

والريس فضل ثلاثين سنة له كثير وعليه كثير ودلوقتى مفيش فلوس مفيش
شغل مفيش قيمة وسط دول العالم مفيش امن ولا امان فى واسطه ومحسوبيه فى
ذل ومهانته وفى سطوة وغشومية رجال اعمال وأصحاب مناصب ومصالح
وشرطة يمسكها الحاكم ليضرب بها خصومه دون حق

وبعدين احنا لو خونة وبلطجية وعملاء، عمر جيشنا العظيم ما كان هيقف
معانا ويحمى ثورتنا المجيدة

بكره حزنك على الريس يروح، اسف اقصد الريس السابق يروح وتشوفى
الحقيقة بعين كاملة احسن مانتي شايفها بنص عين، بكرة الشمس تخلي نظرك
اقوى وانجازات الثورة تنسيكى كل رؤساء الدنيا.

تهكمت امى وادارت ظهرها وسخرت منى قائلة:

-مفيش بكرة يا حمدى، النهاردة كان اخر يوم، وهفكرك

دخل ابى الى الغرفة وطأطأ رأسه وقال فى هدوء اعتاده دائما:

الشباب احق قصير النظر، وسيدفعون بل سندفع جميعا ثمن ذلك غاليا

كم انا سعيد انك عدت سالما ولعل الله ابقاك حتى تعرف بنفسك جرم ما





قدمت انت ومن معك فتندمون جميعا على ذلك ولات ساعة مندم
ادع لمصريا حمدي وأنا سأدعوا لها فالنبتهل جميعا ثم نجعل لعنة الله على
الكاذبين الحمقى الأغبياء الذين اضرروا وسيضرون بالوطن
ورتب على كتف امي وقال لها لا تحزنى
لن يضيعنا الله
لن يخذلنا الجيش
وستقوم الأيام بإظهار الحقائق اياها اظهر
دون شك سيعلم هؤلاء الفتيان اى منقلب ينقلبون
وانا لله وانا اليه راجعون

وخرجا معا من غرفتي واغلقتا الباب دونهما، واسلمت رأسى للوسادة
وجسدى المتعب الى مرقدى، وتمنيت ان يكونوا على خطأ وان أكون على صواب،
وابتهلت ودعوت ان يرحم الله حسين ويرحم شهداء الثورة وان تنتهى من كل
حزن قريبا ولكن هاتفى الجوال اظهر استلام رسالة نصية، وقد كنت منعزلا
منطويا في الفترة الأخيرة وفي اغلب فترات حياتى ولم اعتد ان اتلقى اى رسائل
من اى احد فإذا بها امل وكان نص رسالتها: "مبروك لمصر، تحيا مصر"

قرأتها مرات ومرات حتى كأنى لا اعرف كم عدد المرات التي قرأتها
وترددت ان ابعث لها برسالة واخذ التفكير والتردد يتجولان داخل رأسي تارة
ويلوذان بالفرار من رأسي تارة أخرى حتى وجدتنى امسك بهاتفى واكتب لها





رسالة نصية

"عاد الامل لقلوب غادرها الامل وعادت امل لمصر وعادت مصر الى امل
"لم اعرف لماذا كتبت ذلك تحديدا وما معنى هذه الرسالة غير انى اردت فقط ان
اذكر اسم امل في رسالتى وفى سكوتى وكلامى وان يذكرها قلبى ما حييت



تلقت امل الرسالة ببسمة طفل صغير ربما يتسم للمرة الأولى فى حياته
وضمت الهاتف الى صدرها وقالت حفظك الله يا وطنى حفظك الله يا حمدى
اعنى يا ابى وضمت الهاتف الى صدرها واسلمت عينيها لنوم عميق.





إعادة ترتيب البيئة الكبير

صباح يوم جديد بعد انتقضاء شهر كامل على رحيل الرئيس الاسبق والاحداث لم تهدأ كأنها أمواج بحر او محيط موجة تتلوها موجة وكل موجة تأتي إلا ان تكون اكبر من سابقتها ولا أحد يعرف متى تتوقف الموجات او حتى متى تهدأ ومتى يسكن البحر وتنعس الأسماك، وأقف امام مرأتى أعطر نفسى وقد ارتدى بذته السوداء التي لا أملك غيرها وارتدى قميصا اسودا ورابطة عنق سوداء وأحملق في وجهيفى المرأة ولم أعد مزهوا بنفسى كما اعتدت ذلك سابقا ولكنى أنظر في عيني وفي تقاسيم وجهى ولكنى لا أرى نفسى وإنما أرى عيني حسين ووجه حسين الملطخ في الدماء وروحه التي تفارق جسده واستقرار عينيه واتساع حدقيه وانفاسه السريعة ونبضه الذى يخفت شيئا فشيئا حتى توقف عن النبض ووقفت العينين الى الابد وأخرج ورقة من جيبى وأضغط عليها بيدي ويتاوه ثم يصمت ثم يتاوه وأقول: اه يا صديقى لم يبق منك غير الذكريات وهذه الورقة التي سأتلوها اليوم في حفل تأبينك الذى عقدته لك الجامعة أنت وكل من توفى من أبناء كليتنا وجامعتنا وكل شهداء ثورتنا العظيمة، اطمئن يا صديقى ونم قريبا فلسوف اذكرك اليوم وسأذكرك كل يوم وسأذكرك الى الابد لقد رحل جسدك وبقيت روحك وبقي قلبك ينبض في ضلوعي وبقي ضميرك سراجا يضيء لى عتمة طريق ضميرى، وغالبت دموعى واخذت أمسحها بيدي، حتى دخل الى والدى وقال: رحم الله حسين يا ولدى وغفر له صغر سنه واقدامه على الموت، اذهب يا ولدى واتل ماشئت لصديقك وتذكر ان امجاد الوطن تبني





بالعمل ولا تبني بالموت في مظاهرة او ثورة، اذهب يا ولدى واتشح بالسواد
وابك رفيقك واذهب الى حيث شئت ولكن عد الى وعد سالما.
لم أجب واكملت ارتداء ملابسى ثم انصرفت



اتاخرت عليكى يا امل انا اسف

ابتسمت امل في وجهى وقالت لى بإبتسامة بدت منها اسنانها البيضاء
الجميلة، اتاخرت كثير يا حمدى بس جيت في النهاية وهو ده اهم شيء، انا في
انتظارك منذ دهر كامل.

لم تتحرك مشاعرى وظلت ساكنه وصامته واخبرتها في نبرة حزينة، لقد كان
حسين احب الى من نفسي ومن مقلة عينى والان اودعه بمجرد كلمات لاقيمة لها
ولا توفيه اى حق له، كان اجدر لهذا البطل ميدانا باسمه او مدينة او محطة قطار او
حتى شارع في العاصمة او كتاب، لا بل مجموعة كبيرة من الكتب التي لا تنتهى،
كلنا حسين كما كنا جميعا خالد سعيد من قبل.

توقفت امل عن الإبتسام وربتت على كتفى: ربنا يرحمه والبركة فيك تحقق
حلمه وامله واملى واملنا كلنا، هيفضل جواك وجوايا، خلينا نكمل حياتنا ودائما
صوته وصورته في قلبنا وعقلنا، انا واثقه ان حسين دلوقتى شايفنا من فوق
وشايف كل حاجة و اجنحته بترفف على بلدنا كلها.

اقولك، تعالى بنى بإيده ونحلم بقلبه عشان لما نروحله نفرح بيه ويفرح بينا





ونبقي معاه



مسرح الجامعة العتيق وبهو تاريخى وعلم مصر في كل مكان ومنصة لرئيس الجامعة والسادة نوابه وخلفية كبرى بها صور شهداء الثورة وموسيقي والحن وطنية ثورية ولا يوجد مكان فارغ ولا يوجد رجال شرطة يتجسسون على الاجتماع او ياخذون بيانات كل الوافدين او يراقبونهم بأى طريقة ورجال صحافة في كل ركن وشاشات تلفاز ومراسلين ورجال سياسة من كل طيف واهالى شهداء من كل حذب وصوب ووجوه ثكلى وامهات احنى ظهورهن الم فراق فلذات اكبادهن ورجال رفاعى الهامات منتصبي القامات يسرون بفخر لانهم قدموا اولادهم لبلادهم وصمت من كل الحاضرين في انتظار البدء

وبدء التأبين واستمر وكل من له شهيد او جريح او حبيب يحمل صورة في يده وصورة اكبر في قلبه وصورة اكبر واكبر في عقله، وحانت كلمتى لأنعى فيها حسين وقد سمح لى والد حسين ووالدته بذلك وبدأت كلامى وقد تلعثمت ثم توقفت ثم ارتشفت رشفة من ماء ثم صمت ثم اكملت ثم بكيت وانتحبت وراح صوتى وطويت الورقة التي اخرجتها من جيبى واعدتها الى جيبى مرة أخرى وارتجلت: "لم يمت حسين أيها الساده إنما هو موجود بيننا، في هواء مصر وعلم مصر وذرات رمالها وقلوب ابائها وامهاتها ووجدانهم وضحكات فتيانها وبناتها، لم يمت حسين كما لم تمت مصر ولن يموت حسين كما لن تموت مصر، لقد أراد وطننا قويا حرا أبيا، ودفع نفسه ثمنا لذلك، دفع جسده لكى اقف انا هنا الان





وتقفون حيث انتم، دفع مستقبلي لى يكن لكم مستقبل، دفع دمائي لى يجد كل منا دمائنا تجرى فى عروقه، بذل أنفاسه لى يتنفس كل طفل صغير هواء حرا نقيا ابيا، اعطانا تضحية بموته لى نضحى نحن بأوقاتنا وعرقنا وهب موته لبلده لى نهبها نحن حياتنا، نعم حسين بيننا وهو يخبركم انه لن يرضى عنكم حتى تذهبوا اليه ببلد اعظم من تلك التى تركها، لقد ترككم فى ظلم فذهبوا اليه فى عدل ترككم فى ضيق فذهبوا اليه فى سعة ترككم فى حزن فذهبوا اليه فى سعادة لقد اعطاكم فرصة كبرى لى تحيو وتعملو وتجتهدوا وهو ينتظر منكم ان تنسوه ولا تنسوا بلادكم واعمالكم وستجدون دائما يده فى يدكم وخطاه تسبق خطاكم للعالم السعيد، دمت فى حرية دمت فى رغد دمت فى عدالة اجتماعية"

ربما لم يكن صوته عاليا ولكن صدقه كان اعلى ودمعته كانت اعلى، استمعت اليه امل بشغف وبصمت وكانت تبكى كلما تحدث او صمت واشتعل وجدانها وقلبها بحب حمدى وراح قلبها يدق واخبرت نفسها انها تحب حمدى ليس أبا لها ولكن عالما فريدا من نوعه دخلت اليه ولن تخرج منه ابدا حتى بالموت ونطق لسانها وسمعت اذنها: "بحبك يا حمدى" بحبك من كل قلبى وتمنت لو سمعها حمدى وسمعها كل من حضر ولكن لا باس سيسمعها حمدى يوما سيسمعها العالم حتى الموتى فى قبورهم سيسمعونها ويطربون بها ويكررونها وتتغنى بها الطيور وتعزف لها الالحان وتكتب فيها الكتب.

تقدمت امل الى حمدى ومسحت دموعه بيديها وضمته الى صدرها وربت على كتفه وظهره، وشعر حمدى بذلك ولم يصدق نفسه وتمنى لو توقف الزمن الى





الابد فهو في سعادة غامره اخرجته من حزن والم وخوف والقى براسه على كتفها واستمر في البكاء والنحيب حتى بللت دموعه كتفها وملابسها.



فكرت مع أصدقائي في استغلال الحركة السياسية في البلد وعمل طلبات للطلاب والتقدم بها الى رئيس الجامعة وشكلو وفدا لذلك وكانت طلباتهم - خروج الامن من الجامعة وعدم تدخلهم في السياسة الجامعية والنشاط الطلابي

- الغاء انتخابات اتحاد الطلاب وعمل انتخابات جديدة على ان يسمح للجميع بالمشاركة وتكون تحت امرة الأساتذة واشرافهم ليس امرة الامن - جعل كل المناصب في الجامعة بالانتخاب بداية من رئيس الجامعة حتى رئاسة الأقسام الفرعية بالكليات

والكثير والكثير من الطلبات والامانى والامنيات ولكنها قوبلت بلين تارة وبعنف فكرى تارة وبوعود تارة واستهزاء تارة، حتى اندلعت الاعتصامات والمظاهرات في كل مكان في البلاد في الجامعات والمؤسسات حتى الشرطة قاموا بعمل المظاهرات وامتلاءت البلاد بالمظاهرات والاعتصامات في كل مكان وتوقفت الحياة تارة وتحركت تارة وتقدمت تارة وتقهقرت تارة والترقب هو ما يهم الجميع ويشغل بالهم لاشيء غيره لا شيء.





مفاجئة، ايه

حاضر هغمض,,,,,, افتح ولا لسه

وفتحت عيني لأبصر بالطو ابيض جديد وسماعة طبية وجهاز ضغط زئبقي
وبذة عمليات وساعة جديدة وعطر نفاذا ذي رائحة ذكية وابتسمت حتى ظهرت
نواجذى، ايه كل ده يا ست الحسن والجمال، لمين الحاجات الحلوة دى كلها؟

انت هتبتدى بكرة سنة الامتياز لازم تكون احلى واشيك دكتور وانت دايمًا واقف جنبى وبتساعدنى دايمًا فدى هدية من بنت غلبانة للدكتور بتاعها وابتسمت واخذت فى الضحك

فرحت وابتست أكثر وأكثر وتميت لواء قبل شفيتها أو ان أصارحها بحبي، فلم أكن قد نطقت كلمة احبك لها بعد!!! وتميت تقبيل جبهتها ويديها، ولكني فقط اكتفيت بالبسمة التي كانت تخفي ورائها الكثير

وذهبت الى المستشفى في اول يوم لى كطيب وذهبت معى امل وودعتنى عند باب المستشفى وقالت بلهجة استعطاف، اوعى تتكبر عليا ومتعرفنيش تانى يا سيادة الدكتور

قلت في استعلاء، هتكبر طبعاً ومن دلوقتي، امشي يابت شوفي رايحه فين
ضحكت وضحكت وقالت ماشي ياعم الرحم، اوعى حد يحطلك حاجه





صفرا في المستشفى او البنات المزريضحكوا عليك.

دخلت الى المستشفى لأول يوم في حياته كطبيب وتقدمت في خطى ثابتة رافعا رأسى مهندم الثياب واثق الخطوة أمشي ملكا ولكن يملؤ قلبى الخوف واطرافى تكاد ترتعد فأنا لا أعرف عن المرضى او العلاج قليلا او كثير، وكانت بداية عملى في قسم الطوارئ والإستقبال العام للمرضى حيث هو خط الدفاع الأول في المستشفى والمكان الغير امن في كوكب الأرض، نظرت في وجوه العمال والتمريض فرأيتها عابسة غاضبة حانقة خائفة من شيء ما

لا احد يتسّم او يضحك لا احد مهندم الثياب لا احد يتحدث بلين او بلطف لا احد يعرف ماذا يفعل، حتى المرضى وذويهم يأتون الى المستشفى وكأن على رؤسهم الطير ويأتون مدججين بما شاؤوا وما استطاعوا من سلاح ويكأنهم مقدمون على ساحة حرب وكأن الأطباء أعداء لهم وكأن المستشفى بلدا عدوا يجب النيل منه والقضاء عليه، حتى افراد امن المستشفى والإستقبال تراهم كأنك ترى ابى الهول حيث الوجوم والبجوم في وجوه بلا ملامح واجساد بلا قلب.

تملكنى العجب وقلت ما بال أولئك وهؤلاء يذكروننى بوجوه المصريين قبل الثورة، لماذا لا احد سعيد في هذا المكان؟

وظل هذا السؤال بلا جواب واخشي انه سيظل بلا جواب الى ابد الدهر



اويت الى غرفة الاستراحة الملحقة باستقبال الجراحة هربا من العمل او خوفا منه او خوفا من وجه الناس العابثة واخذت افكر في الطريقة المثلى التي يجب ان





انتهجها في التعامل معهم ولكن فجأة ودون مقدمات وجدت أناسا يقتحمون الباب بلا سابق انذار ويحملون شابا في اخر العقد الثالث من عمره ويبدوا عليه اثار جراح في اليدين والساقين والوجه وملابسه ملطخة بالدماء صرخوا بكل حناجرهم قبل ان يقولوا اى شيء: فين الدكاترة ولاد الكلب الى هنا؟ سمعت الشتيمة بأذنى ولم ادر ما أفعل، نظرت في وجوه الأطباء والتمريض والعمال فرأيتهم اطبقوا شفاهم واغلقوها دون اسنانهم ولم يجب منهم احد فلم اجب انا أيضا

وتدخل فرد من افراد الأمن وقال مخاطبا اهل المريض: دخلوه اوضة الجراحه الى على اليمين وانا ثوانى هجيب الدكتور، واخرج سيجارا واشعلها لكبير المقتحمين

دخل الطبيب نائب الجراحة الى الغرفة فدخلت في أثره وكانى اسير على انامل اصابعى حتى لا يرانى احد ولا يشعر بى احد ولا يطلب منى احد اى شيء ابتسم الطبيب وقال: اهدوا يا جماعه واطمنوا وان شاء الله خير ورتب على كف المريض وطلب من الاهل ان يستريحوا خارجا فردوا في غلظة: مش خارجين واشتغل يا دكتور وانت ساكت فطأطأ الطبيب رأسه ولم يجب وبدأ في العمل

فقال المريض: انا مش هياثر فيا البنج عشان انا بشرب كل أنواع المخدرات بس ودينى وايمانى لانتقم من الى كان السبب، لم يلتفت اليه الطبيب وظل يعمل في صمت

وقال رجل ضخم من اهل المريض، لو انت قاعد يا دكتور ومطبق هيجيلك





النهاردة جتتين متشرحين، انت ونصيبك يا ايجولك ميتين

يا ايجولك صاحيين وفيهم الرmq وتفنن فيهم احلى التفانين

انتهى الطبيب من عمله وقام بكتابة علاج للمريض وانصرف المريض مع

اهله وهم يشعرون كما لو كانوا منتصرين في معركة او اخذوا بالثأر من قاتل ما!

بدأت اتنفس الصعداء لإن شيئاً كبيراً لم يحدث أكثر من ذلك وأويت الى

كرسي الإستراحة مرة أخرى اريد ان يمر الوقت سريعاً حتى ارحل الى بيتي او

اقابل حبيبتي امل

لحظات حتى بدا هجوم اخر، اكثر من عشرين انسيا يحملون رجلاً قد زحف

على رأسه المشيب وهم يصترخون ويستغيثون ويسبون ويلهثون ويهرولون في كل

مكان في المستشفى كأنهم يبحثون عن شيء ثمين قد فقدوه وقال أحدهم الحقونا

يا دكاتره الراجل هيموت من أيدينا

خرجت من صمتي للمرة الأولى وقلت بنبرة ثقة مصطنعة تماماً وانا اتحمحم

ويكاد صوتي يخنق تماماً: ادخلو اوضه الجراحة وريحوا العيان على السرير

وارتاحو.

ودخلت في اثرهم الى الغرفة ونظرت الى المريض وشعرت انه قد فارق الحياة

اثر جرح طعنى غائر فوق القلب مباشرة وملابس لم اكد استبين لونها الحقيقي من

اثار الدماء وملامح وجه غيرها الموت بشرة زرقاء وشفوي زرقاء وعينين ثابتتين

مستقرتين في وضعهما وملمس الجلد بدا يأخذ حرارة باردة واسقط في يدي ولم

ادر اي شيء افعله الان هل اخبرهم انه مات؟





هل اختبر ضغطه ونبضه لاتأكد انه مات فعلا؟
 هل استدعى طبيبا اكبر منى ليخبرهم هو بذلك بعد ان يتأكد بنفسه؟
 هل استدعى الامن؟
 هل الوذ بالفرار من هذا المكان الموحش المقفر، او القى بنفسه جثة هامده
 الى جوار هذا الرجل؟
 نظرت في عيونهم فاخذنى الخوف والهلع، ولم ينقذنى من ذلك الموقف الا
 الممرض الذى قال بصوت عالى، لو سمحت يا دكتور حمدى محتاجينك بره.
 تنفست الصعداء، وخرجت له وقلت في صوت لا حول له ولا قوة، العيان
 ميت نعمل ايه؟
 فأجاب هو مات هنا ولا جى ميت؟
 قلت هو جى ميت أصلا
 فقال: انت لسه دكتور صغير متاخدش المسؤولية واستدعى نايب الجراحه
 واخلع منها انت يا صاحبي.
 ذهبت الى طبيب الجراحة المناوب وشرحت له الامر
 حدجنى بنظرة استعلاء وقال لى لقد مات المريض فماذا افعل؟
 فقلت، وماذا عساي ان افعل انا الاخر؟
 لا شيء يا عزيزى، انتصب وارفع قامتك واعل هامتك واذهب اليهم
 واخبرهم بنظرة حزن وشجن ان قد فارق رجلهم الحياة وان عليهم ان ياخذوه الى
 حيث مثواه الأخير والا ادخلناه الى ثلاجة المستشفى، ومش هيسلمو من س وج
 ودوع، وده مش لمصلحتهم ولا مصلحته.





اجبته اننى خائف واننى لا اقدر على مواجهتهم ابدا
فقال، عليك ان تعتاد على مثل ذلك، اذهب واسترسل مفيش دكتور بيخاف
ذهبت اليهم وانا لا اعرف ماذا افعل، وقررت ان انصرف الى بيتى واترك
المستشفى، فلقد جئت لكى اتعلم ولم احضر الى هنا لكى يسبنى اراذل القوم او
يضربنى احدهم.

ربت ثيابى وحملت حقيبتى واخذت فى الانصراف ولكن استوقفنى احدهم
وهو اخو المريض المتوفي وقال لى ماذا هناك أيها الطبيب قد انتظرناك وطالت
غيبتك، طمنى يا دكتور؟

نظرت الى الأرض ووضعت يدي اعلى مرفقه الأيمن ثم ربت على كتفه
وقلت له، شد حيلك، البقاء لله

ولم اكدهم من هذه الكلمات حتى سمعت سبابا
وصراخا وصوت أشياء تصطدم بالأرض

واخذوا يحاولون تحطيم محتويات الاستقبال وعبثا يحاول رجال الامن
تهديتهم حتى تم استدعاء الشرطة العسكرية لهم، فأخذوا ميتهم ولاذوا بالفرار
راقبت المشهد عن كثب وتسارعت دقات قلبى وضاق بى الأرض بما
رحبت وتمنيت ان ينتهى كل ذلك بأى ثمن المهم ان ينتهى وبأسرع ما يمكن فقد
خفت ولم اجرب خوفا كهذا قط.

عدت الى مكانى بعد انتهاء هذه الميلو دراما التراجيدية، ووضعت حقيبتى
ورانى ممرض الجراحة جالسا مسقطا راسي بين كفي ولا يسمع منى غير التأفف





والتأوه، فاشعل سيجارة وخرجت منه ضحكات عاليه
وقال: كل الأطباء يحدث لهم ذلك في أوائل ايامهم في المستشفى ثم بعد ذلك
يموت لديهم كل شيء ويحيا جبههم وشرهم للمال والحياة
رفعت رأسي من بين كفي ونظرت اليه، ولم ارد
لم يابه لنظرتي مطلقا، واستطرد في حديثه، ثم انت متدائيق ليه بكره تتعود على
كده واكثر كمان من كده، هو انت لسه شفت حاجه، لسه الى جى اكثر من كل
الى فات وياما هتدق على الراس طبول، بس منها لله الثورة خربت البلد وطلقت
علينا البلطجية يرازو فينا ليل ونهار
ومبقاش حد عارف يتكلم مع حد
والسلاح بقى في ايد كل حد، حتى العيال الصغيرين معاهم سلاح
المساجين هربوا والامن اختفى ولا حصل امن ولا امان ولا عدالة اجتماعية
وتحس الناس فجرت وكانوا في جرة وطلعوا لبرة
ياراجل يلعن أبو الثورة الى خربت البلد.
كان كلام هذا الرجل يشبه الى حد كبير كلام امي واخوتي وابي ولكنه كان
اكثر حده ولكنى صعقت من كلامه الذى لم يكن ليذهلنى لو نظقت به امي او
اخوتي، وربما كان الفارق هو ان امي واخوتي يعيشون في امان ولا يدرون من امر
البلد كثيرا او قليل، فهاهم الخوف الذى قض مضاجع امنهم واستقرارهم، لكن
لماذا يكون رأى هذا الرجل مثل رأيهم، هل لأنه يحب النظام القديم مسبقا؟
هل له أقرباء في الحزب الوطنى المنحل؟
هل مات له عزيز او قريب في الثورة؟





هل هو خائن للوطن؟

ولكن رأيه مثل رأى الكثيرين الذين اراهم في كل مكان، فهل كلهم خونة؟

هل كلهم حمقى وجهلاء؟

ام تراهم على صواب، واللعنة على الثورة وعلى ما جاءت به من خراب وما

ستأتى به في الأيام القادمة؟

هل جاهدنا من اجل سراب وفراغ وهل جاهدنا وثرنا من اجل اللا شيء؟

قاطع افكارى ضحكة هيسيرية أخرى من هذا الممرض الذى قال لى:

متنشف وتستر جل يا دكتور.

فسألته مستعجبا، ومستنكرا، هلى معنى كلامك ان الناس قبل الثورة كانوا

احسن من بعدها؟

اخلاقهم كانت احسن وظروفهم كانت احسن وتعاملهم كان احسن حتى

المستشفى دى كانت احسن؟

أجاب كما لو كان منتصرا بضربة قاضية في حلبة ملاكمه، طبعا دون شك.



سبعة رجال وخمسة نساء اقتحموا الاستقبال ومعهم شيخه كبيرة ناهزت

الثمانين ولا تقوى على الحراك وهى على كرسي متحرك بشرتها صفراء تماما وفمها

يميل الى اليسار وسقط عنها ذراعها اليسر ويبدووا أيضا قدمها اليسرى، دخلوا

بها الى استقبال الطواريء للأمراض الباطنية قسم السيدات وتم استدعاء نايب

الامراض العصبية لها (طب المخ والاعصاب)والذى فحصها وقام بعمل الاشعة





اللازمة لها وقال انها تعاني من نزيف بالمخ وانها تحتاج الى رعاية مركزة وانه لسؤ
الحظ لا يوجد سرير خالى حاليا في المستشفى في قسم العناية الفائقة.

قال هذه الكلمات ولم ينتظر ردا او جوابا واختفى في ثوانى قليلة،
سمعت الممرض يقول، يادى النيله على مشكلة الرعاية، كل شوية يسيبوا
الناس تموت عشان مش عاوزين يحجزوهم في الرعاية مع ان الرعاية فاضيه
وسايبينها للحبايب، من حسن الحظ ان أحدا لم يستمع اليه، ولكن ثورة الناس قد
بدات وصياحهم اخذ في التعالى حتى شمروا عن سواعدهم وهموا بالهجوم،
ولكنى لم اعرف على من سيهجمون ولماذا سيهجمون، تركتهم في ثورتهم
وصعدت الى الرعاية المركزة لاتأكد بنفسى من الامر، دخلت الى الرعاية فوجدت
كل سرايرها ملأى الا سريرين فسئلت نائب العناية لما هذين السريرين خاليين؟
ابتسم ابتسامة عريضة وقال: انت مازلت طبيب امتياز ولا تعرف في الطب
او الحياة قليلا او كثير، غدا ستعرف كل شيء ولكن فقط فالتعلم الان ان احدها
لمرضى ما بعد العمليات والأخر للحالات الحرجة داخل اقسام الباطنة
والجراحة، غير ذلك ليس لك ان تعرف.

انصرفت من الرعاية والحيرة والارتباك هما اكثر ما يسيطر على وعدت الى
الاستقبال لاجد نفسي وسط ساحة حرب فقد ماتت المريضة ولفظت أنفاسها
الأخيرة في المستشفى.

رأيت احد الرجال وقد استل سيفا وهم بتحطيم دولاب الأدوية
ورجلا اخر يحمل شومة يحطم بها السراير
وامرأة خلعت غطاء رأسها وشمרת عن ساعديها واخذت تمسك في تلايب





الطبيبات والممرضات، وأخرى شقت عن ثيابها حتى انكشف صدرها تماما وتعالى السباب والصياح وقمت انا واصدقائي بخلع ملابسنا البيضاء او ما من شأنه ان يكشف عن هويتنا الطبية واخذنا بالفرار ولكنى لم استطع ان افر كما زملائي فقد عرفنى احدهم واخذت أحاول الهرب دون جدوى فلم اجد مأوى لى غير دورة مياه الاستقبال وقد كانت مهشمة تماما ورائحتها قذرة والمياه والقذارة تنبعث فيها من كل مكان كتمت انفاسي خوفا من الاختناق فخنقت نفسي بيدي حتى لا يسمع احدهم اى صوت لى ورحت اراقب المعركة من ثقب الباب، واخذ رجال الامن والتمريض يهربون تباعا حتى تهشم الاستقبال تماما وفى طريق انصرافهم وجدوا فرد امن فضربه احدهم بالسيف على رأسه فخر صريعا من فوره ثم وعندما اقتربوا من الباب وكاد اخرهم ان يخرج صدمتهم الشرطة العسكرية برجالها الضخام الذين سدوا طريقهم وقبضوا على رجلين منهم فى حين لاذ الآخرون بالفرار بعد ان تمكنوا من حمل جثة المريضة معهم خرجت من باب دورة المياه محاولا تعبئة كل الاكسجين الموجود فى الهواء فى صدرى حتى اتخلص من نصف ساعة قضيتها فى قبر قدر، ورحلت من المستشفى وكان كل ذلك حدث فى اول يوم لى، خرجت منها كهذا الرجل الذى خرج من النار وشملته رحمة الله فدخل الى الجنة.



دخلت الى البيت ووضعت حقيبتى الى جوارى واسندت ظهري على الاركة واغمضت عيني فتنبهت وامى تضع قبلة على راسي وتحمد الله على





سلامتى وسألتنى في لهفة، ماذا حدث، هل الطب شاق الى هذه الدرجة؟
حاولت ان اتماسك واخبرتها عما جرى بدقة وتفصيل واخبرتها عما اشعر به
من خوف واحباط ويأس.

- اسمعنى يابنى، انت لسه مشفتش حاجه من اللى هيحصل الناس كانت في
جره وخلاص طلعووا بره، وبعدين منتظر ايه من الناس بعد ما غلطوا في الكبير
بتاعهم وشتموه وبهدلوه، الشعب ده مفيهوش خير ولسه التقليل جى، ربنا يهديك
ويكملك بعقلك.

- انا جى تعبان ومش هتناقش معاكى، انا عاوز اكل وانا م عشان حاسس
بصداع رهيب جدا

- اسلمت راسي للنوم واخذت اقلب الأفكار واتذكر كل ما رايت في هذا
اليوم الطويل، وحاولت ان اخفف من حدة مشاعرى، هل اتحدث الى امل، وهل
هناك امل في هذا الشعب البائس وهل هو بائس وهل هو ضحية ام جاني هل
الثورة كانت عمل عظيم او كانت كارثة كبرى هل الممرض صادق فيما يدعى وان
الثورة أخرجت اسؤ ما فينا من هذا العالم وهل يمكن ان نكون على مستوى
المسؤولية واهلا لها ام لا يمكن وهل كان الحاكم السابق مستبدا او كان حكيما
وماذا يحدث في الأيام القادمة؟

انا على ثقة اننا ستتجاوز ازماننا الى غير رجعة فكما بنينا الالهram سابقا سنبنى
خير منها في مستقبل قريب.

تناولت هاتفى وارتجلت رسالة نصية "عامله ايه يا امل طمىنى عليكى،
يارب دايمًا تكونى بخير"





اجابت في رسالة نصية وفي اقل من دقيقة "انا كويسة دايمًا طول مانت كويس، طمنى عليك انت"
قرأت الرسالة ثم تنهدت ثم استغرقت في نوم عميق



اليوم انتهيت من عملي مبكرا ويجب ان اسجل موقفى مما يدور في بلادى الان خاصتا الدعوة الى استفتاء دستورى والتي اطلقها المجلس الأعلى للقوات المسلحة منذ أيام قليلة، وانا اعتقد اننى لا أوافق على هذه التعديلات من قليل او كثير لأنها مجرد مناورة سياسية لا افهم المغزى منها ربما كان كسب الوقت او جس النبض او استقراء رأى العام او محاولة معرفة القوى المسيطرة على الشعب والتي يمكن ان تنال اغلبية مجلس الشعب القادم وترشح رئيسا للجمهورية في الفترة القادمة، ولكن كيف اعبر عن هذا الرأى ولست عضوا في حزب بل ولست اهلا للرأى والحل والعقد ولكن لا بأس سأعبر عن أيى حتى ولو كان خطأ فنحن الان دولة ديموقراطية ومن حقى ان أقول ما أريد، وسأستخدم موقع الفيس بوك لذلك ربما اسجل موقفى الذى سأفخر به امام نفسي وعقلي وضميرى ساعة ان اخسر كل شيء ولا يبقى لى الا هذه الأشياء، وقمت بتسجيل دخول على الفيس وعلى حسابى الخاص قمت بكتابة هذه الأسطر:

"ماذا أقول لا؟"

الان استطيع ان اكتب وانت تقرأ وتستطيع ان تكتب وانا اقرأ، الان تستطيع ان تنتقد وتمتعض وترفع صوتك احيانا وتهمس بلين ورقه كثيرا، عفوا لايمكنك





هذا فقط الان تستطيع ان تفعل وتفعل تستطيع ان تقوم وان تقعد انت الان حر
انت الان سيد قرارك لقد انتقلت من خانة المفعول به الى خانة الفاعل

ايها السادة اخيرا صرنا فاعلين؟!

اصبحنا ولأول مرة مسؤولين عما نقول وما نفعل اصبح كل منا قادرا على ان
يرسم وجهها لمصر يلونه بريشته ويبدع فيها كيفما شاء وكيفما احب اصبح كل منا
قادر على ان يصنع التاريخ، كنت اتمنى ان يأتى يوم يكون لى صوت او قيمة او
دور فى بلادى والان اصبح الدور كله على عاتقى وكيف لا وقد يحقق صوتى
افضلية لما اعتقد انه صواب

بعد ان قطعنا شوطا كبيرا فى ثورتنا وحققنا ما حققنا من انجاز ليس له مثيل
توارت الاهداف الجماعية وقفزت الى السطح الاهداف الفرعية واصبح كل يغنى
على ليله كل فريق يرغب فى تحقيق السبق والسيطرة والوصول الى الغاية والمنال
الخاص به على حساب الاخرين؟!

ولكن تلك هى السياسة وهذه هى الديموقراطية!

اننى سعيد جدا بما يجرى فى بلادى الان من الشد والجذب والحوار والنقاش
والراى والراى المضاد لان هذا ما يحدث فى كل دول العالم التى يقطنها البشر ولم
يكن يحدث غير ذلك، حتى الصراع على المبادئ هو ايضا من الديموقراطية
الحقيقية التى ينشدها الجميع!

فليعمل كل منا عقله ويطلق عنان فكره ويوازن بين ما يرى وما يسمع وما
يجب ان يرى وان يسمع، لايسير فى قطيع ولا يعرف اين يسير، فقط عليك ان





تعرف الى اين انت ذاهب حتى يفسح لك الجميع .

شكرا للذين قالوا نعم

نعم شكرا لهم لانهم سيعبرون عن رأيهم وسيعملون على فرض ارادتهم
شكرا لهم على اختلاف انتماءاتهم ودياناتهم وتياراتهم واحزابهم ايضا ولو كانوا
اخوانا وسلفيين واى حزب او فئة لا شىء محذور اليوم ولا احد يملك ان يوجه
اتهاما لاحد

شكرا للذين قالوا لا

نعم شكرا لهم ولو كانوا علمانيين او ليبراليين او نصارى او حتى لم يكن لهم
اى توجه سياسى نعم شكرا لهم

لكن ماذا اقول لا ؟

لا اعرف لماذا تتراجع الى الخلف اذا كنت منطلقا للامام ؟
اننى ابدا لم اعرف فى تاريخ البشر من قام بفعل ذلك ابدا واعتقد ان من قامو
بذلك سقطوا تلقائيا من تاريخ البشر . فهل يمكن ان نكتب التاريخ منذ شهرين ثم
نمحوه الان ؟

لا اعرف اجابه سوى لا

حسنا هل التعديلات ستؤدى الى الاستقرار ؟
الاستقرار بعد كل الثورات الكبرى واحسب وازعم ان ثورتنا كذلك لم يأت
بعد يوم او يومين او عام او عامين ولكنه ينشأ نتيجة تلقائيه لشيء واحد فقط هو





النظام السليم ووضع القواعد والاسس التى يصطلح عليها المجتمع اولا ثم ييخرج من بينهم من يعمل على تطبيقها غدا فاذا عدلنا ما اعدمنا فهل هذا سيؤدى الى الاستقرار؟

لا اعرف اجابة سوى لا

هل التغيير ضد الاسلام وضد هوية الدولة؟

لا اعرف كيف يمكن ان يكون تغيير الدستور ضد الاسلام بأى حال من الاحوال، هب اننا اجلنا الامر برمته وانشئنا مجلسا تاسيسيا وقام بعمل دستور جديد واسقط عن مصر هويتها الاسلاميه والعربيه باى حال من الاحوال وبأى شكل من الشكول هل تحسبون ان سواد بلادنا سيرضى بذلك؟ او هل سيتبنى المجلس التأسيسى المنتخب من الشعب تصورا مثل هذا؟

الاجابه هى لا دون ادنى شك

هل يمكن ان انتخب مجلس شعب ثم اوكل اليه وضع دستور يحد من صلاحياته ويقوض حركاته ويعد عليه انفاسه؟

الانسان العادى ورجل الشارع لا يفعل ذلك ابدا فما بالنا بمحترفى السياسه

اذن انا اقول لا

هل تتحمل بلادنا انتخابات تشريعيه ثم رئاسيه ثم تشكيل دستور ثم عمل استفتاء جديد عليه ثم نزول الشعب الى الشارع اعتراضا عليه اذا كان مجحفا، هل تتحمل بلادنا ذلك كله فى عام؟





دون شك لا

هل يمكن ان يسطوا الجيش على الحكم ويصير حكم بلادنا عسكريا؟
كانت ثورة يوليو حركة عسكرية تحولت ثورة بإرادة الشعب
اما اليوم فهي ثورة شعبية من اليوم الأول واحسب اننا نحن المصريين لن
نرضى بحكم العسكر مرة اخرى فإذا أراد الجيش السطو على الحكم عليه ان
يتحالف مع القذافي او لا

وعليه انا اقول لا

لم يقنعنى احد من الذين قالو نعم وليس كل من قال لا قد اقنعنى لذا اعملت
عقلي واطلقت العنان لتفكيرى ولهذا انا اقول لا"



انتهيت من الكتابة أخيرا واخذت اقلب ما كتبت بين ناظرى، اجل اعرف
اننى لست سياسى محنك وربما اجهل اكثر مما اعرف ولربما لا اعرف شيئا على
الإطلاق ولذلك لا بأس من تداول الأفكار فهو السبيل الوحيد الذى من شأنه
ان يصنع مستقبلا افضل، كم انا سعيد لأننى أصبحت صاحب رأى فى يوم من
الأيام.

ولقد طلبت من ابى ان يقرأ ما كتبت فجلس الى الحاسوب واخذ يقرأ ولم
يكن يبدو عليه اى اثر لسعادة او حزن وهو يقرأ ما كتبت فقرأه سريعا كما يزدرد
احدهم الطعام من الجوع ولكنه كان يزدرد القراءة لعدم الاهتمام والشعور بعدم





الجدوى وعدم الحول والقوة بل وربما عدم الفائدة من النقاش مع هؤلاء الشباب ومع ابنه على وجه الخصوص ولكنه اغلق الحاسوب ثم استدار الى وقال لى:

لا فائدة منك او من امثالك تعتقدون ان الثورة مستمرة الى ابد الدهر وتغافلتكم عن أهمية العمل وكسب الوقت.

من الخير للبلاد ان تصوت بنعم لحفظ هوية الدولة الإسلامية وللإسراع بعمل برلمان وانتخابات رئاسية، هذا هو الصواب لا غير، حتى لان جميع الجبهات السياسية في البلاد تدعوا الى التصويت بنعم الا الملحدون والمخربين والجهلاء، ترى من ايهم انت يا ولدى، هل غسل لك عقلك احدهم ام كتب التاريخ البالية جعلتك اصم ابكم لا تقوى على التمييز

لم اتعجب من شيء الا من أسلوب ابى الجديد معى الذى امتلاً تهكما وسخرية، ولكنى اجبته بحزم وصلابة وصرامة:

لم يغسل احد عقلى الا بلدى ولا يحركنى الا حبى لها، ومن الصواب انتخاب جمعية تأسيسية للدستور قبل البرلمان ومن الأصوب عمل دستور واغتنام فرصة الديمقراطية السانحة حتى لا يتحكم فى الدستور قوى الأغلبية فى البرلمان ليكن دستور تقنوقراط وليس دستور برلمانات

قاطعتهم الام فى ابتسامة وقد طلبت منهما الحضور الى تناول وجبة الغذاء وقالت هو انت يابنى على طول مخك شمال: يابنى اقرى الإعلانات واليفط فى كل حنة

نعم للدستور





نعم لرفع عجلة الإنتاج والتنمية

بالدستور العجلة تدور

اقولك يا ابو حمدى سيبك منه ده مفيش فايده فيه، تعالى كلو احسن قبل اما
البلد تفلس ومتلقوش حاجه تاكلوها

غمغمت وتمتت: ليس لنا من الدنيا الا الطعام والشراب لهما نحيا ولهما
نموت ومن اجلهما نكتب الدستور، ما أبأس هذه العقول التى اختزلت الدستور
في الطعام والشراب وما كان غير جديا من الأمور.





يوم الاثنين ١٩ مارس، ٢٠١١.

يوم ليس كأي يوم، اشراقة شمس حانية دافئة يخرج الناس من بيوتهم الى لجان الاستفتاء المنتشرة والمترامية في كل مكان في محافظات الجمهورية وكأنهم خرجوا لتأدية صلاة العيد تماما نفس الضحكات والابتسامات وتبادل التهاني والاحضان والقبلات حتى انهم قد تزينوا بأجمل ما لديهم من ثياب واتشح بعضهم بالوان علم مصر، لقد شهدنا استفتاءات دستورية سابقا لكنها كانت محاصرة برجال الشرطة ورجال الحزب الوطنى وزبانية التزوير وشجار الاخوان مع الامن فعزف اغلبنا عن المشاركة لمعرفة النتيجة مسبقا.

قررت ان اذهب الى قرب لجنة لى لكى ادلى بصوتى ثم اذهب الى امل واصطحبها للإدلاء بصوتها في هذه الاحداث العظيمة، ورغم علمى المسبق بأن نتيجة هذا الاستفتاء لن تكون موافقة لرأىى او هواى ولكنى كنت سعيدا جدا لأن إرادة الشعب هى من ستقرر ما تريد، حتى وان كانت ارادتهم قاصرة فستعلمهم التجارب وتحنكهم الاحداث، فطوبى لبنى وطنى بما يريدون.

وقفت في صف طويل لا اعرف اوله من اخره ولم اجد تدافعا او همزا او لمزا او غمزا او سبا او لعنا ويتبارى الجميع في الصف في ابداء وجهات نظرهم ورؤاهم دون ادنى خوف او شك فيمن يستمع اليه حتى ان كل انسان يجاهر بانتمائه دون حرج

-رجل طويل القامة يرتدى نظارة طبية ويبدو عليه الوقار واعلى رأسه علامة





صلاة ويبدو عليه الشعور بالانتصار او الرغبة في الانتقام يقول بصوت ثابت النبرة: ستقول الصناديق نعم لا محالة: من اجل حفظ هوية الدولة الإسلامية

- فتاة في منتصف العقد الثالث من العمر ترتدى بنطلون جينز وعلية تونك روزى اللون وحجابا يغطى نصف الشعر ويترك النصف الاخر: وتقول لصديقتها نعم من اجل الهدوء والاستقرار وعشان اعرف اتجوز في السنة المنيلة بنيلة دى

- شاب يبدو عليه الوقار ويرتدى نظارة طبية ولا يوجد اى ملامح مميزة له يقول نعم من اجل سرعة انتخاب مجلس شعب وعدم تلاعب العسكر بنا - امراة مسنة تركز على عصا غليظة تقول نعم من اجل انهاء الفوضى العارمة

- شاب في منتصف العقد الثالث من العمر يقول لا من اجل صياغة دستور حر.

- شيخ يرتدى جلبابا داكن اللون يقول نعم لإن مشايخنا قالوا نعم

- سيدة بكامل زينتها تقول لا لإن الشيوخ قالوا نعم

استمعت الى كل هذه الآراء والاصوات ولم اتعجب فقد كنت اعرفها مسبقا لكنى سعدت لان احدهم لم يسب الاخر ولم يقاتله ولم يكفره.

ادليت بصوتى واطلقت اجنحتى في الهواء وذهبت الى امل وكلى شوق لها وكلى امل، قابلتها بكامل زينتها وكأنها أيضا يوم عيد ورأيت وجهها وجسدها ولم





اكن قد فطنت الى مفاتها سابقا، استقبلتنى ببسمتها الجميلة ونظرت عينيها الساحرة.

قالت لى متسائلة: انا قرئت يا حمدى الى انت كاتبه على الفيس بس بصراحه مفهمتش منه اى حاجه، هو انت تقصد ايه بالظبط؟
اجبتها، لا يصح الا الصحيح يا أمل، حينما يبنى ببيان من غير أساس خير له أن ينهدم ويبنى على أساس قوى ومتين لأننا نريد ان نكون أمة قوية وعظيمة وليس مجرد دولة كما كنا سابقا لا شأن لنا ولا وزن.
ايوه يا حمدى بس ده هياخد فترة طويلة.

طبعا بس المهم نبدا النهارده احسن لو مبدانا ش خالص
طب هتزعل منى لو قلت نعم فى الاستفتاء
لا مش ممكن انا مش ممكن ازعل منك ابدأ يا أمل.
وقبل ان ينتهى اليوم اخرجت من جيبى ورقة معطرة وقلت لها اقرئى هذه الورقة بعد ان تغادرى مباشرة.

-فيها ايه الورقة دى يا حمدى؟

-شوية صبر وهتعرفى كل حاجه.

بس صحيح كنت عاوز اسئلك سؤال، هو لو واحد بيعب واحد وحاسس انها ممكن تكون بتحبه وممكن تكون بتحترمه او بتقدره بس لكن مش بتحبه، يقولها انه بيعبها ولا يكتم حبه فى قلبه، اصل بعيد عنك هو خايف ليتصدم؟





بدا عليها الاهتمام والتركيز فيما تسمع ووضعت يدها على صدغها ويكأنها تفكر ثم قالت: طبعاً لازم يقولها وقوله ان في صدمات حلوه ومش كل الصدمات وحشه.

كان قد حان وقت الرحيل، فودعتها في بسملة حب صافية وقلت لها بصوت بحيج سلام يا امل.

وانصرفت وانصرفت امل وشعرت بالقلق والتوتر
واضمرت في نفسه الخوف من ردة فعلها واضمرت في نفسها الخوف من الا
يكون حمدى يحبها

وتمنيت لو أحبتنى وتمنت لو احببتها
وتمنيت لو ضمت ورقتى الى صدرها
وتمنت لو قلت لها احبك فتضم ورقتى الى صدرها
تمنيت لو أكن معها الى اخر العمر وتمنتهى لو أكن معها الى اخر العمر
تسارعت أنفاسى وضربات قلبى وتسارعت أنفاسها وضربات قلبها
ولم أطق صبراً فأخرجت هاتفى من جيبي وهممت بالاتصال بها ولكنى
توقفت واخذت احمق في شاشة هاتفى السوداء وجلست على اريكة محطة القطار
لأنتظر قطار السعادة الأبدية او ليدهسنى قطار الحزن.
ولم تطق امل بدورها الانتظار هى الأخرى واخرجت الورقة من حقيبتها
والقت عليها نظرة وهمت بالقراءة:





" الى هذه الفتاة الرقيقة صاحبة العينين الجميلتين والنظرة الساحرة والبسمة
البريئة الحائرة، الى هذه الفتاة صاحبة الصوت الشجي والمشاعر المهذبة، الى هذه
الفتاة التي تنظر لها الدنيا بعين الحب والاعجاب وتغبط وتحسد الكواكب
والنجوم الأرض التي تسير عليها، الى تلك الفتاة التي ينبع منها الحب وتتدفق
منها المشاعر وتنساب من عينيها اشعة الحب والجمال، الى صاحبة اللمسة الرقيقة
والقلب الصافي، الى تلك الفتاة التي ينساب منها عطر ونسيم الحياة، الى تلك
الفتاة التي اذا دارت ببصرها في الفضاء تفتحت أبواب السماء وسعدت كل
الكائنات بعد شقاء، الى تلك الفتاة التي استطاعت ان تتزع قلبى من بين
ضلوعى، الى تلك الفتاة التي ينبض قلبها في صدرى وأرى الدنيا بعينيها وأسمع
بأذنها والمس كل شيء براحة يديها، الى تلك الفتاة التي استطاعت ان تكون جزءا
من تكوينى

جزءا من عروقى

جزءا من شرايينى

جزءا من قلبى

جزءا من عقلى



الى تلك الفتاة التي احيا بروحها

الى تلك الفتاة التي تجذبني وتدفعني كما تشاء واشعر معها وكأننى اسعد
السعداء

الى تلك الفتاة التي اتنفس شهيقها وزفيرها وأتمنى ان أكون مليكها وغفيرا





الى تلك الفتاة التي صنعت يومى وابقتنى لغدى

الى من انسابت دموعى من اجلها

الى من احيا لاجلها واموت لتركها

الى من يحينى لقاءها ويقتلنى وداعها

الى من اشعر بها اكثر من شعورى بنفسى

الى من احبها اكثر من نفسى

الى امل

بحبك"

استقرت عيناها مكانهما ولم تتحدث فقط ضمت الورقة الى صدرها وقبلتها

قبلة طويلة كادت أنفاسها ان تخرق الورقة وانهمرت الدموع واخرجت منديلا

واخذت تمسح دموعها التى لم تشأ ان تتوقف ابدا وجلست على الدرج المقابل

لباب منزلها ولم تستطع النهوض واخذت في صمت عميق، ثم أخرجت هاتفها

وكتبت

"بحبك يا حمدى يا أحلى حاجة في الدنيا وانا كمان عايزاك معايا، انا مبعرفش

أقول او أتكلم بس بحبك أوى يا حمدى يا اغلى عندى من ابويا "



اعرف اننى جبان جدا واننى لا اقوى على المواجهة واننى أخاف طرق

الأبواب خشية ان توصلد في وجهى ولا تفتح لى مرة أخرى، ربما خشيت كلمة





وداع منك يا امل، ربما خشيت نظرة تهكم وازداراء، او اننى اثرت حفظ كرامتى
التي احملها فوق رأسي ولا أجيد حمل غيرها، ربما خشيت انا تقارننى يا حبيبتي
بكل من أحببت قبلى او من دق قلبكى لهم او حتى تتعبدن في محاربهم، قد يكون
وسامتهم اكبر منى وعضلاتهم مفتولة الى عنان السماء قد يكون احدهم يجيد
الحديث اكثر منى والآخر هو اغنى واقنى، قد تكونين لا تحبيننى ولكنك تشفقين
على رجل انهكتة الاحزان وافترسته الاوجاع ربما اعجبك حديثي وربما اعجبك
صمتي وربما اعجبك انك رأيتنى في ميادين الثورة او لأننى ابدوا مختلفا عن غيرى
في اى وجه، اوه يالهى هل تحبيننى حقا؟ هل تشعرين بالعرشة التي تسرى في
اوصالى وانا اتحدث اليك كل هذا الحديث؟ هل يسير الموت بداخلك كما يسير
بداخلي اذا تخيلت يوما اننى سأفارقك او تفارقيننى، أيا ماكان ما يعتمل في صدرك
ويجيش في وجدانك، اننى احبك يا امل، احبك.....

لم ترفع امل عينيها من عينيه ولم تنطق ببنت شفاها، ولكنها مدت يدها الى
يديي واخذت بهما يديي وامسكتهما بقوة وضغطت عليهما وقالت: لارجل مثلك
في هذا العالم، كل من في الكون يحسدوننى الان لأنك تحبنى، قدرضي الله عنى
وقد رضي الوطن عنى وقد رضي عنى كل الحبلاينك فقط تحبنى، انا احبك
احبك بكل ما اوتيت من قوة وبكل ما يعتمل في قلبى من خلايا ونبض إننى
احبك.

وجلسنا نتسامر اعذب كلمات الحب، والكون كله يبارك هذا الحب الجميل.





اليوم هو يوم الجمعة ١٣ مايو ٢٠١١

فرغت من صلاة الجمعة وكنت قد اديتها في مسجد ملحق بالمستشفى حيث كنت نوبتجيا في قسم النساء والتوليد، واخذت أذكر هذا اليوم منذ عشرة او احدى عشر عاما حينما اشتعلت المظاهرات وخرجت من كل مدرسة في مصر منددة بزيارة اريئيل شارون الى المسجد الأقصى، وداعمة لانتفاضة الشعب الفلسطيني الحر، صور المسجد الاقصى في كل مكان، ونشرات الاخبار ووسائل الاعلام لا تتحدث الا عن الانتفاضة، اجتماعات ومفاوضات في كامب ديفيد وفي شرم الشيخ، ومجلس الامن، أصوات المدافع والرشاشات ومقذوفات الطائرات التي اسمعها واراها في التلفاز ويكأننى اسمعها واراها امامى، حتى دماء الشهداء استشعرها من دمي، وارواحهم من روحي وامهاتهم امي، ساد الناس في هذه الأيام حزن عميق وهم مقيم صورة الرضيعة ايمان حجو تملاء الشاشات والجرائد والمجلات حتى حائط الصف الذى ادرس فيه اختفى لونه وصار لونا واحدا هو علم فلسطين ومسجدا واحدا هو المسجد الاقصى وصور الشهداء وابطال الانتفاضة، لازلت اذكر محمد الدرة الذى سقط شهيدا وهو يحتفى بوالده

لازلت اذكر حذائه وبنطاله وقميصه

قصبات وجهه التي ملئها الذعر

بكائه وخوفه من الرصاص

ثم أخيرا تمدده جثة هامده على جسد والده





لازلت اذكر البرميل الذي اختبئا خلفه
والحائط الذى ظنا انه يؤيها ويحميها من الموت
لازلت اذكر إشارات والده بطلب الامن والأمان
لازلت اذكر بكائه ونحيبه
لازلت اذكر هذا الصمت المطبق الذي القى بظلاله على المكان
لازلت اذكر اول إحساس بالخوف في حياتي حينما رأيت وفاة محمد الدرة
ووضعت نفسي مكانه ولكن أنى لأحمق مثلي ان يكون مكانه وأين انا منه وأين هو
منى

اوه كم كانت أيام عصبية
اللعة على الصهاينة الذين اغتصبوا وقتلو وبادوا ودمرو
اللعة عليهم فقد حرمونا من الشرف والبسونا العار الذى يلاحقنا منذ عام
١٩٤٨

غدا يوم الغضب وهو اليوم الذى أعلنت فيه إسرائيل قيامها في ١٤ مايو
١٩٤٨ حينما اعلن البغيض ديفيد بن جوريون قيام دولة اللصوص في العالم
غدا مظاهرات حاشدة في سيناء لفتح المعابر وتنديدا بهذا الكيان الغاشم
الغاصب، الدعوة للمشاركة تملؤ الفيس بوك وانا اتخذت قرارى سأشارك في هذه
المظاهرة مهما كان الثمن، وعرفت أماكن التجمع والتي كانت في ميدان رابعة
العدوية وامام المنصة في مدينة نصر
واستخدمت هاتفى واتصلت بأبى. واخبرته ان هاتفى سيكون مغلقا نظرا
لعدم وجود تغطية شبكية جيدة في المستشفى فليطمئن امى واخوتى واننى لن





أتاخر فور انتهاء النوبتجية

وقممت بالإنصاف بأمل:

الو، ايوه يا حبيبي ونور عيني، ازيك عامله ايه؟

انا كويسه يا حمدي الحمد لله، بس انا زعلانه منك يا حبيبي

ليه يا روح حمدي

عشان انت متصلتش بيا خلاص من الصبح ولسه فاكر تكلمني دلوقتي وانا

ليل نهار مشغوله بيك وبفكر فيك

معلش كان عندي شغل، بس انتى وحشاني اوى عاوز اروح اجبك

الشمس هديه او القمر او النجوم

انا مش عاوزه حاجه من دول انا عاوزه حاجه اغلى واحلى

متبقيش طماعه

لما ابقى عاوزاك انت مبقاش طماعه، ابقى بحبك

انا نسيت اقولك يا امل انى تليفوني احتمال يبقى مقفول عشان مفيش شبكة

في المستشفى وانا هبقى اكلمك من بره المستشفى لو خرجت او اكلمك من نمر

غربية

عارف يا حمدي لو متصلتش بيا هجيلك المستشفى واخطفك

هتخطفيني فين؟

جوه قلبي.

طب سلام يا حبيبتى عشان عاملين علينا استدعاء في المستشفى ونبقى





نشوف موضوع الخطف ده بعدين

اغلقت هاتفى وجمعت ماشئت من حقائى وانطلقت نحو رابعة العدوية
ورأيت جمعا هائلا الوفا من الشباب والطنانا من المساعدات وسيارات نصف
نقل وسيارات نقل كبرى وحافلات فركبت احدى هذه الحافلات واسندت
رأسى على الكرسي، ربما لم امت في يناير ولم يقتلنى مصري لكي يقتلنى صهيونى
اوربما لم يقتلنى جندي من الامن المركزى لكى يقتلنى جندي من القوات المسلحة
ربما اموت في سيناء كما مات الشهداء في يونيو ١٩٦٩ او اكتوبر ١٩٧٣
سأصنع تاريخا جديدا طالما اردت ان اصنع ذلك دائما
ولكن هل انا خائن لأهلى ولأمل؟

لا انا لست خائنا، فان عدت فرحوا بى وان لم اعد نسينى الجميع وهرلوا الى
حياتهم التي لن تتوقف وستستمر دون ادنى شك

أيها القدس اننى قادم اليك لاحررك بكل مالى، ، وان لم يكن لدى شيء
انا اعرف انى ساذج واننى احمق واننى لن احرر شيء واننى لن افعل اى
شيء الان وربما بعد حين ولكمنى لن امنع نفسي عن الحلم ولن امنع نفسي ان
أكون جزءا من التاريخ ولو حتى نسينى التاريخ فلان اسير رافعا راسي امام نفسي
خير لى من ان أكون عظيما امام الناس وضيعا حقيرا امام نفسي حسنا محاولة
للنجاة خير من الاستسلام وأتمنى ان اقابل الله بعمل يجعلنى عنده مقبولا او من
المقبولين.

توقفت الحافلة عند بوابات الاسماعيلية

اعترضها الامن ومنعا من التقدم واخذ المساعدات ووعدنا انه سيوصلها الى





مستحقيها من اهل فلسطين وامرنا بالانصراف

نزلنا من الحافلات وعادت الحافلات من حيث أتت واعترض الامن تقدمنا
والذى فرض علينا كردون امنيا وحاصرنا وامرنا بالعودة من حيث جئنا، لم اكن
اعرف أحدا من قيادات التظاهرات فقد كنت اخشي السلطة والقيادة أيا كان من
فيها، وقفنا ساعه ساعتين والساعات تمر والاعداد تتناقص ولا تزيد والتهافتات
تخفت ثم تخفت ولم اكن اعرف اين ذهب الرفاق واختفوا هل قبض الامن عليهم
ام الى اين ذهبوا حقا لم اعرف ذلك حتى بعد عشرات السنين.

بعد خمس او ست ساعات رفع الامن يده عنا وفتح أبواب المحافظة فزلفنا
اليها سيرا على الاقدام وكنت مع من زلف سرنا ساعة او ساعتين على طريق
سريع لا سيارات فيه مطلقا واطبق الليل علينا غيومه ولا انارة على جانبي الطريق
وسرنا والطريق والخوف والموت يسيران معنا جنبا الى جنب ولم يؤنس وحدتنا
ووحشتنا الا ضوء القمر الخافت الذى اطل علينا على استحياء وكأنه يبارك
خطواتنا عبر عنان السماء، أشجار قليلة على الجانبين ورياح شديدة وهواء ورياح
تضربنا من كل جانب والطريق طويل ومظلم لا نهاية له ولا يبدو ان له نهاية ولا
نحن نعرف حتى الى أين سنذهب او الى اين يجب ان نذهب وسرنا وسرنا قطعنا
الاف المترات وكلما تعبنا جلسنا ضحكنا تسامرنا تذامرنا على التظاهر كما يتذامر
الجنود على القتال وكان الهتاف الأكثر شيوعا في هذه المظاهرة

على القدس رايحين شهداء بالملايين

خير خير يا يهود جيش محمد سوف يعود





حتى بدا في الأفق نور، يقترب رويدا رويدا انه نور سيارات نصف نقل
تقرب وتقترب حتى اصبحت وجها لوجه معنا ونزل منها اقوام ملثمون وقالوا
لنا اركبوا سريعا ولا تسئلوا كثيرا نحن سنقلكم الى غايتكم دون ادنى شك هيا
يارجال

وكان يبدو من لكتهم انهم بدو عرب من العريش او عمق سيناء
ركبت السيارة مع المتظاهرين دون تفكير اذ قد انقضى وقت التفكير وقد
انقضى وقت الرجوع، ووجدتني اتمتم، عزيزى حسين انى قادم اليك
السيارة تسير باقصى سرعة ممكنة وتنحرف يمينا ويسارا وكأن أحد يتبعها
ولكن أحدا لم يكن حقيقتا يتبعها الا الخوف هو من كان يتبعنا جميعا
فهى رحلة مجهولة الخطوات الى هدف مجهول
هى رحلة مجنونة بكل ما تحمل الكلمة من معنى

اخذت السيارة طرقا ملتوية غير الطريق المستقيم وسط بيوت مهجورة او
كهوف حتى نكون في امان وسرنا الساعة او الساعتين والسيارة مملوءة بالشباب
ورغم برودة الجو الا اننى كدت اختنق من كثرة النفس وكثرة الخوف وكثرة
الياس.

وصلت السيارة الى ساحة مفتوحة وامرنا الرجل بالهبوط فوجدت ما يربوا
على الاف متظاهر قد واصلو معنا او قبلنا او بعدنا الى المكان وسئلت اين نحن
فأجاب احدهم نحن على مقربة من كوبرى السلام الذى سينقلنا من محافظة
الإسماعيلية الى العريش يا بطل مرورا بقناة السويس

يعنى ابسط ياعم هتعب مع اللى عبروا ومفيش حد احسن من حد





دوت ضحكات مملوءة بالامل والخوف في ان واحد بعد سماع هذا الرجل
وكانت الحرارة تقترب من الصفر، حتى في روما وروسيا لم اشعر ببرودة
كتلك رغم انها كانت في الصيف والقيظ انتفض جسمي وارتعدت اوصالى من
البرد حتى كاد الدم يجف في عروقي وكان الناس يساعد بعضهم بعضا قدر
المستطاع عن طريق تبادل السترات وجمع عيدان الحطب والأخشاب التي
وجدناها تملؤ المكان واستعرت النيران وهدئت النفوس وصلينا الفجر واسلمت
نفسي وانا على الرمضاء الى نوم عميق



شمس حارقة ورمال شديدة الحرارة والالتهاب لفظتني كما يلفظ الرحم
المولود الى الحياة حتى اننى لم استطع ان اضع يدي على الرمال
خير خير يا يهود جيش محمد سوف يعود
على القدس رايمين شهداء بالملايين
واستمر الهتاف واستمر وخلعنا ملابسنا الثقيله وهتفنا بصدور عارية
واصوات عالية

لم نخف ساعتها من اى شيء ولا اعرف لماذا شعرت بالأمان
واوصدت قوات الامن المركزى والمجندين الطريق في وجهنا ولكننا صمدنا
ساعة او ساعتين حتى فتحوا لنا طريق الكوبرى فاندفعنا اليه وتهافتنا اليه كما
يتهافت الفراش على النار، خطوات تتسارع وايدي تتشابك واقدام تتلاحق
الطريق طويل وفسيح ولا سيارات تعبره، اذكر ان قام الرئيس الأسبق بإفتتاح





هذا الكوبرى بمساعدات من دولة اليابان ليمر اعلى قناة السويس، لم اكن اعرف ساعتها اننى ساعبر هذا الجسر المعلق واننى سأعانق شمس سيناء الذهبية او اننى سأمر من فوق قناة السويس على قدمين يتصببان عرقا، كنا كالأطفال الذين خرجوا لتوهم من اليوم الدراسي نندفع اندفاعا لا هوادة فيه وما ان انتهينا من مطلع الكوبرى حتى استبد بنا الوصب والنصب، بحثت عن شيئا اكله ولكننى لم اجد، بحثت عن ماء اشربه ولكن لم اجد، العرق يتزايد وحرارة الشمس تشتد والطاقة تقل والخوف يعود من جديد واذا بها حركات لا ارادية تستشرى في جسدى، جلست هنية فوجدتنى تخلفت عن الركب واذا بى المح بطرف عيني سيارات امن مركزى ومدركات تتحرك صوبنا من بداية الجسر، فاطلقت ساقى للريح وهرولت تجاه الرفقاء وصرخت فيهم بصوت جهورى

الامن المركزى جى

ومدرعات جابه

اجروا بسرعة يا رجاله

وتسابقنا في الهرب كما يتسابق عدائو المسافات القصيرة بكل قوة، حتى لمح احد شباب المقدمة، سيارات امنيہ قادمة الينا من الطرف الثانى من الكوبرى وحاصرتنا السيارات من كل جانب ونزل رجال الامن المركزى والقوا القبض على بعض الرفاق ولكنهم سمحوا لنا بالتملص من قبضتهم والخروج من حصارهم ولكن بعد ان قل عددنا وهبط الى النصف واستمر العدو والتنهدات والصيحات، ولكننى تخلفت عن الركب مرة أخرى

، حينما وصلت الى اعلى مكان في الجسر وهو الجزء المعلق منه وأصبحت





فوق قناة السويس مباشرة، انظر اليها من هذا الارتفاع الشاهق واتذكر أولئك
الذين قضوا نحبهم لحفر هذه القناة في صفحة الصحراء
والحفل المهيّب الذى استدانّت مصر من اجل إقامته افتتاحاً لهذه القناة
ومطامع الانجليز والفرنسيين في هذه القناة
وقرار احمد عرابى بهدم هذه القناة حتى يصد الانجليز من احتلال مصر
وديليسبس واضعا يده في يد احمد عرابى معاهد له ان تبقي هذه القناة على
الحياة في اى حرب في اى زمان ومهما كان طرفي الصراع
وتخيلت ضحكات ديليسبس الخبيثة ونواياه الشيطانية
ومشروع مد امتياز القناة لاربعين عاما أخرى بعد انتهاء المائة عام الأولى
ومحمد فريد ومصطفى كامل الذين وقفوا بكل طاقاتهم وجابوا العالم تنديدا
بهذا المشروع ورفضاً له
واغلاق القناة قبيل نكسة يونيو
وكم الدماء التي غسّلت هذه القناة في هذه الحرب
والعبور العظيم في رمضان ١٩٧٣
ونطق لسانى "ياليتنى كنت معهم فافوز فوزاً عظيماً"
كم من الاشلاء تناثرت والقلوب تبعثرت وكم من الأرواح تعانقت في هذه
القناة

وأين خط بارليف، لا أرى له اثر ولا أرى نقاطه الحصينة الخمسة وثلاثين،
ترى اين كان هذا الساتر الترابى ومن اين بدا ومن اين انتهى، وما هذه المياه





الصافية التي لم أرى اصفي منها او انقي منها

نعم هذا البلد يستحق كل خير

كم احبك أيها الوطن العظيم

وقاطع تاملاتى وتنهداتى يد امتدت الى كتفي لتربت عليه

التفتت الى الخلف فاذا به احد الجنود التابعين للقوات المسلحة يرتدى زيا

مموها وعليه اثار دماء وثيابه ملطخة بالتراب وعلى الرجل اكثر من جرح في الوجه

والساعدين، يحمل سلاحا على كتفه ويرتدى خوذة معدنية

حدجته بنظرات خوف ورعب حتى لانى كدت ان اتبول على نفسي

ولكنه لم يبادلنى نفس النظرة وانما ابتسم حتى بدت اسنانه وربت على كتفى

مرة أخرى ثم قال: لا تخف ولا تحزن، انما انا صديق ولست عدوا على اى وجه.

ولكن من انت أيها الجندى، ومن اين اتيت، لم اشعر بقدمك، ولم اسمع

وقع اقدامك؟

ثم لماذا زيك متسخ بهذا الشكل؟

وما كل هذه الدماء، ولماذا انت مليء بالجروح؟

ولماذا اتيت منفردا؟

ولماذا لم تقبض على بدلا من ان تربت على كتفي؟

يا لهى، اننى خائف منك الى اقصى حد والى الحد الذى لم اختبره من قبل

ابتسم الجندى وازال يده بعيدا عن كتفي

وقال: زمن طويل قد مضي حتى سار رجل على قدميه في هذا المكان

اتدرى يا صديقي، لم يزرنا احد منذ ثمانية وثلاثين عاما، ربما انت ورفاقك





اول من يزورنا، لهذا قررت انا وزملائي ان نقدم لك ولرفاقك التحية

ولكن، من انت؟ ومن هم زملاؤك؟

ليس اسمى مهما ولكن المهم هوا ماقمنا به جميعا من اجل بلاد النيل
انا ورفاقي كنا اخر من عبر هذه القناة على قوارب مطاطية لرفع علم بلادك
على الضفة المقابلة، وقاتلنا العدو حتى قتلنا ووارى اجسادنا هذه الرمال
الفيروزية الذهبية.

نجلس كل يوم وليلة نتسامر في امر هذا الوطن، أحيانا نفرح وحيانا نحزن
ونتمنى لو عدنا الى الحياة فنموت في سبيله الف مرة
او لانمت ولا مرة.

قاطعته، هل هذا لغز؟

أجاب في وقار، كلا يا عزيزى ليس لغزا، بل اننى اعنى اننا كنا سنعمل في
حياتنا كما عملنا في موتنا سنزرع سنبنى سنشيد او نموت في الميدان
كنا سنعيش لهذا الوطن الف مرة ونموت لهذا الوطن الف مرة
وتابع في نفس الهدوء

كل رجل وارى جسده التراب في هذه الأرض من كل جيل خلف وراءه
قصص وروايات لا تنتهى، بعضها سعيد وأكثرها حزين، كل رجل منهم ترك بيتا
واولادا ووطنا من خلفه

اتدرى يا حمدى؟

اننى اتزاور مع رجال ماتوا سنة ١٨٥٩ وهم يحفرون القناة ولم يكونوا يعرفوا





من متع الحياة غير السروال القصير
واتزاور مع رجال عرابى
وصادقت رجالا من حرب ١٩٥٦
ومسحت بكفى دموع ضحايا ١٩٦٧
ومسحت بدمى دموعى انا
لا تجد منا رجل كالاخر ولا احد منا يريد ان يعرف عن الاخر الا انه شهيد
حيث لا لون بشرة ولا اسم عائلة ولا حتى دين ومذهب يعنى الكثير فكلنا
تحت الأرض سواء

- ولكن اخبرنى، كيف استشهدت وما هي قصتك؟
عبرت في يوم السادس من أكتوبر واقتحمت خط بارليف
وهدمت بمدفعى المائي جزءا من خط بارليف
ورفعت علم مصر وارتفعت معه روحى الى الله
لم اسمع صوت الرصاصات التي قتلتنى ولم اعرف تحديدا اين كانت اصابتى
القاتلة

لم اشعر بالموت حتى الخوف لم اشعر به
وحمدت الله ان كان اخر ما وقعت عليه عينى هو علم مصر
وهو مرفوع على قناة السويس
ابتسمت
تشاهدت





مت وانتهيت وها قد جئت انت من المستقبل لتحينى من جديد

اعمل في حياتك يا حمدى

واعمل لموتك

يحتاج اليك وطنك في الحياة والموت وليس بالموت فقط، ارجع وابن وعمر

وداوى المرضى ولا تلقي بنفسك الى حيث لا تعرف

وداعا يا حمدى وداعا يا رجل المستقبل

وربت على كتفى مرة أخرى واختفى دون انذار كما حضر دون انذار

وتابعت النظر مرة أخرى الى المياه والرمال

ارتعدت، تأوهمت، تأففت لاننى لم اكن اعرف ما افعله تحديدا

ومسحت دمعا غزيرا انهمر من عيني بكلتا يدي وقلت

رحم الله كل شهداء الوطن

ولكن جلبة شديدة تقترب الى وهذه المرة جلبة حقيقية حيث سيارت تقترب

وتقترب، انا وحيد هذه المرة ولا مناص من تسليم نفسي او الهرب

حسنا فليكن، سأستمر الى حيث لا أعرف فأنا لا أعرف اى شيء

عدوت كهشام الكروج ولكن ليس حصولا على ميدالية ذهبية في دورة

العاب اوليمبية ولكن للهروب من شبح الموت او السجن وحصولا على ميدالية

الحياة او الحرية

انهيت ما تبقي لى من الجسر ولحقت بالركب لكن وجدتهم جميعا في قبضة

الامن فاسلمت نفسي صاغرا لهم وكان العدد قد تقلص الى ٣٠٠ رجل فقط





فاقتادونا الى ما يشبه معسكر التدريب في سيناء وقد ظننت ان امرى قد انتهى وأننى سأدفن مع هذا الرجل الذى زارنى طيفه منذ ساعة فجلست اترقب الموت او الضياع وتبدلت نظرات التحدى في عيون الرفاق الى نظرة خوف وساد الصمت وفكر كل رجل منهم فيما ينتظره في ساعات سنينه الأخيرة، ولكن ليس اعجب من نظرات قوات الامن ورجال الجيش التي تبلدت من النظرات الحاسمة الصرامة الى النظرات الودية الساكنة.

استبدت بي الحيرة، لماذا ينظر الينا هؤلاء بهذا الشكل، وماذا هم صانعون بنا؟

تقدم منا رجل من رجال القوات المسلحة ذو شارب كث وهو في بداية العقد السادس من العمر يبدو عليه اثر الصحة الجسدية والرياضة ممشوق القوام ابيض الوجه منتصب القامة علي كتفيه نسر وسيفين وانا لا اعرف اى رتبة هذه فلم يشغلنى قبلا ولا بعدا امر اى رتب، تبدلت ملاح وجهه من الصرامة الى الوداعه ومن الوداعة الى الصرامة مرة أخرى، وعلى مسافة قريبة منا وقف يخطب فينا قائلا:

"شباب متحمس لا يملك من هذه الدنيا سوى عاطفة طيبة لينة يستخدمه أصحاب الرؤي الهدامه والمغرضون والذين لا حياة لهم الا في اتون مشتعل بالبغضاء والحق، انهم يكرهونكم انهم يكرهوننا يكرهون اوطانهم واوطاننا بل حتى يكرهون الإنسانية جميعا ولا اظننى جاوزت الفكر والمنطق اذا اخبرتكم انهم يكرهون انفسهم أيضا، دعونى أتوجه لكم بالعديد من الأسئلة التي لا انتظر منكم عليها إجابة الان ولكنى انتظر منكم استخدام عقولكم كما استخدمتم





عواطفكم في التفكير فيها على مهل وتروى.

- الى اين انتم ذاهبون، الى العريش، الى رفح، الى غزة، الى القدس، الى تل ابيب؟

- ولماذا تتظاهرون، وبما تنددون، هل ضد حكومتكم، ضد جيشكم، ام ضد إسرائيل نفسها؟

- ماذا سيحدث لو اطلقت عليكم إسرائيل النيران، هل سنسكت، هل نحن على استعداد للحرب، هل نحن نحتاج فعلا الى الحرب؟

- لو انك وصلت الى فلسطين وهاذا مستحيل قطعاً، ماذا ستفعل هناك، هل تنضم الى فتح او حماس او تنضم الى إسرائيل نفسها؟

- هل تجيد حمل السلاح، والى من ستصوب سلاحك؟

- ولو اكتفيت بالتظاهر، فما هو سقف هذه التظاهرات والمطالب؟

- هل تضمن ان العربان من اهل سيناء يسمحون لك بالتظاهر، وهل

تضمن نجاتك من تجار السلاح او المهربين او حتى تجار المخدرات؟

- هل تعرف ان مكانك الذى يحتاج اليه وطنك ودينك ليس في تظاهرة بل في ميدان العمل؟

- هل تعتقد ان جيشك العظيم وقيادته الرشيدة سيسحمان لك بالموت

هكذا دون سبب؟ كلا لن يحدث هذا ابدا

- هل تعرفون من دعاكم الى هذه المظاهرات؟





- هل تعرفون نواياه اللئيمة؟
- هل تعرفون اين هو الان؟
- هل تعرفون ان بلادنا بعد مظاهرات يناير أصبحت مرتعا وخيما للمعتدين والاثمين، وان المؤامرات تحاك لهذا الوطن ليل نهار؟
- هل تعرفون شيئا من ذلك، اخشي انكم لا تعرفون شيئا مطلقا.
- ثم رفع صوته بشكل جهورى: أيها الشباب الطامحين، انتم امانة في رقبتنا ولن نسمح لكم بالهلاك ولن نسمح لكم ابدا ان تؤذوا أنفسكم
- بقليل او كثير، سنردكم الى رشدكم ما استطعنا، حتى لو اضطررنا الى حبسكم وتقييدكم، سنحمي وطننا ونحمي التزاماتنا الدولية تجاه العالم سنحمي رفات اباؤكم واجدادكم الذين قاتلوا وقتلوا ودفنوا في ثرى الأرض الطيبة المباركة، ولكن أيضا لن استخدم معكم الشدة او البطش لانكم منى وانا منكم وليس جزاء الطيش الا ان اخذ بيدكم الى سواء السبيل، لذا قررنا نحن ان تعودوا من حيث جئتم على الا اراكم هنا على هذا النحو مرة أخرى، لقد جهزت لكم سيارات تابعة للقوات المسلحة ستقلكم جميعا الى ميدان رمسيس ولا احد منكم رهن اعتقال او تقييد ولن نعرف حتى اسمائكم او توجهاتكم ولقد قضى الامر والله الموفق "
- ما ان انتهى من كلماته حتى حضرت سيارات تابعة للقوات المسلحة اقلت ما تبقى من المتظاهرين الى حيث قال الرجل ركبنا السيارات دون ان نتلفظ باى كلمة واطبق صمت مهيب على الجميع.





اخذت افكر مليا في امر هذا الرجل وفي اسئلته التي اطلقها علينا كالمدافع والقذائف، حقا لقد فكرت في كل هذه الأسئلة قبل ذلك وربما لم اجد إجابة وافية، واحيانا لم اجد، لكننى كثيرا ما اصابنى الحنق والضيق من امر ذلك الوطن ومن تقصيري نحوه، نعم لم اكن اعرف الى اين انا اذهب ولكنى كنت اعتقد ان ذنوبى تجاه الله كثيرة، وان هناتى وزلاتى تجاه وطنى كبيرة، ومن الذنوب ما لا يكفره الا الدم، اخشى اننى كنت ذاهبا الى الموت الذى اظنه شهادة.

اوه راسي يكاد ينفجر ولا غرابه فهو ينفجر دائما من كثرة الأفكار وتطايرها وانضغاطها، ولكن لا باس انتهت جولة وبقيت جولات ولسوف افكر كثيرا وجيدا ولن اعمل مشاعرى مثل هذه المرة، ارحت رأسى والقيت بها الى الكرسي واخذت أفكر في اهلى وفي امل.

وصلت الحافلة الى حيث ميدان رمسيس وفتحت هاتفى واتصلت بابى وامى وطمأنتهما على ثم اتصلت بامل، واحشانى

وانت كمان واحشنى اوى، بس انت معند كش دم ولا إحساس، متتصلش بيا كل ده، انا اتصلت ببيك كتير اوى امبارح وانت مردتشش وانا رحلتك المستشفى سألت عليك بس معرفتش اوصلك، قولى بقي كنت فين وبتعمل ايه وقافل تليفونك ليه؟

مش هينفع في التليفون، لازم اشوفك.

بس انا مش هقابلك يا حمدى، الا لما تقولى انت كنت فين؟





انا كنت في قلبك يا حبيبتي .

بص يا حمدي انا متدايقه ومش هتضحك عليا بكلمتين، انت مكنتش في

المستشفى وانت كداب

انطق

رد

كنت فين؟

توقفت المكاله دون سابق انذار حيث فرغ شحن هاتفهى وضعته في جيبي

ومضيت في طريقى





رسائل حب



لم أكد أطيق حزن امل ولا فراقها
كما اننى كنت أعرف مدى تقصيري في
حقها لأننى لم أخبرها الى اين أتجه
وماذا أفعل كما شعرت بخيانتى لحبى
لها ان صرت ميتا او اصبحت رهينة
اعتقال، لم أكن أملك في جيبى الكثير

من المال لذا قررت ان أذهب لها سيرا على قدميى لكى أشتري لها وردة بيضاء
أعطيها لها كى تغفر وتصفح لى، سرت من ميدان رمسيس الى بيتها في الهرم في
نحو ثلاث ساعات وابتعت لها الوردة وكتبت لها احبك وقمت بشحن هاتفى
عند بائع الزهور وبعثت لها رسالة نصية
"امل يا حبيبتي انا تحت بيتك"

ووقفت امام منزلها، فرأيتها تنظر من نافذة حجرتها وقد كانت تسكن في
الطابق الأول فابتسمت في وجهى ابتسامة لن انساها حتى اموت وكانت تلك
المررة الأولى التي أرى فيها شعرها الأسود الحالك الذى زادها جمالا ورونقا،
وأشارت الي ان ادخل الى فناء بيتها وقد كان الظلام دامس والوقت جاوز
منتصف الليل فدخلت الى الفناء ففتحت باب منزلها ونظرت الي وقالت
احبك..





ثم صعد اليها بعض الدرجات وهبطت هي الي بعض الدرجات حتى التقينا في منتصف الطريق أعطيتها الوردة فاخذتها منى وقد كنت استمع الى دقات قلبها ثم اخذت هي يدي اليسرى وكتبت عليها بقلمى "بحبك" اخذت يدها وقبلتها ثم ضممتها الى صدرى بعد ان طبعت قبلة هادئة على جبهتها واخذتها الى صدرى ولم ينطق اى منا بكلمة

ثم انصرفت الى بيتى واخذنا نتحدث عبر الهاتف قرابة الخمس ساعات حتى نام كل منا وهاتفه على صدره.

امام الحاح امل وقلة صبرها لم أجد مناصا من اخبارها بامر سيناء وما جرى فيها فوجدتها تبكى منهارة ثم اقسمت علي الا أعود لمثل ذلك ابدا واننى ان مت فلسوف تموت من بعدى وسف تقتل نفسها لان العالم من بعدى ليس الا قبرا فسيحا يضيق عليها حتى ينهش لحومها ويذيب شحومها ويهشم عظامها وينخر روحها

اوعى تعمل كده تانى يا حمدى

حاضر مش هعمل كده تانى

طب احلف

وحياة حبك غندى

ابتسمت ووضعت يدها على فمى وقالت احلف باغلى حاجه عندك

قلتوقد تحجرت عيناى: انتى اغلى حاجه عندى

وحياتك انتى وحبك مش هعمل حاجه تزعلك منى تانى





لم يكن ثمة ما يعكر صفو حبي وامل فالشهور الأربع التالية لم تأت بأى جديد وانهمكت في الطب وانهمكت امل وانغرزت في حب حمدى من منبت راسها حتى اخمص قدميها وقد ابتعت لامل مجموعة من الكتيبات الصغيرة التي على كل منها قلب واخذت اقابل امل في اليوم مرتين او ثلاث اما ان تاتى الى المستشفى او اذهب انا لها الى قرب منزلها فيختلسان من الزمن ما يريوى ظمأهما للحب والعشق وكنت أبعث الى امل برسائل حب اججت الحب في قلبها واشعلت نارا لا يطفئها الا الزمن وذات مرة حينما قابلتها أعطيتها الرسائل الاتية والتي كانت امل هي الأخرى تجيب بدورها بكلمة واحدة

"بحبك"

وذلك لان امل او كما كانت تقول انها لا تجيد التعبير عن مشاعرها جيدا

حل الظلام والبدر ساطع

وكل حواسي للنوم تصارع

وقلبي يدق وحالى يرق

وما انا لغير الحب طائع

اركى في كل شيء جميل

فنور الوجه كنور الشمس ساطع

وعينان سوداوان في وجه رقيق





جعلانى للعشق خاضع
دفعانى للعشق والهوى
وكيف لا والحب امر واقع
واخلاق كاخلاق الملاك
حصتكى من كل طامع
اظن قيسا لو علم حالى
لقال ان قلبك في الحب ضالع
وما ليلاى من ليلاك
الا وميض من النور الساطع
والحب عالة على حبك
فانت المحب الصدوق الرائع
فيا كل من سهر الليالى
كونو لدى المحبوب شافع
حتى يرق لحالى ويهفو الى
وينتصر الحب على كل مانع
فليس لى ما طال ليلى
غير البكاء صاحبا لمخادع





فانى راغب حب بريء
نقى كما احلته الشرائع
تعلمت ان احيا لاجلك
وان اراكى ولو فى بعدك
لأنظر الى الدنيا بعينيك
وتعيش روى فى نبضات قلبك
فروى جزء من روىك
وعقلى جزء من عقلك
وكل سعادتى فى رضاك
اشتاق دوما للقياك
سافعل كل مايرضىك
حتى اموت لو فى ذاك رضاك
أحببت نفسى لحبها لكى
واحببت ما تحبين
ولو كان كرهى
من اهلك
ساحمل روى على عاتقى





واخوض البحار
واقترح النار
وابحث عنكى ليل نهار
اسير بالاميال
واتخطى الجبال
واحطم الجليد
واسبح في البحر وفي المحيط
حتى لو اغرق ساكون سعيد
ساترك اهلى ورفقتى
واهجر الطعام والشراب
وامسك بكلتا يدي السحاب
واطير في الجو كالنسر والعقاب
واسبق الضوء والسراب
وابعث اليكى بعد الخطاب خطاب
واشعل روحى لكى في البرد
عود ثقاب
حتى القاكى واحمل روحى





واسلمها لكى

حبك لم يبق ولم يذر

وحبس الجوارح للسهر تناجى هواكى

وتبغى رضاكى

وتسبح اعلی حتى القمر

فيكى حديثي وفيكى صمتي

فما اجمل الصمت معكى والسمر

اصابت قلبى سهام عينيكى

فكانت احلى سهام القدر

قد كنت احاذر الحب والعشق

واحبس قلبى عن كل البشر

لم اكن اعلم انى ساراكى واحبك حبا عظيم القدر

لكن احببت الحياة احببت الموت

احببت الامن عشقت الخطر

احببت اعدائي قبل اصدقائي

وحبك عندى اغلى الدرر

ساحبك حتى ينتهى الحب





ساحبك لو طال العمر او قصر

بحبك





أيام دامية

-١-

حينما تطل علينا الاحزان برأسها وتأبى إلا ان تمزق جسدنا بسكين غير حادة وتطلق علينا نيران الخوف والذعر، نتكاتف والإفلا، كنا جميعا في خندق واحد أيام المبيت في ثرى التحرير كان دمنا واحد وعرقنا واحد وصوتنا واحد حتى موتنا كان واحد وذلك ربما لأن هدفنا كان واحد، وقد انقضى زهاء التسعة اشهر على أيامنا العظمى التي لم يجد التاريخ علينا بمثلها مرة أخرى، وكنت امنى نفسي بنعيم لا ينفذ وحب لا ينضب ونهر عذب يرتوى منه الشعب ما يروى ظمأه للحياة وكنت اعتقد ان الثورة تجمع ولا تفرق وان الديموقراطية حلم جميل للجميع ليس له أعداء وان بلادى ستكون مثل أمريكا في الديموقراطية ومثل المانيا في العمل والحرص على الإنتاج ومثل اليابان في التكنولوجيا ولكن هل كان أبى محقا في شأن ثورتنا؟ او ان الطريق أطول مما ظننت وان الثورة لم تكن النهاية ولكنها كانت البداية الحقيقية والتظاهرات كشفت ستر عن جسد مليء بالجروح والأسقام والأوجاع ولم يحن لهذه الجراح ان تندمل بعد وانما هذا هو وقت تمدد القريح واستشراء الميكروبات او يكون هذا شيئا عظيما لا بأس به على طريق الرخاء والخلاف والدماء ماهى الا ولادة عثرة؟ ولكنها ولادة حتمية لحياة جديدة.

تساؤلات تساؤلات، ولكن بلا إجابة





خوف وقلق بلا معالم واضحة

شقاق وخلاف يتخللهما شقاق وخلاف

طرف ثالث وطرف رابع وطرف خامس وتعددت الأطراف حتى لم اعد ادرى في تلكم الأيام اى طرف يجب ان الجأ اليه واى شمس تظلنى واى قمر يهدينى، كانت هذه الأيام في أوائل شهر أكتوبر ٢٠١١ حينما جلست الى سامى صديقى وهو مهندس الميكانيكا العبوس القمطيرير النحيف والشحيح في كل شيء حتى في مشاعره الإنسانية وقد كان اخر لقاء لى به أيام الثورة حينما كنا نجتمع لنحمى بيوتنا وانفسنا ونستدفيء بنيران مشتعلة توقد حماسنا وتهديء روعنا، جلست اليه لتسامر ونتجاذب اطراف الحديث ولأحكى له عن حبي الجميل وحياتى الجديدة، كنت اثق في طريقته في التفكير فهى طريقة عملية، وانا احتاج الى طريقة عملية لإننى اھيم على وجهى في الحب ولا يتحرك في عقلي غير مشاعر الحب ولا يعتمل في احشائي الا نبض الحب فجلست اليه اسأله عن خطوات الجأ اليها في طريق الارتباط الجاد وتوفير النفقات والمسكن والمشرّب وما تحتاجه الحياة لتقوم على دعائم وليس على أوھام، ولكنى وجدته ممسكا بجريدة ينهمك في قرائتها وعيناه ثابتتان مستقرتان وملاحه متجهمه يتطاير منها الشر ويضع على الكرسي المجاور له مجموعة من الكتب ومجموعة من الجرائد الأخرى ويمسك طرف نرجيلة (شيشة) وينفخ التراب عن وجهه وكأنه ينفخه من اعمق اعماقه فبادرته قائلاً: اترك ما فى يديك وركز معايا قليلا انا احتاج الى مشورتك في أمرھام جدا.

ابتسم ساخراً: لا يوجد شيء مهم يا عزيزى في هذا العالم فقد أصبح كل





شيء عديم الفائدة والجدوى وهو دائما عديم النفع والجدوى

- دعك من هذا البؤس والتشائم اللذان سيقضيان عليك دون شك.

- هذا هو الواقع يا صديقي شئت أم أبيت، انظر حولك واعمل عقلك

واعرف بنفسك حقيقة عالمنا الحزين الذي يسبح في الفضاء الأسود دونما هدف أو غاية.

- قاطعته بلهفة: انا بحب يا سامي

- انت بتحب يا حمدي، قول نكته غير دى، انت لاتعرف الفرق بين الولد

والبنت غير من دراستك للطب ولا تعرف في أمر الحياة قليلا أو كثير، أخشى أن احداهن ترمى الى نصب شباكها عليك.

- لاشبك ولاصيد، انا أحب حبا عميقا لم يختبره رجل قبلى ولم يصادفه أحد

ابدا

- دعك يا حمدي من الحب والحديث الفارغ هذا الذي لا طائل منه، هل

علمت ماذا فعل المسيحيون ببلادنا؟

- ما لهم المسيحيين عملوايه؟

- اقاموا اعتصاما في التحرير وعلى اعتاب ماسبيروا، يريدون خرابا لهذه

البلاد اكثر مماهى عليه من الخراب، هل انتهينا من كل مشكلاتنا حتى ندعوا الى

اعتصامات ومظاهرات جديدة، الا يكفينا ما حدث في يناير وماأتى على أثره من

كوارث ونوائب، انا منذ الثورة لا أعمل وارتاد المقاهى امسك النرجيلة في يد

والجريدة في يدى الأخرى ويمر على الوقت وانا اقلب في الجريدة والوقت يمر





ببطيء شديد ولا جديد ابحت عن عمل فلا اجد
 اقلب صفحة الاقتصاد، لا أجد اقتصاد
 انتقل الى صفحة الرياضة، لا توجد رياضة
 الجرنال كله سياسة، وياليتها سياسة تفتح النفس على الدنيا، الاكلها هم
 وغم وخلافات ومظاهرات وفلس وفشل
 - انا لازلت لا أفهم يا سامي، المسيحين ماذا يريدون وما علاقتهم بما
 تقول، انت تعرف انا أقضي في المستشفى أكثر وقتى وتقريبا أعيش في المستشفى
 ولا أدري ما يحدث خارج أسوارها.
 - المسيحيين في اسوان قد قاموا ببناء دار للضيافة أو كنيسة لا أذكر تحديدا
 وكان لهم ترخيص بشكل معين وبأمتار معينة ولكن الاهالى فوجئوا ببناء ضخمة
 مهيب فقاموا بشكوتهم في المحافظة فوعده المسيحيون بإزالة الزيادة عن الرخصة
 المسموح بها، ثم ماطلوا في ذلك فثارت ثورة الأهالى والشيوخ وقاموا بهدم
 واحراق الكنيسة فثار المسيحيون والقساوسة وقاموا بشكاية الاهالى للحكومة
 التي لم تقدم ولم تؤخر ويقولون ان المحافظ كلمهم بما لا يليق واستهجن أمرهم
 - قاطعته، ماذا حدث بعد ذلك ولماذا هم مرابضون امام ماسبيروا؟
 - حتى يطالبوا ببناء كنيسة جديدة
 والتحقيق في الحادث
 وإقالة المحافظ
 وقانون يسمح لهم ببناء الكنائس كما يحلو لهم





- وما المشكلة في ذلك يا سامي، أليس من حقهم ان يبنوا دور عبادتهم كلما احتاجوا الى ذلك او ارادوا

- حقهم، انت عبيط وأحمق واخرق يا حمدي، يا عزيزي لا أحد له حق في هذه البلد لا مسلم ولا مسيحي ولا صغير ولا كبير لأن هذه البلد انتهت يا حمدي وانتهت بلا رجعة

- لم أعد أطيق اسمع المزيد من الكلمات، فلا فائدة من الحديث عن الحب مع رجل لا يعرف معنى للحب سأنصرف الان واراك لاحقا



شعرت بإختناق وغضب وضجر، او يكون هذا البائس المتشائم محقا وانتهى كل شيء حقا وانتهت بلادنا الى غير رجعة وتوقف تاريخها عند عام ٢٠١١ لاشك ان سامي متشائم ليس أكثر وان كل شيء سيصير الى الأفضل في غضون أعوام قليلة



دخلت الى البيت فوجدت ابي واخوتي حول التلفاز فتذكرت أيام يناير، ورأيتهم أيضا في حزن عميق لما يجري فهم يكرهون التظاهرات أيا كان من يقوم بها وايا كان سببها وايا كان زمانها ومكانها فكان كل حراك على الأرض يأتي بجديد او يقوض قديم يسبب لهم صداعا وخوفا لا ينتهيان.

جلست الى جوار امي لأتابع

فإذا بعض وسائل الاعلام الحكومية كما كانت واخشي انها ستظل تهاجم





بشراصة وضراوة كل معترض وممتعض، وتصور المتظاهرين انهم قطاع طرق وانهم يعتدون على الجيش ورجالات الشرطة.

ووسائل اعلام أخرى عربية واجنبية تتهم الجيش والشرطة بإستخدام العنف المفرط والغير مبرر تجاه معتصمين عزل الا من ايمانهم وصلبانهم الخشبية وتدهسهم بسياراتها المصفحة ورجال الجيش يضربون المتظاهرين بعصيهم وبنادقهم واصوات إطلاق نار من كل مكان

وهتافات سلمية سلمية

وهتافات يسقط يسقط حكم المشير

يسقط يسقط حكم العسكر

ووسائل إعلام ثالثة نشئت حديثا في بلادى لا اعرف أي فريق تتبع تقول ان هناك طرفا ثالثا يقوم بتأجيج الفتنة الطائفية واستفزاز الجميع.

كانت تلك المرة الأولى التي اسمع عن هذا الطرف الثالث الذى لم يعرف هويته الحقيقية احد حتى بعد عشرات السنين.

انبرت وسائل الاعلام للحديث عن هذا الطرف الثالث وتحديد هويته وراح كل يبحث عن منافسه وخصمه وينعته بأنه هو الطرف الثالث حتى تاهت الحقيقة وتحول الطرف الثالث الى فزاعة خوف كما انها كلمة استخدمت لوصف اعمال لا صاحب لها او لا يرغب صاحبها في تحمل مسئوليتها، فإذا حدث قتل كان سببه هو الطرف الثالث وإذا حدثت سرقة او ما شابه كان المتهم دائما هو الطرف الثالث وكانت كل القضايا هي ضد مجهول

استدار الى ابى وتأفف في وجهي وقال وقد وضع يديه اعلى رأسه: هي كانت





ناقصة فتنة طائفية، الله يكون في عون الجيش هياقيها منين ولا منين وهياحق على ايه ولا ايه.

ونظرت امى الى أيضا وقالت: لعن الله يناير الذي دمر كل جميل في بلادى حاولت تغيير مسار الحوار والخلاص من شماعه يناير التي دأب الجميع على تعليق ثيابهم المتسخة والبالية عليها، وقلت مستفهما: تعتقدى يا أمى من المتسبب في احداث ماسبيرو هذه ومن يتحمل الدماء التي اريقت وارجو كى الأتقولى ان الثورة هي السبب وأخبرينى شيئا جديدا؟ فاجئها السوءال ومصمصت شفيتها وقالت: اى أحد يفتعل مظاهرة سيكون هو السبب

امى أحد هيقف قدام قسم شرطة هيقى السبب

امى أحد هيقف قدام دبابة جيشن ييقى السبب

امى أحد يقطع طريق ويغتصم ييقى السبب

امى أحد هيعمل مظاهرات تانى ييقى السبب

في قنوات واليات شرعية لطلب الحقوق لكن الخروج الى الشوارع مهما كان من دعا اليه هو خروج عن النظام والدولة ويستحق ان يعاقب باقصي قوة ويردع حتى المنتهى.

التفت الى والدي الذي أعجبه كلام والدتي كثيرا وقال: ما أجمل كلام والدتك فهو عين الصواب قبل الثورة لم يكن أحد يقوى على فعل ذلك ولكن لا تبتأس يا ولدى فقضاؤنا الشامخ سيظهر الجانى وسينال عقابه دون أدنى شك





انتظرا منى جوابا ولكنى لم أرد عليهما اى جواب وانصرفت الى فراشي
وغرقت في محيط نوم لا قرار له وكأننى أغرق في هذا المحيط ولا أستطيع التنفس
ولا أصل الى قراره ولا حتى اموت فيصيبني بعض الراحة ولا أجد ما اتشبت به
لأنجو واتنفس واحسست ان صدرى ينفجر فأمسكت هاتفى وكتبت رسالة
نصية الى امل
"احبك" ..

وأغلقت هاتفى ونمت فلم اكن مستعدا للحديث مع اى شخص عن اى
شيء الا النوم فقد كنت اريد ان استدفيء بنومى والقى بهمى الى حلمى الذى
عساه ان يكون سعيد.



قابلت امل في مساء اليوم التالى والتي جاءت الى في المستشفى كما اعتادت ان
تفعل ذلك كلما تأخر لقاءنا ليوم او يومين، جلست تنتظرني قرابة الخمس
ساعات دون كلل او ملل حتى اذا ما فرغت من عملي جئت اليها مسرعا معتذرا
عن التأخير وسائلا لها لماذا لم تنصرف بعد ان اخبرتها اننى سأقضي وقتا أطول في
العمل لهذا اليوم وان بإمكانها الانصراف؟

ضحكت كما الشمس وابتسمت كما البدر وقالت: سأنتظرك يا حبيبي عمرا
كاملا، كما ان لحظات سعادتي تزداد إذا انتظرتك حتى لو انتظرتك طويلا، فإن
هذا لا يهم، مادمت سأظفر بك في النهاية يمكنني ان انتظرك يا حبيبي، حتى اخر
العمر





واستطردت: اتدرى يا حبيبي ان الهواء الذى اتنفسه في مكان انت فيه احمله
بقبلا تى لك واتنفسه بسعادة بالغة لاننى اعلم انك تنفسته من قبلى او ستتنفسه
من بعدى، اريد ان اشاركك كل شيء يا حبيبي حتى ذرات الهواء والماء فأنت
الماء وانت الهواء.

امسكت يدها بحنان ووضعت يدي في يدها ثم انصرفنا من المستشفى،
فوجدتني امل على غير عادتي شريدا ولا انظر اليها وقد كنت دائم النظر اليها
حتى في شرودى وسهادى فقالت ما بك يا طائر الليل الحزين؟
-تقصدين طائر بلا جناحين، تكسرت اجنحتي كلما رأيت بذور الشقاق
والفراق بين أبناء وطني.

حدقت الى وقالت: انا ميهمنيش يا حمدي انت وطني وما دمت معي
ومادمت بخير اذن كل شيء بخير
سألتها هل تعرفين ما يدور في ماسبيرو بينما نحن نتسامر الان ونتجاذب
الحب بمغناطيس يملؤه الدماء؟

ماسبيروا، ولماذا تسألني عن ماسبيروا يا حمدي الان؟
ثبتت عيني في منتصف جبهتها وقلت: أولا تعرفين ما يجري في ماسبيرو
الان بينما نحن نقف نتسامر ونتجاذب اعذب الكلمات على شاطئ النيل، هناك
من يدافع عن قضية ما، وانا حتى الان لا اعرف أى قضية ولا اعرف أي دماء
تراق اليوم اذكى؟

هل هي دماء المسيحيين الذين يطالبون بحق ما؟





او الجندى المسكين الذي يتزين بلباس جيشنا العظيم ويحمل سلاحا على عاتقه للدفاع عن منشأة ما؟

اي دماء سيجرها النيل في تياره؟

ما بال الاحداث تتلاحق وتتوالد وتتكاثر وتتصارع وتحبو وتسير وتعدوا وتهول ثم تموت قبل ان نعرف ما يحدث حولنا بشكل تام
تدرين يا حبيبتى، لم اعد اعرف اين الصواب واين الخطأ، حتى لكأنى سأدفن رأسي وسط كومة من الرمال وسأصم اذنى واعمل لنفسي ولنفسي فقط.....

تأففت ثم تأوهمت ثم سككت

ولم يكن الصمت متبعا في علاقتى بامل ولكنه كان صمتا مهيبا لا قرار له، لم ترفع امل ناظرها عني وحدثت بي ودمعت عيناها
- مش متعودة اشوفك ملخبط كده يا حبيبي، طول عمرك قوى وقوى جدا جدا كمان، ارجوك ارجع قوى ومتماسك زى منا عرفتك وحببتك.
- اخبرنى يا حبيبي لماذا لا تنضم الى أحد الأحزاب السياسية وتأخذنى معك؟

خرجت من هوة قد سقطت اليها بأفكارى الى عاصفة شديدة قذفت بي الى حيث لا منتهى ولا مرتجى وتمت

-حزب سياسي

-ايوه يا حبيبي حزب سياسي، انت ذكي جدا يا حمدى وعبرى ومخلص





لأفكارك وامين على مبادئك، سوف تفيد بلدنا وغدا أو بعد غد تصبح وزيرا او
رئيس وزراء او من يدري ربما تصبح رئيسا للجمهورية.

لا فلا فلتبتعد عن السياسة يا حبيبي فهى تهلكة

- انتى يا امل من يقول ان السياسة تهلكة وقد كنتى اول من لى نداء الحرية

في يناير

- انا صوتى اختفى وعافيتى تهدمت، في يناير لم يكن لدى ما أخشاه أو
أخشى عليه، والتصقت بى وامسكت بساعدى وضغطت عليه بقوة ثم ابتسمت
ابتسامة طفلة رضية، لكن الان انا عندى حمدى أغلى من حياتى كلها فحياتى
أصبح لها قيمة كبيرة ومعنى عظيم.

- قاطعتها جادا، لو اننى قفرت الانضمام الى حزب سياسي، ترى اى حزب
اختر؟

الاخوان ولا السلفيين ولا الاشتراكيين الثوريين ولا الليبرالين ولا
العلمانيين ولا أي حزب او فريق.

- بص يا حبيبي خليك رجل كنبه زيي.

- انا يا حبيبتى اعتقد اننى رجل كرسي مهشمة تماما.

- حمدى ارجوك لا تفعل ما تؤذى به نفسك او يؤذيني معك، اياك يا حبيبي

ان تفعل ما يفرق بيننا

- اياك ان تتركنى يا حمدى

- اياك ان تتخلي عنى





- أخاف ان يفرقنا الزمن

- اوعدنى يا حمدى والدموع فى عينيها، ارجوك اوعدنى

- مسحت بإصابعى الدموع من عيني حبيبتى وقلت بصوت شجى

(اوعدك)

- ٢ -

استيقظت امل صباح يوم مشرق جميل وهو يوم العيد وقد كان عيدها الأول
مع حمدى وعيدها الأول مع السعادة والحب حتى انها قد ولدت من جديد
ونسيت تماما او تناست ما كان من امر الحب معها ومكائده ومصائده حتى انها
تصالحت بطريقة او باخرى مع ابيها او احست بوجوده للمرة الأولى فى حياتها
واشفقت على ما مضى وتمنت الا يعود الماضى بوجهه القبيح او يطل على حياتها
الجديدة مرة أخرى وتمنت انها ولدت مع الثورة او ولدت منذ ان امسك يديها
حمدى للمرة الأولى او قال لها احبك او حتى وقع طرف عينيها عليه، اشرقت
شمس العيد واشرقت معه شمس امل من جديد فلم يعد الجسم نحىلا كما كان
ولا الوجه شاحبا ولا العينان حزيتان ولا الشعر اشعث واختفى السواد والهلات
تحت عينيها وملا خديها وجبينها حمرة الحب واشراقة العشق، وجلست امام
مراتها كما كانت تجلس دائما لتشكو همها وبثها ولكنها جلست هذه المرة لتحكى
لها حبا قلما جاد الزمان به ز

سألت مراتها فى زهو وغرور: يا مرايتى يا مرايتى، قوللى فى حد اسعد منى

او حب فى حياته اكثر منى يا مرايتى؟





ضحكت حتى سمع صوتها ثم اجابت، طبعاً لا

محدث اسعد منى ولا هيكون في حد اسعد منى في يوم من الأيام، انتهى

عصر الحيوانات الى كنت اعرفهم زمان ودلوقتى حمدى

حمدى الى الابد

وهي تمشط شعرها الأسود الكثيف تقدمت اليها والدتها ممتلئة الوجه

والجسد طويلة المقام بيضاء الوجه وعلى عينيها نظارة طبية وقد خالط بياض

شعرها السواد حتى غلبه واعتملت التجاعيد في وجهها علامات حزن عميق

لايزيده الزمن الارسوخا في القلب والوجه.

ابتسمت وقبلت راس ابنتها الحبيبة وقالت: أحب ان اراكى سعيدة دائماً

ولكنى أخشى أن تكون سعادة غير مكتملة كما يحدث معكى يا بنيتى دائماً.

- اخبرينى يا بنيتى، أي الرجال هو هذه المرة؟

- أولاً تكون السعادة يا أمى في هذا العالم بدون حب أو رجال؟

- لم أجرب عليك سعادة قط الا بسبب الحب ولم أجرب عليكى حزناً أيضاً

الا بسبب الرجال

- وأضافت: قطيعة تقطع الحب وسنينه، شيب رأس أمك قبل الأوان.

- هذه المرة الحب والرجل شيء واحد ولسوف اخبركى يا أمى كافة

التفاصيل في حينه

- أراكى في كامل زيتتك، كما لم أركى من قبل، فإلى أين؟

- القناطر الخيرية





- احترسي لنفسك وحاذري الغرق في نهر الحب ولتصحبكى دعواتى دائما
طبت قبلة على جبين أمى ثم انصرفت وانا اتغنى بأغنية قديمة (اسبقنى يا
قلبي اسبقنى على الجنة الحلوة اسبقنى)



اقتربت الظهيرة والشمس في وسط السماء وحدى متأنقا يقف على طريق
النيل منتظرا مليكته التي ستهبط عليه من عليائها، فكر وشروذ يقاطعانى مع
امعان نظر في ساعة يدى ثم يعود الفكر والشروذ حتى رأيته وكأننى أراها للمرة
الأولى في ثياب أظهرت انوثتها ومفاتنها حتى تحركت رغباتى التي ظلت ساكنة
طوال خمس وعشرين عاما وشعرت أنى أشتيتها ولم أكن أعرف أى شعور هذا
الذى اقتحمنى دون سابق انذار، كانت في كامل زينتها وتضع على عينيها
عدسات لاصقة بلون اصفر عسلي يتناسق مع بشرتها الخمرية وترتدى بنطالا
اسودا من الجينس وسترة بنفسيجة اللون قصيرة حتى الخصر عليها نقش صورة
فهد ينقض على فريسته من فرط الجوع وكان نهذاها كيران وبارزان حتى لكأنى
اشعر للمرة الأولى ان لديها نهذان وان لها قواما ممشوقا تماما كالإناث وأننى اراقب
كل هذا كنمر او كفهد جائع، اقتربت منى واقتربت وكلما اقتربت اضطربت أكثر
فأكثر وتسارعت دقات قلبى واخذ وجهى يميل الى اللون الأحمر، حتى أصبحت
امامى مباشرة وبادرتنى كما اعتادت دائما بإبتسامة حب صافية

وبادلتها بإبتسامة حب وتعجب

وقلت لها: تبدين اليوم أجمل بكثير وهذا الذي يجعل منكى أكثر انوثة من اى





وقت مضي .

- ووكزتنى في صدرى ثم قالت، أوكم أكن أنثى قبل اليوم؟
- دائما انتى أنثى ودائما جميلة ولكنك اليوم أكثر
- هل اعجبك لون ملابسى وعدسات عينى؟
- نعم دون شك، ولكن عينيكى أجمل وملابسك البسيطة أكثر انوثة ورقة، وهذا الزى ملفت جدا وسيجعلنى اتشاجر مع كل الناس الذين سينظرون اليكى ويفترسونكى بأعينهم.
- انا لا أهتم للناس، انا يهمنى ان أكون جميلة فى عينيك انت فقط.
- ركبنا فى المركب الذى اقلنا حتى القناطر الخيرية وظللتأبلل يدي بالماء ثم أنثره على وجهها وملابسها وتبادلنى امل نفس الامر وتبادل الضحكات حتى صرنا محط انظار الجميع
- احبك يا امل
- احبك يا حمدى
- وذهبنا الى القناطر وايدينا متشابكة وقلوبنا متعانقة وركبنا الخيل وركبنا الدرجات الهوائية وذهبنا الى منطقة الشلالات وعدونا وبللنا ملابسا ووجوهنا وروينا ظمأ الحب ونهم الطفولة وكان يومنا هائئا حتى تعثرت إحدى قدمائى بسبب صخرة ما وانا اسير عند منطقة الشلال فأمسكتنى امل بكل قواها ولكنى سقطت وجرحت فى اعلى معصمى الايسر والم بذراعى كدمات وسحاجات وجرحا قطعيا قد يصل طوله الى خمس سنتيمترات على الأرجح، لم اشعر بالألم





لإن يد امل كانت تحملنى وجسدى قريب من جسدها وانفاسي قريبة من
أنفاسها، حملتنى من الماء وما ان رأيت الدماء حتى صرخت وصكت وجهها
وشدت على ساعدى واخرجت منديلا من حقيبتها ومسحت الدماء بمنديلها ثم
لعلت ما تبقى من الدماء بفمها وقبلت يدي الجريحة وضمتها الى صدرها، وانا لا
اتحرك ولا اعرف ماذا افعل غير الثبات والصمت.

- دمك يا حمدى اذكى من دمي

- روحك يا حمدى اطهر من روحي

- جرحك يقع في جسدى قبل ان يقع في جسدك

- انا سعيدة أنك جرحت لاني تقربت منك الى هذا الحد وحزينة أنك تتألم

ولكنى اتألم أكثر منك

- تعرف، سأحبك أكثر من اولادى الذين سأنجبهم منك

-تعرف، لم أحب في حياتى أحدا مثل امي

ولكنى احبك الآن مثل أمي

لا انا احبك أكثر من أمي

ودمعت عيناها ولمعتا وبرقتا بريق الحب وقرص الشمس يأخذ في المغيب.



- ٣ -

غرفة صغيرة ذات أربعة زوايا في مقابل الباب الخشبي المتهالك المحطم ثلاثة
أطباء يجلسون على مكتب صغير يضع كل منهم سماعة حول عنقه ويضع قلما اعلى





جيبه ويضع يده اليمنى او اليسرى على خده والبرد قارص هذه الليالى، ولا فرش في هذه الغرفة حتى نافذتها محطمة الزجاج وبها سرير كشف متهالك يكاد يهوى بمن يجلس عليه أو تسول له نفسه ان يستلقى عليه، ومكتوب على لوحة بلاستيكية زرقاء أو هنها الزمن (استقبال الأطفال) وتتوافد النساء على هذه الغرفة يرتدين عباياتهن السوداء وأغطية رأس سوداء مليئة بالثقوب ويبرز أكثر شعرهن الذى قد يكون لونا واحدا او اكثر من لون، يأتين حاملات صغارهن على صدورهن وقد جعلن هؤلاء الصغار أسرى لما يرتدينه من الملابس والتي هي طبقات فوق طبقات واكوام فوق اكوام بعضهن يأتى للسؤال عن النصيحة الطبية وبعضهن يأتى للكشف على انفسهن والبعض الاخر يأتى لطلب عون وعلاج لأطفالهن المرضى، هرعت من فوري انا وزملائي لتلبية نداء هؤلاء الأمهات حتى دخل الينا اب وام يلهثان ويعدوان كأنها اتيا من كوكب اخر سيرا على الاقدام ويحملان طفلة صغيره قليلة الحجم في سبتها الخامسة، هدئت من روعهما ولكن لم تلبث القاعة ان امتلئت بالضجيج والصخب من توافد اهل الطفلة علينا، حملت الطفلة عن والدها ووضعتها على السرير فوجدتها فاقدة الوعي تماما وانسان عينيها كما لو لم يخلقه الله تعالى بعد، وينتفض جسدها انتفاضات مستمرة وشفتيها زرقاوين وكف يديها وقدميها يتحركان في تناغم وتناسق مستمر ويخرج من فمها رغاء ابيض واسنانها تعض على شفيتها حتى جرحتها وبدا الدم يخرج منها ورقبتها ورأسها تحولتا الى جهة واحدة وعلى بنطالها اثار مياه كما لو تبولت على نفسها ولا تتحدث ولا تشتكى ولا تأن، نهرنى زميلي وقال لى ماذا تفعل؟





والام تنظر؟

وماذا تنتظر؟

اجبت: لا اعرف، لم ار مثل هذا من قبل في حياتى.

أجاب هذه حالة نوبة صرعية كبرى.

قلت وماذا بعد

قال الى العناية الفائقة دون تردد

حملتها على كتفى وانطلقت بها كسهم خرج من قوس وكنقاط مطر هبطت الى الأرض بشكل عمودى أبت إلا أن تلامس وجه الأرض، وربما هي دقيقة أو دقيقتان حتى ولجت بها الى الرعاية الفائقة، فأخبرنى الطبيب المختص أنه لا مكان لسرير فارغ لهذه المريضة في العناية الفائقة ولكنه سيبدل كل جهد له في عمل اسعافات أولية لهذه الفتاة المسكينة، وفورا قام بعمل ما يستطيع واخبر الأهل انها تحتاج الى جهاز تنفس اصطناعى لأن حالتها متأخرة وانه لا مكان لها في هذه المستشفى

احتمل الوالد ابنته في صمت وذهول وهم خارجا من المستشفى الى مكان اخر وكنت معه خطوة بخطوة في رحلته البائسة ولكن الفتاة اخذ لونها يزرق شيئا فشيئا وانفاسها تتسارع والرغاء يعاود الخروج من الفم وضربات القلب تتسارع مجددا حتى اذا ما كاد الرجل ان يخرج من باب المستشفى حتى توقف النبض وتوقف النبض وانتهى كل شيء، انتهى تماما.





علمت بوفاتها وكأننى أنا من توفى وليس هذه الطفلة وخرجت من
المستشفى اهيم على وجهى اتخبط في الأرض بغير هدى حتى ايقظنى جرس
هاتفى وكان المتصل ايمن مدرس اللغة الإنجليزية الممتليء الوجه والجسد وكان
يلهث ويرتعد ويكأن أحد يطارده واصوات عاليه وصرخات في الهاتف كأنه
يتصل بى عبر الزمن من يوم الحشر المهيّب وأصوات رصاص حي وخراطيش
واصوات قنابل غاز تنفجر اسمعها جيدا، انا لا اخطيء هذه الأصوات ابدا وقد
شكلت احلامى وكوابيسى زهاء تسعة اشهر ماضية.

اجبته بهدؤ: اين انت يا ايمن ولماذا لا تلتقط انفاسك بسهولة وما أصوات
الصراخ والاستغااثات التى من حولك
ازداد ذعرا وهلعا وهو يقول: يضربونا برصاص حي يا حمدي، انزل وشارك
انت طبيب والمصابين هنا كثير، كنت دائما تقول لنا اعملو شيئا عظيما من اجل
بلادكم، ارجو.....

وانقطع الاتصال

اوه لم استطع ان اخدم المرضى في المستشفى وهذه الطفلة الصغيرة التي
توفيت دون ان اقدم او أواؤخر في مساعدتها، ماتت لإننى لست طبيبا جيدا ولأن
المستشفى ليست مستشفى جيده ولأن الطب والصحة في بلدى على اسوأ ما يكون
ربما كانا كذلك قبل الثورة ولكن لايجب ان يستمر الوضع على ما هو عليه، اوف
اوف، لقد سمئت الفشل المستمر في كل ما هو حولي ربما كان الأجدربى ان





ارحل نعم سأرحل ولكن الى اين؟

سأرحل الى ميدان التحرير فهناك مستشفى ميدانى قد أساعد فيها او على الأقل يمكننى ان أكون ذو نفع على نحو ما، حقيقتا ان لا اعرف هذه المرة لماذا يجب ان اتظاهر فأنا لم أتابع أى حراك على الأرض منذ شهراً وأكثر والأحداث تتلاحق اسرع من الأيام، ولكن ربما كان المتظاهرون مخربون ومفسدون في الأرض هذه المرة وحق على الامن ان يتعامل معهم بعصا غليظة جزاء جرمهم وتعليمهم على الامن والدستور والقانون، لا بأس سأذهب واراقب الموقف عن كذب ربما أمنع ضررا او انقذ روحا او ادافع عن أعلام لون بلادى او حتى ادافع عن الأراضي والممتلكات إذا كان المتظاهرون هم المخربون

وضحكتضحكة عنيفه تبعثها ابتسامة سخرية وأنا أضع يدى في جيبى وأنظر الى الفضاء الفسيح من حولى وأتسائل او يمكننى أخيرا ان أرى واحد هذا الطرف الثالث.

بضع دقائق حتى وصلت الى ميدان التحرير وهو على عهده دائما مركز صناعة التاريخ بالأقلام والدماء والجماجم، هاهو الكر والفر الذى افتقدته منذ تسعة اشهر قد عاود الظهور مجددا قوات شرطة وجيش تفض الاعتصام بالهروات والغاز المسيل للدموع ولكنى لم اسمع دوى رصاص بعد، ولكنى سمعت على الهاتف مع ايمن رصاصات عاليه.

اين يكون ذلك وأين يكون ايمن؟

هل اتصل بأهلى او بأمل؟ربما حاق بي ضرر او قبض على





كلا لن افعل ذلك، فلسوف يعقد اتصالى هذا الأمور ايما تعقيد

الأدخنة واللهب والكر والفر يتزايدان ويتصاعدان من هذا الشارع الى جوار الجامعة الامريكية إنه شارع محمد محمود ذلك الوزير الحديدى الذى عرفت حكومته في عهد الملك فاروق بالحكومة ذات القبضة الحديدية سأذهب هنالك دون شك، وشققت طريقي وسط الغاز والدموع والإختناق وتداخل الأقدام وتشابك الأيدي والأذرع والوجوه المثلثة من الأمن ومن المتظاهرين والملوتوف الذى يطير في الهواء كأنه أسراب طيور في موسم الهجرة والغاز المتصاعد وكأنه الهولوكوست بعينه وكاوتشات محروقة في كل مكان وفتيان وفتيات يسرون متفرقين وجماعات بإتجاه شارع الشيخ ريجان

ولكن ماذا شارع الشيخ ريجان؟

يا إلهى انه مقر وزارة الداخلية المصرية، ولكن لماذا يذهب المتظاهرون هناك ولماذا اندلعت هذه المظاهرات من الأساس، اقتربت من المستشفى الميدانى بعد أن ذهبت كل محاولاتي لرؤية ايمن ادراج الرياح فالغبار يحجب الرؤية والاتصالات جميعها مرفوع من الخدمة والوجوه الشكى جميعا متشابهة والابدان متلاحمة والملابس لا لون لها، ولكنى رغم كل ذلك وجدت ريح امل في وسط الدخان فأنا لا خطيء وجودها ابدا، رأيتها وهى تمرض شابا مسكينا مصاب بالإختناق، اقتربت منها ببطء حتى وضعت يدي على كتفها من خلفها، فشعرت بكتفها يهتز في رعب تحت يدي فالتفت الي ولما رأتنى، حدجتنى بنظرة ام او اب يناشد ابنه ان ينصرف من هذا المكان قبل ان يستحيل الى خراب ودمار مريع





- ترجيتنى كثيرا يا حبيبتي وطلبتى منى الا أقوم بأى عمل أهوج مجنون
يبعدكى عنى أو يبعدنى عنك وها انت الان وسط الموت والدمار.
- حمدي يا حبيبي، انا لا أستطيع أن أشاهد ما يحدث بأم عيني ولا أشارك
ولا أساعد.

- لماذا لم تخبرينى إذن، كنت احب ان أكون معك.
- انت دورك في مستشفى الجامعة وانا دورى هنا
- كنتأحب ان احملك بعيدا عن هذا المكان يا امل، لكن لا بد أن نكمل
ونستمر ما بدأ احنا حبنا اتولد في الميدان واستمر في الميدان وهيكمل ابعد حتى
من الميدان، حبنا ثورة، حبنا فكرة والثورة والفكرة لا تموتان ابدا
- كم احبك يا حمدي حين تكون جادا، كم انت عظيم، بل انت الأعظم على
الاطلاق

- ولكن اخبرينى، لماذا يتظاهر هؤلاء الشباب؟
- انت تعرف انا لست متابعة جيدة ولكن انا عرفت ان في ناس نزلت من
كام يوم الميدان في مظاهرة حتى يرحل الجيش ويسلم السلطة ثم تدخل طرف
ثالث في الأمر حتى بدأت المعركة.

- من يكن الطرف الثالث هذا يا ترى؟
- علمى علمك، لكنى هنا الان ليس ككل مرة لكى أموت لا وألف لا
ولكن لكى أعيش وأساعد الجرحى وأهب الناس السعادة والحياة





- شباب قادمون ويحملون شابا بدينا لا يمتاز لون ثيابه ولا لون شعره ولا جبهته ولكنى عرفته من تجاعيد شعره وجسده المكتنز.

اوه يا إلهي انه ايمن!

- تعجبت امل ومن يكون ايمن هذا؟

- انه رجل من الماضى الجميل منذ ان كنت طالبا في المدرسة وهو جارلى، وهو من اخبرنى بما يجرى هنا

تقدمت امل وحمدي الى ايمن وقامت امل بإستخدام قطعة قطن مبللة بمحلول ملح بتضميض جراحه وكدماته وغسلها جيدا وقام حمدي بالكشف الطبي الأولى وقياس الضغط والحرارة والنبض وقام بوضع قناع اكسجين على وجه ايمن حتى يسترد وقع أنفاسه بشكل افضل، وظل يراقب كل منهما الاخر في صمت، وبعد ان انتهت عشر دقائق نزع ايمن ماسك الاكسجين واعطاه الى حمدي وقال ممتنا شكرا لك يا جارى وصديقى العزيز.

-ابتدرته قائلا: لماذا كل هذا الغضب العارم من الشباب والعنف المفرط من الجيش والشرطة ولماذا محمد محمود وشارع الشيخ ريحان ولماذا مقر وزارة الداخلية؟

-انت لست من سكان هذا الكوكب يا حمدي؟

-انا أعيش في غيبوبة الطب والمستشفيات وأكل العيش.

- بعض القوى الثورية وبعض التيارات الدينية اعلنوا عن مليونية في ميدان التحرير واطلقوا عليها جمعة المطلب الواحد، وهو تنحى المجلس الأعلى للقوات





المسلحة عن الحكم بخطة واضحة وتسليم الحكم لرئيس مدنى منتخب فى ابريل القادم على أقصى تقدير والتعجيل بانتخابات مجلس الشعب حتى يتسنى وضع دستور وما الى ذلك، وتأزم الأمر يا صديقي العزيز بشكل اكبر حينما اعلن احد الدستوريين والسياسيين عن وثيقة مبادئ تنظيم وضع بعض المؤسسات فى الدستور، اطلقت عليها المعارضة مبادئ فوق دستورية كانت فى الأساس تجعل وضعاً خاصاً للقوات المسلحة فوق الدستور والقانون، تجمعنا فى الميدان وانسحب البعض وأكمل البعض، وهى المرة الأولى التى تظهر خلافاتنا جلية واضحة على الأرض، نحن هنا يا حمدى من اجل دولة مدنية تقدمية يلزم كل رجل فيها مكانه.

- من اين لك بكل هذا الحماس والايمان يا ايمن.

-انه من الحب يا حمدى

- انعقد حاجبا حمدى وتعجب: الحب

- نعم يا حمدى انه حب وطنى الذى طغى على كل حب سواه

- لا امل لهذا البلد الا بالحب والإخلاص والعمل.

صفقت امل لما تسمع وقالت انت واصدقاؤك يا حمدى دائماً بخير ودائماً على خير، التفت ايمن لها ونظر متعجباً، فاحمر وجهها وقالت: عذراً على المقاطعة يا دكتور حمدى.

فقال حمدى: لا يا امل انا مش دكتور انا حمدى حمدى وبس ولو هضيف حاجه يبقى اضيف حمدى الى بيحبك.

بتعجب أكبر واستهجان واستنكار واستفهام واعجاب التفت ايمن الى





حمدي وقال: حبيبتك يا حمدي

او مئت برأسی: سأشرح لك كل شيء في حينه يا صديقي العزيز.

وتقدم نحوهم مجموعة من الشباب يحملون شابا ابيض الوجه قصير القامة اسود الشعر وملابسه ملطخة بالدماء وعلى صدره اثار جرحين او اكثر نتيجة طلق نارى حي، اقتربوا به واقتربوا اكثر تلقيته منهم وقامت امل بتطهير جروحه ما استطاعت والدم يتدفق من صدره وضعت يدي على قلبه وشرائينه والنبض يقل، ، ، يقل

يقل

ص ر خ ت ب أ ع ل ص و ت ل د ي ،،،،،،،،،، اسع ا ف

[illegible]

انتبه بما تبقى له على ظهر الأرض ربما من شدة صوتي او ربما من دموعي التي اختلطت بملابسه، فقد كنت اعرف الفتى كنت رايته سابقا في محفل لنشاط طلابي قبل عامين وهو الان في نهايات كلية الطب، كنت اعرف انه سيموت لا محالة لذلك سبقت دموعي استغاثاتي، نظر الى وقال لم اشأ ان أكون طبيبا ولكني سأموت شهيدا، كنت أتمنى ان اصير افضل طبيب واقدم علمي لبلدي ولكني وجدت العلم لا يكفي، فأعطيت روعي لبلدي واخشي أيضا انه لا يكفي.....وتوقف النبض وتوقف النفس ولم يعد هناك ضغط إذانتهى كل شيء.

بکیت وبکت امل وبکی ایمن وبکی الجميع بکائا کالنحیب، بکائا علی





القاتل والقتيل وخوفا على وادي النيل، وما ان جففت دموعى حتى سمعت
أحدهم يقول:

- دون شك قتله الاخوان لأنه كان ذو ميول يسارية او علمانية
- وصوت اخر يقول: نعم قتله الاخوان لكي يرهبوننا ونرحل الي بيوتنا
وتتم الانتخابات الهزلية في موعدها ويتم لهم السيطرة على مصر والعالم
- وصوت فتاة تقول بل قتله السلفيين لأنه غير ملتحمى ويسلم على
السيدات بيديه

- وصوت رجل كبير يقول قتله المندسون بيننا من الفلول حتى يفسدوا
علينا ثورتنا

- وقال ايمن: بل قتله الطرف الثالث
- وقالت امل بغضب: بل قتلته الشرطة والجيش
- وقلت انا: رحمة الله عليه ترك لنا ارثا ثقيلا.

ولم يتوقف الكر والفر والتراشق والهتافات
يسقط يسقط حكم العسكر..... احنا الشعب الخط الأحمر

تضرب بغاز تضرب برصاص
جيلنا من الموت ما بيخافش خلاص
وهتافات للشهداء والمصابين
وهتافات عدائية ضد بعض قيادات الحكم
سرت دماء جديدة في عروقى وايقنت ان اليوم كان نتيجة حتمية لسياسات





مربية مربكة زهاء عشرة شهور منصرفة ووجدت نفسي مع الثوار أخيرا اهتف كما يهتفون واروح واغتدى كما يفعلون.

وها هي الجراح تنزف من كل جسد والارواح تعرج الى بارئها على معارج من حب الوطن والفداء والتضحية، ايقنت اليوم ان بعض الناس لها مصالح في الحكم لا تتورع عن اى شيء في سبيل تحقيقها، لم اجد شباب الاخوان كما وجدتهم في يناير ولا السلفيين ربما قلة ممن رايت وهم من شارك بمحض رؤيته وإرادته الخاصة وكانت تلك اول مرة لى لا اراهم فيها في تظاهرة حاشدة. كانت يدى تعالج المرضى تأخذ غرزا جراحية لهم وتغير على جراحيهم وتصف لهم بعض الأدوية الخاصة بالجهاز التنفسي وبعض المضادات الحيوية لجراح امل عقلى ان تندمل يوما ما

ويتوافد الجرحى من كل جانب والموتى أيضا، وانا اتابع ارواحا تنتهى حياتها وقد املت ان تبدأ، رايت بعينى رجل شرطة يرتدى ثيابه السوداء ويعتمر بكاب اسود على رأسه ويرتدى نظارة سوداء اللون يقف اعلى بناية مجاورة بالقرب من شارع الشيخ ريحان ويصوب بندقيته الى وجوه وصدور وعيون الشباب المتقدمين من بنايته وحتى المدبرين منها يصيدهم كالحمام وابتسامة رضا او انتصار عظيم مرسومة على جبينه ورأسه تهتز ثقة كلما أصاب هدفا جديدا ويدخن سيجارته ويمسكها بيسراه وتربت يد على كتفه الأيسر تارة ويد أخرى على كتفه الأيمن تارة كلما اطلق من فوهة بندقيته رصاصات جديده، اللعنة ماذا يفعل هذا المجرم انه يقتل بنى وطنه وبنى جلده مقابل مالا يعرف او مقابل بذة يرتديها او





مقابل مال او مقابل منصب جديد، تذكرت ارنيستوتشي جيفارا حين كان طبيباً مشاركاً في ثورة فيدال كاسترو وكان يعالج ويمرض الجرحى، تذكرت أنفاسه تذكرت عينيه تذكرت عرقه الذى يتصبب ليروى ظمأ الأرض للحرية والحياة نعم تذكرته وذكرته انفعاله حينما القى الدواء وحمل السلاح وقال ان الحرية شجرة لا تروى الا بالدماء. تذكرت اننى جيفارا في هذا اليوم وفعلت مثل ما فعل والقيت بالدواء ولكنى لم اجد سلاحاً في يدي فحملت ايمانى بوطنى مجدداً والتقيت حجراً من الأرض وتقدمت مع المتقدمين وفررت مع الفارين القيت الحجارة والقيت المولوتوف وشعرت بغیظ وحنق شديدين وكأن الامر بينى وبين هؤلاء هو امر محض شخصي، لازلت اذكر عيني الرجل وضحكاته واستهزائه ونفخة سيجاره والقيت الحجارة بكلتا يدي ورفست بقدمي والقى احد ضباط الشرطة القبض على وضربني بعصا غليظة واقتادني نحو مركز تواجد قيادات الشرطة ولكن أصحاب الدرجات الهوائية اصابوه بحجر على رأسه ففرت معهم وتنفس الصعداء وعدت الى مكاني مع المتظاهرين ونسيت امل ولكنها لم تنسى وظلت تبحث عني في كل مكان حتى أصيبت بإختناق من الغاز وحملت الى مركز المستشفى الميداني انطلقت اليها وضممتها الى صدري وقمت بعمل العلاج اللازم لها، ما إن رأت عيني حتى عادت الى سابق صحتها الجيدة وقالت لي كما كانت امي تقول دائماً: لاتذهب بعيداً يا صغيرى

وايمن ينظر الينا عن كثب ويقول ما اجمل الحب، انا سعيد جداً لكما واتمنى لكما ان تبقىا معا دائماً وان تسعدا حيناً بعد حين وفي كل حين ورتب على كتفي ورتب على كتف امل وانصرف وسط الحشود على ان يعود الينا ليبارك حبنا دائماً،





تركت السلاح وحملت الدواء مجددا على ان ابقى الى جوار امل وان تبقى امل الى جوارى وحملت الحشود الينا رجلا نحيفا متلحفا بعلم مصر مصاب بطلق نارى في عينه اليسرى وعينه تنزف دون هواده وكل محاولات اسعافه فشلت أتت الإسعاف له سريعا وحملته الى المستشفى وقال لى وهو يحمل الى الإسعاف، لقد رأيت بعينى من اصابنى، ما اسوء ان ترى عينك نهايتها، انا اعرف اننى لن أرى بعينى مجددا ولكنى سأبصر بقلبى ما بقيت حيا.

صخب وضجيج وقوات الشرطة تتقدم وتتقهقر وتضرب بلا شفقة او رحمة والبيانات تتضارب والاخبار تتزايد.

- المجلس العسكرى سيسلم السلطة غدا.
- المجلس العسكرى سيؤجل الانتخابات
- المجلس العسكرى سيقيل الحكومه
- القوات المسلحة ستطرد الشرطة من الميدان كما حدث في فبراير الماضي
- القوات المسلحة ستفرض حظر التجوال
- القوات المسلحة ستدك الميدان بالطائرات
- القوات المسلحة ستقوم بمحاكمتنا عسكريا
- كل هذا وغيره من الاخبار التي سمعتها وانا في الميدان وشارع محمد محمود وتناقلتها الألسن وثبت ان بعضها محض اشاعات والبعض الاخر تحقق لاحقا.





شمس تغيب وأخرى تشرق وليل يأتي وآخر ير حل ووجوه تطل على
بضحكات وابتسامات ووجوه عابسة ووجوه فقدت اعينها ووجوه فقدت الحياة
تبدل الوجوه كلما تبدلت الأوقات والفتافات تعلو وتتزايد وتخفت حيناً وتختفى
أحياناً، كنت اصطحب امل الى بيتها كل مساء ثم أخبرها كذبا أننى سأعود الى
البيت او الى المستشفى ولكننى كنت اعود الى الميدان، رغم الخوف والقلق كنت
اشعر اننى يجب ان استمر ربما لأننى لم اجد مكانا اخر اثبت فيه لنفسى اننى قادر
على شيء ما، وكنت اخبرابى وامى كذبا أيضا اننى فى المستشفى وان العمل كثير
جدا وأنه لا ينتهى ابدا، وكانا يصدقاننى لأنهما لم يجربا كذبنى كثيرا فيما مضى، كنت
غاضبا فى هذه الأيام اكثر من غضبى فى يناير وكنت اليوم المتظاهرين كثيرا على
كثير من سلوكياتهم واستخدامهم للحجارة ولكننى لم اكن اعرف بديلا لذلك،
وذات صباح يوم تجمعت الجماهير الغاضبة على رجل يرتدى قميصا من القماش
زيتى اللون وعليه سترة من قماش زرقاء اللون ووجهه رفيع قمحى اللون وعليه
شنب اسود واسنانه سمراء وبنية اللون، طرحته الجماهير العريضة ارضا واوسعوه
ضربا وقالوا انه عميل للشرطة وانه اخوانى وانه خائن وعميل وتفرقت الكدمات
فى جسد الرجل والسحاجات وانخرط الرجل فى بكاء عميق ورأيت احد الباعة
الجائلين وهى فتاة سمراء اللون ترتدى عبائة سوداء وعلى وجهها اثر حرق قديم
وتضع ايشاربا اخضر على رأسها وتصرخ قائلة: هو الراجل الوسخ ده لاقيته
بيشاوور للعساكر على الناس الى فى الميدان وبيضرب حد من الى كانوا متعورين فى
ثورة يناير.

-تعالى السباب وتعالى الهتاف، وتعالى الاقدام لتهبط على صدر الرجل





وظهره ووجهه أحيانا تمزقت ثيابه وراح يبكى بكاء هستيريا كالأطفال.

هل اضربه معهم ام أخلصه من أيديهم؟

خلصته من أيديهم وضمت جراحه

ضحك ضحكة عاليه وقال: انت شاب مؤدب لماذا أنت في صف واحد مع

هؤلاء الأوساخ

قاطعته، انت تراهم وسخين وهم يرونك قذرا إذن لافائدة ستظل بلادنا

مهلك سر، ولن يكون هناك أى تفاهم وسنغرق في الدوامه.

- اخبرنى أيها الطبيب، لماذا يأتي هؤلاء الجرذان عند محيط وزارة الداخلية؟

- لماذا يعتصمون في التحرير ويعطلون مصالح الناس؟

- لماذا يقذفون الطوب ومولوتوف على رجاله الداخلية الأمناء والشرفاء؟

- لماذا معهم فتيات ساقطات عدييات التربية والشرف؟

- من يدفع لهم كل هذا المال ومن يمدهم بالمعلومات والتدريب؟

- هؤلاء الصبية مجرد شباب طائش من الاخوان والسلفيين والملحددين

والعلمانيين لا يفقهون في السياسة أو حب الوطن قليل أو كثير يريدون دمار البلاد

- ولكن من أنت؟

- انا وكل أمناء الشرطة الى يحبوا البلد.

- ضحكت ضحكة صوتها اعلى من ضحكته السابقة، واستطردت

- أنتم تحبون أنفسكم فقط وأشك أيضا في ذلك، أتدرى انتم مجرد عصي في





يد الحاكم يضرب بها من يريد دون ان تدركون لماذا تضربون ومن تضربون وحتى كيف تضربون، أنتم أحد أهم أسباب قيام الثورة وأنتم أيضا سبب استمرارها.

- دعنى أخبرك أيضا، أنكم لا تريدون حماية المتظاهرين أو استيعابهم لكنكم اعتدتم ضربهم ودهسهم والضرب يؤدي الى ضرب والعنف يؤدي الى المزيد من العنف.

- لو انا يا سيادة الأمين كنت وقعت في يدك أسيرا لم تكن لتحدث معى كما أتحدث أنا معك الآن ولا كنت ستحضر طبيبا يشفينى من أمى وجراحى ولم تكن حتى ستعاملنى كما يجب أن يعامل كل انسان في العالم

- انت يا سيادة الأمين رجل غير امين، ولو تركتك لهؤلاء المتظاهرين الغاضبين سيزدردونك من فرط جوعهم للإنتقام ولكنى سأتركك عسى أن ترتجع وأن يكون هناك بقايا انسان داخلك أو تربى أولادك فيصيروا خيرا منى ومنك، كما أننى لا أحب القتل ولا أقوى عليه.

- انهض يا سيادة الأمين وارجل ولن أخبر أحدا عنك ولو رأيتك جريحا مرة أخرى سوف أداويك أيضا واعلم أن ذلك عملى وشرفى.

ساعدته على النهوض وانا كاره له أتمنى لو انى انقضضت على رقبتة وانهى حياته بنفسى، كم هو أحق بئس لكنى أدرك دائما ان ازهاق الأرواح ليس وظيفتى في هذه الحياة وانما انقاذ الأرواح هو هدفى وحسابنا جميعا على الله ولكن ماذا لو كان هذا الرجل قاتلا، أيضا لا شأن لى.





جلبة أخرى وصياح آخر ودراجة بخارية تتجه صوبى مسرعة وعليها رجل
في بداية العقد الرابع من عمره وعلى جسده جرح غائر ربما كان طعنة نافذة الى
الصدر وجدت الرجل جثة هامده قد فارق الحياة تماما، ولكنى سمعت الرجال
الذين حضروا به يقولون انهم رأوا رجلا يرتدى قميصا زيتيا وبلوفرا ازرق اسود
اللون وبه شارب مميز، هو من قتل الرجل بسكين كانت في حوزته
سألتهم عن اوصافه بدقة اجابوا بدقة أيضا وقالوا انه اختفى تماما وسط
الجموع ولم يبصر به أحد.

شعرت وكأننى من قتل الرجل لأنى تركت قاتله يتفلت ويذهب ليفعل
فعلته النكراء.

ايقنت انه لا امل في هذا البلد وانه لا فائدة او كما قال سعد زغلول
حتى امل لم تتحمل كل هذه الدماء والاحباطات وامسكت بيدي كطفل
صغير يريد الرحيل، امسكت انا أيضا بيدها ورحلنا تحت المولوتف والرصاص
والغاز وضباب السماء

وقد علمت بعد ذلك بعد انتهاء هذه الاحداث ان رئيس الوزراء قد اقبل من
منصبه او استقال وان الدولة ستحاسب كل من سولت له نفسه ان يعيث في
الأرض فسادا وانها تكفل حق التظاهر السلمى للجميع، وانها حتما دون شك
ستحمى الجميع وستقام المرحلة الأولى من الانتخابات في موعدها بعد أيام
قلائل





لم اتعجب من ذلك ولكنى كنت كهذا الرجل الذى يغرق في المحيط ولا يعرف عند اى عمق تحديدا من هذا المحيط سوف تنتهى حياته تماما والى الابد، كانت امل هي الشيء الوحيد الذى يجعل هناك معنى للحياة وهناك امل.

-٤-

لم نعتد في وطنى على مثل هذا الطقس قارص البرودة وهذه الامطار الغزيرة الشمس غائبة والأجواء غائمة تماما والسماء حمراء داكنة ولسعة برد اشعر بها في كل مكان حولى والأرض موحلة لا تستطيع السير فيها الا بعد ان تشمر عن نصف ساقك ولكن لاشيء يجعل الناس في وطنى سعداء مثل البرد يجمعهم على طاولة واحده ويجعل كل امرئ منهم في شغل بنفسه وأولاده عن الآخرين ويشارك فيه الناس الانفاس ويتحاضون على الخير ويتسابقون اليه وترسم البسمة وتعلوا الضحكات على وجوه قلما ابتسمت وقلما ضحكت، هرولت الناس الى البيوت واقفرت الشوارع والميادين الكبيرة وقلت وسائل المواصلات والامطار تهطل بغزارة شديدة كأنها ارادت مس وجه ارض اقفرت من الشتات والتخبط في كل امر، الناس تهرول الى البيوت وانا اضع يدي في ايدي امل ونهرول الى الطرقات في الميادين الكبيرة والشوارع الضيقة نسير على الرصيف حيناً ونتوسط الطريق حيناً ونقف حيناً ونسير حيناً ونعدوا كثيرا ولا تفارق يدي يدها ولا يبتعد نفسي عن نفسها، خلعت عن كتفى معطفى الجلدى الذى اهدتنى إياه امل ووضعته على كتفيها ومسحت بيدي الماء عن جبهتها وجبينها واخبرتها كما اعتدت دائما ان اخبرها كم احبها وبادلتنى حبا بحب وعشقا بعشق وامنية





سعيدة بأمنية سعيدة، جلسنا تحت النخيل امام جامعة القاهرة لنستريح من السير قبل ان نواصله الى ميدان الجيزة وقالت لى امل وهى تتنهد ويطير البخار من فمها والرضاذا: ستذهب الى الانتخابات غدا يا حمدى.

- أريد أن أذهب ولا أريد ان أذهب.

- ده لغز حضرتك

- لا واللهى يا حبيبي هذه معادلة صعبة لا أعرف أن أحلها، أريد ان أشارك فقد اصبح صوتى له قيمة وسيساعد على نجاح مرشح ما ولا أريد المشاركة لأنى تقريبا مستخسر صوتى في الموجودين على الساحة ثم ان دم الناس في محمد محمود لا يجب أن يجف وينشف داخل صناديق الانتخابات، هؤلاء الناس ماتت أرواحهم سدى وخلاص دمها راح هدر

- شارك يا حمدى حتى لو هتبطل صوتك، وتعترض انزل حتى تراقب فرحة الناس وهى تضع ايديها في الحير الفسفورى ويحسوا ان أيديهم اصبح ليها قيمة غير رفعها للسماء والدعاء على الحكومه، اقولك انزل عشان اجى معاك.

- حسنا سأذهب.

- لمن سيكون صوتك الجميل؟

- سأبحث عن أفضل ناس في المستقلين واهديه صوتى ولو لم أجد سوف

أبطل صوتى، وانتى يا امل هتهدى صوتك لمن؟

- انا صوتى للإخوان المسلمين؟





- ولماذا الاخوان المسلمون؟!
 - هم يا حبيبي ظلموا ثمانين سنة وهاهو الوقت المناسب لإنصافهم من الأيام، تعرف يا حمدى كثيرا جدا يذكروننى بنفسى قبل ان القاك وكما ضحكت الدنيا لى لا بد وان تضحك لهم ايضا
 - ولكن يا امل هم ظلوا ثمانين عاما يعملون بشكل سرى صعب عليهم الآن ان يعملوا وينجحوا بشكل معلن.
 - دعك من السياسة الان، تصورى بقالى ساعة كامله مقولتلكيش فيها بحبك.
 - وانا كمان بحبك يا حمدى.
 - وتشابكت أيدينا مرة أخرى وتابعنا العدو تحت المطر وصوت ضحكاتنا يعلو على صوت انفاسنا.



اشرقت الشمس وراح الغمام ونزلت خلائق كثير من بيوتها صباحا باكرا في هممة ونشاط وذلك ليس بداعى العمل ولكنه بداعى تلبية نداء الوطن حيث اليوم إجازة رسمية ولكن لم تخل الطرقات من المارة ودبت الحياة بقدمين قويتين على ارض العاصمة من الحديد ولم تمنع برودة الجو ولا السير في الوحل اقدا ما ابت الا السير الى المستقبل، لم تكن محافظة الجيزة حيث تسكن امل على موعد مع الانتخابات حيث ستعقد في مرحلة أخرى واليوم هو يوم القاهرة الكبرى، أصرت امل ان تحضر معي الانتخابات وذهبنا الى اكثر من لجنة واكثر من مكان





ويكأننا مشرفين من حزب ما واو أعضاء هيئة عليا يطمئننا على النزاهة والشفافية في الانتخابات، لجنة تلو لجنة ولجنة تلو لجنة والاعداد هادرة والصفوف طويلة بالعشرات وربما المئات في بعض اللجان يضحكون ويتسامرون وينهى كل امرئ حديثه بجملة واحدة (ربنا يولى من يصلح) لم اشاهد اثارا لبلطجية او من يشتري أصوات ناخبين ولم أرى تراشق بالألفاظ او الايدى واختفت الأسلحة بكافة اشكالها حتى رجالات الامن كانوا ودودين على نحو يبعث الراحة في القلوب رأيتهم ينظرون الى الناس بلطف ورفق ويتبادلون معهم التحيات والابتسامات وايماءات الرأس ويتحاشون الحديث معهم في امر السياسة وفي امر من يجب ان يحصل على الصوت ولم تكن هناك رشاوى انتخابية لا أحد يدفع المال ولا أحد يقبض المال ورأيت بعض الشباب الذين قاموا باستخدام مساحات لإزالة المياه والوحل بعيدا عن صفوف الناخبين ورأيت امرأة كبيرة على عكاز كبير تتكأ عليه باليد اليمنى تارة واليد اليسرى تارة وظهرها محنى الى الامام واكثر اسنانها غير موجودة ومعها ابنها وهو رجل كهل، افسح الناخبون لها الطريق لكي تدلى بصوتها ولكنها ابت الا ان تأخذ لها مكانا في صف الناخبات فأحضروا لها مقعدا جلست عليه حتى اتى مياعدها في الصف، وشاب اخر يجلس على كرسي متحرك ويحمل علم مصر في يديه ويأخذ دوره في الصف منتظرا تلبية نداء الوطن والديموقراطية.

الناس في تراحم يشبه تراحمهم على استفتاء ١٩ مارس المنصرم وكأنهم أيضا في صلاة عيد طال انتظارها بعد صيام عقود طويلة يرتدون افضل الملابس





ويتعطرون بأفضل العطور ويتنظرون الأفضل لبلادهم، وامل فرحة مبتسمة مشرق ثغرها وتتعلق في ذراعى كما طفل صغير ولكنها قالت لى باستعجاب انظر هناك!

شباب وفتيات من كل سن ومن كل شكل يقومون بتوزيع دعاوات للناخبين ربما لتوجيههم او لعمل دعايا مستقبلية لأحزابهم اقتربت منهم حتى اعرف من هؤلاء وماذا يفعلون وجدت بعضهم من الاخوان والآخر من السلفيين والليبراليين كان لهم أيضا نصيب وعن المستقلين خلق كثير يحاولون بكل ما أوتوا من حيل ان يوجهوا الناخبين للتصويت لمرشحيهم واخبارهم ان مرشحهم هو الافض وان غيره لا يفقه كثيرا مما يقول وان حزبهم هو المستقبل او هو الدين او هو الدنيا او أنه يحمل الخير لكل الناس، اقتربت اكثر واكثر حتى سألت احد الفتيات التي تقوم بتوزيع أوراق دعاوية لحزبها -ماذا تفعلين؟

-الحرب ليست نزيهة دائما؟ وكل التيارات والأحزاب تفعل نفس الشيء فلم اللوم على انا؟

- لا يجب انا نتبارى ونتجارى في فعل الخطأ

- نعم ولكن يجب ان نتبارى في النجاح

- معكى حق ولكن يجب ان نتبارى بشرف

- الشرف امر نسبي يا أستاذ

-اذن لماذا كانت الثورة؟ برأيك

- لكى تنتهى جولة وتبدأ جولة جديدة من النزاع ربما اقل شرفا وربما اكثر





شرفا، هذا لا يهم

ثم رحلت عنى ولم اعرف منها اى فريق تتبع ولكن ملابسها كانت متحررة
نوعا ما

اعتبرت اننى اما حالة فردية من بعض الشباب ذوى النزعات السلطوية
وحذرت انه ليس من الأفضل ان يكون حزبها ينادى بذلك كما انه من المستحيل
ان يكون قادتهما هم من لقنوها ذلك العلقم المر.

تجاوزت امر هذه الفتاة حتى وجدت شابا في مقتبل عمره ذي لحية طويلة
يفعل كما فعلت الفتاة السابقة، اقتربت منه رويدا وألقيت عليه تحية الإسلام،
فأجاب مبتسما وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

-ماذا تفعل يا اخى أولا تعرف أننا في صمت انتخابى وان مثل ما تفعله
مخالف للقانون

- انظر حولك، انهم جميعا يخالفون القانون

-ولكن لا يجب ان تخالفه انت وقد قطعت على نفسك العهد ان لا تخون امانة

ابدا

-هذه حرب يا عزيزى وكل شيء فيها مستباح

واكمل كلامه ولم اسمع منه شيئا فكأننى اصبت بنوبة من الصرع افقدتنى
السمع والنطق والتركيز وعدت ادراجى سبعون او ثمانون عاما وذكرت ذلك
البطل غاندى حينما قال في لحظة يأس وبؤس (الكثيرون حول السلطة وقليل
حول الوطن) ولكن عذرا أيها الغاندى فالكل حول السلطة ولا احد حول





الوطن، ولم يحاول اى من رجال الامن منع احد من هؤلاء ولا التعرض لهم، ابطلت صوتى في الإنتخابات ورحت الى البيت فرحا وحزينا اخشي على بلادى من سياسين مراهقين لا يدركون اى فعل يفعلون.



-٥-

أيام قليلة مضت ربما أسبوع او اكثر وفي ظل النشوة الشعبية بنجاحات الانتخابات وما تم فيها من ديموقراطية وان شابتها بعض الشوائب فلا يخلو الصفو عن كدر ابداء، اعلن المجلس الأعلى لحكم البلاد عن تعيين رئيس وزراء جديد خلفا للمستقيل او المقال عقب احداث محمد محمود الأخيرة، وهاج الراى العام مرة أخرى بين مؤيد ومعارض للقرار وبدأت موجة ثورية جديدة واعتصام في ميدان التحرير ولكنى لم اشأ ان أشارك فيها لأنى كنت نوبتجيا في المستشفى في قسم الأطفال يوما بعد يوم وشاركت حبيبتى امل في التظاهرات لأنها كانت لا تشعر بنفسها الا وسط اهتاف او وسط الدخان والغاز ولا تشعر بنفسها الا حينما يصيبها اختناق الغاز ولا تشعر بعينيها الا حينما تبكى من هول ما ترى ولا تشعر بيدها الا حينما تضمد جرح غائر لرجل ثائر هكذا كانت امل تقول لى دائما، كانت تحضر الى في المستشفى في كل مساء وتحضر لى طعام العشاء وهى تعرف نهى وشرهى للطعام وكانت تطعمنى في فمى كما تطعم الأم الحانية رضيعها الحبيب وتضحك في وجهى وهى تقول بعين يملؤها الحب





(هم يا حبل) (كل يا حبيبي عشان تكبر)

جاءتني في هذا المساء وهى حزينه وعيناها حمراوين ووجهها شاحب وانفاسها صعبة وثيابها متسخة وسحاجات في معصمها وكدمات على مرفقها ورغم ذلك لم تنس ان تحضر لى الطعام كما كانت تحب ان ترانى سعيد دائما. لم ارفع يدي الى الطعام وكذلك لم ارفع يدي عنها وسألتها مابك يا حبيبي؟

- البلاد التى فيها ظلم مثل مصر لا يمكن أن تتقدم ابدا، انا يئست يا حمدى يئست من كل شيء في بلادى وأصبحت أخاف البلد أن تأخذ منى امى او تأخذك منى انتما فقط من اعيث لكما وبعد ذلك لا أريد شيئا من هذه الدنيا

- خير يا امل ايه ماذا حدث؟ انتى عارفة انا قاعد هنا في المستشفى لا اعرف ماذا يحدث ولكنى سمعت عن وجود قلق في التحرير وعند مجلس الوزراء.

- أحسن أنك لم تذهب هذه المرة الايد تقلت بزيادة والظلم والفجر قطفنا أحلى ورود من جنية قارب الورد فيها ان ينتهي ولن يبق فيها غير الشوك والصبار.

- وما الجديد هذه المرة؟

- كنت في المستشفى الميدانى مثل كل مرة بتحرك من جريح لجريح ومن مصاب لمصاب حتى لقيتهم يحملون رجل نحيف ابيض اللون وعنده دقن صغيره ووجهه ابيض منور ومضروب بالرصاص وطبعا لا أحد يعرف من ضربه، المتظاهرين يقولوا الامن والشرطة بتقول المتظاهرين والحكومة بتقول ان هناك طرف تالت اندس وسط المتظاهرين وهو الى بيقتل، واللى يقولك الاخوان





حتى يرفعوا الناس، والى يقولك الليبرالين لأن الرجل شيخ والى يقولك ايه الى وداهم هناك ودى اكر كلمة سمعتها في الشغل وفي الشارع وفي المواصلات ودى اكر كلمة حرقلى دمي ودمرت اعصابي، المهم الراجل الشهيد قبل اما يموت كان يقول بما تبقى له من صوت كان نفسي اموت في حرب مع إسرائيل لكن ادينى بموت اهو ومش عارف مين قتلتى ومش عارف حتى قتلتى ليه، قتلتى عشان قلت رأى لم يعجبه ولا قتلتى عشان طلعلى حس وصوت وكان لازم أكون اخرس ولا أحرك لسانى ولا حتى أحرك شفاهي ولا أيدي ولا رجلى الا فيما يعجب الحاكم وفقط ولا يمكن قتلتى عشان عندي دقن ولا عشان حتى عشان انا مش عضو في اى حزب الا حزب بلدى ولا عشان يخرس اى صوت بيحب مصر....

كانت مصر اخر كلمة قالها الرجل قبل ان يتسم بسمته الأخيرة ويموت قبل ان تأتى الإسعاف التي كان يجب ان تقله الى المستشفى واذا بها الان تقله الى مثواه الأخير والى لحده حيث يرقد جسده الى حين تتلاقى الأرواح والاجساد ويتم كشف الحساب الأخير.

غاب لون عيني امل من الدموع وهى تروى لى ما حدث ولم اكد ابصر لوجهها ملامح غير انى ربت على كتفها وقبلت رأسها واومئت على يديها وقبلتها، وقالت لى وهى لا تزال تبكى: ليس هذا كل شيء يا حمدى ليس هذا كل شيء، تطورت الأمور الى حرب شوارع وساحة حرب كبرى رأيت فيها قوات الأمن تركل شاب وفتاة بكل ما أوتوا من قوة بإيديهم وبأرجلهم وبعضهم





ويقذعونهم بأسوء ما يمكن لإنسان ان يسمعه عن نفسه او حتى يسمعه عن غيره، لم يتوقفوا لحظة عن الضرب سببتهم واتجهت نحوهم ولكن رجلا اعترض طريقي وقال لى اخشي عليك مالن تتحملينه حجزنى بيده بقوة ونظر الى بقوة وغلظة وقال لا يجب ان تموتى اليوم او تفقدى شيئا لا يعوضه الزمن مرة أخرى نظرت اليه فإذا هو احد الرجال الذين يرتدون لباسا مدنيا ولكنهم في النهاية رجال شرطة، عرفت ذلك من عينيه وما بهما من غلظة، استمر الضرب والسحل والفتاة تصرخ صراخ طفل ولد الى العالم الجديد فوجده حزينا بائسا واراد ان يعود الى بطن امه ولكن انى له ذلك، ولم يكتفوا بضربها وسحلها ولكنهم نزعوا عنها لباسها فانكشف من جسدها جزء كبير والصراخ يستمر وصراخى يستمر وعلا صراخى صراخها وصيحاتى بالنجدة صيحاتها ودمعاتى غلبت دمعاتها ورأيت نفسي مكانها بل رأيت كل بنت مكانها وكل طفلة وكل أم وحتى كل رجل، اين العدالة في سحل متظاهره؟ وأين العدالة والعفة في تجريد فتاة من ثيابها؟ وأين سطوة وقوة دولة فشلت أن تحمى متظاهريها وجردتهم من كل شيء من الحرية والكرامة والعدالة وجرردتهم حتى من الثياب، هل يبنى هذا المواطن مهدور الكرامة وطنا او ينشئ جيلا جديدا يمكن ان يحمل نفعا؟

استمرت في البكاء وقالت كنت اعتقد اننى مكانها اننى من اتعري اننى من اضرب شعرت ان جسدى صار مستباحا واننى أصبحت بلا ملابس بلا جلد بلا لحم او عظام حتى شعرت اننى بلا روح، طوال طريقي وانا اتية اليك اشعر ان ثيابى ممزقة وان الاعين تفرسها وان الذئاب ستأكل لحمى ودمى، لا أدري لماذا





تذكرت ابى ساعتها وتذكرت تنصله عن مهامه وواجبات تجاهى وامى واخوتى .

تذكرت أيضا اخوتى وخفت ان يكونوا عرايا أيضا

تذكرت والدتى وذكرى يوما قدم فيه الينا قوات تنفيذ الاحكام ونهروها ودفعوها بشدة حينما أتوا الى منزلنا بحثا عن امين الذي لم اختره أبالى ولا أحب ان يكون ابى واخشى اننى لا اريد ان اراه مرة أخرى ما دمت على قيد الحياة.

تذكرتك انت أيضا يا حبيبي في صورة هذا الشاب الضعيف الذى تقدم الى الفتاة ليحميها فنال ضربا وسبا ولعنا ونال تقييدا وعجز وفشل، رأيت يبكى لا من خوف لا من برد لا من الم ولكنى رأيت يبكى عاجزا، نعم عاجزا وشعرت ان بلدا كاملا يعجز عن ستر فتاة

اللعنة على هذا البلد يا حمدى، اللعنة عليه.

انا عارية ولقد جئت اليك يا حبيبي لكى تسترنى بذراعيك وتضمنى الى صدرك عسى ان انسى هذا اليوم الحزين، ومسحت بيدي على رأسها ووجهها وكتفها وضممتها الى صدرى أيضا وقلت لها انا من يحميكى يا حبيبتي دائما انا من يسترك ومن يدفئك من البرد ومن يعيش من اجلك ومن يموت من اجلك أيضا، انا من ارسله الله لكى لكى يمنع عنكى الحزن والالم ويحمل لكى اجمل وورود من بستان الحياة، انا اعرف كم قاسيت وكم حزنت وكم كانت ليلايكى طويلة وشمسك غائمة ولكنى شمسك وظلك وانا احبك، وترقرقت في عيني دموع لم أستطع ان اكنمها. سمعت احد الممرضين يقول ان المجمع العلمى الموجود في ميدان التحرير قد اشتعلت فيه النيران ربما صعقنى تيار كهربى او اصابتنى





صاعقة او احرقنى نيزك انتفخت اوداجى حتى ظننت انى شرايىنى وعروقى
ستنفجر و جفت دموعى سريعا واحمر وجهى وازرق غضبا وحنقا ونهضت من
فورى وقلت لم يبق في هذه البلد الا العلم فإن انتهى انتهى كل شيء قد كنت اعقد
املا كبيرا على بنى وطنى ولكنى الان أصبحت عاجزا عن كل شيء حتى عن
عقد الامل، سأترك النوبتجية وارحل غير عابىء بشيء وغير لاو على شيء
سأرحل لانقذ شرف العلم او احترق وسط كومة من الكتب لاستدفيء برماد
الكتب ولاستنشق عبيرها ربما لمرة أخيرة، ربما يكون افضل مكان اموت فيه هو
هذا المجمع بين ارفف المكتبات ودفات الكتب، لم ابدل ملابسي ورحت بملابس
العمل وامل تلهث خلفى وتهرول وانا اعدو وسط الرياح حتى وصلت الى
المجمع العلمى في ثلث ساعة سيرا على الاقدام ورأيت صرحا كبيرا يتداعى من
جراة اشتعال النيران والاعمدة تتساقط والأبواب والنوافذ تنفجر من ضغط
النيران والملوتوف يطير من اعلى ومن اسفل ويأخذ الرأس والكتب ورجال أمن
هنا وهناك وبعض الشباب يرتدون ملابس مدنية وذوى وجوه مريبة عابسة
استشرى فيها الجهل وربما رسم خرائطا على وجوههم، بعضهم ملثم وبعض راح
سافرا كاشفا عن وجهه وعن ذراعيه وجوههم سوداء كقلوبهم ويقذفون
المولوتوف باتجاه المبنى المقدس دون هوادة او توقف ودون معرفة بمدى الجرم
الذي يقومون به او بعلم عن هذه الجريمة البشعة ربما كان الامر مدبرا وربما كان
مصادفتا لم اعلم ذلك بعد واخشي ان أحدا لم يعلم الحقيقة بعد او ان أحدا اخفاها
عن عمد، رأيت النيران تحرق المجمع ويكأنها تحرق قلبى انا وأشعر بلسعة النيران





في اوصالى ولكنى على غير عادتى لم أؤثر حيطنا او حذرا فاندفعت الى المجمع وكأنى مندفعاً الى الموت فإما ان انقذ الكتب ما استطعت او اهلك دون ذلك هلاكاً يليق بالعلم والوطن وأرى أنه يليق بى، منعنى امل ولكنى دفعته جانباً دون ان التفت اليها ومنعنى بعض الشباب ولكنى دفعتهم بكل ما اوتيت من قوة ومنعنى بعض رجالات الأمن لكنى تخلصت منهم بأعجوبة وزلقت الى المبنى وامل على اثرى قدمها خلف قدمى ويدها تمسك في يدى واخبرتها ان تذهب ولكنها قالت لن اتركك ابداً يا حمدى، واذا كنت تحب العلم فأنا أيضاً احببته لإنك تحبه وإذا كان حظى من العلم قليل فهناك تكفير كبير عن ذنبى تجاه العلم وإذا كان يجب ان تنقذ المجمع فلن تنقذه وحيداً بل سأنقذه معك وإذا كان يجب ان تموت مصطلياً بالنيران فسأموت معك لن تموت وحيداً يا حبيبى بل لن تموت لطالما أمل على قيد الحياة بل لن تموت لأعيش من بعدك اموت في كل حين، إنه كل شيء يا حمدى او لاشيء لقد رهنتك حياتى ورهنتنى حياتك فهما حياة واحدة دون شك.

دخلنا المجمع وسقط علينا جزء من السقف الخشبي فدفعت امل بعيداً عن النيران وتابعنا السير وسط النيران التي اكلت الكتب والأوراق وكأنها بينهما ثأر قديم لم أذهب الى هذا المكان قبل اليوم قط ولذلك لم أكن اعرف اين يجب ان اذهب او عن اى شيء يجب ان ابحث ومتى يجب ان اهرب وهل يجب ان اطفئ النيران او احمل الكتب بعيداً عن النيران؟ سألتنى امل جميع هذه الأسئلة ولكنى لم ادر جواباً ولكنى كلما جهلت الى اين انا ذاهب، تقدمت اكثر واكثر الى الداخل





ربما كنت اريد ان اقتل نفسي دون ان اعرف فأنا رجل على قدر كبير من الجبن وافتقر الى الشجاعة اللازمة لفعل ما قمت به في هذا اليوم، سيقان اسرع من الفهد ونفس اعلى من صوت النيران وكتب اتلقفها من مكان وانقلها الى مكان وغرنا ادخلها واخرج منها هربا من النيران ونوافذ او صدها وأخرى ادفعها ونيرانا اخمدها وأخرى يتسبب جهلى في اشعالها ومياه القийها على النيران تارة وعلى الكتب المشتعلة تارة أخرى، وامل تفعل تماما مثلما افعل وتنظر الى في اكبار واعجاب لا تخش الموت او النيران طالما هي برفقتى وكان قلقها بشأنى اكبر كثيرا من قلقها بشأن نفسها، انفاسي تتصاعد تماما كالنيران والكتب تتطاير من حولى واناس لا أعرفهم من حولى يفعلون كما أفعل وقذائف المولوتوف أيضا تلقى من الخارج ولكنى لا أعرف من القاها وكتب عن الهند وكتب عن مصر وعن اثيوبيا وخرائط تحترق مكتوب عليها انها نادرة ولا مثيل لها في العالم، مائتى عام من الكتب والعلم وابحاث واجتهادات البشر تتلاشي وتندثر بفعل مولوتوف اطلقه جاهل او امى او متجاهل لا يعرف قيمة ما يدمر وبكائي أيضا يطفئ النيران كالماء الذى في يدي ودقائق تمر كأنها كعمر كامل، جثوت على ركبتى وركعت لا من خوف لا من ضعف ولكن من عجز امام النيران تمنيت لو احترق انا ويبقى التراث على قيد الحياة، اخذت امل بيدي لكى انهض رأتنى ابكى بكت لبكائى ولم تنبث ببنت شفاه ثم جفف دموعها حرارة الجو واخذت تسحبني من يدي لكى نخرج قبل ان تلتهمنا النيران وضممتني كما اعتادت ان تضمني دائما في لحظات كهذه وقبلت رأسي وجيبي وكانت اول مرة تقبلني امل فيها على جيبي وقالت





اذا كان الورق قد انتهى فبإمكاننا ان نكتب خير منه وأفضل المهم ان تبقي انت على قيد الحياة لكى تكتب غيره وتساهم في كتابة تاريخ جديد لهذا البلد ولقد انقذنا ما امكننا فدعنا نذهب.

اخبرتها اننى اريد ان اموت دون العلم والتراث او اننى اريد ان اموت في هذا المكان ويكفن جسدى بالكتب ويغسل جسدى هذه المياه التي سكبت على الكتب فهي الاذكى والا طهر والانقى والاعظم دون شك. جذبتنى بقوة وخرجنا من المجمع ونظرت اليه نظرة طفل يودع امه لحظة فراق حاسم ورأيت النيران تتصاعد من النوافذ والابواب وكأنها أرادت أن تقول أنه لا امل في هذا المكان ولا امل في هذا البلد ورأيت أيضا كرا وفرا في كل مكان حول المجمع ورجالات الشرطة يطاردون اشباحا في كل مكان طلب منى الامن ان انصرف انصرفت وخلفت خلفي مائتى عام من تاريخ الحضارة والإنسانية في مهب الريح.



انتهت احداث مجلس الوزراء وانتهى شهر كامل ولا حديث بين الناس الا عن البرلمان الجديد والهرج والمرج الذى يحدث فيه والكرات التي يقذفها ويتلاعب بها النواب والمواضيع التي يتناقشون فيها ودفاعهم عن الحكومة ودفاعهم عن الداخلية وتحاملهم على المتظاهرين، أيام تمضى ولا جديد تحت سماء حزينة على الوطن الملتاع المرتاع مهيبض الجناح، تلقيت اتصالا من صديقى جميل وهو احد وكلاء النائب العام والذى لم أكن قد رأيته منذ عام كامل حينما تشاركنا الامل والحب واستئنسنا بالدفاع عن انفسنا اثناء الثورة التي مر على اندلاعها عام





ولا أراها قد انتهت او أراها انتهت الى الابد والى غير رجعة، تلقيت اتصاله بحب
فهو ربيب الطفولة واحد أصدقاء العمر فمهما كانت المناصب فهو رفيق درب
ورفيق كرسي دراسة واحد.

- كيف احوالك يا حمدى انت واحسنى جدا

- وانت ايضا يا معالي المستشار.

- مستشار، هذه كلها شكليات انما انت حبيبي، اراك اليوم على المقهى.

- واللهم انت واحسنى جدا يا جميل ونفسي اقابلك ومعنديش شغل بالليل
في المستشفى فاشوفك النهارده بالليل وبالمرّة نكلم سامى وايمن ومناع ونتقابل
في زى اجمل أيام زمان.

- خلاص تمام اشوفك بالليل، واهو بالمرّة نتفرج على الماتش سوا.

- ماتش مين؟ انت عارف انا ماليش في الكورة، انا اخر ماتش شوفته لما
لاعبنا الجزائر في ام درمان واتسكينا واحد صفر وطار منّا كاس العالم وقلب
خناقة، كانت أيام سودا.

- انت هتقولى يا حمدى طول عمرك فقري، ربنا يستر النهاردة ومتقلّبش
مجزرة، لحسن الدنيا شايطه ومش مستحيلة والجماعة الاولتراس دول بتوع الاهلى
والمصرى مستحلفين لبعض على الاخر.

- ربنا يستر اقابلك بالليل يا جميل ان شاء الله

ذهبت الى المقهى والقيت على زملائي التحية وتبادلنا العناق الحار وجلست





في الزاوية المقابلة للمباراة واخذوا يتجازبون اطراف الحديث تارة في الكرة وتارة عن السياسة وتارة عن الشرطة والجيش وكثيرا عن شؤونهم الخاصة، وانا في سكون وجمود فلم اكن افكر الا بحسين صديقى العزيز وشهيد موقعة الجمل وبوصلتى في هذه الحياة، عام كامل مر على ارتقاء روحه شهيدا من اجل هذا الوطن وحتى اليوم لم اعرف من قتله ولم يقتصص الوطن منه ربما سيققص الوطن منه بعد حين وربما لن يقتصص منه ابدا، هل سيكون حسين سعيدا لو كان بيننا اليوم، وهل يعجبه ما الم ببلادنا وماذا سيكون وضع هذه البلاد بعد عشرة او عشرات السنين هل سيكون كما أراده حسين او كما هو او يرتد الى اسوأ.

رحمك الله يا حسين، لم تغب عن بالى ابدا وكم أردت ان القاك او أكون شهيدا مثلك ولكن ربما هناك طريق حق على ان اسلكه وسأسلكه الى حين، نعم الى حين ان القاك في عالم لا زيف فيه ولا مؤامرات ولا دماء.

ينظرون الى يتحدثون معى ولكنى لا أنظر اليهم ولا أتحدث معهم يسألون عن حالى فلا اجيب ويسألون عن رأيي فيما يجرى في البلاد ولكنى أيضا لا اجيب. اهداف تسجل في المباراة ولا أفاعل معها ولا أنظر اليها ولا اهتم بما يجرى حولى فقد كنت مهتما بحسين وحسين فقط.

انتهت المباراة وبدأت حالة من الهرج والمرج تدب في الاستاد فور اطلاق صافرة النهاية، جمهور ينزل الى الملعب ولاعبون واداريون يجرون في كل اتجاه لا تعرف لماذا يجرون في حركات دائرية ويحمل بعضهم الشوم وبعضهم يحمل سلاحا ابيض وبعضهم لا يحمل اى شيء في يديه ولا تعرف أيضا من يعتدى على من ولا لماذا يعتدى عليه.





ابتدر سامى الحديث في سخريته وتشاؤمه المعهود: لا توجد اى فايده في هذه البلد لا في كورة ولا سياسة ولا امن ولا اى شيء اخر، يعنى مجموعة من الناس تذهب لتشجع ماتش كورة ترجع في توابيت، بلد زبالة فعلا، نفسي اطفش واهج واغور من البلد دى بقى.

رد ايمن: انت عديم الحس والشعور اكثر من سبعين واحد يتوفى وانت ولا تهتز ولا تحزن.

سامى: وانا ازعل ليه، هو ايه أصلا الى كان وداهم هناك، في الأيام السود ادى لا أحد يخرج من البيت احسن له، كل واحد يموت في بيته احسن، هذه فتنة وای حد يشارك فيها يتحمل ما يحدث له ثم ان لا البلد ولا الكورة ولا اى حاجة تستاهل ان الواحد يموت علشانها.

قاطعهم مناع وقد ارتسمت عليه ابتسامة شماته حاول ان يخفيها بوقار مصطنع: الله يرحمهم ويسامحهم ويصبر اهلهم بس شفتوا غياب الامن وصل بالبلد دى لفين واد الشرطة كانت شايلة عنكم بلاوى كثير.

تدخل جميل: الله يرحمهم ويسامحهم بس متقلقوش القضا المصرى هيجيب حقهم وهيحاسب كل مقصر.

سامى: الشرطة غابت والقضا غاب والبلد غابت هما كلهم غايين من زمان.

ايمن: منهم لله ولاد الحرام وقعوا الناس في بعض

جميل: مين ولاد الحرام دول

ايمن: كل واحد ليه مصلحة ان البلد دى متقومش تانى زى الفلول مثلا.





مناع: الاخوان اكيد ليهم دخل عشان يخرجوا الامن امام الناس ويهزوا
صورة الشرطة اكر، لأحد مستفيد غيرهم.

جميل: لا ابداداً حادث عارض وغير مدبر بس الثورة خلت الجهاز الامنى
مش مستعد للقيام بالاعمال دى كلها.

سامي: اقولك انا، من الى قتلت الناس؟

الجيش عشان مش راضي يسب الحكم

والشرطة عشان مش عاوزة تشتغل

والقضاء عشان مش بيحاسب حد على اى حاجه عملها

والابيات والامهات الى مربوطش عيالهم والى خلوههم يخرجوا يعملو ثورة

على رئيس عظيم

والشباب الى سايب شغله وحياته ورايح يعمل اولتراس وهباب.

والاخوان والسلفيين يصطادون في الماء العكر.

والقوى الثورية والليبراليين يلعبون على مشاعر الناس

والثورة سبب والبلد عمرها ما هتتصلح.

مناع: الثورة هي الفوضى والاخوان هم السبب

ايمن: وهو ينظر الى، قل شيئاً يا معلم ولا انت غياب النهارده؟!!

اجبت في هدوء شديد الامر اكبر من الكلام والصمت والبكاء، زمن طويل

سيمضي قبل ان نعرف اى ايدى تلطخت بالدماء بشكل كامل، نعم كلنا شريك

في هذه الدماء حتى من جلس في بيته متكئاً على أريكته ولم يحرك ساكناً ولم يقدم

ولم يؤخر، القضاء شريك إن الرئيس السابق وقتلة الثوار يحاكمون منذ عام ولا





جديد فأين العدالة الناجزة، والشرطة لم تعد الى العمل بشكل كامل ربما لسبب في نفس يعقوب، والأحزاب والثوريون والبرلمان في شجار مستمر دائم حول شكليات لا طائل منها ولا امل والاولتراس يغضبون سريعا دون تروى.

ولكن أسئلة مهمة:

- لماذا سمح للجمهور بدخول الملعب؟ ومن المسؤول عن ذلك
- لماذا وكيف حملوا سلاحا في أيديهم ودخلوا به الى المدرجات؟
لماذا لم تفتح أبواب الهروب والخروج، قبل ان يموت الناس من تدافع شديد؟

- لماذا سمح لهاذا المشجع الذي يحمل لافتة مكتوب عليها بورسعيد بلد البالة مجابتش رجالة؟

- كيف دخل الجمهور الملعب بين الشوطين؟
- كيف ستحاسب الدولة المقصرين؟ وكيف ستحدددهم من الأساس؟
- أسئلة كثيرة ستجيب عنها سنوات طوال، ربما أكثر مما تتوقعون.

قال: جميل كم أنت مرهف الحس كما عهدناك دائما يا حمدي، ولكن عليك ان تثق في قضاء بلدك وان تثق ان الجناة سيتعقبهم القانون وتطاهم يد العدالة الشريفة النزيفة.

وأردف مناع: عودة هيبة رجل الشرطة هي الحل
وضحك سامي: لا يا رفاق، الانتحار هو الحل ولا حل غيره.
واضفت انا لا اعرف الحل تحديدا لهذا الامر العصيب ولكنى سأخبركم بما





سيحدث غدا:

- قيادات الدولة العليا: ستيدين وتشجب وتستنكر ما حدث وتحذر من مؤامرة خطيرة تجاه الوطن.

- مجلس الوزراء: سيدين ويشجب ويستنكر

- رئيس مجلس الشعب سيدين ويشجب ويستنكر

- الاخوان سيتهمون الفلول للرئيس السابق وحزبه المنحل

- وباقى النواب سيطلبون عمل اجتماع عاجل لمناقشة الامر ويطالبون بعمل استجواب واستشكال لوزير الداخلية

- وزير الداخلية سيغير بعض مناصب المسؤولين ربما ينقلهم او يرقهم الى مناصب اعلى او يعطيهم إجازة طويلة

- اتحاد الكرة سيلغى الدورى والنشاط الرياضى

- الاهالى فى البيوت سيحزنون ويىكون ثم يمسحون دموعهم بمناديل وردية ثم يقولون فى حزن عميق (ايه الى وداهم هناك

- الشهداء سيشيعون فى جنازات متفاوتة ما بين الصغير والفخم الكبير

- سينعقد مجلس الاهلى ويتوعد ويدين ويشجب

- وينعقد مجلس المصرى ويتبرأ من الموقعة ويدين ويشجب

- واهالى الشهداء لن يعوضهم عن فقد ذويهم شيئا من ذلك ابدًا

- والثوار سيحملون حبا عميقا للوطن ويهرعون الى الميادين بحثا عن





حقوق الشهداء والقتلى كما اعتادوا ان يفعلوا ذلك دائما فقد فتح قوس منذ خالد سعيد ويأبى أن يقفل حتى الان ولا أدري كم عدد الأسماء التي سيسعها ذلك القوس وعند اى تاريخ سيتتهي سلسال دم يجرف الجميع الى طريق لا نهاية له. انهيث كلامى وودعتهم بحرارة ورحت الى النيل اشكوا له ما فعل أبناؤه ببلادهم وبحياتهم، تمنيت لو القى بنفسي في النيل ولكن قررت ان انتظر حتى يدفعنى اليه أحدهم فا انا اعرف ان قوس القتلى سيسعنى يوما ما.





ممنوع يهرب من حبه للجوهر



ذهبت وامل الى دار سينما
لمشاهدة فيلم هندي يحكى
سيرة ممثلة قديمة برعت في
أدوار الحب والرومانسية حيناً
وادوار الاغراء أحياناً أخرى
وكم كانت حايثها بئسة مريرة

فقد تركت بيتها وأهلها من اجل الشهرة ثم لم تلاقى نفسها في شيء من ذلك
فقررت ان تغادر الحياة جميعاً وأنهت حياتها بيدها بعد ان فقدت كل أسباب
تجعلها تحب العيش، تأثرت امل كثيراً بهذا الفيلم وكادت لا توقف عن البكاء
حتى بعد ان خرجنا من دار السينما وجلسنا في كازينو على نهر النيل، واخبرتني
وهى لا تزال تبكى انها تشبه هذه الفتاة كثيراً ليس في الجنس والإغراء لكن في
خسارة كل شيء وسألتني في حزن عميق، هل تعتقد يا حمدي اننى سأنهي حياتي
بنفسي في يوم ما؟

- يا إلهي لم تقولين ذلك يا حبيبتي، ألا يوجد أى سبب يدفعك الى
الاستمرار في العيش؟

- بلا يا يا حبيبى يوجد ولكن الى حين، انا اعلم دائماً ان هناك في الحياة لقاء
وهناك وداع ودائماً هناك مرة أولى وأخرى أخيرة، وانا لا أعرف ماذا سأفعل حينما
تنتهى من حياتي وتخرج منها للمرة الأخيرة، انا اعلم انك لن تغيب عن قلبي





حتى وان غبت عن عيني وان قلبى سيبقى على حبك طوال الزمن حتى وان
رغبت انت في الرحيل، اننى اخشي ان تتركنى يا حبيبي، كوايس طوال في كل
ليل وطرقا مظلمة اسير فيها وحيدة ابحت عنك ولا أجذك وأراك تتركنى في نهاية
كل طريق فأضيع من بعدك في ظلام سرمدى، حتى احلامى الجميلة التي أرانى
فيها معك في روضة غناء وحدائق ذات بهجة، تتركنى أيضا وترحل وتلوح الى
بيدك من بعيد وتبتسم أحيانا وتبدوا عبوسا قمطيريا في أحيان أخرى، تعود الى
كثيرا بعد ذلك وكثيرا لا تعود، اعدوا خلفك ولا أصل اليك ابدًا، وأراك تنظر الى
من عليائك مبتسما في زهو وكبر وغرور، اراك شامخا كالطود العظيم وانا صغيرة
جدا تكاد لا ترانى واكاد لا أرى نفسي الى جوارك.

ارجوك يا حمدى، لا تتركنى دفعة واحدة.

ارجوك يا حمدى، لا تخننى ولا تكذب على.

ارجوك يا حمدى، لا توقفنى من الحلامى على كوايس مرعبة

ارجوك يا حمدى لا تقتلنى فإن روحى بيدك

انا احبك يا حمدى انا احبك.

اوه يا الهى لماذا تقولين هذا الكلام كثيرا يا عزيزتى وانتى تعلمين ان قلبى
معلق بكى كالطفل الرضيع الذى تعلق بصدر امه وحياتى معك كما السمك في
المحيط وانك هواء يتنفسه قلبى منذ الاف السنين.

امل دعينى اسئلك سؤالا، كم مرة تمت خطبتك في السابق؟

- لقد اخبرتك يا حمدى بروايتى سابقا واننى تعرضت للخطبة ثلاث مرات





وان كل منهم طعننى بخنجر مسموم في قلبى، ولا يوجد مكان اخر لتحمل طعنات او لتحمل سم جديد.

- تعرفين، هناك مرة رابعة يا امل ودعيني اخمن انها المرة الأخيرة، التي ستم خطبتك فيها وستنتهى بزواج طيب مبارك دون شك.
- انت لا تمزح، انت تعنى أنك تريد ان تكون معى الى الابد وان تتقدم لخطبتى.

- نعم وهذا شرف كبير لى.

- ولكن انت طبيب وانا ممرضة، انت متعلم وانا نصف متعلمة، انت ذكى جدا وانا جد غبية، انت روح وقلب وجسد وانا مجرد قلب فقط انت غنى وانا فقيرة، ثم إننى اخشي ان تعلقنى بحلم جديد في عالم جديد ثم تقوم قيامة هذا العالم ويستحيل الى خراب ودمار شديدين.

- هل هذا يعنى أنك ترفضين حبي وخطبتى يا امل؟!!

- لا يا حبيبى، انا أرفض ان تتركنى وان تذهب عني، واريدك ان تبقى معى الى الابد وان تخطبنى كل يوم وان تتزوجنى كل يوم وان تبقى معى طوال اليوم وكل يوم، وان تذهب معى واذهب معك الى كل مكان، كم احبك أيها الملاك البريء.

- حسنا يا امل ساتقدم لخطبتك قريباً، قريباً جداً.

- ولكن هل تعتقد ان اهلك يوافقون على خطبتنا؟





- ولماذا لا يوافقون يا عزيزتى.
- لأن اهل عدنان لم يوافقوا أيضا.
- وهل انا مثل عدنان
- يا حبيبى انت لا مثيل لك ابدًا
- وهل احببتنى مثل عدنان والآخرين.
- كلا انا لم احبك مثل احد لانه لا يوجد مثلك احد، اتدرى يا حبيبى لو انى رأيتك منذ امد بعيد لكانت حياتى اجمل من حياة كل الكائنات ولكنت أسعد من خلق الله على وجه الأرض، اتدرى لو اننى كنت اعرف اننى سأراك بعد كل هذا العمر لكنت حبست نفسي في قرار بئر عميق ولم اخرج منه حتى اليوم الذى رأيتك فيه أول مرة، او حبست نفسي في شرنقة حتى تخرجنى منها بيديك الحانيتين، كم كانت حياتى قبلك ظلماء بائسة، انا لم اعرف السعادة الا معك والحب الا معك والحياة واخشي ان موتى يكون يوم فقدانك يا حبيب العمر.
- ترقرت دموع في عيني وايقنت في حب امل شيئًا جديدًا وهو مسؤوليتى تجاه هذا الحب الكبير وليس ذلك فقط بل اعددتها ابنتى وليس فقط حبيبتى، لا بأس يا امل سأتحدث مع اهل فى شأنك اليوم ونتقدم لخطبتك قريبًا ساعة حب وافرح.



انصرفت من لقاء امل وتساءلت هل انا تورطت فى طلبى لخطبتها او هل كان





الوقت مناسباً لذلك وهل املك المال الكافى او المنزل المناسب وهل وصلت الى الوقار الذي يجعلنى كفؤاً لفتح بيت وتحمل مسؤولياته؟ دون شك لقد حان الوقت ودون تردد امل هي الفتاة المناسبة فهى حبي الأول وستكون هي حبي الدائم وحبي الأخير.

سوف اذهب الى ايمن واحكى له تفاصيل حبي هذا واطلب منه العون والمشورة فأنا جديد عهد في أمور الحب ولا أفقه فيه كثيراً او قليل وايمان يرتاد الحب كما يرتاد الرجل طاولة الطعام، كما أنه رأى امل ويعرفها نوعاً ما فسوف احكى عن امل وهذا شيء جميل يملؤ أوقاتى بهجة وسعادة، أخرجت هاتفى وقمت بالاتصال بأيمىن واخبرته اننى اريده في امر هام، فأجاب على الفور ستجدنى وسامى جالسين على طاولة المفاوضات في الكرملين، وهو الاسم الذى كنا نطلقه على المقهى الذى نعتاد الجلوس اليه دائماً.

خفقان قلب وسعادة بالغة وقدمان تهرولان لإننى سأتحدث عن امل واذكر اسمها مع أصدقاء العمر ونضع خطة للفوز بقلب امل الى ابد الدهر
كيف حالك يا ايمن، كيف حالك يا سامى؟

أجاب سامى، ليس اليوم افضل من الامس ولن يكون غير الغد فكلها أيام بائسة تعسة حيث لا ماضى ولا حاضر ولا مستقبل تدخل ايمن دعك من هذا البائس، فنحن بخير ولا زلنا نطمح الى الأفضل الذى سنناله ان شاء الله.

-كيف حال عقلك وقلبك يا حمدى؟

سامى: وهل حمدى له قلب، اشك في ذلك فأنا اعرفه جيداً فلو كان له قلب لكان نبض يوماً ما، او ربما له قلب من حديد او جليد او لهب.





اجبت في غلظة، انا عندى قلب يا سامي وقد اخبرتك اننى احب سابقا ولم
تعرف قلبى اى اهتمام ورحلت تتحدث عما يجرى في عالمنا ورسمت سواد البؤس
والشقاء اما م عيني حتى تركتك ورحلت.

سامي: هل تعنى يا حمدى أنك جاد وأنك تحب حقاً
- نعم يا سامي انا أحبوا حب واعشق بل اهيم عشقا واتصور شوقا واحترق
عاطفتا.

- فتح سامي فمه في بلاهة واستقرت عيناه في عيني وراح كما لو كان مغشيا
عليه ولم يتكلم بأى كلمة.

- وتدخل ايمن، نعم حمدى يحب وانا ريت حبيبته وهى تطير كالفراشة بين
المرضي تضمد جراحتهم وتمحو ما بهم من حزن وأسى وتبتسم في وجوههم
كالموناليزا ورايت حبها لحمدى ومدى عشقها له، فأنا لم أرى في حياتى فتاة تبدو
مخلصة في حبها كما رأيت حبيبتك تلك، حتى انى رايت في عيني حمدى وداعة
وطفولة وشغف لم ابصرهم في عيني حمدى مطلقا فقد كانت عيناك يا حمدى دائما
جامدتان لا روح فيهما ولا بريق فهنيئا لك بالحب الذى حولك من شخص غير
موجود وغير واضح المعالم ربما رجلا بلاستيكي لا يشعر لا يحب لا يكره لا يهتم
وعازل لكل أنواع المشاعر وكل أنواع الطاقة، انظر الى هذه الفتاة وما قامت به كم
هي مبدعة وعبقريّة تلك التي اذابت جبل جلد في القطب الشمالى وجعلته بحيرة
كبيرة عميقة القرار، هنيئا لك يا حمدى.

- اعتدل سامي في جلسته وترك نرجيلته وقال: كل هذا حدث وانا لا





عرف، حقا عام ٢٠١١ هو عام العجائب حيث تغير كل شيء في الكون وتغير بشكل سريع ومرعب، اى عالم هذا؟ حدثنى يا حمدى عن محبوبتك واخبرنى كيف اساعدك لربما نجح حبك وأصبح هناك شيئا يمكن ان ينجو هنا على هذه الأرض وشنف اذاننا بالتفاصيل الجميلة ولا تنس ان نخبرنا بأى شيء - حسنا يا سامي يسعدنى أنك مهتم على نحو كبير.

-هي فتاة جميلة تبلغ من العمر ثلاث وعشرين عاما خمرية البشرة غير ممتلئة الجسد سوداء العينين والشعر قصيرة القامة بها سحر للعيون والعقول وتسكن في نزلة السمان وهى الأخت الكبرى لشابين الأكبر يصغرها بعام والأخر يصغرها بعامين احدهما ليبرالى والأخر اخوانى والفتاة نفسها لا تتبع اى فريق وان كانت تنصر من تراه مظلوما او على حق أيا كان اتجاهه وابوها امين وهو يعمل في بزار في الاهرامات وامها راضا ربة منزل، لا أخفيكم سرا لم ارهم جميعا بعينى او اتحدث اليهم حتى اليوم ولكنى انبئكم بما علمت، وهى ممرضة في احد المستشفيات في حى المهندسين وتعرفت عليها في ثورة يناير وكان اول مارأيتها في جمعة الغضب وتحدثت اليها بعد رحيل الرئيس. وحضرت معها جميع المشاهد الثورية والاستحقاقات الديموقراطية. واشياء أخرى كثيرة جميعها في قلبى ووجدانى مستقرة.

امسك سامي نرجيلته واخذ منها نفسا عميقا وقال: هي ليست طيبة اذن؟

هي ليست غنية اذن؟

هي ليست من عائلة كريمة اذن؟





وتعرفت اليها في قارعة الطريق اذن؟

ولا تعرف عن أهلها شيئا اذن؟

حتى أنك لم ترهم بعينيك بعد؟

هل سئلت عليهم في محيط سكنهم؟

هل سئلت على فتاتك في عملها وتعرفت على رأي الناس فيها وفي سلوكها؟

هل تعرف عن ماضيها قبلك شيئا؟

هل تعتقد ان ابويك سيباركان هذا الامر؟

هل تعتقد انها تحب ما تحب وتكره ما تكره؟ او تعرف عن اهتماماتك كثيرا

او قليل؟

هل تعتقد أنكوهي على درجة قريبة من التكافؤ الذي يسمح بالزواج؟

وسؤال أخير، هل أنت متأكد يا صديقي انك تحبها حقاً، ام هو مجرد

اعجاب، او مراهة متأخرة لرجل قضى زهرة شبابه بين كومات واهرام وسلاسل

جبال من الكتب؟

وسؤال اخر أيضا، لماذا لا تكون نزوة تنتهي سريعا مع الزمن القريب؟

استمع الى يا حمدى جيدا، انا احبك جدا وانت صديق عزيز لى ولا اريدك ان

تسقط في الهاوية، فالزواج يرفع اقواما ويضع اخرين، اجب على اسئلتى بينك

وبين نفسك أولا وعلى اثر الإجابات تخير طريقك واعلم ان الانسان دائما ما يدفع

الثلثين وان الحب عمره اقصر من عمر نهار واحد في حياة الانسان وان الحب

وحده لا يبنى بيتا او وطنا ولا يربي أطفالا تماما كالتظاهرات لا تصنع ديموقراطية





ولا تبني مجدا لوطن بائس، انتهى من كلامه واطلق انفاس الغليون في وجهي وقال لا بأس بمراهقة متأخرة ومن حسن حظك انك قد جئت الى رجل خير مثلي عليم ببواطن الامور فحقا لا ينبئك مثل خبير

- لم يصدمني رأى سامى ابدا فهذا هو سامى حزن وبؤس وتشاؤم يسير على قدمين ولكنى حقاً لم اكن املك إجابات وافية على كل تساؤلاته فأحسست برجة كبيرة داخلى وعقدت العزم ان اجيب على هذه التساؤلات واحل كل العقبات ولكن سؤالا واحدا كان لا يقبل الشك عندي، فانا احب امل وسأحبها الى الابد فالحب عندي نهاره أطول من نهار الشمس وحيي لا ليل له.

- تدخل ايمن كما اعتاد دائما وهو يقول: لا عليك يا حمدي من تساؤلات سامى فكلها أمور بسيطة، فما المانع ان يكون اهل الفتاة فقراء او بسطاء هل يعيبهم شيء في ذلك، فكلنا فقراء يا عزيزي كما ان حمدي ليس غنيا الى الدرجة التي تجعله ينظر الى الناس من برج عاجي ويرى الناس الى جواره اقزاما ولو كان حمدي غنيا جدا فما العيب في الفقر العيب وكل العيب هو عدم العمل تذكر يا سامى عدم العمل والتكاسل ليس في قلة ذات اليد، وما المانع ان تكون ممرضة فهى تمرض القلوب والاجساد وتعمل عملا عظيما فالمرضة كالطبيب يحتاج اليهما المريض معا فلا يمكن ان يعمل الطبيب دون ممرض، وماذا عن أهلها فما العيب فيهم، سيراهم ويعرف اخلاقهم عن كثب ثم ان اخلاقهم واضحة جلية من اخلاق ابنتهم العزيزة، يجب ان تزول بعض المفاهيم الحمقاء من مجتمعنا قبل ان نتحدث عن رقى وعن تقدم وغد جديد وحياة افضل، ثم ان ثورتنا العظيمة





قام بها البسطاء ومتوسطوا الدخل، وعن حب حمدي لامل واهتماماتها المشتركة هذا امر يجيب حمدي عنه فهو يخصه وحده ولكنى أؤكد لك انه متيم بها الى الحد الذى اتى به الى هنا ليكشف سريرة نفسه لنا، وعن امر النزوات والمراهقة لم يكن حمدي ذلك واخشي انه لن يكون.

- اجبت انت يا ايمن على حق وانت قادر على ثبر غور نفسي دائما.
- ضحك سامي عاليا حتى بدت اسنانه، وقال لقد مات تروتيسكى منذ زمن طويل، كان يجب ان تكونا من المنظرين السياسيين معه، ولكن يا لحظكما السيء فالاحلام هشة وحينما تصطدم بجدار الواقع المنيع لا تلبث الا ان تقع صريعة ميته.

- سأل ايمن، من هو تروتيسكى هذا؟
- اجبت بدلا عن سامي هو منظر الثورة البلشفية والحزب الشيوعى واحد اعلامها العظام ولقد اختير ليخلف لينين مع رجال اخرين لتصرف امر الدولة، ولكن احد شركائه وهو استالين تنكر له وللجميع واغتاله عام ١٩٤٠ فى مكسيكو سيتى وسامى يقصد ان الواقع وهو ستالين سيغتال احلامنا دائما وهى أحلام تروتيسكى.

- على كل حال يا حمدي انا لا اخبرك ان تقلع عن مغامرتك الجديدة فأنت حر فيما تفعل ولكن حذارى ان تغرق في بحيرة لا تجيد السباحة فيها وانت فقط تتوى ان تبلل قدميك، اذهب حيث شئت ولكن تذكر ان صاحب النرجيلة اخبرك انك سترجع يوما مهزوما مكسور الوجدان ولكنى احبك وأتمنى لك





التوفيق وأتمنى ان تعود من مغامرتك بنصر مظفر فلا زلت اعتقد بوجود بعض الخير في هذا العالم البغيض.

- وقال ايمن: افعل ما شئت يا حمدي وسر واثقا من نفسك وهدفك فانت لن ترتكب خطأ او حراما ولكن انتبه دائما اين تضع قدميك.

- وقال سامي: تذكر يا حمدي أنك لن تستطيع ان تقيس عمق النهر بوضع قدميك فيه، لذلك احترس.

- شكرا لكما وسأخذ بنصائحكما جدا وسأنال امل او أغرق في النهر.

وغادرتهما وانا أتوقع حربا ضروس تنتظرني في البيت مع ابي وامى لاننى لم اعتد موافقتهم على امر ما وهما لم يعتادا ابدا ان يثقا في خيار اخترت او راى ابديت، ربما هما من عالم وانا من عالم اخر، أحيانا كنت اعتقد انهما اتيا الى عالمى عن طريق الخطأ او اننى اعترض طريقهما أيضا عن طريق الخطأ ربما احابننى بشكل اكبر من اللازم وربما لم يجباننى مطلقا علاقة غريبة بين رجل وامرأة وطفلها الذى صار رجلا وبمرور الوقت بدأ الشيب يزحف الى راسه وربما قبل ان يزحف هو الى الحياة، انا اثق تماما اننى ابنهما ولكنى لا اثق تماما ان كانا ابواى ام لا، اى جينات هذه انتقلت الى منهما فلا املك منهما غير القلب والشبه ولكنى رغم ذلك احبهما واجلهما واعتقد اننى ان عصيتهما يوما فإن وابلا من الهم والحزن سيهبطان على من السماء وسأصعق جراء عقوقى لهما، اى عالم هذا الذى لا يعطى الإنسان كل ما طمحت نفسه اليه وليس ذلك فقط بل هو يأخذ منا كل ما اعطانا إياه وسعدنا به، سأنتصر في معركتى هذه فهى معركتى الأولى في الحياة





وسأخوضها بشرف حتى وان كانت معركتى الأخيرة، لن اخيب رجاء امل تلك التي اعطتنى كل شيء حتى قلبها اعطتنى إياه فها هو في يدي وبين اضلعي فلن اخلف ظنها وسأبقى معها ما حييت حتى لو طردتنى هي من حياتها، من المحتمل ان أكون نزوة في حياة امل لكن من غير الوارد ابدا ان تكون امل نزوة في حياتي فأى نزوة هذه تجعل الإنسان حقيقيا بعد ان كان انسانا أليا وأى مراهقة تلك تصيب الرجل وهو في الخامسة والعشرين نعم اعرف اننى لم المس يد فتاة قبل امل ولكنى اعرف أيضا اننى لن المس يد فتاة بعد امل وستكون هي الأولى وهى الأخيرة وبل هي ما بعد الأخيرة، انطلقت صوب البيت ووجدت ابى وامى يتسامران في أحوال البلد كما كان ذلك حالهما دائما في اخر سنة من عمر بيتنا ووبلادنا وطلبت ان اتحدث اليهما فرحبا بذلك وسعدا لأننى قلما تحدثت اليهما او طلبت ان افعل ذلك بإرادتى، فكل كلامنا جواب عن سوءال او سؤال عن امر مبهم او اعتراض او امتعاض، بادرتهما ودون مقدمات، اننى احب وأريد ان اتزوج!!!!!!!

علامات استفهام وتعجب خرجت من رأسيهما كما يحدث في أفلام كارتون الأطفال وصمتا ثم ضحكا ثم ابتسما ثم صمتا مرة أخرى وحقا الى كأنها يراننى للمرة الأولى، ولكنهما وجدا في عيني تحديا كبيرا وتصميما غريبا ونظرة لم يألفاها على طفلها قط ربما ايقنا فجأة اننى صرت رجلا واننى انوى فعل ما يفعله الرجال او ربما اننى تجرأت على الحب او الخيار لإمر لم يختاراه ولم يقرراه، وقد كانا يعتبران مشاركتى في محافل الثورة طيشا ونزعا الى الجنون وكانا يعتقدان الزمان سوف





يقوم بتأديبي وصفعى على وجهى وهو كفيل بأن يرد طيشى وحمقى وجهلى وكانا يريان اننى لن استمر في مراهمتى طويلا، لم تكن اكبر مشاكلهما اننى كبرت فقط بل اننى قررت ان اختار، يالها من فاجعه، كيف سيختار طفل اخرق لم يدر من شؤون الدنيا كثير او قليل، لم اكن اظن ذلك فقط بل هذا ما كنت مؤمنا به حد اليقين.

كسر ابى حاجز الصمت وسألنى باهتمام مصطنع هات ما عندك واخبرنى ما تريد؟

اخبرته بامرها وبكل قصتى معها وبكل ما عرفته من أمرها، بدا عليه وعلى امى الامتعاض والاعتراض وفعلت امى كما تفعل دائما وقالت: انت يا حمدى دون شك سوف تورذننى الى التهلكة وسيفقد اخوتك اباهم وامهم وربما يفقدون حتى أنفسهم وذلك بسببك وبسبب تفكيرك الأعرج.

قال ابى اهدئي يا زوجتى لا فائدة من الجدال والعراك والشقاق والجدال، اكتب لى اسم فتاتك وعنوانها وسوف اسأل علي أهلها ثم اخبرك غدا ماذا يجب ان نفعل، لكن حذارى ان تكون قد تورطت في امر ما!

انتفخت اوداجى غضبا وعلا صوتى ونهضت من الكرسي الذي اجلس عليه وقلت له غاضبا: انا لا اتورط في اى امر انا اعرف ما افعله دائما انا أفضل منكما وأكثر ذكائا وأكثر تعليما ولا اسمح لكما ان تقولوا ذلك على او تقولاه عن فتاة هي الأفضل والأطهر والأنقى والتي ستصبح يوما زوجة ابنكما

بكت امى حزنا لسماع ابنها يقول لها ذلك، ولكن ابى استمر على ثباته وقال، كنت أتوقع منك ان تحتد على او تغاضبنى وانت فى السابعة او الثامنة عشر من





العمر حينما كنت مزهوا ببلوغك معتزا بنفسك نازعا الى الطيش والشباب، اما الان وقد بلغت مبلغ الرشد والرجال تحتد على رجل قام على تربيتك افضل ما يكون وشيدك بنيانا كبيرا من الطب والعلم وسهر لكى تنام وجاع لكى تشبع، وتمنى دائما ان تكون اكبر منه وافضل واقوى واغنى واقنى اما وقد ادركت يابنى انك خير منى وانك اعلم منى وانك اذكى منى، فلماذا تستشيرنى في امر يبدو انك قد حسمته مع نفسك بشكل كامل؟

ولكن اعلم يا ولدى سأظل اباك وستظل هذه البائسة امك وذلك ان رضيت او كرهت، لا مناص لك من ذلك وأيضا لا مناص لى، وسأظل أقوم بواجبى تجاهك ما حييت، سوف افعل فعل اى اب راشد ويقوم بالسؤال عن هؤلاء الناس ومعرفة مدى إمكانية اقترانك بإبتهم او لا، انتظر ثلاثة أيام وسأخبرك ان كنت سبارك زيجتك او ارفضها ولك بعد ذلك ماتريد.

-هل هذا يعنى أنك ستتركنى اتزوجها إذا انت رفضت؟

نعم ولكنه أيضا يعنى اننى سأتركك الى الابد.

لم اقف كثيرا عند تفسير مقالة الوالد العزيز ولكننى شعرت بأننى رجلا يفى بعهدده ويقوم بما يحتمه القدر عليه من مسؤوليات رحت الى سريرى وامسكت هاتفى وبعثت رسالة الى امل كتبت فيها (بحبك) وجائنى الرد سريعا (وانا كمان).



انتهى يومين وجلست الى ابنى وامى لاعرف كيف سيذهبان معى الى بيت امل لاننى ذاهب الى هناك لا محاله، نظر الى ابنى نظرة منتصر وقال امل امين عبد





الخالق، ابوها رجل امين وامها رضا ولديها اخوان شابان كما قلت ولكن.....
قاطعته بلهفة ولكن ماذا؟

ولكن ابوها كان صاحب مجموعة بازرات في حى الهرم ثم أضاع ثروته على
الملاهى الليلية ومالز له من الشهوات ثم تكاثرت حوله الديون وتكاثرت حتى
حاوطه الدائنون من كل صوب وحذب وولى هاربا واستمر في الهرب وعليه
قضايا كثيرة، وابنته حصلت على الثانوية العامة بمجموع حوالى خمسين في المائة
اوستين او اكثر قليلا وامتهنت التمريض بعد ان امتهنت مهن أخرى عديدة
وليس معها شهادة من مدرسة تمريض او معهد او كلية وامها ربة منزل لم اعرف
عنها الكثير واخوانها أيضا لم اعرف عنهما الكثير ولكنى عرفت عن فتاتك انها
كثيرة الخطب والفسخ وانها خطبت اكثر من مرة غير الشباب الذين كانت تحبهم
او يحبونها دون هدف او طائل او ربما طائل لم نعرفه، اتدرى يا فتى ان احد الرجال
الذين خطبوها وكان محاميا قرر اهله ان يقاطعوه اذا استمر في خطبتها او في
علاقته بها وهناك طبيب اخر تقدم لخطبتها وخطبها ولم يحضر اهله معه ولم يكونوا
على اتفاق معه في هذا الشأن او ربما لم يعرفوا عنه شيئا ومات فجاء دون ان يعرف
احد سبب لموته، حتى الفتى الذى خطبها بموافقة أهلها وأهله كان سلوكها معه
شائنا وتنكرت له ورفضته ووووو والقائمة تطول وتطول، اى شيء اخر تريد ان
اخبرك إياه لكى تنتهى من هذه الحماقة بل الجريمة الكبرى، اسمع يا فتى لن
ارضى ابدا عن هذه الزيجة حتى تطلع الشمس من مغربها وهذا قرار نهائى لا
رجعة فيه ولا نقاش.

- احنيت رأسي قليلا ولم ادر لماذا فعلى الرغم من معرفتى بكل هذه





المعلومات واخبارها الى سابقا بها جميعا الا اننى شعرت ويكأننى اسمعها للمرة الأولى، ولكننى صممت على موقفي وصممت اننى سأتزوج امل ولو انتهى بعد ذلك كل شيء فقد ارتبطت معها بكلمة ولم اكن لاخون كلماتى ابدا، وقلت لابی انا اعرف كل ذلك ولكننى سأتزوجها.

— قال ابى افعل ما يحلو لك لكن هذا البيت ليس بيتك وهذه المرأة ليست امك وانا لست ابوك ولا اراك مرة أخرى ولا ترانى ولا أرثك ولا ترثنى ولا رابطة بيننا بعد اليوم، والتفت الى امى وقال لها هذا رأى لا فكاك فيه ولا رجعة منه، انتهى كل شيء يا ام البنات فقد مات ابنك او متنا نحن.

— بكت امى وبكى اخوتى

ولملت ملابسي وذهبت الى المستشفى لاقيم فيها بشكل دائم حتى اتدبر امرى فيما بعد ولم تتحرك مشاعرى تجاه ابى وامى اللذين اعتبرتهما الد خصومى واعدائي وهم من تخلى عنى فأنا لم اتخل عنهما ولن اتخل عنهما ابدا ولكن اذا كانت هذه حكمة القدر فلا بأس وربما تتحسن الأمور يوما ما ويعود كل شيء الى سابق عهده

سرت على قدمى من ميدان الجيزة حتى نهاية شارع الاهرام حتى بيت الفتاة وابتعت وردة حمراء وأخرى بيضاء وارفقت بهما ورقة كتبت عليها رفض ابى وامى ان يكونوا معى ولكننى سأستبدلك بهما ولن اضيعك بسببهما، احبك وصعدت اعلى الدرج وقد كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ووضعت الوردتين والرسالة ثم هبطت الدرج وهرولت الى الشارع واتصلت بها





والححت في الاتصال حتى اجابت وهى نائمة وقالت: ما اجمل ان استيقظ على صوتك أيها العندليب، لكم اتحرق شوقا الى اليوم الذى استيقظ فيه وصورتك مليء افقي وحياتى.

اجبتها وانا أيضا اسعى لذات اليوم، افتحى باب البيت وستجدى رسالة منى واعلمى اننى بالقرب من بيتكم ولقد جئت سيرا على الاقدام من ميدان الجيزة حتى وصلت اليكم. سأغلق الان وسانتظر اتصالا منكى بعد حين.

تسكنت في الشوارع القريبة من البيت ولا اعرف لماذا لم انصرف عائدا الى المستشفى، يبدو اننى لم ارد ان اشعر اننى مطرود من الجميع وان لى اهل جدد غير أولئك الذين طردونى انفا، كم تمنيت لو ان هؤلاء الناس استضافونى في بيتهم واعتبرونى واحدا منهم، او ادخل بيتهم لإتاكد انهم أناس طيبون وان ابى ظالم ومتجبر ومفتر.

خمس دقائق وتلقيت منها اتصالا وقالت لى اين انت؟ فأخبرتها اننى على بعد شارع او شارعين من بيتها، فقالت لى ابق مكانك سأحضر اليك، فأجبتها ان الساعه تكاد تقارب الثانية والنصف قبيل الفجر فقالت حسنا لا بأس اما ان تنتظر فأتى اليك او تحضر الى فأقابلك فى مدخل بيتنا، فسألته اذا كان ذلك ممكنا فقالت طبعاً دون شك فذهبت اليها فى دقيقة او اقل ورأيتها وهى مبتسمة ضاحكة مشرقة مستبشرة ونزلت الى من بيتها ولم يكن ينير ظلام المكان الانور وجهها وقلبها، وقلت لها لقد استغنى عنى اهلى وطرودنى من البيت.

فقالت انا اهلك وانا بيتك وانا اباك وانا امك ولكنى لن استطيع ان اقف حجر عثرة فى طريق اب وام وابنه الذى انجباه من لحمهما وشحمهما، انا احبك





يا حمدي ولا تيأس واذهب لهما وحاول ان تقنعهما مرة ومرة ومرة ولا تحزن فحبي
لك الكبير سينير طريق الظلمة، وان أبو واصروا على الرفض اطعهما ولا تغضبهما
من اجلى، انهما ابويك ويريدان لك الخير ويريدان لك اجمل واحسن فتاة في العالم
وانت عظيم بالقدر الذى يجعلك تستحق الكثير واكثر من الكثير، وانا سأحبك
على اى حال وسأذكرك دائما

قلت لها ولا كلمة أخرى يا حبيبي فأنا اخترتك وانت لى وانا لكى، وقبلت
يدها ووضعتهما على صدرى وجذبتها واحتضنتها الى بقوة وقبلت جبهتها
وتحركت شفתי ببطء شديد حتى قبلتا شفثيها وكم كانتا شفثيها عذبتين قبلتها
بحب وبرفق قبله طويلا استشعرت فيها انفاسي للمرة الأولى وعلمت ان لى
شفثين وان لهما وظيفة أخرى غير ازدراد الطعام او الكلام، كانت قبلتنا عمرا
كاملا من عمر مجرات الكون وكأن الزمان توقف عند هذه القبلة، او بدا الزمان
بعدها او توقف الى الابد كانت هذه هي ولادتي الحقيقية ووفاتي الحقيقية أيضا،
كم جلبت لى هذه القبلة متاعب لا تحصى وغيرت حياتى بعد ذلك الى حيث لم
اكن اريد، ولكنى شعرت بنشوة ورغبة في تقبيلها دائما والا اضع شفثاي بعيدا عن
شفثيها ابدا، انتهت قبلتنا وابتسمت في وجهى وابتسمت في وجهها وضغطت
على يديها ووعدتها بان أحاول جاهدا ان اقنع اهلى، واذا فشلت فلسوف اكن معها
مهما كانت الظروف.

وارتحلت عنها وفي عيني دموع لا سبب لها ولا معنى لها غير انها لم تتوقف
ابدا، بعثت الى رسالة نصية وقالت (وحياة ماقلبي اديتوليك اوعاك تحيب أُملي





فيك) اجبت على رسالتها (لا يمكن ان يجد الانسان كنزا ويضعه جانبا، احبك)
وذهبت الى المستشفى ورحت في نوم عميق.





فكرى الحب والثورة

أيام قليلة مضت وربما ساعات حتى كان لنا لقاء اخر على ضفاف النيل
ساعة غروب شمس يوم جديد من أيام الحب واخبرتها وانا حزين ولكنى اشد
حماسا على ان استمر معها في حياة جديدة، وضعت يديها بين يدي واخبرتها اننى
سأفعل كل ما أستطيع من أجلها ولكن هل أهلها يقبلوننى وانا وحيد دون اهل
وهل يستطيعون ان يضعوا أيديهم في يدين فارغتين من الاب والام؟
اجابت وهى خائفة: لقد جرب اهل الأطباء سابقا وأيضا جربوا ان يضعوا
أيديهم في أيدي فرد واحد دون أهل، ولذلك انا لا أعرف ان كانوا سيوافقون على
ذلك مجددا ام لا.

- اذن وما العمل يا حبيبة؟

- ليس علينا سوى المحاولة، أنا سأحدث مع والدتى في هذا الشأن
وسأحاول اقناعها، امى تحبني جدا ولا يمكن ان تكون حجرة عثرة امام سعادتى
وهنائى، كما اننى متأكدة انها ان رأتك سوف تحبك تماما كما أحبك يا حمدى.

- حسنا فالتحاول ان نقنعها هل يجب ان ازورككم في البيت قريبا لإتحدث
معهما؟

- نعم، سأخبرك اليوم بكل ما يجب ان نفعله.

وذهبت معها الى طريق البيت لأنى قد قطعت على نفسي عهدا الا تسير
وحيدة ابدا طالما حمدى على ظهر الأرض وان اسير معها وتسير معى دائما.





وعدت ادراجى الى المستشفى، منتظرا ما سأسمعه من امل قريبا، ومرت الساعات بطيئة كدهر كامل انهمكت خلالها في العمل وانا قلبى بعيدا عن المرضى وعن المستشفى، حتى تلقيت اتصالا من امل ولم اكن اسمعها جيدا لأن الشبكات كانت سيئة في المستشفى في هذا اليوم، حاولت ان اتواصل معها مرارا ولكن فشلت كل محاولاتي وفكرت ان اذهب اليها لكن حاجة العمل الى لم تسمح لي بذلك، فعملت وان متضجر من العمل وقلق للغاية كهذا الطالب الذى ينتظر اعلان نتيجته وهو لا يعرف ان كان عمله في الإمتحان جيدا أم لا، حتى كانت الساعة الثالثة فجرا، اخبرنى احد العمال ان هناك فتاة تقف خارجا وتطلب لقائي وتقول انها خطيبتى، نظرت في ساعة يدي وانا غير مصدق لما يقوله الرجل، او تكون هي حقا؟ يا الهى كم هي مجنونة ان تأتى الى في مثل هذا الوقت من الليل، وجدتها أمامى فتعجبت وسألتها في لهفة، هل حدث شيء خطير؟ هل أبواكى بخير؟ هل انتى بخير؟ بربك اخبرينى ماذا حدث.

كانت حزينة جدا والهالات السوداء تحت عينيها عاودت الظهور مجددا بعد عام من الاختفاء واخبرتني ان والدتها ترفض ان تقابلنى او تتمم امر الزواج إلا بعد حضور أبى او امى او احدهما او احد اقربائى، وانها لن تكرر أخطاء اقترفتها من الماضي مجددا.

- ولكن انتى يا امل تعرفين ان أبى وامى طردانى من حياتهما وانهما غير موافقين على اقتراننا باى حال من الأحوال، فما العمل اذن؟
- لا مناص من احضار أحد اقربائك.





- ولكنى لست على علاقة وثيقة بإى منهم وكلهم سيرفض ان يأتى معى إذا علموا ان ذلك على غير رغبة ابواى.

- حسنا هل يمكنك أن تاتى بأ حد اصدقائك ونخبرهم انه قريب منك او أحد الرجال الذين تعرفهم على ان يبدوا انه عمك او خالك او قريب منك بأى شكل من الأشكال.

- دعينى اتدبر امرى وانا اثق أننى سأجد حلا فلن يفرقنا امر صغير كهذا ابدا.

ولكن لا تخرجى من بيتك في مثل هذا الوقت المتأخر مرة أخرى مهما كانت الظروف، وكيف سمحت أمك لكى بالخروج في مثل هذا التوقيت؟

- لم يسمح لى أحد، فقد خرجت من البيت دون علمهم فكلهم نائمون ولن يدخل أحد غرفتى او يسأل عنى، لا تقلق يا عزيزى في بيتنا لا أحد يهتم لامر أحد ولا أحد يسأل عن أحد الا عن قبيل الصدفة.

- اخافتنى كلماتها جدا واشعرتنى ان اسرتها مفككة تماما كما بلادنا مفككة في مثل هذه الأيام، وقلت لها لا بأس سوف أصطحبك الى البيت لا يمكن ان تذهبى وحيدة واعتذرت لزملائي في المستشفى، واخبرتهم ان على الذهاب الان لأمر هام وجد خطير، ركبنا سيارة اجره واوصلتها الى البيت واخبرتها ألا تقلق فليسوف يتدبر حمدى امره وهو على ذلك قادردائما.





الأيام تمضي واشعر بقلق وخوف لم اشعر بهما قبل ذلك لإسباب عاطفية
وكان شبح فراقى عن امل يطاردنى في نومى ويقطتى وكلما وجدت حلا رأيته
غير حل وكلما جائتنى فكرة وجدتها غير فكرة حتى ذهبت الى ايمن لإتحديث معه.
- لقد رويت لك ما كان من امرى كله يا ايمن بربك أشر على؟

- لا تبتأس ولا تحزن يا صديقى أنت محب والعالم كله سيبارك هذا الحب
ولست صغيرا لكى تخشى شيئا إنما انت الان رجل ولا داعى للقلق او الخوف،
سأذهب معك على اننى احد اقربائك وسيتم الأمر.

- لكن يا ايمن انت صغير لكى تكون وليا لامرى.
- نعم نحتاج الى رجل كبير لكى يكون لك عم او خال.

- اعرف ذلك ولكنى لا أعرف من يكون ذلك الرجل، من يكون ترى من
يكون، أووه وجدته إنه رجل تعرفت اليه في غمرة الاحداث في ميدان التحرير انه
الأستاذ ذكى مدرس الفيزياء الذى اخبرنى انه سيكون معى إذا ما احتجت إليه
يوما ما سأتصل به واشرح له امرى لعلى اجد عنده عوننا وانا اثق انه لن يخذلنى
ابدا.

- حسنا فالتجرب ولن تخسر اى شيء.

- نعم سأجرب ولن اخسر شيئا ابدا

اتصلت بالرجل وابلغته ما كان من امرى كله وشرحت له تفاصيل كل شيء
وكنت قلقا من ابدائه اى ممانعة للأمر ولكنه اخبرنى انه أيضا معى ولن يقف
حجر عثرة في طريقى وما دمت انتوى خيرا فهو أيضا ينوى الخير وأنه لا يرى





الفوارق الاجتماعية والعلمية سببا لمنع الحب وانما الحب هو الحب حيث لا سبب له ولا مانع من استمراره وان رابطة الحب اقوى من الحياة واقوى من الموت، كانت سعادتي لا توصف واملى في امل يكبر يوما فيوما، ذهبت الى بيت امل في منتصف الليل وابتعت زهرة بنفسجية اللون ووضعتها أيضا امام بيتها وكتبت معها (هذه زهرة بنفسجية لأجل زهرة جورية في هذا العالم، تدبرت امرى يا حبيبتي وسوف ازورككم قريبا وقريبا جدا ويوم الرابع عشر من فبراير يوم عيد الحب، ولقد اخترت هذا اليوم لكى تتذكرينى الى الابد وتتذكرى اليوم الذى جئت الى بيتكم فيه وهو يوم الحب، احبك) وانصرفت عن بابها ولم اتصل بها حيث اردت ان تكون مفاجئة كبرى لها، واستلقيت على فراشي في المستشفى انظر الى هاتفى الذى لم تدب فيه الحياة قط في هذا اليوم.



صباح باكر سعيد وشمس الحب تشرق مبتسمة، تفتح رضا والدة امل باب البيت فإذا بها تجد الزهرة وتجذ الرسالة وتشمها فإذا فيها روح وحياة وازهى العطور، وتقرأ الرسالة وتبتسم وتسعد كما لو كانت الرسالة مكتوبة لها وكما لو كان ميعاد الحب خاص بها هي، تطوى الرسالة وتلتمع عينيها وتدعوا الى ابنتها بالتوفيق والسعادة، وتذهب الى سرير ابنتها وتقبل جبينها وتضع الزهرة والرسالة الى جوارها وتتركها نائمة كما هي، حتى إذا استيقظت امل من نومها ورأت الزهرة الى جوارها امسكت الرسالة وقرأتها وقد كانت تعرف خطى جيدا، فرحت كما لو أنها وجدت كنزا ثميناً أو كما من وجد ابنه بعد فقدانه زمنا طويلا،





ذهبت الى أمها وسئلتها كيف وصلت الزهرة الى مخدعها، ابتسمت أمها اليها وقالت: حملها طائر الحب السعيد حتى وصلت الى حيث انت، ولقد اخبرت الطائر اننى موافقة على قدومه واننى انتظر كما تنتظرين الرابع عشر من فبراير وسيكون افضل عيد حب في حياة هذه الاسرة البائسة التي لا بد ان ينتهى بؤسها وشقاؤها الى ابد الدهر.

قالت امل: هذا يعنى انك موافقة يا أمى على حمدى.

-نعم يا حبيبتى فأنا اراه خير من رسم سعادة على قلبك وبسمة على شفئك.
واتصلت بى امل واخبرتني ان بيتهم وحياتهم سعيدة ومهيئة لإستقبال
الفتاح الجديد.



تأهبت الى الذهاب الى بيتهم ومعى ايمن والأستاذ ذكى ودخلت الى بيتهم للمرة الأولى في حياتى وجدته بيتا منمقا ومرتباً حتى أنه كان افضل من بيتى الذى ولدت فيه واستقبلنى اهل امل على خير ما يكون ولكنى شعرت اننى حزين، او اننى يتيم كنت ارغب ان يكون ابنى معى وامى معى واهلى معى وان ترسم بسمة سعادة على وجه ابنى وتنطلق زغاريد الفرحة والبهجة والسرور على اهلى اجمعين ولكن اين هم اهلى الان؟ فلا اعرف عنهم شيئاً ولم اتحدث معهم منذ أسبوع مضى ولم أرهم منذ شهر تقريباً، الناس من حولى سعداء جميعاً يستمتعون بأجمل الأغانى واعذب الالحان وانا اشعر بضيق شديد اشعر حتى كأننى مختطف ولكنى مخطوف بإرادتى او كأنى اعمل جاسوساً لصالح بلدة أخرى غير بلدتى او انى غيرت





دينى وانسلخت عن جلدى فأنا ببساطة قد تحولت الى انسان اخر غير الرجل الذى كنت، اريد ان ابكى ولكنى لا استطيع اريد ان ارحل ولكن فات الأوان وما ذنب هؤلاء الناس البسطاء الفرحين الذين استقبلونى استقبالا الفاتحين، ولكن ما ذنبى انا أيضا ان أكون بلا اب اوام، او أكون جريحا كسيرا في يوم فرحتى اريد ان ابكى ولكن بغير دموع اريد ان اصرخ ولكن بلا صوت اريد ان انفجر غاضبا ولكنى كنت ابتسم وابادل الحضور الضحكات والنظرات السارة ولكنها نظرات كاذبة انا احتاج الى ابى وامى اكثر من اى وقت قد مضى في حياتى الأستاذ ذكى ليس عمى وليس ابى وايمن صديقى ليس قريبى وهذا البيت ليس بيتى وهؤلاء الناس ليسوا اهلى، ان اهلى في مكان اخر لا يعرفون عنى شيئا الان ولا يعرفون ماذا أفعل ولا يدركون الى اى حضن قد اويت انظر الى الجدران وهى ليست جدران بيتى تمنيت لو عدت طفلا فأنا ابحت عن طفولتى وعن رفاق حارتى وعن كتبى وعن صورى وعن كل ركن دافئ وكل مزهرية، تذكرت هذه الكلمات من قول نزار قبانى هذا في قصيدته اصبح عندى الان بندقية ولكنى أبدلت قوله الى فلسطين خذونى معكم بقولى الى بيتى خذونى معكم وبلغوا اهلى انى احبهم احبهم جدا لم اشعر بحبى لهم كما اليوم او حاجتى اليهم كما اليوم وماذا فعلو حتى اخرج عن جعبة سهامهم كسهم ضال أخشى ان يقتلهم او يقتل نفسى، كانت أمى دائما تقول ان يوم فرحى وخطبتى هو اسعد يوم في حياتها وانه اليوم الذى ترجوه من هذا العالم فقد جاء اليوم ولكن اين هم؟ اين هم؟

لم اخبرهم بيوم خطبتى ولا أننى سأخطب بمثل هذه السرعة، فهل





تسرعت؟ وهل انا احمق وهل امل غير مناسبة لحياة جديدة وهل حياتى معها ستكون سعيدة ام اننى اكتب نهاية لصفحة السعادة بيدي، لقد اخبرتنى امل واصرت الا اخبر أحدا من اهلى حتى لا يحزنوا ولا يشعروا اننى تخليت عنهم او خرجت عن امرتهم وسلطانهم، واذعنت لذلك الرأى، ربما لأنه كان القرار اليسير الذى لا يحملنى عبء مواجهة لا أستطيع ان اتحملها، هاهم الحضور يأكلون ويفرحون فى خطبتى ويكأنهم يتبادلون التعازى فى حمدي الذى مات وانتهى امره يوم ان اغضب ابيه وامه، وماذا لو كانت امل فتاة سيئة كما يقولون؟ وماذا لو كانت الفوارق التعليمية والاهتمامات بينى وبينها ستجعل حياتنا مستحيلة وستحول حياتنا الى جحيم مقيم لا يطاق وماذا لو كان أهلها لا يستحقون ان اضع يدي فى أيديهم واقراً معهم الفاتحة. حينما وضعت يدي فى يد ابيها لكى نقرا الفاتحة شعرت وان يدا تغسلنى وأخرى تنسج كفى وثالثة تضع هذا الكفن على جسدى شعرت انى اختنق ولا متنفس واننى اغرق ولا مهرب من هذا الغرق وادركت كم هو مؤلم ان تظهر للناس خلاف ما تبطن، نعم انا احب امل احبها جدا ولكن احب ابى اكثر احب امى اكثر، يا ألهى لماذا كل هذا العذاب ولم كل هذا البؤس فى يوم الحب يوم العشق يوم ان اجتمعت بأمل بشكل رسمى فعلا وأصبحت مكتوبة لى وأصبحت مكتوبا لها، حسنا لماذا اعذب نفسي بهذا الشكل ولماذا اتحمل كل هذا العذاب سأمرح وسأفرح وسيكون لى غدا شأن اخر.

لم تلاحظ امل ذلك وربما لاحظت ولكنها لم تخبرنى بآى شكل عن اى شيء وكانت تضحك فى وجهى وتشد على ساعدى وقالت لى أتمنى ان ارتقى بين ذراعيك ولا أنفك بينهما حتى تقوم الساعة يا حبيب العمر كل حياتى قبلك لم





تكن حياة فقد ولدت يوم أن رأيتك وسعدت الان بجلوسي الى جوارك وسط هؤلاء الحضور الذين كانوا جميعا من أهلها وأصدقاء عائلتها ورايت في اعينهم رغم فرحتهم سؤالاً ملحا

اين اهل هذا الرجل؟

وبعضهم همس في اذن صاحبه، ماذا يعجبه في هذه الفتاة البائسة فهي فقيرة وهو ميسور وهي قليلة التعليم وهو طيب؟

وسؤال اخر، كيف تعرفت هذه الفتاة على هذا الطيب؟

وبعضهم قال، لماذا لا يبدوا سعيدا ومبتسما؟

اخفوا اسئلتهم خلف التصفيق والهتاف والاغاني الصاخبة، ولكي اكسر هذا المشهد واخرج عن افكارى التي كادت ان تقتلنى، اخذت امل من يدها وقد كانت ترتدى فستانا وردي اللون ويتدلى شعرها عن راسها حتى كتفيها وعيناها راقصتان كنفورة دبي الراقصة وتشتعلان املا وشوقا وحبا ونشوة ووضعت يدي على كتفها وراقصتها رقصة هادئة على انغام الموسيقى ورحت غارقا في نشوة الحب كي انسي اسئلتى وهمى وشكى ورحت اشكو بشى وحزنى الى عينيها الجميلتين وبعد ان انتهت رقصتنا الهادئة وجلسنا على كرسي الفرح.

قامت امل من جوارى وامسكت بالمايكروفون وقالت: انا النهاردة اسعد انسانة في الدنيا حد يقرصنى في ركبتى او يضربنى على دماغى ويقولى ان ده مش حلم وانى انا صاحيه و مش نايمه وان حمدى جمبى على الكوشة وانا بحبك يا حمدى وهفضل احبك لحد اخر يوم في عمرى وعشان كده انا بهديلك اغنية





سمعتها وعجبتنى:

روح ربنا يخليك ليا

ويحلى صورتك في عينا

انا فين هلاقى الحنية الى انت جيت واديتها الى

انا بقهمك من نظرة عين

من غير كلام بعرف قصدك

واستمرت في الغناء ولمعت عيناها وترقرقت فيهما الدموع ولكنها استمرت
واستمرت وانا أيضا لمعت عيناى وبكيت واستمررت في البكاء فكم كانت
سعادتى وهنائى لإننى وجدت أخيرا سببا يدفعنى الى البكاء دون ان ينكشف
امرى وسترى، ظنت امل والجميع اننى ابكى من فرط فرحتى، لكننى كنت ابكى
من خوف وقلق كالطفل الذى ضاع من امه في زحمة السوق او ليلة المولد.



انقضى اليوم على خير وفرحنا ومرحنا ورقصنا وعدت ادراجى الى المستشفى
ولكن ايمن استوقفنى وقال لى اريد ان اتحدث معك يا عزيزى.

جلسنا في مقهى حتى شروق الشمس نتبادل الحديث عن كل شيء
وصارحته بما اعتمل في صدرى وما جاش في خاطرى

هز راسه وابتسم وقال: الم اخبرك سابقا يا حمدى ان الحب حولك من شبح
الى انسان، كل ما تشعر به الان هو شيء حقيقي ويستحق الحزن وان لم تشعر به
تكن عديم الضمير وعديم الرجولة، انا سعيد أنك تخبرنى بهذا.





- هل هذا يعنى ان حزنى له سبب، رغم اننى من اختار ذلك؟
- نعم يارجل، احزن وافرح واقلق واشعر بالخوف كما تشاء ولكن حذارى
ان تشعر امل بذلك فانا اخشي ان تعتقد انك تضعها في مقارنة مع اهلك ولقد
سبق لها ان جربت ذلك وخسرت الرهان، اشعرها انك كنت تتمنى لا انك كنت
تخاف واخبر اهلك بما حدث قريبا بعد ان تمهد لهم ذلك.

- هل تعتقد اننى سأستطيع ان أخبرهم؟

- نعم ولكن برفق

- وماذا سيكون من ردة فعلهم؟

- حزن وبكاء وعويل وعنف وتهديد ووعيد وانكار ثم تفاوض ثم اكتئاب
ثم تقبل لما حدث وما تم، لذلك عليك ان تستعد لذلك وان تمنى نفسك باليوم
الذي سيرضون فيه عنك دون شك فهم ابواك وانت فلذة كبدهم.

- ومتى يكون هذا الوقت يا ترى؟

- وحدها الأيام ستعطينا الجواب

- ولكن هناك شيئاً اخر اردت ان اخبرك إياه

- وما هو؟

- بعد الثورة أصبحت الأمور في بلادنا سيئة فنحن حتى الساعة لم نجن من
الثورة غير الدماء والألم والخوف، اعمال غلقت وموظفون تركوا وظائفهم وعمال
هجروا المصانع ومستثمرين فروا هاربين من بلاد لا اقتصاد لها وأطفال شردت





حتى الدخل قل والعمله أصبحت سيئة والحكومة تطالب بقرض قيمته أربعة مليار من البنك الدولي واخشى انه لن يعطينا شيئا وهدمت محال تجارية وانتهت السياحة او اوشكت ان تنتهى حتى الوضع السياسي غير معلوم فالحكومات تتبدل كما نبدل ثيابنا وملابسنا الداخلية ولا نعرف هل سيأتى رئيس قريبا ام لا حتى وان اتى رئيس هل سيكون قادرا على مواجهة التحديات وإدارة الازمات أم أنه سيفشل وهذا وارد جدا، لم يسلم من الكساد احد انا تركت عملى فى المدرسة وابحث عن غيرها وأولياء الأمور صاروا غير قادرين على تحمل أعباء المدارس والدروس الخاصة فكسدت تجارتى حتى سامى وهو مهندس لا يجد عملا بعد الثورة ولم يسلم من ذلك غير مناع وجميل وانت تعرف ماذا يعملان، فلن يصيبهما كساد قط ولكن لا أمان ولا استقرار ولا اعرف هل الثورة السبب ام ان الثورة خطوات لا بد ان نخطوها ولا زلنا فى مهدها ومراحلها الأولى او انها انتهت الى هذا الحد من الدمار والكساد.

- اعلم ذلك واخشي ان تكون الثورة هي السبب ولكن ما شأن هذا بى اليوم؟

- لك كل الشأن، انت أقدمت على حياة جديدة ولها تكاليف ولها مصاريف وانت طبيب فى مستقبل عمرك وانا اعلم ان دخلك سيكون قليل وربما قليل جدا لذلك لا تهن وتضعف حينما تصطدم بحائط الواقع المنيع ولا تعتقد ان خطواتك القادمة يسيرة إنما القادم اهم وأصعب.





احداث مؤلمة

أصبحت ازور امل في منزلها مرتين او ثلاثة أسبوعيا ويستقبلني أهلها بكلمات حب وثناء لم تسمعها اذننى قط في بيتى، وكنت ابادلها الحب بالحب والثناء بالثناء والود بالود حتى احبوني حقا، ولكنى كلما ذهبت اليهم وصعدت الدرج ابصرته مظلماً فلم اكـد ابصر درجات السلم من شدة الظلام وحوائط المنزل تتداعى كأنها ستسقط على وكنت احمل قدمى بيدي لإضعها على الدرج الأعلى وتزداد ثقاقلا واصعد الدرج كل مرة وكأئننى اساق الى الموت او كمن يصعد درجات سلم يؤدى الى مشنقة تتدلى في انتظاره لكى تسوقه الى حتفه، ولكنى كنت اكابر هذا الشعور دائماً واتحامل عليه بحبى لأمل وتذكرى لنظراتها وهمساتها وسكونها وعبرها وعطرها وجمال جسدها الذى كلما نظرت اليه شعرت بنشوة حب جارفة، اخبرتنى امل ذات يوم ان اعود الى بيتى واتصالـح مع اهلى واخبرهم أننى نسيت ما كان من امر الحب والعشق فهى تشعر بما يعتمل في صدرى من ألم الفراق، وقالت: أما ان الأوان ان تعود الى بيتك وتخبرهم انك نسيت واقلعت عن الحب؟

- هل هذا يعنى أننا سنفترق؟

- انا لم اقصد ذلك ابدا، وإنما أنا اشعر بك يا حمدى وبما انت فيه من خوف وقلق وضيق وضجر ورغبة في العودة الى والديك فقد عهدتك دائماً بارا بهما، ولم اعهدك جاحدا او ناكر جميل ومعروف وهم والديك أعنى كل شيء لك فلا





تخسرهما فتخسر نفسك وتخسرني انا أيضا، لقد رأيت تقلبات بصرك في الفضاء
يوم خطبتنا ورأيت دموع لم تخرج من عينيك وانما من قلبك ورايت صرختك
الدامية التي كتمتها خلف ابتسامة مصطنعة وتلويح بيدين مهزومتين، انا اشعر
بك يا حبيبى لانك قطعة منى وانا قطعة منك، وحنك يدمي قلبي ويحطم
حياتي، عديا حمدي

عديا حمدي

- انا سعيد أنك تقديرن حقيقة مشاعري، وانا اعدك ان عودتي الى بيتي لن
تعني فراقى عنك ابدا.

وانصرفت عن بيتها وودفنت رأسها بين زراعيها واحتضنت وسادتها
وعضت أناملها من غيظ ومن حنق وخوف ولم وقالت يا الهى لاتجعل هذا بداية
نهايتي فأنا لن اتحمل طعنة أخرى في صدري فلم يبق موضعا جديدا للحزن
والخوف فيه، يارب كما أعدت حمدي الى اهله فكافئني واعده الى.



عدت الى بيتي بعد شهر ونصف من الإرتحال عنه واشعر كأنها دخلت الجنة
بلا حساب، الألوان زاهية والعطر في كل مكان سأقبل رأس ابى وامى أخيرا
وأقبل وسادتي واضع ملابسي في خزانتي واحيا كما أردت ان احيا دائما،
استقبلوني استقبالا باردا والتفت الى ابى وقال: لقد كنت اعرف انك ستأتى الى لا
محالة وان كنت جئت لسبب اخر غير اعلانك عن نهاية مغامرتك وعودتك الى
رشدك، فارجع من حيث جئت فلا مغامرات ولا ثورات ولا شعارات في بيتي.





- لقد صرفت نظرا عن الموضوع برمته وايقنت انه لا جدوى ولا طائل منه.
- لن اسألك عن تفاصيل لأنى اثق أنك لم ترتكب شيئا مشينا وانا اثق انك
لا تكذب فيما تقول وسأنتظر اليوم الذى تخبرنى فيه كل أمرك، وقال لأمى لقد
عاد اليك ابنك كما راهنتك انه سيعود.

- وهنا ذكرت امل وذكرت ضعفى امام اهلى وشعرت اننى مقسوم نصفين
شطر في بيت ابى وشطر في بيت امل وان قلبى أيضا موجود في قلب ابى وموجود
في قلب امل، وشعرت بحنين غريب الى بيت امل حيث الابتسامات والضحكات
من القلب ليس كهذا البيت الذى كل شيء فيه بحساب، ما اعجبنى وما اغربنى
من رجل لا يعرف ما يشعر به حقا ولا يعرف ماذا يريد فأى ضلال هذا واى هزاء
هذا

اويت الى فراشي حيث لا حشرات ولا وسخ يحيط بى من كل جانب
كغرفتى في المستشفى التى تعرفت فيها على أنواع من الحشرات لم ارها في حياتى
ولم اسمع عنها قط، واغمضت عينى واطبقت جفونى واسلمت نفسى للنوم
ولكن ابى دخل الى غرفتى واضاء نور الغرفة وجلس الى طرف سريرى فنهضت
من فورى وسألته في لهفة، هل هناك شيء؟

- فأجاب، اريد ان اتحدث معك في امرهام، ولا تقاطعنى حتى انتهى مما
سأقوله لك: ابن عمك خريج الاداب لا يجد عملا بعد الثورة.

- وابن خالتك خريج التجارة لا يجد عملا بعد الثورة

- - اختك التى تعمل سكرتيرة في شركة كمبيوتر تم تصفية عملها بعد





الثورة

- اختك الأخرى التي تعمل في مجال صناعة السينما في الإنتاج والإخراج انتهى عملها أيضا بعد الثورة
- ابن عمك الذي كان يعمل في السياحة انتهت أعماله بعد الثورة
- خطيب اختك الذي كان يعمل في تجارة المقاولات، افلست شركته واغلق مكتبه بعد الثورة.
- انا اعمل معلما خسرت نصف دخلى بعد الثورة.
- انظر الى الشوارع هل فيها امان بعد الثورة.
- انظر الى المتاحف، هل تعمل بعد الثورة
- حتى انت تبدل حالك وتغير تفكيرك وكدت ان تضعي او تتورط في علاقة فاشلة بعد الثورة
- الشباب الذين ماتو في الثورة ماتو دون هدف او طائل وذهبت حياتهم سدى.

قاطعته، لماذا تخبرني بذلك؟ الان وقد كنت تتوقع حدوث ذلك انفا هل تريد ان تخبرني انك كنت على حق واننى احمق وان الثورة جرت البلاد الى الخلف، ولكنى لن اقتنع يا ابى في ذلك ولن اغير قناعاتى الثورة لانى اؤمن ان الثورة كالطفل الذى يكبر يوما ما حتى يكون منتجا وفاعلا وانت تحكم على الثورة وهى لا تزال في مهدها.





- يا ولدى لن تأكل الثورة نفسها فقط ولا أولادها فقط ولكنها ستأكل الجميع، وانا لا اجادلِكَ فيما جادلتكَ فيه سابقا ولكنى أريد ان اخبركَ ان تتنبه للطلب وتنحى امر السياسة جانبا وانظر الى اصدقائك ماذا حل بهم
- حسين مات في الثورة منذ عام تقريبا فهل عاد حقه او اقتص له أحد
- ايمن لا يعمل
- سامي تم فصله من العمل
- انت محظوظ لأنك لاتزال على قيد الحياة أولا ولأنك لاتزال قادرا على العمل ولكن لن تظل محظوظا الى ابد الدهر.
- لم يمهلنى حتى اجب وبدا كما لو انه لا يريد ان يدخل معى في مناظرة قدر ما يريد ان يسدى لى نصحا ما.
- استلقيت للنوم مرة أخرى فقد توحشت مخلدى، ولكنى وجدت رسالة نصية من هاتف يخص أسامة أخو امل الأصغر (الحقنا امل اتخطفت!)
- اتصلت به ولم يجب، اتصت بأمل ولم تجب وكان هاتفها مغلقا وذهبت لهم في منتصف الليل لاعرف ماذا حدث؟



خرجت من عملى متاخرا هذا اليوم في المستشفى التي اعمل بها في حى المهندسين واتصلت بحمدى لكى اطمئن عليه او ياتى لكى يقلنى الى البيت واتصلت واتصلت ولكنى لم اتلق جوابا، قررت ان اذهب الى البيت فأستريح من





عناء العمل واطلب حمدى مجددا او انام لعلى احلم به فينير طريقى في احلامى المظلمة، ركبت ميكروباص يوصلنى الى ميدان الجيزة وقد كانت امى تخبرنى دائما ان اركب المواصلات من محطاتها الأساسية وان اركبها حينما يكون فيها نساء غيرى لأنها تخاف بشأنى كثيرا ولإن العالم اصبح غابة كبرى ولا سيما بعد الثورة إذ انفلت الامن وضاع الأمان، ولكنى كنت متعبة بما يكفى لكى لا أفكر في هذا الامر، لم يكن في الحافلة أى نساء وكان فيها شابان يجلسان الى جوار السائق وجلست انا على الأريكة التي هي خلف السائق تماما وكان هناك رجلان يجلسان على الأريكة التي خلفى ولم يكن هناك أى ركاب اخرون وسارت الحافلة تقطع ظلام الليل على الطريق الدائرى بسرعة هائلة وتتمايل يمينا ويسارا والسائق يستمع الى اغنية شعبية بصوت على ازعج اذنى حتى كاد ان يصمهما واخبرته اكثر من مرة ان يخفض الصوت كان يذعن أحيانا ويرفض كثيرا، وبدأت اشعر بالقلق حينما اخرج الرجل الذى يجلس الى جوار السائق سيجارة من الحشيش واخذ يشعلها دون خوف وأعطى السائق وأعطى الرجلين الذان يجلسان خلفى، وسمعتة يتحدث اليهما بإساميهما ويتبادل معها الضحكات والنظرات المريبة، شعرت بخوف وقلق وطلبت من السائق ان يوقف السيارة حتى انزل منها، اجابنى بهدوء شديد وبنبرة رجل يأكل الحروف والكلمات ويكأنه لا يحسن الكلام ويتعلم النطق أو ربما هذا من أثر المخدرات: حاضريا اوستاذة هركنلك على جنب.

وقال الرجل الذي يجلس الى جواره ملتفتا الى: المزة رافعة حواجبها ومحدث

عاجبها





وقال الرجل الذي يجلس خلفي: داحنا جدعان ومخلصين وهنعجبك اوى وهتكيفي مننا على الاخر وهنوريكى الى عمرك ما هتنسيه.

ارتعدت ارتعبت خفت لم استطع ان اسيطر على مثانتى فافرغت كل ما بها من بول وصرخت بأعلى صوت ولكن صوت الراديو كان عاليا والرجل خلفي وضع يده على فمى والأخر ضربنى على رأسي، وقال للسائق حلواوى يا صاحبي احنا كده قربنا على المزارع، خش من هنا يا عمونا.

وقفز الرجل الى الكرسي الذى يجاورنى واخرج مطواة وضربنى بمقبضها على صدرى وقال: المرة الجاية يا حتة الضربه هتبقى بسن المطواه وهتبقى في قلبك وانتى صدرك عريان كده ومنور الضلمة يا مكنة المكن!

واخرج عصابة من جيبه ووضعها على عيني وضمادة وضعها على فمى واخرج حبلا وثق به كلتا يدي ووثق به أيضا كلتا قدمي، توقف نبض قلبي وعقلي تماما وفكرت في امي وحمدي ثم لم أعد قادرة على التفكير في أى شيء اخر غير اننى اريد ان انتهى من هذا الموقف الآن وليس بعد حتى لو انتهى الموقف بموتى المهم ان ينتهى هذا الكابوس الان وليس بعد حين.

سارت العربة بى ما يربو على الساعة ونصف وانا لا اعرف الى أين نحن ذاهبون فقط ضحكات والفاظ نابية اسمعها ولا استطيع ان اسد اذنى ويد تمتد الى صدرى الأيمن وأخرى الى صدرى الايسر واحيانا على كتفى واحيان بين قدمي ولكنى كنت اصرخ وارفس واركل وابكى بكل ما اوتيت من قوة. حتى توقفت العربة عند منطقة خمنت انها منطقة زراعية وذلك من حفيف الأشجار فيها،





وحملنيأحدهم على كتفه ودخلو بيتا لم اره من الخارج حتى اماطوا اللثام عن فمى
وازاحوا العصاةة عن عيني

ووجدتنى امام خمسة رجال لم أكن قد ميزت ملامحهم قبل ان اركب الحافلة
ويضع كل منهم قناعا على وجهه يخفى ملامحه ويستخدمون القابا تخفى هويتهم
الحقيقية ولم يخبرنى احدهم اى شيء يدل على انه يعرفنى او يعرف اهلى ووجدت
نفسى فى غرفة صغيرة ربما أربعة امتار فى ثلاثة امتار ومليفة بالقش والأتربة ولا
فرش فيها ولا وسادة وبها نافذة خشبية ولكنها موصدة من الداخل باخشاب
مثبتة بمسامير على النافذة وهناك حديد من الخارج او كما سمعت احدهم يقول
للاخر اخبرها ان هذه النافذة مغلقة من الخارج بحديد ولا امل لها فى الهرب،
اخذوا كل امتعتى ولم يتركوا لى منها شيئا وولوا وانصرفوا وبقيت ليلتى ابكى
واصرخ وابكى واصرخ واركل الباب فلا يفتح واحاول فتح النافذة فلا هي
تفتح ولا تنكسر ثم اسقط من التعب ولكنى أحاول الكرة من جديد ولا يتوقف
املى فى الهرب حتى سقطت على الأرض من الإجهاد ولم اعرف هل نمت ام
اغشى على، حتى استيقظت من غدى ووجدت احد هؤلاء الاوغاد يلقي جردلا
من الماء على وجهى فاستيقظت وانا اصارع الانفاس ووجدته فتح النافذة فإذا
هي محاطة بإعمدة من الحديد ولا أرى الا زرعا وشجرا لا اخر لهما ولا ابصرا
بشرا او طيرا او حجرا او حتى طريقا واخذنى من راسى ووضع وجهى بين
قطبان الحديد وصرخ فى وجهى: اصرخى ما تصرخى وحاولى تهربى ما تحاولى
محدث هيغيثك هنا يا بت الحرام، الحتة دى مفيهاش صريخ ابن يومين

احنا بعتنا رسالة لأهلك وقولناهم احنا عاوزين ربع مليون بلبل ونسيبك





وعرفناهم المكان والزمان ولو ماجبوش الفلوس لا هيلاقوكى حية ولا هيلاقوكى ميتة الأفضل ينسوكى خالص وينسوا ان في حد اسمه امل قال امل قال هو يا بت انتى لسه في حد عنده امل في الدنيا.

قال ذلك وصفعننى في وجهى صفعه قوية وارتدت ان ابصق في وجهه لكننى لم استطع، واختفى الرجل خلف الباب بعد ان اغلق النافذة وغرقت في الظلام واحضروا الى طعاما هو كسرة خبز يابسة وطبق من العسل لكننى لم امد يدي لذلك الطعام والقيت رأسي على الحشائش والتبن واستمعت الى أصوات حشرات لم اكن اعرفها قبلا ورأيت فئراناً وسحالي حولي في كل مكان وانا لا اطيق رؤيتهما من على بعد عشرة امتار.

انتهى اليوم الثانى وانا كما انا ولا اعرف كيف سيتدبر اهلى نفقات الفدية فلا يملك ابى ولا عائلتى مبلغا كهذا ولا حتى حمدي يملك مبلغا كهذا.

اتى الخمسة رجال في اليوم الثالث وضحكوا ضحكات عالية وقالوا الآن ليس وقت ثان نستمتع ونشبع شهواتنا وندفن انفسنا بين هذين النهدين وهذين الفخزين الجميلين، انقضوا على كما ينقض الأسد على غزال في البرية وامسكنى كل رجل من طرف من اطرافى من يدي ومن قدمي واخذ الاخر يخلع عنى ملابسى وقد كنت ارتدى بنطالا من الجينز اسود اللون وتونيكاً وردياً وارتدى تحته ملابس قطنية من البوديهات ثم ملابسى الداخلية، اخذ الشيطان يجر دنى عن ملابسى شيئاً فشيئاً وانا ابكى واتوسل واتضرع حتى انى قلت لهم اقتلونى اذبحونى لكن لا تأخذوا شرفى ولم يزد هم ذلك الا ضحكا وحماسة





وسخرية منى ومن رغبتى ان ابقى بشرى وانا حافظ على عفتى في مجتمع لا يقيم شرف الفتاة الا بما هو كائن بين ساقها فلو فضت بكارتها في حادث او عملية او اغتصاب أصبحت ليست شريفة ولا تستحق ان يتزوجها احد او يسترها احد وأصبحت مادة خصبة للقليل والقال ولم تسلم من نظرات الطمع والشراسة والرغبة في عين ضباع جائعة، تنتهى الحياة اذا انتهت قطعة جلد بين قدميها في مقدمة مهبلها تنتهى كانشى وتنتهى كإنسانة وخير لها ان تقتل نفسها بيديها قبل ان يقتلها أهلها او يقتلها مجتمعها

صرخت انقذنى يا حمدى

انقذنى يا حمدى

انقذنى يا حمدى

انقذنى يا امدى

انقذنى يا وطنى

لم يسمع احد ندائى او ربما سمعوا ولم يلبوا اى نداء، حتى جردونى من كل ملابس تماما وصرت كمن ولدتها أمها وركلونى في كل جسدى وضربوا وجهى وضربوا صدرى وجسدى ولعقوا نهدي بالسنة حداد كأن فيها مقارض او كأنها سيوف وخلعوا ملابسهم أيضا كما ولدتهم امهاتهم وأغلقت قدمى بكل قوة فاخذوا يركلونى باقدامهم بين قدمى حتى انتهت مقاومتى وانتهت حياتى وانتهى كل شيء ولم اعرف ماذا حدث بعد ذلك او كيف حدث رايت الدم يخرج من شرفى كما أرى السكينة تسفح دماء الذبيحة فقد ذبحت تماما وانتهت حياتى الان لم اصبح انسانا ولا حتى حيوانا، نعم هكذا سيرانى كل البشر حتى الطيور





والحجر، رحت في غيبوبة كاملة ولم افق من هذه الغيبوبة الا حينما ابصرت نفسي ارتدى عباءة بيت اعرفها تماما والطبيب يخبرنى أننى ساكون بخير وحمدي يمسك بكفى الايسر وابى يمسك بكفى الأيمن وامى تقبل راسي وجينى وتخبرنى انها تضرعت الى الله العلى القدير ان ينجينى من موت قد تربص بى.

سألتهم ماذا حدث؟

أجاب حمدي لا داعي للخوض في تفاصيل لن تفيد، المهم أنك على قيد الحياة ولا خطورة عليكى واجرى الأطباء لكى عملية نجحت بحمد الله. سألت في دهشة اى عملية أجريت لى؟

لم يجب احد ونكسوا رؤسهم كالأعلام التى تنكس في الحداد على الموتى، واخذ كل منهم مسح دموعا نزلت من عينيه بكلتا يديه.

قبل حمدي يدي وقال: حبيبتي امل اطمئنى انا لن اترككى ابدا ما حييت وستطارد العدالة هؤلاء الأوغاد حتى ينالوا ما يستحقون من عقاب اليم او اطاردهم انا فأطردهم من هذا العالم

ونظر الى ابى وامى واخوتى وقال بنبرة رجل حازم صارم: اطمئنا جميعا انا لابنتكم وابنتكم لى.

وخرج الجميع من الغرفة وبقيت امى فسألتها ماذا حدث فقالت: جمعنا المال من الناس وذهبنا في الموعد ووضعنا المال في المكان المحدد واتى رجل بدراجة بخارية اخذ المال والقى بورقة، تبعه اخوكى بدراجة نارية ولكنه لم يعرف طريقه واخذنا الورقة وعرفنا مكانكى وذهبنا اليكى ولكننا وجدناكى





.....ولم تسطع امى ان تكمل حديثها واحتضتني بقوة
وقبلت وجهي ورأسى وكل شبر في جسدى العليل وقالت لايهم كل ذلك المهم
انكى بخير وعلى قيد الحياة
فقلت واى عملية أجريت لى
قالت امى وهى تضع يدها على وجهها: عملية ترقيع لغشاء البكارة.





الشعب ينتخب رئيسا جديدا



مرت الأيام والشهور كدهر
كامل وانا اكنم سر ارتباطى بأمل
عن اهلى انظر الى قلوبهم العامرة
بالحب وابداهم الحب أيضا
واجلس معهم على مائدة طعام
واحدة وانظر الى وجوههم والى

اعينهم وأريد ان اخبرهم سرى ولكنى لا استطيع ان اخبرهم بأى سر ربما لإننى
أصبحت مع مرور الوقت غير راض عن امل او غير راض عن ارتباطى بفتاة
فقدت بكارتها حتى ولو كان ذلك رغما عنها ولكنى احسست بأننى لن أكون اول
رجل في حياتها ووانها لن تعطينى متعة الاقتران بها وانها ربما تكون مريضة او
معقدة من شيء ما كنت ارفض هذه الأفكار قديما ولم اكن مؤمنا بها وكنت اعتقد
ان الرجل الذى يترك فتاة تعرضت لموقف كهذا انها هو نصف رجل او ربع رجل
او ليس رجلا من الأساس او لا يستحق ان يكون انسانا ولا يستحق ان يكون له
ذكر بين الخلائق، ورغم اننى لازلت اعتقد في ذلك الا اننى أصبحت اشعر بما
يناقض ذلك أصبحت افكارى في طريق ومشاعرى في طريق اخر لا يلتقيان ابدا
عانيت من الأرق كثيرا في هذه الأيام ومن ضيق الأفق ومن انفلات المشاعر
والغضب والخوف والقلق وتمنيت لو ينتهى كل ذلك وانتهى من امل وانتهى من
ابى وامى وانتهى حتى من نفسى، ولكنى تحاملت على نفسى ابادل امل





الضحكات وانا لا اريد واربت على كتفها وانا ارغب في وداعها وابدل اهلى الضحكات وانا ارغب أيضا في وداعهم، كل شيء غير حقيقي وكل شيء مستعار ومصطنع ولا شيء حقيقي الا القلق والقلق فقط.

في اثناء هذه الأيام انهيت سنة الامتياز واستلمت عملي طبيبا مقيما في قسم النساء والتوليد في الجامعة ولم تكن هذه رغبتى الحقيقية أيضا وانما كنت اهوى علوما أخرى من الطب ولكن ابى قال لى ان الأيام القادمة اكثر صعوبة وان اختيار تخصص يدر على المال هو شيء يستحق المنال، وأن الأيام القادمة أيام عصيبة وان الاقتصاد سيستمر في الإنهيار لذلك على ان اعرف من اين تؤكل الكتف، لم اكن اريد ذلك حقا ولكنى كعادتى دائما اترك ما اريد الى ما يجب ان افعل ولكن تبقى مشكلة كبرى وهى هل يجب ان افعل ذلك؟

كانت امل تشجعنى دائما ان اختار وافعل ما اريد وما يحلو لى فعله وقالت لى ذات مره ان ابتعد عن قسم النساء والتوليد لان اشغالهم كثيرة وانها لن تستطيع ان ترانى كثيرا وهى لا تتحمل فراقى ابدا ولو حتى يوما واحدا او ساعة واحدة وان المال لا يهم كثيرا في هذه الحياة وان هناك ما هو اهم من السياسة والاقتصاد ألا وهو الحب الذى هو اهم من كل شيء في هذا العالم، فيمكن ان تستغنى امل عن اى شيء الا الحب ويمكنها ان تستغنى عن اى احد الا انا.

ذهبت الى بيت امل لأزورها عشية الانتخابات الرئاسية وأعد أهلها وليمة كبرى على شرف حضورى ولقد ازداد تعلقهم بى بعد حادث امل وكأنهم يقولون لى لا ترحل لا ترحل ابق معنا وابق الى جوار ابنتنا التي لا مستقبل لها الا معك، كنت أرى ذلك في أعينهم وكنت أريهم أيضا أننى لن اتركهم ولو بعد حين.





قالت لى رضا: من ستتخب يا حمدى في الإنتخابات القادمة؟

- انا في حيرة حقا فلا أرى مرشحا يحقق لى أمني بشكل تام ولكن تلك هي الديموقراطية فلا بد ان نختار ولكنى اميل الى مرشح ليبرالى فأنا ليبرالى بطبعى وهو يمثل قوة مدنية معتدلة وانا ارغب في دولة مدنية تقدمية حديثة لا اريد دولة دينية ولا اريد دولة عسكرية

- انا يا ولدى سأعطى صوتى للفريق المرشح في الانتخابات فهو ذو خبرة وحنكة وذو رؤية ثاقبة.

- تدخلت امل مالكم تختارون اختيارات غير جدية، انا سأختار مرشح الاخوان فهم الأغلبية في البرلمان وهم الاقدر على قيادة البلاد في المرحلة الراهنة، وهم الأجدر فقد عانوا كثيرا جدا حتى وصلوا الى ما هم عليه الان.

- تدخلت الام، ولكنهم متشددون ومتزمتون الى حد يصعب فيه التعامل معهم؟ ولا خبرة سابقة لهم في عمل عام

- اجبت معكى حق يا حماتى

- امل: نحن في ثورة وقد تغيرت قواعد اللعبة السياسية، ومن كان لا يعرف أمس سيعرف غدا

- رضا: هذه هي مراهقة الشباب، من كان في السجن بالأمس لا يمكن ابدا ان يكون رئيسا غدا

- حمدى: الفريق يفكر بعقلية امنية بحتة، والمهندس يفكر بعقل جماعة ظلت سرية ما يقرب الثمانين عاما.





- امل: لقد كانت الجماعة سرية لأنها حوربت من كل الأنظمة ولم يسمح لها احدا بذا ان تعمل في العلن.

- رضا: وسيعودون الى سابق عهدهم قريبا ودون أدني شك

- حمدي لاداعي لأن يعودوا الى السجن او ينفى العساكر الى الخارج ولكن لا بد ان نبني وطننا جديدا يستوعب الجميع، عسكريا وإخوانا وليبراليين وعلمانيين وحتى الملحدين.

- امل: لكنك لن تحزن يا حمدي ولن تغضب حينما انتخب المهندس؟

- حبيبتي لا يمكن ان ينالني غضب منك لأنك ستمارسين حقك في الحياة

- امل احبك يا حمدي

- رضا: احم احم، انا لازلت موجودة معكم اختشوا على دمكم

وامضيينا الليل كله في سمر سياسي واجتماعي وتحدثنا من القلب عما يهم الوطن ويهم كل رجل فينا وامراة

وذهبت الى المستشفى واتصلت بي امل تليفونيا وقالت لي بنبرة غاضبة: انا غاضبة منك يا حمدي الى اقصى حد.

- لماذا يا عزيزتي؟

- لأنك منذ أصبحت طبيبا مقيما في المستشفى أصبحت قليل الزيارة، قليل الكلام ولا أراك إلا مرة واحدة أسبوعيا فقط ولا اسمع صوتك الا مرة واحدة فقط يوميا في اتصال قصير يقارب الخمس دقائق او اقل او أكثر قليلا.





- انتى تعرفين اننى طبيب مقيم، يعنى اننى أعيش حياتى بين جدران المستشفى وانتقل بين اقسامها وبين طواريء النساء وطواريء التوليد، انام واقفا واكل واقفا وكثيرا لا اكل ولا انام ولا اعرف ماذا انا فاعل، لا راى اخوتى لا أرى امى او ابى ولا أرى اصدقائى ولا حتى أرى وجهي في المرأة، وكلما وجدت وقت فراغ تحايلت على الظروف حتى أكون الى جوارك.

- اعرف انك مشغول ولكن هناك اربع وعشرون ساعة يوميا لا تجد منها اى وقت تتحدث معى فيه، حتى انا من يطلبك على الهاتف وانت دائما لا تجيب وكثير جدا لا ترد ولا حتى تعاود الإتصال

- دائما مشغول

- دائما سريع الكلام وتنام وانت على الهاتف

- اين كلامك الجميل

- وأين وعودك أنك ستظل تحبنى حتى اخر يوم في عمري وعمرك

- اين ورودك التي لم تكن تنقطع عنى يوما في مناسبة وفي غير مناسبة

- وأين اشعارك التي زينت غرفتى وقلبي وحياتى

- اين انت يا حمدى

- ولماذا لم تخبر والديك عن خطبتنا حتى الان وماذا تنتظر

- امل، امل، امل ارجوكى استمعى الى، اننى اعمل ولا لعب من اجل

مستقبل جيد للإسرتنا ومن اجل ان ابقى معكى الى الأبد





- ولكن يا حمدى انا احتاج الى جوارك دائما
- وانا الى جوارك ولست بعيدا قريبا منكى دائما
- لا يا حمدى انت تحب عملك ومستقبلك أكثر منى يا حمدى انت انانى
- تلعثمت وأنا أقول: انت عملى وانتى مستقبلى وانا أكد واعمل من اجلك
- فأنت داخل عملى وعملى داخلك وعملى لكى وحياتى كلها لكى.
- يا حمدى انا بدأت اشعر أنك لم تعد تحبنى كما كنت وكل مظاهر حبك لى
- قلت كثيرا
- الحب فى القلب يا امل وليس بالمظاهر وليس وبالورد ولا الرسائل ولو
- فتحت قلبى لن تجدى الا انتى
- انت تقول اى كلام لمجرد ان تطيب خاطرى ولكن كلامك دون اثبات
- وما الاثبات يا امل؟
- ان تخبر اهلك بأمر خطبتنا، فهذا حقى.
- نعم حقك ولكنكى قولتى انه يحبى ان نؤخر اخبارهم
- تمت خطبتنا منذ ثلاثة أشهر ولم تخبرهم بعد
- لا عليكى يا حبيبتى سوف أخبرهم فى قريب عاجل
- ولكن ارجوك يا حمدى لا تخبرهم بأمر الحادث والعملية
- لا تقلقى لن أخبرهم بذلك خشية ان تتعقد الأمور
- ماذل تقصد بقولك تتعقد الأمور؟





- اقصد ان أقنعهم بشكل أفضل

- ماذا تقصد بقولك تقنعهم؟

- اقصد كل خير ان شاء الله، يجب ان اعود الان الى العمل فهناك حالة

ولادة متعثرة تنتظرني يا حبيبتي، انا احبك يا امل

- وانا احبك جدا يا حمدي



أخيرا وبعد ثلاثة أسابيع من العمل المضني والمرهق والشاق في المستشفى سمحوا لي ان احصل على إجازة مداها ست ساعات التقطت انفاسي وذهبت الى البيت مسرعا قبل ان اعود الى المستشفى بعد ذلك، ورايت والدتي وقد اعدت لي وليمة كبرى مما لز وطاب من اطايب الطعام وما اشتھيه وقالت ماذا ستفعل غدا في جولة الإعادة في انتخابات الرئاسة؟

-حقيقتا انا لم اعد اهتم بشكل كبير فقد خسر المرشح الذي كنت أراهن عليه وأتمنى فوزه اما الان فالصراع بين القوى القديمة او ما يسميهم الناس الفلول وهو في ذات اللحظة ذو خلفية عسكرية والمهندس الاخر رجل محسوب على قوة دينية وانا أرى تنحية القوة والتدين عن السياسة جانبا

- لقد صرت رجلا سلبييا يا حمدي لا يهتمك امر وطنك

- لا يا امي لست سلبييا ولكني أصبحت واقعيًا واخشي انني لم اعد اهتم بامر اى شيء سوى امورى الخاصة لعلى كنت كذلك منذ زمن بعيد او لعلى أصبحت كذلك بعد الانخراط في العمل





-نظر الى ابى في تعجب، ولكن اين ثورتك يا حمدى؟
 - يبدوا انها انتهت وانتهت تماما ولكن على غير مرادى ولكن الناس ستخرج
 غدا من بيوتها لينتخبوا أحد مرشحين ليجلس على كرسي الحكم في بيت
 الاتحادية، هنيئا لهم ولسوف أصفق للفائز لانه اختيار الشعب ولكنى لن احبه أيا
 كان ولكن لتعلم يا أبى لن أشارك في اى حراك ثورى جديد
 اى ثورة هذه التي تنتهي باختيار الشعب لرجل قام بثورة لكيينتهي منه قبل
 عام ونصف

او ينتخب رجلا اخر لم يشارك في الثورة في كل فاعلياتها او هو صاحب رؤية
 اعتقد انها تفرق أكثر مما تجمع، لقد نحيت امر الثورة جانبا وأطلقت العنان لامرى
 انا لن اذهب غدا لصناديق الاقتراع أيا كان السبب.

- انا سعيد لما وصلت اليه فرغم أنك أصبحت سلبيلا الا اننى فرح أنك لم
 تعد نزقا الى الطيش أحق، ولكنك متطرف في كل افكارك ومشاعرك فإما ان
 تكون ثوريا او تكون انانيا، فلا وسطية عندك في شيء ابدا ولكن هكذا هم
 الشباب دائما

- ولكن انت يا ابى من ستعطى صوتك؟

- دون أدنى شك للمهندس؟

- يالهى ماذا تقول؟ كنت احسبك ستعطيه للفريق

- ياولدى عجلة الزمن لاتدور الى الخف ابدا وها هو وقت التغيير ولا بد

من ضخ دماء جديده عسى ان تأتى بالجديد





- ولكنك لا تحب الاخوان؟

- انا لا انتخب الاخوان انا انتخب مرشح يمثل كل أطراف الشعب
فإن كان جيدا فهو المطلوب وان كان غير ذلك فالجيش يحمينا وهو موجود
دائما لكن الفريق يمثل النظام القديم وانا لن اعود الى الخلف ابدا وذلك رغم انى
ضد الثورة في كل مكان وكل زمان لكن لا بد من ومواقبة العصر.

-تدخلت والدتى، سيفوز الفريق دون شك وانا لن اعطي صوتى لمن
تلطخت يدهم بالدماء ابدا، فلاتنسوا ماضيهم الذى هو حفنة من القتلة
والإرهابيين ولا تنسوا سيد قطب ولا تنسوا دماء التسعينيات من القرن المنصرم
لاتنسوها ابدا، لن يحكمنا ارهابيون ابدا يفرضون علينا ارائهم ومعتقداتهم كما
شائوا ويقومون بعمل فتنة طائفية بين المسلمين والمسيحيين في البلاد كما انهم لن
يعطوا اى فرصة لإحزاب معارضة وسيسيطرون على المجالس النيابية والنقابية
والمحليات

قاطعها ابى: ولكن ما المانع ان يسيطروا عبر صناديق الانتخابات النزيهة فقد
سيطر السابقون عبر الصناديق المزورة

-لايهم تزوير الصناديق المهم ان نعيش في امان ولا نتكلف عناء الخوف كم
من سيارة سرقت وطفل يتم وفتاة خطفت وأخرى فقدت شرفها بسبب الثورة
المدعومة تلك.

حمدي: لايمكن ان نحمل الثورة تبعات كل ما يحدث او نرميها بكل نقيصة
ولكنى لا يمكن ان ابرئها أيضا فقد افقدتني تبعاتها تلك الكثير والكثير ولكن انا





لا يهمنى من يكون رئيسا المهم ان يكون هناك مناخ ديموقراطى سليم وظنى انه
لا مناخ ديموقراطى في ظل حكم فريق سابق او اخوانى حالى ولكن لتكن إرادة
الله أولا ثم إرادة الشعب ولنرى كيف تسير الأمور

- الام: الم تعلم ان الاخوان والثورية يتوعدون ويهددون ان خسر ربيهم
ومرشحهم في الانتخابات ويقولون انهم سيشعلون ثورة جديدة او سيشعلون
البلاد كلها.

- حمدى: وماذا لو زورت الانتخابات كما اعتدنا دائما اليس لهم حق في
الثورة.

- الأب: لن تزور الانتخابات فليس هناك من يقدر على آلية التزوير في
الوقت الحالى.

- نعم يا ابى ولكنى اخشى انيفقد الجميع مع الوقت كل الآليات لكل شيء.



أجريت الانتخابات وكما تعلمون جميعا فاز فيها المهندس رئيس حزب
الحرية والعدالة وفرح من فرح وحزن من حزن لكن تقبل الجميع النتيجة على
مضض وقبل اجراء الانتخابات الرئاسية تلقيت اتصالا من ايمن وقال لى بنبرة
حزينة: أعلمت بما حدث؟

فأجبت: انا لا أعرف ماذا حدث فأنت تعلم أننى في غياهب الطب.
فقال بغضب شديد: المحكمة الدستورية العليا ألغت نتيجة انتخابات مجلس
الشعب وقضت بحله نهائيا.





مصممت شفتيي وقلت: وماذا في ذلك؟

ايمن: هذا يعنى أنهم لا يرغبون في وجود أغلبية في المجلس تساند الرئيس
إذا ما وصل الى المهندس الى الحكم

حمدي: من الذين لا يرغبون ولماذا لا يرغبون؟

ايمن: يبدو أن الثورة لم تنتهى بعد وأنها ستظل مستمرة بعد فوز الرئيس،
لتدعيمه وحمايته من أشرار الجيش وأشرار النظام القديم، كل أمل أن يكون ذكيا
بما يكفي ليجعل الشعب في صفه لمواجهة الطوفان القادم لا محالة
فقلت: أتمنى ذلك حتى تستقر الأمور وتسير البلاد الى الأفضل.



جاءت الى امل في المستشفى لأنى كنت لا اجيب على هاتفى وهى متزينة
بأجمل حلتها وترتدى علم مصر الذى ارتدته سابقا وقت احتفالنا بتنحي الرئيس
السابق وجاءت تحمل علم مصر في يدها وترسمه على جبينها وخديها ووجهها
مشرق مورد وات الى واخبرتني ان اليوم هو يوم عيد وانها تشعر اليون ان بلادنا
قد انتهت ماضيها الحزين وبدات صناعة مستقبل جميل وان انتصار المهندس هو
انتصار لإرادة شعب لم تنتصر اردته منذ الاف السنين في اختيار رئيس بشكل
سليم.

- تعرف يا حمدي من الاف السنين ويمكن من قبل التاريخ والمصرى
مظلوم ومهضوم حقه ولا يعرف أن يختار قرار او مصير اليوم واليوم فقط عرف
أن يختار قراره او مصيره ولا حد نجح بتزوير ولا حتى عن طريق استفتاء تمثيلي





عديم الفائدة.

- المهم العمل والإنتاج والاستثمار والسياحة والاقتصاد المهم البلد تقوم وتنهض، أنا مليت من الشكايات والاستحقاقات والاعراس الديموقراطية التى نرف فيها بلادنا منذ سنة ونص

- انت لست فرحا يا حمدى ان مصر اختارت رئيسها بدل ما تختار طعمها فى أكياس الشيبسى.

- لا طبعا فرح جدا، ولكن؟

- ولكن، ماذا؟

- أخاف من الغد، وأخشى أن يكون الرئيس ديكتاتورا وظالم ومفترى.

- حسنا فالىظلم إن أراد واحنا نملى ميدان التحرير عن آخره

- أخاف الأ يكون هناك ميدان تحرير من الأساس

- لا طول ما فى مواطن مصري صاحى ويحب بلده هيفضل فى تحرير وفى

مية ألف تحرير.

- أخشى أن يقف الفلول فى وجهه.

- دعهم يفعلون ذلك ونحن نذبهم كالخراف

- أخشى أن يكون هناك تقييد للحريات

- لن يفعل ذلك رئيس أتى عن طريق الثورة والحرية

- أخشى أن يعود العسكر مرة أخرى





- الجيش المصرى جيش وطنى وعظيم ولا يحق لك أن تسميه عسكر وسلم السلطة لرئيس مدني منتخب ولن يؤذى الرئيس ولا هينقلب عليه ولا هيخالف إرادة الشعب.

- أمني ان ربنا يكرمنا ونبقى دولة عظيمة مثل الدول التى استفادت من ثورتها كفرنسا وروسيا وليس رومانيا التى أطاحت برئيس وقتلوه ثم أتوبنسخة منه طبق الأصل.

رحلت مع امل الى ميدان التحرير فوجدته صاخبا مليئا بالاحتفالات ولم اكن دخلت ميدان التحرير منذ ستة اشهر تقريبا ولم ار الميدان صاخبا هكذا من الافراح غير في مباريات الكرة واحتفالنا يوم تنحى الرئيس الأسبق، وجدت في الميدان خلق كثير اغلبهم اخوان وسلفيين لكن فيهم شباب شاركوا في الثورة وفيهم أناس عاديون فالمصريون يحتفلوا بإرادة حرة قوية صنعت رئيس جمهورية كما يحلو لهم وكما يختاروا بمحض إرادتهم، هتافات لمصر وهتافات للرئيس والاعداد تتزايد وامل معلقة بذراعى الأيسر وهى تقول: يا حمدى قد تحقق حلمى الأول وانتظر تحقيق حلمى الثانى

- اجبت وقد انعقد حاجباى تعجبا وما هو حلمك الأول وما هو الثانى؟
حلمى الأول بزفاف مصر الى رئيس، وحلمى الثانى الذى سيتحقق هو زفانى اليك وأتمنى ان يشهد هذا الميدان زفافنا كما شهد على حبنا منذ عام ونصف.
- أتمنى ذلك يا امل واتحرق شوقا ليوم زفافنا ولكن هل تعلمين يا امل ان كرسي الرئاسة انما هو على سطح بئر عميق لا قرار له وان جلوس الرئيس عليه





يعنى بداية نهايته وسقوطه في عمق هذا البئر، تعرفين أيضا ان هذا المشهد يذكرني
بنهاية رؤساء وطننا ما بين عزل وموت بالذبحه الصدرية وقتل وتنحى، انها
مصائر متنوعة لتهلكة واحدة

اتدريين ماهي التهلكة؟

- قالت ماهي؟

- التهلكة هي رئاسة الجمهورية وحكم الشعوب، يذهب الرؤساء الى القصر
دائما يظنون انهم وصلوا الى قمة المجد وان احلامهم ستتحقق فور ذهابهم الى سدة
الحكم وانهم سيحققون المستحيل وانهم سيبنون عالما جديدا ويصنعون تاريخا
جديدا، نعم يصنعون تاريخا جديدا ويكتبون اسمهم في الأفق عاليا ولكن عجلة
الزمان تدهسهم بلا شفقة او رحمة وبدلا من تصورهم انهم سادة وعظماء حقيقة
هم عبيد المنصب والبروتوكول، هذا شأن كل الرؤساء في العالم في كل عصر
وشأن هذا الرئيس الجديد وشأن الرؤساء الذين يلونه الى قيام الساعة يعتقد بعض
الناس خطأ ان السلطة لبشر ولكنها لله وحده

اليوم يا حبيبتي نحن نسير في ركاب الرئيس الجديد وغدا او بعد غد نسير في
جنازته وجنازة غيره وكل يوم يولد رئيس جديد ويشيع الى لحده رئيس قديم
- قاطعتني وقدا بدا على عينيها الخوف، هذه أول يا حمدي في حياتي اشعر
اننى لا افهمك ومرة أولى أيضا اشعر اننى أخاف منك الى هذا الحد وما هذه
الفلسفة الغريبة التي لم اعهدا عليك، لم اعهدك حزينا او خائفا او متشائما الى هذا
الحد.





- انا لست خائفا ولست متشائما ولكنى أحاول ان أبدوا واقعيا الى الحد الذي يجعلنى أستطيع التعايش مع هذه الحياة الحزينة.

سكت للحظة ثم اضفت ولكن يا امل انا سعيد حقا لإنتخاب رئيس جديد وأتمنى له التوفيق دون شك حتى وان كانت ارائي غيره ولكن إرادة الناس فوق ارادتي وسعادتهم فوق سعادتي وما يسعدهم سيسعدنى دون شك.

- اخشي أنك تغيرت كثيرا وان زمنا طويلا سيمضي قبل ان اكتشفك من جديد.

- سنقضي هذا الزمن يا حبيبتي ستقضيه في حضنى واقضيه في حضنك وتكتشفى كم انا احبك.

- لا احتاج الى الزمن لكي اكتشف حبيلك، ولكن احتاج الى الزمن لكي اقضيه الى جانبك.

ووضعت يدي في يدها وذهبنا نستمتع بالحفل ونهتف لمصر ونهتف بالتوفيق للرئيس الجديد.





حمدك يترك امل!!!!!!

كوايس تطاردنى دائئما في الساعات القليلة التي اخلد فيها لنومى سواء كان ذلك في البيت أو كان ذلك في المستشفى تارة أسقط من الهرم الأكبر وتارة أسقط من (الامبيراستيت)، تارة يدفعنى ابى او امى من هذا الارتفاع الشاهق وتتلقفنى ايدي امل وتعيدنى الى الحياة وتارة تدفعنى امل دفعة قوية بكلتا يديها وتتلقفنى ايدي ابى او امى، وانا لا اموت في اكل حلم ولكنى اشعر بروحى وهى تفارق جسدى في كل مرة اسقط فيها من هذا الارتفاع الشاهق كلما سقطت واخذت في السقوط كلما تصاعدت انفاسي واخذت انسلك عن الحياة شيئا فشيئا واشعر اننى اموت او اشعر اننى مت فعلا ولا اصدق ان يدين حانيتين تتلقانى في اخر طريق الموت لتمنع عنى الموت ولا اصدق أيضا ان امى تدفعنى او ابى يدفعنى، وهناك كابوس اخر داهمنى ليلة بعد ليلة وهو سىرى مع امل في طريق مظلم طويل لا ينتهى وضباع وحيوانات كثيرة تعدو خلفنا بكل سرعة ونعدوا ونعدوا ولا الضباع تتوقف عن المطاردة ولا نصل الى طريق امن فعلا ولا نستطيع ان نتوقف ابدا عن العدو مهما استبد بنا التعب وبلغ بنا النصب والوصب ويستمر العدو ويستمر حتى إذا افترقت أيدينا تحول الظلام الى نور واختفت العتمة تماما ورحل الضباع ووجدت نفسي في روضة غناء مليئة بالزهور الجميلة وتتوسط هذه الحدائق القصور المزينة بأجمل التحف والصور وهناك الخدم الذين يقومون على خدمتى ورعايتى، والتفت يميني ويساري وانظر امامى وخلفى وانظر تحتى





وانظر الى اعلى فلا أرى امل ولا أرى لها اثر حتى وجدت نقشا على عامود من
جرانيت

(كانت هناك امل، ولم يعد هناك امل، انتهى كل شيء ورحل)

واستيقظ باحثا عن الضوء والهواء وباحثا عما يؤكد لى اننى اكنت احلم وان
كل شيء على ما يرام واننى لازلت على القيد الحياة وان صورة امل لا تزال امامى
ولا تزال فى داخلى ولم تذهب عنى ابدا.

وهناك كابوس اخر لم يكن يزعجنى وانا نائم فقط ولكن ازعجنى واقلقنى
اكثر كلما فكرت فيه وانا يقظ وانظر الى المرأة أو انظر الى وجه امل او ذكر يوما لى
معها او يوما لى ذكرتها ولم تذكرنى، رايتها فى حضن رجل شاب طويل القامة
ومصفف الشعر ومفتول العضلات وتقبله بشهوة جارفة تقبله بقوة حتى تحصل
على نشوتها وهو ينظر اليها باشفاق كما ينظر رجل الى فتاة يتيمة يعطف عليها
ولكنه رغم ذلك كان يتركها تقبله ولا يتفاعل معها ولكنه لم يصددها او يبعدها
ويخبرها بعد ذلك ولكنه غريبة ليست عربية او انجليزية انه يسامحها وربما يحبها
يوما ما وانه لن يتركها فهو يعلم كم تحتاج اليه، تقبل يديه وقدميه وتقول له كما
اعتادت ان تقول دائما لمن تحبهم ابق الى جوارى ولا ترحل عنى ارجوك ولسوف
اجلب لك كل الحب وستجدنى دائما تحت امرتك ولكن خذنى معك ولا تتركنى
وحيدة وفى هذا العالم ولا تتركنى للماضى الذى ينتهش ذكرياتى كالنسر الذى
يفترس جثة عفنة، لا تتركنى فى هذا العالم البأس وخذنى الى عالمك، فيقبلها
ويأخذها معه، بدأت أشعر تدريجيا ان امل ليست لى ولم تكن لى وربما لم يكن من





الأجدر ان تكون لى او نلتقى يوما من الأيام، ولكنى احبها وسأدافع عنها، كان تركيزى قليل فى هذه الأيام وأبدوا شاردا على غير عادتى، وطلبت منى امل وألحت على ان الخبر اهلى بأمر خطبتى لها فأجبتها بأننى أخبرتهم ولقد قاموا بطردى من البيت، فلا يملكون غير ذلك والواقع أننى لم اكن أملك غير هذه الكذبة ولم أكن اجيد غيرها وكانت امل تصدقها او تريد ان تصدقها فلا حيلة لها الا ذلك واى حيلة لها مع رجل لم تعرف عنه الا ما تقوله عيناه وشفته ولم ترى اهله او بيته ولم تعرف عن حقيقته قليل او كثير، سئمت من الكذب فأنا اكذب على الجميع.

اكذب على ابنى وامى واخبرتهم اننى انهيت هذه المغامرة وأنها لم تعد حتى تاتى عابرة فى ذكراى وأنها نزوة كما يحدث مع كل الشباب الطائش قبل ان تمزق رغباته ونزواته عصا الحياة الغليظة.

واكذب على امل وابادلها أعذب كلمات الحب وأعذب القبلات وانا أخبرها ان اهلى يعرفون كل شيء وهم لا يعرفون اى شيء وانهم طردونى من البيت والحق اننى استمتع معهم يرغد العيش.

واكذب على نفسى حينما أخبرها اننى سأترك امل، واكذب عليها أيضا حينما أخبرها اننى سأبقى معها الى ابد الدهر.

لم اكن اعتاد الكذب قبل ذلك كثيرا وكنت اكذب حينما أكون مضطرا فقط ولكننى الان اعتدت الكذب واعتدته فى كل شيء، أصبحت حياتى مجرد كذبة كانت ممتعة فى البداية ولكنها بدأت تفقد متعتها تدريجيا حتى أصبحت كذبة مقبلة لا تعنى غير الحزن والألم، أتمنى الموت ولكنى اخشاه واعشق الحياة ولكنى





لا أعرف كيف أعيش ولا كيف استمتع.



كنت في غرفة العمليات أقوم بإجراء عملية قيصرية وخرجت من الغرفة وانا
مشدود ومتوتر جدا نظرت الى هاتفى فوجدت رسالة جديدة لم تقرأ بعد فتحتها
فإذا هي رقم غريب وقرأتها وانا اشعر أننى خرجت من العالم الى عالم جديد، او
خرجت من العالم الى اللا شيء، وأصبحت مثل الاوانى الفارغة.
(ابعد عن امل، امل بنت شمال وما تخطفش ولا حاج، دا كان فيلم عشان
تغطى على مصيبتها وفضيحتها)

ما هذا الهراء، اتصلت اكثر من مرة بالرقم الذى بعث بالرسالة ولكنى
وجدته مغلقا واتصلت واتصلت دون هدف، واشتدت حيرتى وبلغ بى الشتات
مبلغا لم أعرفه في حياتى ابدا، لا أحد يعرف أننى على علاقة بأمل غير القليلين
وحتى أولئك القليل لم اخبرهم ان امل اختطففت او حتى انها اغتصبت، اريد ان
انفجر ولكنى لا اجد أشلاء تنفجر وأريد ان اصرخ ولكن انتهى صوتى أريد ان
أذهب الى امل واخبرها بذلك فتخبرنى ان هذا هراء وأنها افضل النساء او تخبرنى
ان ذلك حقيقي فإنتهى من كابوسي الى الابد او ان شئت قل ان تنتهى حياتى الى
الأبد

سأذهب الى ابي وامى وأخبرهما
كلا سأذهب الى امل وأخبرها
كلا سأذهب الى امين وأخبره





كلا ساذهب الى النهر وألقى بنفسه فيه.

رأسي ينفجر تدريجيا ولساني اصبح ثقيل متلعثما وتنميل في نصف جسدي
الأيسر وعدم قدرة على تحريك اطرافى ورعشة دبت في كل أوصالى وضربات
قلب تتسارع وأنفاس تتصاعد وعين لم تعد ترى إلا القليل من النور والقليل من
الحياة، ذهبت الى ايمن وقررت ان احكى له كل شيء

- ايمن انا احتاج الى الحديث معك بشكل ضرورى.

- وانا معاك يا صاحبي اتفضل قول

- منذ فترة امل التخطفت، وبحشنا عنها في كل مكان ووجدناها ولكننا
وجدناها قد فقدت أعز ما تملك الفتاة في بلادنا الشرقية ولم تعد فتاة كما كانت.

- أتفهم جيدا ما تقول، اللعنة عليهم ولكن أخبرنى كيف اختطفت وكيف
وجدتموها

- اختفت، تليفونها مغلف

اتصلنا بيها مفيش امل

رسالة من رقم غريب واتصال

(بتكوا عندنا هاتوا ربع مليون جنيه)

اتصلنا بالبوليس والشرطة العسكرية

والحقيقة لقينا منهم تعان ولكننا لم نجد اى نتيجة مطلقا وأخبرونا أين وكيف
نترك لهم حقبة الأموال.

وتركنا الحقبة وانتظرنا حتى قدمت دراجة بخارية أخذت الشنطة وولت من





حيث أتت وتركت لنا ورقة تخبرنا أين نجد أمل.

اخذنا الورقة وذهبنا إلى حيث العنوان ووجدنا أمل وجدناها عارية وعليها
قطعة من القماش عليها أثار دماء على الصدر والبطن والقدمين

لا حول ولا قوة الا بالله، وانت تحمل في قلبك وساکت وهى مسکينة
خسرت اهم حاجه في حياة اى بنت، وخسرت انها تلاقى اول فرحة لها على ايدى
الراجل الذى بتحبه، وخسرت شرفها وعزة نفسها.

- متحزنیش اكثر ما انا حزين يا ايمن انا خايف وقلقان ومرعوب وحزين،
خاصتا بعد الرسالة اللى اتبعتلى النهاردة

- رسالة، اى رسالة؟

- خذ اقرى المكتوب

وأخذ ايمن الهاتف وقرأ الرسالة، مرة تلو مرة ثم وضع الهاتف امامه ولم ييثر
يبيث شفاه ولكنه مصمص شفثيه وحملق في وجهي وربت على كتفى وسكت.

ابتدرته سائلا: ما معنى ذلك يا ايمن؟

وأجاب وهو يحاول ان يستجمع كل مالمديه من أفكار

- هو أحد احتمالين:

يا إما الرسالة تحتوي كلاما حقيقيا وساعتها سيكون من الخير لك أن انتهيت
منها قبل أن تكون زوجتك.

او تكون رسالة كذب، إذن لا يمكن أن تترك أمل بإى حال من
الأحوال عليك أيضا أن تعرف من الذي بعث اليك بهذه الرسالة ولم بعثها ومن





هذا الوغد الذي أفقد فتاتك شرفها وعزتها ومنتقم منه شر انتقام او نسلمه للعدالة
سألته في يأس: وكيف يعرف رجل قليل الحيلة مثلي ان كانت مكيدة ام
حقيقة؟

- راقبها، وراقب هاتفها ولا تعلمها شيئا عن امر الرسالة ولا تخبرها عن
خوفك شيئا ليس الان او بعد حين.

- هل تعتقد ان ذلك يسير

- لا لا أعتقد ولكنه امر حتمى

- وهناك شيء اخر اريد ان اخبرك إياه.

- وما هو؟

- حينما تمت خطبتى الى امل اخبرتني ان لا أقوم بإخبار اهلى لذلك الخبر
حتى تتحسن الأمور، ولكنها بعد الحادث الذى تعرضت له أصبحت قلقة
ولحوحة ودائما تطلب منى ان اخبر اهلى، وانا لم استطع لم استطع ان اخبرهم بشيء
من ذلك ابدا ولكنى أيضا احب امل ولم استطع ان اخسرهما او اتركها فكذبت
عليها واخبرتها اننى اخبرت اهلى بكل ما حدث واننى مطرود من البيت.

- حمدى، من يعرف أنك على علاقة بأمل غيرى انا واستاذ ذكى؟

- اممممم، فيا الحقيقة، لأحد

- ولماذا، لأحد

- لا اعرف ولكن ولكن لا استطيع ان اخبر أحدا بإى شيء عن امل ربما





لست مقتنعا بها او لست مقتنعا بنفسي او لست مقتنعا باى شيء، لقد تغيرت في الآونة الأخيرة وأصبحت غير قادر على الشعور باى شيء لا الشعور بالحب او الكره او الأمان حتى الوطن لم يعد يعنى لى الكثير وربما لم يعد يعنى لى شيئا حتى امى وابى ومستقبلى أصبحت زاهدا في كل شيء ربما لإننى اريد كل شيء ولا اريد ان اخسر اى شيء اريد المال والعلم والسطوة والجاه وابى وامى وامل وأريد الاستمتاع في الظلام والاستمتاع في النور أيضا، ربما الطمع في كل شيء لن يؤدي الى اى شيء وسيجعلنى اخسر كل شيء في وسأندم ولات ساعة مندم.

- كم انت بائس يا حمدى، انت لا تحب امل

ولا تحب ابويك

ولا تحب وطنك

انما انت تحب نفسك ونفسك فقط

لا لا لا انت حتى لا تحب نفسك.

كن صريحا وجادا مع نفسك وحدد من تحب ومن تريد واترك امل او واجه

بها العالم وقبل كل ذلك واجه نفسك بما تريد

واذا لم تفلح في ذلك فاعلم انك تحتاج الى طبيب نفسي لإنك معقد الى اقصى

حد.

انصرفت وتركت ايمن وازدادت الحيرة وازداد الهم والحزن ولم اعرف ما ذا

افعل حقا، كل شيء ملتبس ولا شيء يجعلنى اكثر سعادة جربت الدخان وجربت

الحشيش وحتى البيرة والويسكى جربتهما ولكنهم لم يستطيعوا ان يخلقوا عالما





جديدا او ينتهوا من بؤس عالم قديم ولم يخفوا امل من حياتى او يجعلوها ملكى
وعلى مرمى ومسمع من الجميع، تلقيت اتصالا من والدى واخبرنى ان احضر الى
البيت سريعا، رحت مهرولا الى البيت فوجدت محكمة نصبت لى و تهمة جاهزة
وعقوبة معدة للتنفيذ ولا محامى ولا شهود نفي ولا استئناف ولا هرب انما على ان
اواجه حكما واجب النفاذ.

اسمع يا ولدى انت خائن، وكاذب

-ولكن ماذا حدث؟

- حضرت امل الى بيتنا اليوم، فهل تعرف من هي امل هذه؟

صاعقة اصبتنى وقسمتنى الى شطرين، خير لى ان اتوارى فحينما تتخلى
العناية الإلهية عن الانسان يجب عليه ان يتوارى والا يعود مرة أخرى أيا كان
السبب، لم اجب وهممت بالإنصراف.

استوقفنى وصفعننى على وجهي وقال هذه صفعة لإمك

وصفعننى صفعة أخرى وقال هذه صفعة لإخوتك

وثأثة لإنك كاذب

اما انا فقد زهدت في امرك ولا اريد ان اصفعك

أتت الفتاة المسكينة واخبرتنا انك اختلست عما واصدقاء وخطبتها وانك
اخبرتنا ونحن طردناك من البيت واخبرناها اننا لا علم لنا بشيء من ذلك ابدا
واننا سمعنا بكى وطردناه من البيت حقا ولكن منذ زمن طويل ولكنه لم يخبرنا
ابدا ان هناك خطبة او وعد بالزواج، واكرمنا ضيافتها واخبرناها اننا لن نرضى
عن هذه الزيجة ابدا فالفرق بينكما كبير في العلم والمال ولا رغبة لنا فيكى ايتها





الفتاة، ثم رحلت وهى تبكى وتقول حسبي الله ونعم الوكيل
والان انا أقول لك أيضا حسبي الله ونعم الوكيل، لست انت الرجل الذى
ربيت وعلمت انت رجل لا اعرفه ولذلك فالترحل عن هذا البيت بشكل نهائي
ولا تقربه في حياتى او بعد موتى وتزوج من شئت وخير لك الا تخبرنا لإننى لا
اريد ان اعرف عنك شيئا.

وحينما وليت ذاهبا استوقفتنى امى وقالت لى: اسمع يا ولد لا تصدق اباك
فقط اترك هذه الفتاة وينتهى كل خلاف وتعد الينا ولكن لنربك من جديد.



منتصف الليل مجددا وانا اقف امام بيت امل ولكن ليس بسبب امر الحب
هذه المرة ولكن لأمر الحنق والحزن والكراهية واتصلت بها وكررت الاتصال
حتى اجابت واخبرتها اننى اريد مقابلتها، فقالت لى انت كاذب وحقير.
فأجبت في غيظ انا كاذب وحقير نعم ولكنك فتاة بلا شرف، وأغلقت
الهاتف وانهيت المكالمة وبعثت اليها رسالة نصية (انا كاذب وحقير وانت أيضا بلا
شرف وبلا كرامة وتحبين الرجال أكثر من اى شيء اخر ولقد وصلتني هذه
الرسالة فاقريئها ولا تتصلى بى مرة أخرى ولا اريد ان أرى وجهك مرة أخرى
بعد اليوم فقد انتهيتى من حياتى).

وارفقت الرسالة وارفقت رقم الهاتف بهذه الرسالة وأغلقت هاتفى تماما
وذهبت الى المستشفى ولقد تغييت أكثر من نهار كامل.





جائتنى امل في نفس اليوم بعد الفجر وقالت ماهذا الذى بعثت الى؟
- جائتنى رسالة اليوم من هذا الرقم تخبرنى انكى لم تكونى مخطوفة وأنتك لم
تغتصبى وأنتك سيئة السمعة

اتصلت بلا نتيجة

ولكن دعينى اخبركى شيئا

انا اصدق الرسالة نعم اصدقها اصدقها فقد وافقتى على دون علم اهلى
ووافقتى الا أخبرهم بشيء ما
وقبلتنى على الدرج

وكتتى تتقربين من جسدى كثيرا وتحبين ان احتضنك واضع يدي على
جسدك

وكثيرا ما اتصلت بكى ووجدت هاتفكى مشغولا او مغلقا
ولكن اخبرينى، اى رجل عشقت واى رجل أحببت واى رجل افقدكى كل
شيء؟

هل هو احمد الذى احبته مبكرا؟

ام حسين المحامى؟

ام ياسر المحاسب؟

ام عدنان الطيب قبل ان يموت وهل مات حقا او لم يمت؟

بكت امل بكاء هستيريا وصرخت وسقطت على الأرض ودخلت في
تشنجات لليدين والقدمين وفقدت الوعي تماما وحملتها ووضعتها على سرير في





احد غرف الإفاقة، وانتظرت الى جوارها وانا ابكى اكثر مما بكت واعض على اناملى ندما من هذه الحماقات التي تفوهت بها انفا، اى جهل هذا واى سكين غير حادة ذبحت بها هذه الفتاة المسكينة، انا ايقن من داخلى انها شريفة نعم لا يستطيع ان اعتقد غير ذلك ولكن ربما اريد ان انتهى منها ولم اجد غير هذه الفرصة لكى انتهى منها، وانتهى منها الى الابد وارتاح واتوقف عن الكذب ويتوقف قلبى عن النبض، اريدها ان تفيق من الغيوبة وترحل ولا تعد مجددا وظلت نائمة وظللت الى جوارها حتى افاقت وقالت: يالهى لماذا لم امت؟ كان خير لى ان امت قبل ان استمع الى هذا الكلام من الرجل الوحيد الذى أحببت والذى عشقت انا لا اذكر احمد ولا ياسر ولا حسين ولا حتى عدنان ولكن اتدرى، كلهم خير منك واقل شرا فانت شيطان رجيم، كلهم جرحونى بمخالب وانياب وانت قتلتنى وذبحتنى بلا شفقة واو رحمة انا أيضا اكرهك أيها الكاذب وايها اللخائن انا اعرف اننى لم اخطيء ولكنى اعرف انك كاذب.

كنت انظر اليها واريدها انتنهى من كلامها بصفعة على وجهي لإننى استحق تلك الصفعة واستحقها عن جدارة ولكنها ولم تصفعنى وقامت وولت ذاهبة. التفتت اليها واخرجت سيجارة واشعلتها واخبرتها: اعلمى يا امل ان كل شيء قد انتهى وان نهارنا غربت شمسهُ وليكن ليلنا سرمدى
لم تجب ورحت....





حركه ثوره جديد

-١-



كانت الشهور الأولى من حكم الرئيس الجديد هادئة ولكن هدوئا حذرا وقلقا فلا أحد يعرف تحديدا نوايا الرئيس ولا طريقة ادارته للدولة ولا نظرتة للاتفاقيات الدولية والحريات الدينية في مصر،

كنت قلقا أيضا، اقلق أحيانا منه وأحيانا من جماعة الإخوان وأحيانا من المعارضة وأحيانا من الجيش وأحيانا من الشعب وكثيرا جدا اقلق من نفسي لأنى ولأول مرة في حياتى لا املك رؤية واضحة لما يحدث حولى ولا اعرف اى فريق انا تابع له بل والاشد خطورة من ذلك اننى لم يعد يهمنى من امر الوطن قليل او كثير، حتى بعد ان قام الرئيس بعزل وزير الدفاع وتعيين جنرالا جديدا للجيش المصرى وهلل لذلك البعض واعتبره انتصارا مدنيا عظيما وغضب البعض الاخر واعتبر ذلك تدخلا من رجل مدنى في شأن عسكرى وهو محاولة لأخونة القوات المسلحة، جدال وجدال ونقاش ونقاش واختلاف وتضاد وتشاحن وتباغض وانا اكتفى بدور المشاهد لأنى لا ارغب في المشاركة فلم يعد لدى رأى اقاتل من اجله ولم يعد لدى اهتمام بأى أمر عام وانقسم الناس حولى الى عد اقسام قسم يبغض الرئيس تماما ويقول انه مفتر وديكتاتور ويجب الانتهاء منه والخلاص





سريعا وهم امى وجميل ومناع وسامى وخلق كثير من الزملاء في المهنة وكل الموظفين والاداريين والحسابات وهيئة التمريض حقا جميعهم كرهوا الرئيس وقسم اخر اخذ على عاتقه الدفاع عن الرئيس وهو ايمن وامل واهل امل

جميعا وجميع افراد عائلتي الكبيرة باستثناء امى واخوتى.

وقسم ثالث أصبح حزينا بسبب ما هي عليه الأمور وهو ساخط وناقم على الجميع ويدعوا الله ان يقلل بلادنا من هذه العثرة سواء ببقاء الرئيس او خروجه من المشهد المهم الا تقوم ثورة جديدة او يسفح المزيد من الدماء فيكفي الدماء التي لم تجف ويكفي حزنا لم يتوقف يوما على بلاد تقف على حافة هاوية

وانا وحدى في قسم خاص وهو قسم الكفر بكل شيء فلا يهمنى رئيس ولا وطن فقط يهمنى ان أكون ناجحا في عملى وعملى فقط وان أكون غنيا وغنيا جدا، عدت الى البيت بعد ان تأكد لاهلى أننى تركت امل وانى انهيت هذا الامر الذى مثل عبئا ثقيلا على كاهلى، وفرحت امى لذلك وقالت لى: كنت اعلم انك ستعود وستعود كما يجب ان تعود وكما احب ان تعود، امك ووابوك واهلك خير لك من اهل غير حقيقين والسمع والطاعة للوالد خير من الدنيا وما فيها.

تدخل ابى وقال: لا تكونى حمقاء قصيرة النظر، لم يعد من اجلنا وانما عاد من اجل نفسه، لو لم يكن يريد ان ينتهى من هذه الفتاة لما عاد، اننى خبير بك يا حمدى وربما اكثر من نفسك.

اجبتهم: لقد عدت وهذا يكفى وسينقضي وقت طويل حتى اعرف هل عدت من اجلكما من اجلى.





الشتاء قارص ولكنه ليس كالعام المنصرم فقد كان العام الفائت اكثر برودة ولكنه كان اكثر حرارة في قلبي وكانت ايامى جميلة وليالى دافئة، وانا اجلس على مكتبى في المستشفى احملق في اللا شيء واغلق الباب واطلب من التمريض والعمال والأطباء الأصغر منى أن يديروا الأمور بدلا عنى لأننى متعب قليلا وسأخلد الى النوم بعض الوقت، بكيت نعم بكيت كطفل صغير كاد ان يسمع له صوت واخرجت صورتا لامل من حافظتى وقبلتها ووضعتها على صدرى واخذت أتكلم معها ولا تجيب، كم قلت لها احبك وكم قلت لها سامحيني وكم قلت لها انا اعلم انك كثيرة الشرف لا عديمة الشرف ولكنى احمق وغبى وها انا ذا بعد ان فقدتك أصبحت غير قادرا على العيش وأصبحت غير قادر على معرفة معنى الحياة او حتى تجرع كأس الموت، خمس واربعون يوما وانا بدونك لا أعرف شيئا عنك ولا تعرفين شيئا عنى اراقب حسابك على مواقع التواصل الاجتماعى فلا اجد اى جديد يذكر ولا اعرف عنكى ما يثلج صدرى او يدمى قلبي، هل رحلت حبيبتى وانتهى كل شيء عند هذا الحد، ولكنى لم اکتف بما كان لى معها من حب وأريد الارتواء اكثر واكثر من الحب وأريد ان ارتوى اكثر واكثر من امل ومن نهر الحب ولكنى بدلا من ان انهل من نهر الحب ارانى غرقت فيه واسقط تدريجيا حتى القاع وكأننا انا مربوط بحجر او مطعون بخنجر في قلبي ودمائى تخرج من جسدى ولا هي تجف ولا هي تتوقف ولا انا اموت ولا انا احيا، ترى ماذا تفعل امل الان؟ وهل تفكر بشأنى كما افكر بشأنها؟

هك نسيتنى اهل؟





هل احببت رجلا اخر؟

هل صحتها جيدة؟

ماذا لا تسال عنى؟

ماذا لا تأت الى كما اعتادت ان تأتى الى دائما؟

أسئلة بلا أجوبة وامانى لا تتحقق ومخاوف لا تهدا وظنون لا تنتهي وحزن لا يفارق قلب رجل مريض.

دق الباب واخبرنى احد العمال ان فتاة تريد مقابلتى، فسألته ومن هي؟

قال: تقول إنها من اهل المرضى وتريد ان تسأل عن شيء ما

حسنًا لا بأس احضرها الى هنا

وجلست الى المكتب في انتظار الفتاة وتمنيت لو تكن امل واغمضت عيني وانا أتذكر كيف كانت تدخل امل على مكتبي وكيف كانت تداعبنى ايما مداعبة وتضحك في وجهى وقت ان كان هناك وجه وكانت هناك حياة.

فتحت عيني لأجدها في وجهى، لإجد امل ترتدى زيا اسودا وبشرتها صفراء شاحبه وتحت عينيها اسودا ولا تضع اى مساحيق تجميل لم اكن اعتدت ان ارها بهذا الشكل فقد رايتها عليه مرة واحدة من قبل او مرتين لم ادر ما اصنع هل اقبل يديها وقدميها واقل لها اغفرى لى هي اتصنع التكبر واخبرها اننى رجل قوى بدونها واننى لازلت لا اريدها واسالها في صلف وغرور لماذا جاءت؟ هل لا افعل شيئًا مطلقا.

ظللت ساكنا على الكرسي ولم اتحرك فقط عيني في عينيها ولا حراك، جلست





على الكرسي المجاور المكتب وسكتت أيضا حتى كسرت حاجز الصمت وقالت:
احبك ولا اطيع حياتي بدونك، ارجوك لا تتركني وارحم حبي وضعفى
ودموعى.

- ولكن يا امل فراقنا خير لى ولكى، لن تطيقى ان يكون اهل زوجك على
خلاف معكى او لا يطيقونك مطلقا، وحياتى ليست كحياتك واهتماماتى ليست
كاهتماماتك

- هل ادركت ذلك فجأة أيها الطبيب، إذن لماذا لم تخرنى بذلك منذ امد
بعيد، لماذا كذبت على واخبرتني انك تحبنى

لماذا كذبت وقلت إنك لن تتركنى

لماذا حملتنى الى السماء السابعة ثم قذفتنى الى سابع ارض

لماذا اقحمت نفسك في حياة فتاة بائسة كانت راضية بالبؤس

لماذا قتلتنى وقد كنت أعيش على المرض واتجاوب معه ويتجاوب معى

لماذا بادلتنى الحب والقبلات والأحضان الدافئة

ثم لماذا تخليت عني؟

لا لا لا تكلف نفسك جوابا يا حبيبي فقد ساحتك لانى عشقتك ولا اريد

رجلا سواك في هذا العالم ولن اسمح لك ان تقتلنى

عد الى، عد الى حتى ولو تجعلنى أسيرة عندك او خادمة، عد الى ولا تخبر

أحدا، عد الى ولا تتزوجنى بل ابق معى الى جوارى كما انت باق داخلى.

حبيبي اننى احتاج اليك.





وانخرطت في بكاء شديد حتى سقطت على الأرض، قمت من فوري من الكرسي وهرعت اليها ووضعت يدي على كتفها فأخذت يدي عنوة وقبلتها بقوة وعنف وجثت على ركبتيها وهمت لتقبل قدمي، بللت دموعها قدمي وبللت رأسها دموعي التي سقطت عليها، وجثوت انا أيضا على ركبتي واختلطت دموعنا واحتضنتها واحتضنتني وقبلتها وقبلتني وقد كنت احتاج الى هذا الحضن منذ زمن طويل واخبرتها انني لازلت احبها وانني ربما كذبت في كل أمر ولكني لم اكذب بشأن حبي لها ابدا. ومسحت دموعها بيدي وقبلت كفيها ووعدتها مجددا ان ابقى معها الى الابد.

وهكذا عادت الى امل.



-٢-

سافرت الى الأقصر لحضور مؤتمر طبي في علوم النساء وصحة المرأة وقمت بإستقلال القطار ولكن القطار توقف بعد اجتيازه لمحافضة المنيا واستمر التوقف لأكثر من ثلاث ساعات والناس متذمرون الى اقصى حد والاشاعات يطلقها الناس ثم يتبعونها باشاعة أخرى وإشاعة ثم إشاعة حتى لا تعرف اى إشاعة يمكن لك ان تصدقها وتميزها من وسط الأكاذيب.

قال احد الرجال: اكيد في مظاهرة قطعت الطريق، انا عارف ان البلد خربت خلاص ولم يعد فيها اى امل.

وقال اخر: مهو لما الامن يبقي قليل ونعيش في فراغ امنى بسبب الزفتة الى





اسمها ثورة وبعدين يجي رئيس ضعيف ما تستغربش لما تعرف ان الحرامية سرقوا فلنكات السكة الحديد عشان كدة القطر وقف.

وقال ثالث: اكيد في حادثة قدام على السكة عشان كده القطر وقف

وقال رابع: يا جماعة انتو بتقولو ايه السكة الحديد دى قديمة ومتهالكة جدا اكيد سرعة القطر اكلت السكة الحديد والحديد اتخلع من تحتها، ماهو لو في صيانة او تطوير مكانش الأمور توصل لكده لكن ده خراب بقاله ستين سنة بعيد عنك، بس برضوا يسال فيه الرئيس الجديد مش هو رئيس الثورة وبتاع.

وانا استمع الى هذه الاشاعات ولا اتحرك من مكانى ولا التفت اليها ابدا ولكنى شعرت ان الزمان قد عاد بى الى حيث كنت طالبا يستقل مترو و الانفاق ويستمتع بالإنصات الى الاشاعات التي يروجها الناس، واستمرت الاشاعات وتكاثرت التكهنات التي يطلقها الناس خوفا من مواجهة الحقائق واستمتعا بالهروب منها، لم نجد مسئولا في القطار لكى نسأله عن سر هذا التوقف الرهيب والناس في غضب وضيق بعضهم يسب الرئيس فهو رئيس ضعيف ولا حول له ولا قوة وخير له ان يرحل لطالما هو بهذا الضعف الشديد

والبعض الاخر يترحم على أيام الرئيس السابق فقد كان حكيما وعظيما والبعض يقول لا امل في هذه البلد فهى تماما كهذا القطار الذى وقف جثة هامة على خرده السكة الحديد.

والوقت يمضى والقطار متوقف، حتى اطلق احدهم إشاعة قوية وهو يهرول وانفاسه عالية لا تكاد تعرف من أنفاسه ماذا يقول، وهو يصرخ عاليا:

(القطر بيولع، القطر بيولع، الحقوا اهربوا)





واستمع الناس الى هذه الاشاعات واطلقوا ساقهم للريح وكأنهم رأو النيران بأعينهم وكأنهم اشتهوا ريحها او اصطلوا بها، هرج ومرج وصراخ وبكاء وتدافع وتراشق كأنه يوم الحشر ولا يدرى الإنسان من يدفع في طريقه وهل هو بشر او حجر، بعضهم يحطم نوافذ القطار للهرب والبعض يثقب في ارض القطار ومنهم من صعد الى خزانة الحقائق وزحف عليها حتى يصل الى الباب أولا والنساء يبكين والأطفال يصرخون والرجال لا هم لهم الا مغادرة العربة والفوز بالحياة والهرب من الموت الذى لا احد مستعد له في اى زمان او اى مكان، وانا اجلس على الكرسي ولا اتحرك ربما لست مصدقا وربما كنت انتظر الموت منذ زمن وانا سعيد بقدومه اليوم وربما كنت مصدقا لهذه الاشاعة حتى الدهول او كنت خائفا لدرجة الشعور بالشلل التام وعدم القدرة على السير والتحرك في اى اتجاه، كنت اخر انسان خرج من عربة القطار ونزلت منه الى الجمهور المتجمع على قضبان السكة الحديدية ونظرت الى طول القطار الممدد على الشريط الحديدى فلم اجد نيرانا ولا دمارا الا ما احدثه الناس لكى يهربوا ورغم عدم وجود نيران الا ان الناس هربوا بعيدا عن القطار وهم مصدقون ان القطار يحترق وليس ذلك فقط بل وهم يعتقدون تمام الاعتقاد ان القطار سينفجر وسينفجر الان وليس بعد حين، ولم ينفجر القطار على اى حال.

ركبت سيارة الى الأقصر وسارت على الطريق الزراعى بمحاذاة السكة الحديدية وما ان وصلت السيارة الى مركز منفلوط التابع لمدينة أسيوط حتى رأيت هرجا ومرجا وتجمعا كبيرا وقطارا راقدًا على القضبان واسعاف كثير وخلق





كثيف واثار دماء على القطار وحطام حافلة وحقيبة طفل صغير بقيت على الطريق بعد ان انتهى الطفل واستحال اشلائاً ممزقة وانتهى امره وانتهى حلمه أمام عجالات القطار.

ادركت ان مجزرة بشعة راحت مع خيوط الشمس الأولى على هذا الطريق وان دمائاً ذكية اسيلت على قضبان حديدة نخر فيها الصداً وأكلتها الأكسدة، عشرات الأطفال قضوا نحبهم وهم في طريقهم الى المدرسة في صباح باكر في قرية بنى عديات في ريف الصعيد كانوا يتعلمون القرآن الكريم والأناشيد ويهتفون كل صباح بإسم مصر عاليا ولكن مصر قتلتهم ودهستهم دون شفقة او رحمة واكلت لحمهم وعظامهم كأنها خرجت من مجاعة وكأنها هرب اسد من الغابة ليفتك بكل من يقف الى طريقه، لم يبق منهم الا احذيتهم او حقائبهم او أيديهم او ارجلهم فقط ليتعرف أهلهم على ما تبقي منهم، اتدرى كم هو مؤلم الى حد تعجز عنه الكلمات ان تتعرف الى ذراع ابنك او تتعرف الى حقيبتة او جوربه او بنطاله او خصلة من شعره، اتدرى كم هو مؤلم ان تجد رأس ابنك قابعة على حجارة وزلط القضبان، اتدرى كم هو مؤلم ان تبعث ابنك الى المدرسة لكى يكون طبيباً او مهندساً او ظابطاً او وزيراً او رئيس جمهورية ثم يعد اليك وهو جثة هامدة وليست جثة كاملة انما هي بضع جثة اتدرى حينما فكر الأباء والامهات في يوم يموتون فيه ويكفنهم ابناؤهم ويغسلونهم ويوارونهم في الثرى، ولكنهم الآن هم من يكفن أولادهم ويودعهم الثرى، اى دموع تكفى هذا الحزن واى دماء اريقت اليوم هي اذكى واطهر الدماء ومن نحاسب على هذه الأرواح التي قضت نحبها قبل ان تكمل حفظ جدول الضرب وقبل ان تدرك معنى الوطن.





هو رئيس الجمهورية الحالي هو المسئول قطعاً دون شك، هو من لم يصلح ما أفسده الفاسدون فقد اخترناه لكى يحينا لا لكى يقتل أطفالنا، قالها شيخ كبير وهو ينفخ في غليونه وهو يقود السيارة التي تنقلنى الى الأقصر.

وقال رجل الى جواره: بل هو وزير النقل، لماذا لم يصلح ويطور ويبدل ويغير؟

وقالت امرأة كبيرة: بل هو عامل المزلقان الذى لم يغلق المزلقان في الوقت المناسب وسمح للحافلة ان تخرج الى القطبان لتواجه الموت المحتم.

وقال رجل: بل هو السائق، سائق الحافلة الذى لم يستمع الى صوت القطار العالى واقتحم المزلقان

وقال شاب اخر: بل هو سائق القطار الذي لم يتوقف لكي لا يقتل هؤلاء الأبرياء

وصرخت فيهم جميعاً وقد كانت المرة الأولى التي اخرج عن صمتي واتحدث بصوت عال امام أناس لا اعرفهم وفي امر السياسة، بل هو ستون او سبعون عاما من الفساد وعدم الاستقرار وعدم التطوير وخراب الزمم والكل مسئول انا وانتم والجميع وبكيت وبكوا أيضا واستمرت السيارة تقطع الاسفلت الى مدينة الأقصر وا انا اتعجب اكثر واكثر من امر هذه الحياة التي تقطف الزهور وتترك الاشواك.





في بلاد كثر فيها الإستفتاءات والنقاشات وبرامج التوك شو والتنظير والتحجير والتخوين والتكفير والنقاش حول الآراء الذى ينتهى في النهاية الى نقاش حول الاب والام او كما قال الصحفى جلال عامر سابقا، والجميع يفقه في كل التفاصيل الصغير منها قبل الكبير كلنا رؤساء جمهورية وكلنا قادات جيوش وفاتحين وكلنا مطربون وكلنا مدربوا كرة قدم وكل منا له فلسفته الخاصة في الحياة وربما كل منا له دينه الخاص به، اتدرى قد يكون ذلك التنوع رائعا وصحيا شريطة أن يكون معه انتاج واستثمار وحركة مستمرة للتطور والتقدم الى الامام ولكن هذا التنوع جر النقاش تلو النقاش وجعلنا نتقاعص عن الكثير من الاعمال التي قد تجعل لهذا النقاش هدف او معنى ولكنه كان نقاشا من اجل النقاش فقط واختفت الروح الثورية وروح العمل وروح المثابرة وكأننا انفجرنا مرة واحدة وثم هدأ الانفجار او كأننا لم نكن نعرف ان بعد الثورة لابد ان يكون هناك عمل دؤوب وانما اعتقدنا ان الثورة وحدها كافية لكى نكون عظماء، ربما اعتقد الجميع ذلك او من حولى فقط او ربما كان ذلك اسقاطا منى على من حولى او على الجميع، كل شيء يسير ببطء او حتى لا يسير مطلقا ولم يجلب لنا الرئيس الجديد سعادة او جعلنا عظماء او ساعدنا على ذلك كما كنت اعتقد ولكن جلب لنا المزيد من النقاش والنقاش والجلبة الفارغة التي كنت اريد ان نبتعد عنها ولكننا انخرطنا في دوامتها حتى الغرق، قرار ثم يلغي وقرار لا يدرس اخر ثم يلغى وجمعية تأسيسية للدستور تلغى وأخرى تلغى وإنقسام وجدل حول الرئيس ومدى إخلاصه لوطنه او إخلاصه لحزبه وجماعته وقد كنت لا احب الرئيس ولم ارشحه منذ البداية ولكنى لم اكن ادخل في هذا الجدال ربما لليأس وربما للصبر على الرجل





ولكن اعلان الرئيس لاعلان دستورى يحصن فيه قراراته ويحصن فيه الجمعية التأسيسية للدستور اثار حنقى وغيظى على الرجل وقررت ان رحيله او رجوعه عن اندفاعه بأى ثمن هما حلان لا بد لنا من حل فيهما واندلعت المظاهرات في بعض الميادين وبعض القرى وكان أهمها تلك التي ذهبت الى ميدان الاتحادية وكنت متحيرا بين الخروج الى المظاهرات او الجلوس في البيت او البقاء في المستشفى وإخلاص عملى فهو الحقيقة الوحيدة في حياتى.

جلست انا وامل على نهر النيل كما كنا نحب ان نجلس ونحتسي حمص الشام ونضحك ونبكي سويا.

اتدرين يا امل ان هذا الوطن اصابنى بالإحباط والجزع وبدأت افقد ايمانى به تقريبا.

— انت يا حمدى أصبحت فاقدا للإيمان بكل القيم وليس الوطن فقط اخشي اننى لن اعرفك قريبا، ماذا جرى لك يا حمدى.

— انا لا اعرف سبب تغيرى ولكنى ادرك اننى تغيرت حقا ولست راض عن نفسي ابداء، ولكن دعكى من هذا الان يا امل واخبرينى ما رايك بهذا الإعلان الدستورى الجديد؟

— امممم، لا افهم الكثير عما يدور ولكن ساخبرك بما اشعر به واعلم يا حمدى ان احساسى لا يخيب ابداء.

الرئيس رجل طيب وهو يحب البلد، وكلما اصدر قرارا وقفت ضد ارادته الدولة العميقة اتدرى الشرطة لاتحبه فهو خصمها الدائم.





والجيش لا يحبه فقد ازاحه عن الحكم وفصل قائدهم واتى بقائد جديد
ورجال الاعمال لا يحبونه لانه ليس محسوبا لهم ولا يقوم بعمل اجرائات
تعزز من مكانتهم وتقوى اقتصادهم
والاعلام يكرهه لان اعلامنا اعلام غير نزيه وهو اعلام من يدفع ليس اعلام
الشعب انه اعلام عميل ومشوه.

والقضاة والعدلاء لا يحبون الرجل لانه ليس على هواهم وان شأت ان تقل
لانهم يخشون على مناصبهم من هذا الرجل العادل
والليبراليين والعلمانيين لا يحبونه لانه رجل اسلامى يطمح الى تكوين دولة
إسلامية

ودول الخليج تخشي من عمل مد اخوانى لها فيخسرون نفوذهم وسلطانهم
واسرائيا تخشي قيام دولة دينية او قومية على حدودها ولذلك لن تسمح له
ابدا بذلك

والعالم كله لا يريد دولة قوية تنافس في الاقتصاد والسياسة وامريكا تخشي
على مصالحها في الشرق من دولة إسلامية في مصر
والفلول التابعين للحزب الوطنى المنحل يريدون انهيار الرجل وفشله
والعودة من بعيد للجلوس على كرسي الحكم وان شأت ان تقل ان العالم كله يقف
ضد مشروع اسلامى عظيم

قاطعتها مستفهما ومتعجبا: اوه يا امل تتحدثين كما لو كنتى من الاخوان واحد
قياداتهم الحزبية او عضو أصيل في جماعتهم

- انت تعرف جيدا اننى لست اخوانية، كما تعرف جيدا اننى مع الحق





والعدل

- إذا لم تكونى اخوانية فانت دون شك تحترمينهم.
- لا أحب هذه اللهجة في الحديث يا حمدى وانا لا ام اعهدك متهمك.
- انظرى يا امل الى السياسة كيف فرقنا وجعلت كل منا له رأى ولذلك اخشي ان تقوم حرب أهلية بسبب ذلك الرئيس وبسبب ولائه لجماعته.
- السياسة لم تفرقنا، انا هو الصواب والخطأ والرجل يحتاج الى من يدعمه ليس أكثر
- اتدريين لو ان كلامك صحيحا، وهو يدرك ذلك كان عليه ان يستعين بالشعب وبالقوة الثورية وليس ان يتعالى ويحصن قراراته كما لو كانت قرارات أوحى اليه بها من فوق سبع سموات، كان عليه ان يكون اكثر حنكة في التعامل مع معارضييه وان يرضيهم او يفتت شملهم وجمعهم، لكنه بعلم او بجهل جعل الجميع ضده.
- عفوا هو لم يجعلهم ضده، بل هم ضده من الأساس وليس امامه خيار سوى المقامة.
- انتى تعنين ان هؤلاء المتجمعين امام الاتحادية مرتزقة وخونة ولصوص
- ربما نعم وربما لا قد يكونوا خونة وقد يكونوا متظاهرين لكن ليس كل من تظاهر يا حمدى كان على حق.
- انا ساذهب وانضم الى المتظاهرين يا امل انا لا اطيق بقاء الرجل ولا اطيق





- طريقة تفكيره ومن الأفضل ان يرحل .
- حسنا ومن يخلفه؟ يا أيها البطل!
- لا اعرف تحديدا ولكنها موجة ثورية وحراك وطنى جديد وانا سأشارك وادافع عن قناعاتى أيا كان الثمن
- هنيئا لك يا حمدى بقناعاتك
- انا ذاهب يا امل، هلا اتيت معى
- لن اذهب يا حمدى ولكن اعلم ليس هذا فراق منى لك ولكنها دعوات ان تعود الى رشذك وتميز الصواب من الخطأ ان لم يكن الان ففي وقت مناسب فقط قبل فوات الأوان يا حمدى قبل فوات الأوان.
- حسنا وداعا يا امل .
- رحلت وتركت امل امام نهر النيل وذهبت الى قصر الاتحادية في يوم بارد من أيام ديسمبر وهامى اعلام مصرية تشق عنان السماء ووجوه مصرية كتلك التي رأيتها منذ سنتين يهتفون لمصر ولخيرها ويهتفون بكل ما اوتو من قوة وحناجر
- أيد واحدة ايد واحدة
- سلمية سلمية سلمية
- يسقط يسقط حكم المرشد
- الشعب يريد اسقاط النظام
- وهتافات جانبية كثيرة وانفاس تدفئ وحرارة أجساد تشعل الحماس رجال





ونساء وشباب وفتيات من الأبيض والأسود والأحمر وكل الوجوه التي أصابها الإحباط واليأس على مدار عامين من ثورة لم تنتهى ولم تكتمل، والجو بديع ولا عنف ولا سباب ولا مولوتوف ولا دماء وكأنها ثورة بيضاء ستجلب لنا السعادة ولكنى لم أعد اهتم بالسعادة تلك ولكنى اردت ان اثبت لنفسي اننى لازلت مفيدا واننى لازلت على قيد الحياة، اسوار القصر عالية ولكن ايدى المتظاهرين اعلى والمتاريس ازيلت من الطرق والاسلاك الشائكة اخترقت وفئات لم ارها سابقا في تظاهرات رايتها اليوم، رايت فنانة كانت تقف ضد الثورة في يناير ولا عب كرة أيضا كان يصف المتظاهرين بالمرتزقة هو الان معنا في الميدان اترأها ثورة مضادة وامل على حق ام ان الثورة للجميع وهى مراحل يشارك كل مواطن في المرحلة التي تخصه منها كل واحد له الحق ان يقول ما يريد هذا ما اؤمن به ولن اغيره ابدا متى حييت.

ولكن شركاء الامس في التظاهر صاروا خصوم اليوم ولا احب ان يكونوا أعداء لأن العداء معهم سيصنع حربا أهلية لن ينتصر فيها احد غير الشيطان. افكارى تتلاطم كموج المحيط في العواصف والرياح وأوشك اليوم على الانتهاء ولكنى سمعت احد المتظاهرين ينادى بالاعتصام وبعض الناس يستجيب والبعض يرحل، ولكن بدا ظهور الخصوم من الاخوان ومن يحترمهم، وبدا التراشق بالهتاف أولا

من جانب سلمية سلمية

ومن الاخر إسلامية إسلامية





من جانب لا عسكرية ولا دينية عاوزينها دولة مدنية
ومن الاخر إسلامية إسلامية

ورايت اهتاف ظاهرة صحية لا بأس بها ابدا ولكن هل يبقى هتافا فقط ربما
وربما لا، لم تستمر خواطرى كثيرا حتى رايت المولوتف يتساقط على راسي ورأس
زملائي وهرعنا بالفرار وسمعت أصوات الرصاص مجددا وكأن ثورة لم تقم
وكان ديموقراطية لم تحدث او ينادى بها احد وكأن رئيسا منتخبا من قبل الشعب
لا يجلس في هذا القصر المنيف، ازداد يأسى وغيظى وقررت الرحيل الى حيث لا
اعرف ولكنى وقعت فريسة في أيدي احد الرجال الملتحين وسألنى مع اى
الفريقين انت؟

- انا مع الثوار في الاتحادية ضد الإعلان الدستورى.

- صاح الرجل بى أيها الخائن، أيها الكافر

وراح يضربنى بكل ما أوتى من قوة

-فصرخت في وجهه انا لست خائنا ولا كافرا فأنا شريك الامس في الميدان

-قال اخرس انت عميل للامريكان والصهاينة

وانت مدفوع من قبل الفلول انطق من دفع لك المال حتى تتظاهر ضد

قرارات سيادة الرئيس

وانت دون شك من ضربنا في التحرير ومن كان يدفع بنا الى السجون، وانت

من يلقي المولوتوف علينا الان وانت من يطلق علينا النيران

- ماذا تقول أيها الشيخ، أنتم من القيت المولوتوف وانتم من اطلق علينا





النيران وقت ان كشفنا صدورنا وهتفنا سلمية سلمية.

- كذبت يا رجل أنتم وبلطجيتكم وملحديكم من فعل هذا بنا وانتم من
ضربنى على راسي بعصي غليظة قبل قليل، اعترف من انت ومن دفع لك؟
- دفعلى وطنى وانا مصري، وانترجل لا يعرف معنى الوطن وستدفعنا دون
شك الى حرب أهلية، ولكنى لن امكنكم من ذلك ابدا ما حييت
استمر الرجل في الضرب واستمر وقام بالنداء على أصدقائه الذين هتفوا



خائن

عميل

كافر

فلول

صهيوونى

امريكى

اعترف اعترف

اضربوه اضربوه

ولما يأسوا منى قاموا بتسليمى الى رجال الشرطة الذين اخذوا بياناتى وربتوا
على كتفي واطلقوا سراحي لعدم وجود تهمة ولكنى قبل ان انصرف سألت
الشرطى في دهشة: لماذا لم تقبض على الرجل وقد اعتدى على؟
لماذا لم تحققوا معهم؟
اننى اهتمهم بضربى وركلى وسحلى؟





اننى اتهمك انت أيضا بالتقاعس عن مهامك في حماية الثوار
لوح الرجل بيده الى وقال: اذهب الان على قدميك وذلك خير لك
ولاهلك.

انصرفت ولكنى لم اعد الى البيت ولكنى التحقت بأول تجمع ثورى ورتبنا
نفسنا وعدنا الى الاتحادية مرة أخرى، وهتفنا بكل قوة: ارحل ارحل ارحل
وجاء شباب من الاخوان والتحموا معنا والامن لا يتحرك وكأن الامر لا
يعنيه أبدا وكأنه متفرج وهنا ايقنت ان الامن في بلادى لايزال عصا الحاكم
الغليظة وانه في خدمة الحاكم وليس في خدمة الدولة ولكنه هذه المرة يتركنا
لبعض ويكأنه ينتظر من منا سيفوز ليلعب معه على الكأس ولينتهى من كل من
حدثته نفسه يوما بالثورة.

واشتبكنا باليدى والارجل والهتاف والحجارة حتى ظهر المولوتوف وكان
المولوتوف امام المولوتوف وسكت كل صوت اخر حتى رايت بعض القتلى
يسقطون راين رجلا يحمل كاميرا يقوم بتصوير الاعتداءات على الثوار واخترقت
جسده رصاصة لا ادري في صدره او عقله او فيها جميعا ووقع الرجل من فوره
ولكنه لم يمت هرعت اليه بغريزة الطب داخلى، وطلبت الإسعاف فأتت
الإسعاف وقبل ان يفقد الرجل وعيه وينتهى الى غيبوبة طويلة الى يوم القيامة،
اخبرنى انه لم ير الرجل الذى اطلق عليه الرصاص ولكنه يعرف انه ليس مصريا
مخلصا ولن يكن وانه كان يتمنى ان يكون موته على يد عدوه وليس على يدي
خصمه فهو لايزال يعتبرهم مصريين مخلصين وقال لى ان انا مت اخبر العالم اننى
كنت احب مصر واحب الديموقراطية واننى مت من اجل عملى ومن اجل مصر،





ولم ار الرجل مرة أخرى ولكنى علمت اسمه من التلفاز والصحافة وعرفت انه دخل في غيبوبة طويلة قبل ان تنتهى حياته وهو يحمل كاميرا في يديه ليوثق بها ما يراه وما يؤمن به.

ودعت الرجل ولم اودع الثورة وتلطخت ملابسي بالدماء كما كانت تتلطخ بالدماء في ظلال الثورة، وخضبت يدي بالدماء وحملت المولوتوف لالقيه على هؤلاء القتلة الغاشمين وكنت لا احب ان اصف احد بالقاتل او الغاشم ولكنها كانت المأساة والحقيقة وبعد سجال رايت احد الشباب يسقط مغشيا عليه ورصاصة في صدره وحملته على كتفى رغم انى علمت منه ومن أصدقائه ومن كان حولى انه من الاخوان لم يحملنى ذلك او يمنعنى عن خدمة الرجل ورسمته يقول لاصدقائه اخبروا العالم اننى لست إرهابيا ولا سفاحا ولا اكفر أحدا ولا أريد ان اقتل أحدا وانا أيضا لم اعرف من قتلنى ولكنى ادعوا للرئيس بالتوفيق من كل قلبى وانتهى الرجل وبقى السجال وبقى العنف وبقى شبح الموت الذى كنت اظن انه اختفى منذ زمن ولكن الموت حقيقة تأبى ان ترحل فهو يلاحقنى أينما ذهبت ولكنه لم يصبني حتى الان وأنا انتظره انتظره جدا بفارغ الصبر، وربما استبعد خطواته وقدمه الى ولكنى اقف في انتظاره في اى وقت وذلك رغم حبى للحياة فأنا متناقض في افكارى ومشاعرى وفي كل شيء.

انتهى اليوم الأول وعدت الى المستشفى واكملت عملى وتابعت ما يجرى من خلف الشاشات التليفزيونية وذلك ليوم او يومين ولكنى لم اطق صبرا وعدت الى المشاركة من جديد واستمر السجال واستمرت الشرطة في المشاهدة وربما





الاستمتاع حتى شاركت معهم في الركل والضرب والاعتقال بلا شفقة وبلا رحمة
وشارك معنا في التظاهرات شباب الاولتراس وشباب من الأحزاب وشباب
اخرين لم اعرفهم ولم ارهم قبلا وهناك الشباب المقنعون الذين يرتدون اقنعة
سوداء وكأنهم ميلشيات حرب وسمعت احدهم يقول نحن البلاك بلوك لن
نرحل من هنا حتى يرحل الرجل ونزلت دبابات الجيش التي رأيتها كما رأيتها
قبلا في مناسبات عدة وتساءلت عن سر وجودها وهل هي معنا او هي مع
الأعداء الذين اغتصبوا الوطن ولكنى رايتهم جاءوا لحمايتنا من المجرمين الذين
أرادوا التهام حقنا في التظاهر ورايتهم حائلا بيننا وبين اسوار القصر وحائلا بيننا
وبين الاخوان واستمر الصراع ولكنه انفض بعد أيام ورحلنا نحمل اصرارنا على
رحيل الديكتاتور ورحلوا هم فرحين بانتصار زائف واكملوا دستورهم رغما عن
الشعب ولم يشفع عندي للرجل انتصاراته الزائفة في معركة أولى لا تعنى اى معنى
الا شيئا واحدا وهو ان بقاء الرئيس صار مسألة وقت وان الزمان سيحكم بيننا
قريبا وان هذا الزمن لم يعد زمن الطغاة وانما هو زمن الشعب وزمن الإرادة التي
لن يكسرها الحديد والنار، دبت في اوصالى مشاعر وطنية جارفة وكأن قلبى بعث
الى الحياة مجددا وساعدى عادا الى الارتفاع عاليا وصوتى عاد الى حنجرتى من
جديد وارادتى أصبحت إرادة للوطن الذى شعرت ساعتها كم احبه وكم كنت
غيبا حينما فكرت ان انحى امره جانبا وادركت اننى كسائر أبناء وطنى لا نحب
اوطاننا الا في الشدائد، لكن الأوطان تبني في الرخاء كما تبني في الشدائد ولا تبني
في اى منهما فقط بل التظاهر في الميدان والتظاهر في العمل كلاهما وجهان لعملة
الوطن، اقسمت ساعتها ان رحيل الرجل هو هدف لا يثنينى عنه سوى الموت





وانه كالرئيس السابق كلاهما شركاء في الدماء ولا فرق بين دماء اريقت في يناير
وأخرى في محمد محمود وثالثة اريقت اليوم وذكرت الهتاف الذى هز الميادين
(طول ما الدم المصرى رخيص يسقط يسقط كل رئيس) ايقنت هذه الحقيقة
وصارت عقيدة عندى، منذ ذلك اليوم انقسم فيه الناس الى مؤمن وكافر وإلى
اخوان وغير اخوان وإلى مدنى وغير مدنى وتخوفت من حرب أهلية لوح بها
النخبة كثيرا وصارت مشاعرى تتخوف منها كثيرا، وتباينت ردود الفعل حولى
فأمرى تقبل راسي وجبينى وتقول لى: شارك يا ولدى في رحيل الطاغية.
وانا ابتسم في وجهها واعدتها ان أشارك حتى رحيله.

وابى لا يعجبه ما افعل دائما حتى جلوسى في البيت دون اى حراك وها هو
يقول لى: يا ولدى لا تشارك في الفتنة في اى وقت واى زمان فرحيل هذا الرجل
كرحيل سابقه يؤخر الاستقرار ويقوض دعائم الحكم.

وانا اجيبه دائما: انت مثل الشرطة التى تدعم اى رجل يجلس الى سدة الحكم
فيجيب وانت صبي عنيد لا يعجبه من يسدى له نصيح او من يملك امره
ويأمر وينهى عليه، انت عدو السلطة اذا كانت لغيرك اما اذا كانت لك فستكون
ديكتاتورا جبارا وربما نيرون او موسوليني او استالين او حتى ادولف هتلر، هكذا
انت يا ولدى وانا اخبرك دائما.

فابتسمت في وجهه: سواء اكنت على صواب او خطأ يا ابنتى فسأحول ان
ادافع عن قناعتى بأى ثمن.

فإذا به يبتسم ابتسامة صفراء ويقول: هكذا انت يا ولدى دائما ولكن تذكر قول





كهل عجوز انت يا حمدى لا قناعات لك.



-٤-

توالت الأيام والصراع الشعبى محتدم والشقاق هذه المرة أعنف والأزمات أكبر وأشرس وساد الإنقسام حتى يكاد المرء ينقسم على نفسه فكل منا يجب الديموقراطية ولكنه يبرر أفعال ديكتاتورية لمن يدعمه والجميع يكره الدماء لكنه يرقص طربا على جثث اعدائه الكل مؤمن والكل كافر وحالة من الهرج والمرج ولا تعرف اين يمكن ان تتدحرج الكرة في الأيام القادمة وحاولت امل اقناعى كثيرا بالمؤامرة الكبيرة على الرئيس وعلى إسلامية ودينية الدولة ولكنى كنت انهرها أحيانا والاطفها القول أحيانا فيما يخص السياسة والرئيس

- انت يا حمدى مغيب، وستدرك كم كنت احمقا بعد فوات الأوان

- متى يكون ذلك الأوان يا امل؟

- سيكون حينما تطالك يد الظلم وسلاح الظالم الذى هتفت له

- انا اهتف لبلدى واهلى وضد الظلم

- كف عن أحلام الطفولة فالواقع ان مؤامرة كبرى تحاك في الظلام واخشي

أنك جزء منها وأنك تشارك في انتكاسة بلادنا لعصور الظلم والبطش.

- انا ادافع عن حقوق المظلومين في هذه البلاد وأتمنى دستورا يكفل الحق

للجميع في الحياة ليس لفريق على الاخر





- وهذا ما سيحدث إذا اعطينا الرجل فرصته كاملة
- فرصة لرجل ديكتاتور، اى فرصة هذه انظرى حولك يا امل
- الدولار قفز حاجر الستة جنيهاات ونصف وسيقترب من السبعة
- ولا امن في البلاد
- ولا استثمار ولا تجارة ولا زراعة ولا صناعة ولا انتاج
- والبنك الدولى رفض ان يعطينا قرضا لإصلاح ما افسدته السياسة
- الاقتصادية العاجزة
- وأين العدالة الاجتماعية وتوزيع الثورة بشكل عادل.
- كل ذلك موجود لكنك لا تراه، الرجل على طريق قويم لتحقيق الاكتفاء
- من الطعام والمياه والاستثمارات الإسلامية القوية المتينة ولا تنس موقفه من
- حرب غزة الأخير ووقوفه الى جوار اهل غزة ولذلك منع عنه القرض.
- المياه، اى مياه تلك، اثيوبيا على مشارف بناء سد نهضة جديد والرجل لا
- يحرك ساكنا ربما ينتظر ان نلهث خلف المياه، والرصاص الذى اطلق بكثافة وقوة
- على متظاهرين رفضوا قرار الرجل ولهم الحق في ذلك حتى لو كانوا على خطأ
- فلهم الحق في التظاهر دون ان يموتوا، وأليس هناك اعتقالات سياسية في البلاد،
- ثم اين البنزين والطاقة، الانوار تقطع صباحا ومساء والرجل يضمن بها على اهل
- بلده ويبعثها الى اهله وعشيرته في دولة أخرى.
- الدولة الأخرى هي أهلنا أيضا في فلسطين ام أنك نسيت فلسطين.
- الى يعوزه البيت يحرم على الجامع





- مش هيبقي في بيت بعد كده ولا جامع يا حمدى
- انا هشارك في حملة تمرد عشانى وعشانك وعشان مصر كلها
- افعل ما يحلو لك ولكنى لا أرضي عنك ابدا إذا فعلت.



جلست مع أصدقائي على المقهى وكنا نرغب ان نلتقي بعد فراق وعدم لقاء استمر لزمان طويل وكنا نلتقي قديما في السراء والضراء ولكننا اصبحنا نلتقي في الضراء فقط فأخشي ان السراء قد ولت الى غير عودة، جلسنا على الكرملين الذى اكتظ بالناس الذين كسدت تجارتهم او خسروا وظائفهم وخسروا انتمائاتهم.

- كيف حالك يا جميل، وكيف حال بلادنا؟

- انا بخير يا حمدى، لكن البلاد ليست على مايرام، الرئيس يحارب استقلال القضاء ويريد أن يستغل منصبه في عزل وتعيين القضاة واخونة القضاء والنيابة ويطمح إلى أن يأتي بإصدقائه في الحكم ويتدخل في احكامنا وحياتنا ويعين وكلاء نيابة كما يحلو له ولجماعته، دون أن يكون لإهلهم خبرة سابقة في شأن القضاء.

- يتدخل ايمن قائلا: طبعا لا تعجبك أراء الرئيس الذي يريد أن يجعل مهنة القضاء لإبناء الشعب ويجعله من غير واسطة و من غير رشوة، هذا تحديدا مالا يعجبك ولا يعجب القضاة جميعا.

- جميل: هذا كلام فارغ يا ايمن، القضاء نزيه ولا يمكن ان يتم التعيين الا على أساس الكفاءة





- ايمن يضحك بسخرية حتى بدى صوته عاليا وقال افحمتنى يا رجل ولا أملك أن أجاريك

- ويدخل منع في الحوار: لا بد ان يرحل الرجل الذى يريد أن يركع جهاز الشرطة ويأتي بجنود كما تملى عليه جماعته في الداخل والخارج، لا بد أن يرحل

- يضحك سامى ويقول: جميعكم اغبياء، لا فائدة من بقاء الرئيس أو رحيله كل شيء مدروس ومخطط جيدا لتركيعة هذه البلدة منذ يناير والمجلس العسكرى مرورا بمجلس الشعب والرئيس الإخوانى ولو وانصرف الرجل سيأتى العسكر مرة أخرى وهكذا دواليك، لا جديد في وادى النيل غير أغبياء يرثون أغبياء ثم نظر الى بطرف عينيه وقال متهمكما أكثر، اليس ذلك صحيح أيها الطبيب؟

- اجبت: انا أريده أن يرحل ونجرى انتخابات مجلس شعب جديده ونكتب دستورا جديدا وننتخب رئيس جديد مدنى منتخب لا عسكرى ولا اخوانى ولا سلفى ولا ليبرالى ولا علمانى ولا اى صنف غير أن يكونا مصريا ومصريا فقط وانا على ثقة أن الجيش لن يعود إلى الحكم مجددا ومصر ستكون أفضل، ولطالما ثارت بلادنا في وجه الظلم ستكون أفضل دون شك.

- ايمن: الجيش لو عاود الحكم لن يكون هناك مدنى ولا اخوانى ولا جلسة للفضفضة مثل تلك على المقهى.

وتسامرنا حتى ساعات مبكرة من الصباح ولكننا كنا غير متفقين على شيء ما حتى من اتفق على بقاء الرئيس لم يعرف لم يريد بقاءه، ابى يريد ان يبقى الرئيس خوفا من الفوضى وامل تحب الرئيس وايمن يخشي ردة الديموقراطية وأولئك





الذين يريدون رحيل الرئيس يريدونه لاسباب مختلفة فجميل يريد رحيله لانه يقف ضد القضاة ومناع يخشي على سطوة الشرطة وامى تخشي على الحريات وانا اخشي على الاقتصاد والسياسة الداخلية والخارجية وأخشي على بلادنا من حكم ديكتاتور، حاولت كثيرا ان أكون مع الرجل لانى أصبحت انزع الى الاستقرار ولكننى لم استطع ان اتنكر لما اعتقد، انه صواب مطلق.



-٥-

يبدو ان صيف هذا العام سيكون حار جدا وان احداثه ستكون اكثر حرارة من جوف الشمس واخشي ان بلادنا ستتشح بالسواد او بلون الدم، على الرغم ان علم بلادى به الوان الأحمر والأبيض والأسود ونسرا ذهبيا يتوسط العلم ولكنى لا اعرف لماذا ليس لنا حظ مع الأبيض فايامنا حمراء بدم الشهداء وليالينا سوداء في عتمة الظلم ولا حظ لنا مع اللون الأبيض ابدًا حتى ما ظننته ايضا صار اسودا او احمرًا وشابته الشوائب والنسر الذى يتوسط علمنا هو نسر جريح قد توقف عن الطيران وتكسرت مخالبه وانيابه على صخرة الواقع البائسة الصلبة، لا بد ان يتغير لون هذا العلم الى الأسود والأسود فقط لإننى يأس من أن يكون له لون آخر، تمت امل بهذه الكلمات وهى تجلس الى مراتها كجلستها تلك التي جلستها منذ ثلاثة أعوام وتنظر الى مراتها وجسدها هزيلا اكثر ونحيفا اكثر حتى صارت لا معالم انوثة فيه وعينيها غائرتين والشقوق في وجهها وكأنها ممرات سهول وانهار وحبوب كأنها الهضاب والتلال وامواج دموع كالمحيط في الشتاء





والرياح العاصفة التي تعبت بالبوأخر وتستعد القروش لإلتهام من فيها من البشر
واختفت عيناها خلف نفق غائر أحيانا او برزتا وجحظتا كعيني الجاحظ
وجلست تحدث نفسها امام المرأة في جوف الليل تندب حظها على الوطن والحب
مرة أخرى وتمنت لو تكون الأخيرة ليس لأن بعدها وطن او حب ولكن لأن
بعدها لا وطن ولا حب، لقد اخذ حمدي معه كل شيء اخذ الوطن والصحة
والحب حتى القبلات الجميلة التي تبادلناها كثيرا اخذ طعمها الحلو معه وترك
بدلا منها علقما في فمي وحتى احضانه الدافئة تحولت الى ليالى قطب جنوبي
متجمد، لا ادري لماذا لم اكتشف هذا الرجل مبكرا وكم هو انانى وكم هو كاذب
افاق خدعنى بإسم الحب وهو لا يحب الا نفسه وخدع وطنه ودينه وحتى خدع
نفسه وكذب عليها، مشاعري تجاهه لم تعد كما كانت ورغبتى فيه قلت وشعورى
بالاحتياج اليه كأب لم يعد كما كان وكحبيب أيضا فقد حط من شأنى وبعثر
كرامتى وراح يخلق قصصا واكاذيبا ليبرر لنفسه تركه لى وبدلا من ان يحنو على
ويدافع عنى بعد ان تعرضت لهذا الحادث الأليم فإذا به يتهمنى في شرفى وعفتى
وسولت له نفسه المريضة ان يقول اننى تعلقت باهداب رجال اخرين واسلمتهم
جسدى وروحي ليتركنى بل ليركنى كالكرة، وها انذا حقا عديمة الكرامة
وعديمة الامل اعود اليه لاقبل قدميه لكى لا يتركنى وها هو يعدنى بأن يكون
معى ثم يخلف وعده دائما، ثم اعود اليه مجددا فيخلف وعده كما يفعل ذلك في كل
مرة غير عابىء بى أو بحبي الجارف له، ثم ها هو ينحاز للأشرار عديمى الشرف
الذين ينوون خرابا للبلاد ويريدون قذفها من اعلى الجبل ويكفر بالعيش والحرية





والعدالة الاجتماعية، فهل كان يكذب على طوال سنتين ونصف ام هي حقيقة
اغمضت عيني عنها كثيرا او نجح هو في ارتداء قناع اخفى ملامح وحش جائع
خلفه، اللعنة عليك يا حمدي فكم اكرهك واكره نفسي أيضا
اووه بل اكرهك واحب نفسي، لا لا انا كاذبة انا احبك احبك جدا ومهما
فعلت لن اكرهك ابدا لانك الرجل الوحيد الذي علمني كيف يكون الحب
وكيف تكون الحياة انا لم احب احمد او حسين او ياسر او عدنان ولكن احببتك
انت يا حمدي احببتك وحدك ولم احب أحدا غيرك واخشي انني لن احب أحدا
اغيرك ما حييت

يا الهى اعد حمدي الى رشده

يا الهى اعد حمدي الى

يا الهى ان شئت ان تفرق بيني وبين حمدي فخذني اليك قبل هذا اليوم فانا
احب هذا الحمدي اكثر من نفسي واكثر من وطني واكثر من الحياة، اللهم احفظه،
اللهم ابقه لى.....

وانخرطت في بكاء ونحيب بصوت مرتفع وسمعت صوت نحيبها أمها
فهرعت اليها واحتضنتها وقالت لها ما بك يا بنيتي، ماذا حل بكى؟ هل لازلتى
تتظرين ذلك الحمدي اللعوب، إنه لن يأتي لكى ولن يكون من نصيبك ابدا، فهو
لا يريد ذلك ولم يخطط له ابدا، فهو نى على نفسك وارحمى دموع عينيكي
الذابلتين، واشرقى كما كنتى وتجاوزى امر حمدي، فقد انتهى امره الى الابد، كما
انتهت الثورة الى الابد وانتهى الوطن الى غير رجعة.

-كلا يا امي لن ينتهى الوطن ابدا حتى طلع الشمس من مغربها.





- حركات وطنية تجوب الشوارع تحت اسم تمرد تقوم بجمع التوقيعات لإنهاء رحلة المهندس مع الحكم وعمل انتخابات رئاسية مبكرة، وحركات أخرى تحت اسم تجرد تقوم بعمل توقيعات مضادة دعماً للرئيس، وبين هؤلاء وأولئك لا اقتصاد

لا سياحة

لا استثمار

لا إنتاج

لا امن لازيت لا غاز لا سكر

لا بنزين او كهرباء

وكل فريق يتهم الآخر بأنه السبب في ذلك، ولكنى لا اعرف ماذا سيحدث وماذا يجب ان يفعل الانسان حيال كل هذا الذى يجرى و يحدث، لنا الله يا بنيتى لنا الله

- نعم يا امى لنا الله ولكن لنا سواعد وافئدة سندفعها لقاء مانح

- ماذا تعنين بذلك؟

- اعنى اننى سأدافع عن وطنى وسأشارك في التظاهرات الداعمة الى بقاء

الرئيس.

- كماتشائين ولكنك ستكونين افضل خاروف او افضل نعجة في الميدان.

- خروف ونعجة!

- نعم هكذا يطلقون على داعمى الرئيس





- خروف او نعجة او وحيد قرن لا يهم المهم العدل والقيم العظمى في حياتنا.

- لقد تغيرتى كثيرا يا أمل وصرتى تقولين كلاما خطيرا وكبيرا لا افهمه، يا للزمن.

- نعم لقد أخذ منى الزمن الكثير واعطانى مقابله حكمة الحزن والخوف والألم، لاشيء يجعلنا عظماء يا امى مثل معالجة حزن كبير وكلما طال امد طالت حكمته حتى اذا ما انتهى خسر الإنسان قدرته على الحزن وعلى الفرح واكتسب بدلا عنها الحكمة والحكمة فقط.

- هنيئا لكى ما اكتسبتى وبالحسارة حمدى هذا الشقى اللعين
- نعم هذا الشقى الذى أدمى قلبى بحبه وكأنه حبة افىون أو جرعة هيروين.
- وأضافت سأتجرد مع المتجردين وأجوب الميادين من أجل هذا الوطن العظيم.



حمدى يستعد هو وأمه وإخوته للتوقيع على وثيقة التمرد وطرده الرئيس ويستعدون الى المشاركة في المظاهرات الحاشدة التى ستندلع اليوم ولن تنتهى حتى ينتهى حكم المهندس الديكتاتور، ويقول لامه هيا يا امى تأخرنا على التظاهرات عسى ان نجد لنا مكانا فلا مكان فارغ على الأرض.
- حسنا يا ولدى إنى جاهزة، ولكن ابيك لا يريد المشاركة معنا





- ولكن لماذا يا أبى؟

- انا اكره التظاهر والمتظاهرين ولا أرى الثورات الا خرابا في خراب وكما كانت يناير مؤامرة فإن يونيو مؤامرة أخرى واذا كانت يناير ثورة فإن يونيو مؤامرة واذا كانت يناير مؤامرة فإن يونيو قد تكون ثورة ولقد تعبت من التفكير في شأن الوطن لذلك سأتم في بيتى حتى ينتهى كل شيء، احفظ امك واخوتك من التحرش فلا أخشي عليكم من شيء غيره فاليوم لا غاز ولا خراطيش ولا موت، إنه كرنفال وستعرف ذلك يا ولدى وهنيئا للبلاد بهذا الاحتفال.

- لقد اكتسبت الحكمة واعوزت الإرادة الى الفعل والتغيير يا ابى

- في بلادنا اما ان تكون حكيما او فاعلا، ولا تجتمع الصفتان في رجل، فالفعل اكسب بعض الناس الطيش والحماقة، والحكمة يكتسبها من يراقب جيدا وهذا من يدرك مبكرا الا امل في هذا البلد غير في الطعام والشراب والأمان ولا امل في همة ونهضة وتقدم لمسابقة الأمم، نحن قوم عدونا كثيرا وهانحن نستريح ولكننا استرحنا كثيرا حتى نسينا كيف نعدوا ثم تسائلنا في بلاهة ماهى فائدة اقدامنا فكسرها ووضعناها جانبا، ومنذ ذلك الحين نجلس تحت ظل شجرة مثمرة نأكل منها ونستظل بظلها ولا نريد من هذا العالم شيئا اخر، هذه هي حقيقة وطنك واهلك وفلا تمادى في احلامك وامالك كثيرا.

- ولكن يا أبى، نحن نشور ونبنى ونحطم وندشن الدستور تلو الدستور وننحى الرئيس خلف الرئيس من اجل أن نستعيد قدرتنا على العمل مرة أخرى.

- امل ذلك يا ولدى ولكنى لا اتوقعه ابدا، ستخلق هذه التظاهرات المزيد





من الفراغ والمزيد من الفوضى اللذان لن ينتهيا قريبا الا بفقر مدقع او بحرب أهلية تنتهى بنا الى التقسيم كالسودان وليبيا وسوريا والعراق واليمن وانا اريد ان نكون اقوى من ذلك او على الأقل الا نكن مثلهم.

ودعت ابي ورحلت انا وامى واخوتى الى ميدان التحرير الذى صار اشبه بمنتزه في يوم عيد وهو عيد الحرية والديموقراطية، كم كانت سعادتى بالغة حينما أيقنت أخيرا ان ثورة الدم تنتهى اليوم بكرنفال حب كهذا الذى نحن فيه رائحة عطر تفوح من كل مكان والأولاد في ثياب عيد والفتيات متأنقات كأنهن على موعد مع الحبيب واعلام مصر ترفرف عالية اعلى واعلى حتى عنان السماء والاعداد تتوافد والحب يزداد ويلف الميدان من كل جانب ولا أحد يتحرش بأحد والكل مبتسم ويسلم على الكل فلا قنابل غاز تخنق ولا مولوتوف يحرق ولا حجارة تبطح ولا أسلحة بيضاء تذبح وتجرح ولا غبار ولا حزن ولا بكاء ولا أصوات اسعاف والرؤى واضحة جليلة في كل مكان ووجوه المصريين عادت الى الاشرار مجددا واملهم عاد حيا في وطن يملكونه غير مغتصب من أيديهم، وهتافات هتافات عالية بكل صوت في الميدان وهتف الجميع:

يسقط يسقط حكم المرشد

ارحل ارحل

يسقط الديكتاتور

جابر جيكا يا ولد دمك يحرر بلد

وحياة دمك يا شهيد ثورة تانى من جديد





دم ولادنا للحرية مش لعصابة اخوانية
ثورة ثورة في كل حته ثورة في يوم ٣٠ ستة
لسة السرقة زى ماهي ولسه الرشوة زى ماهي
والبطاله زى ماهي والفساد ميه الميه

وتخفت الأصوات قليلا وتتعالى قليلا، واعتلى احد الشباب المؤسسين لحركة
التمرد المسرح في التحرير وهو يقول (توقيعات تمرد وصلت ل ٢٢ مليون توقيع
(ومش هنمشي لحد ما الرئيس يمشي، والهتاف يعلو ويعلو ويشتد، وكان مما جلب
سعادتي هو التنوع في الميدان مابين العجائز والعاجزين والأطفال الصغار
والمسلمين والمسيحيين وبعض الملتحين ورجالات الدين الإسلامى والمسيحى
في الميدان كلهم يهتفون واعلاميين ولاعبى كرة قدم وممثلين ومطربين ونجوم
إذاعة وتليفزيون ونجوم سياسة وأحزاب معارضة كل هؤلاء رأيتهم بعينى في
ميدان الحرية والمجد ورأيت جميل أيضا وهو وكيل للنائب العام يسير مع زملائه
من القضاة ومناع محمولا على الأعناق وهو يرتدى زى الشرطة الخاص بعمله
وهو يهتف بأعلى حنجرة لديه (طول مالدم المصرى رخيص يسقط يسقط كل
رئيس) لم اتمالك نفسى من الضحك، المسئول عن الدم يهتف للقصاص فيمن
اراق الدم، كيف يطلب الرجل القصاص من نفسه وكيف اعتلى الرجل هؤلاء
الرجال الذين هتفوا ضده سابقا، وحمل سلاحه ضدهم سابقا كيف يكون الرجل
محمولا على اعناق من قتلهم سابقا؟

تناقض رهيب وعجيب، جعلنى افكر في هذه التظاهرات وجدواها وحقيقتها





التي التبتت على الان وتحول لون وجهى الى الداكن وتوقفت عن الهتاف واكتفيت بالصمت والوقوف كمن يقف حدادا على عزيز ما، سمعت امى تتمى ولا حظت غير وجهى، فابتسمت وقالت: انت يا حمدى طفولى قصير النظر لا ترى من الألوان غير الأبيض والأسود فقط وهذه سذاجة فجأة استخدم عقلك قليلا، حتى تدرك معانى أخرى اكثر سموا ورقيا، لو لم يكن الرئيس طاغية وظالما للجميع ما اجتمع عليه كل هذا الحشد من الجيش والشرطة والقضاء والاعلام والفن والسياسة والمسيحيين والليبراليين والعلمانيين وحتى الملحنين والنساء والأطفال والعجائز والشيوخ بعضهم يخشي سطوة الديكتاتور وانفراده بالحكم والآخر ينشد حياة كريمة وعيش وحرية وعدالة اجتماعيه، اجتماعهم يا ولدى ليس مؤامرة او انقلابا انما هي ثورة تصحيح لوطن تم سلبه ونهبه، انظر حولك واخبرنى يا فتاى، هل بقي احد من أطيف الشعب لم يحضر اليوم؟

سأحمل انا عنك الجواب، كلا الجميع هنا الا العصابة الغاشمة.

- انا اريد ان اخبرك شيئا مهما، كنا في كل استحقاق ثورى يلقي علينا الموت ونواجهه بصدور عارية واليوم لا ضرب ولا موت ولا غاز، لأن الشرطة كانت تقتلنا واليوم الشرطة معنا فأنا تأكدت تماما ان الرجل وجماعته لم يكونوا متورطين في قتلنا وانما كانوا معنا في خندق واحد، والاعداد الهادرة تلك انما هي من أصحاب المصالح ليست من أصحاب الوطن.

- ويحك يا أبله هل صرت إخوانيا، كلا يا امى انا لست كذلك وانا ادعم هذه التظاهرات لأنها الخيار الوحيد للخلاص من الاخوان ولكن اخشي اننا





نظلمهم بتكالبنا جميعا عليهم، وتذكرت ما كانت امل تقوله لى دائما عن ظلم الدولة العميقة للإخوان، ولكنى سواء ظلمناهم او لم نظلمهم فلن ارحل حتى يرحل الاخوان إن نهجى غير نهجهم وحياتى غير حياتهم

- وعدت الى الهاتف مرة أخرى بنبرة واثقة وصوت اعلی

واعتلى المنصة مرة أخرى شاب من تمرد وهتف هتافات هزت الميدان وقال
(احنا وصلنا ٣٤ مليون في كل ميادين مصر)

ارحل...ارحل

وانتهى اليوم وبات بعض الناس ولكنى رحلت مع امى واخوتى.



-٦-

أسامة هو اسم اخى الأصغر الذى يصغرنى بثلاثة أعوام ونصف ولكنى احبه جدا وأرى فيه صورة الأخ الأكبر وليس الأصغر بل ان شأت اعتبره ابى ولم اعتبر نفسي شقيقته الكبرى ابدا وانما هو شقيقي الأكبر، طويل القامة عريض المنكبين ممتلئ الوجه خفيف الشعر حتى كأنه يبدو من بعيد ويكأنه عديم الشعر تماما عيناه سودوان فيهما مهابة عظيمة وفيهما حكمة أكبر من سنه ومن حياتنا البائسة التي عشناها ولازلنا نعيشها سويا مفتول العضلات واثق نبرة الصوت يتسم دائما في وجهك كأنها يعرفك منذ زمن بعيد ويثر اغوار نفسك دون حتى ان تتكلم، تمنيت كثيرا ان يكون ابى ولكنه لم يكن وتمنيت اكثر ان يكون حبييى





ولكنه ابدًا لن يكون انا ابحت عن رجل مثله ولكنى افتقد ذلك الرجل دائما حتى
 حمدى تغير ولم يعد كما عشقته او احبته قد انهار كما ينهار الجبل او فار كما يفور
 البركان لا ليغمرنى بحبه ولكن ليذبحنى بشكه في واستكباره على وتذكيره لى دائما
 بانه افضل منى وانه طبيب واننى ممرضة وانه يعرف أشياء كثيرة في العالم وانا كثيرا
 لا افقه ما أقول، سحقا لك يا حمدى وسحقا لك دائما، لم اجد في فترات انتكاستى
 العاطفية غير صدر اخى الذى يأوينى كمصحة للأمراض العقلية وصدر امى
 الذى يحتضننى كمهديء عام وطارد للحزن، اتصلت باسامة لاخبره اننى اريد ان
 اتحدث اليه فأجابنى أنه سيأتى الى البيت الان وقد كان يعمل طوال الليل ويأتى
 لينام نهارا وكان يعمل مشرف امن في شركة مقاولات كبرى فهو أيضا مثلى لم ينل
 حظا من التعليم، ولكن أسامة كان اقوى رجل في عائلتنا فلم توهنه الشدائد
 والمصائب وانما زادته قوة الى قوته، كم هي غريبة اسرتنا تلك فالحوادث المتفرقة
 التي مرت بنا والرياح العاتية التي عصفت بها لم تجعلها مفككة اجتماعيا ولكن
 جعلتها مفككة نفسيا وجعلت كل منا يتعلق بأشياء أخرى غير الأسرة فلم يعد
 احد منا يهتم باسرتنا ويكأنها لا تعنيه من قريب او بعيد، فهذا هو ابى والذى لا
 احب ان اناديه ابى قد تعلق باللاشيء وصار هائما على وجهه لم يعد يهتم بشيء
 حتى نفسه التي بين جنبيه، وها هى امى لم تتعلق بشيء الا ابى وكأنها تعلق
 بالحب الضائع، وانا أتعلق بالحب وبالرجال الذين اعتادوا على استغلالى وعلى
 اذيتى بقصد وبجهل وعن عمد وعن غير عمد، وأخى الذى يصغرنى بعام
 ونصف وهو سيد لم يتعلق بشيء سوى السيجارة التي كثيرا ما تكون بيضاء وأكثر
 ما تكون بنية اللون، وها هو أسامة تعلق بالله والجماعات الإخوانية واعتبرها بيته





واسرته وله فيها نشاط وباع طويل منذ سنوات، كم نحن اسرة مفككة كبلادنا العربية المفككة المنهكة وكوطنى المفكك المنهك الذى اعتقدت ان الثورة ستجعله يتماسك بعض الشيء ولكن لا شيء يحدث الا التفكك وها هو الان على شفا حفرة الهلاك وابواق حرب اهليه تنفخ حولنا في كل مكان ونذير الهلاك يقترب وشؤم الموت يحل بنا وذلك كله باخطاء الرئيس الذى لم يستطع ان يجمعنا على قلب رجل واحد او حتى امراة واحدة، لا لا ليس خطأ الرئيس ولكنه خطأ الخونة الذين يريدون اسقاط اول رئيس شرعى مدنى منتخب في تاريخ بلادنا الحديث والقديم، فليسقط الخونة وليحيا الرئيس.

اتى اخى أسامة ليعرف فيما اريده فأخبرته أننى اريد الذهاب الى رابعة العدوية والاعتصام هناك والهتاف بإسم الشرعية وبإسم الرئيس وبإسم الإسلام وبإسم الوطن.

تعجب تماما وحتى اختلفت ملامحه وقال: انتى يا امل تذهبين الى اعتصام الاخوان واعتصام القوى المؤيدة للشرعية وانتى لا تعرفين شيئا عن الاخوان وحتى لا تعرفين شيئا او كثيرا عن الدين حتى ملابسك متبرجة وضيقة ولا اعرف ان كنتى تصلين ام لا؟

- لماذا لم تقومنى يا اخى، وتجعل منى فتاة صالحة، اذن؟

- لقد يئست من اسرتنا تماما منذ زمن بعيد ورايت ان يسير كل منا في طريق خير له وخير للجميع، وانتى ناضجة بما يكفى لكى تقررى ما يجب ان يكون وما يصح وما لا يصح، وليدفع كل منا ثمن اختياراته.





- ولكنك سلبيجدا، كان يمكن ان تحاول معى ان أكون مثلك ولكنك لم تحاول قط ان تهدينى معك سواء الصراط.

- لا احد يهدى احد، وانا ادركت ذلك منذ زمن بعيد، حتى انا اهرب من اسرتنا واشارك في اسرة الجماعة لان اسرتنا لا خير فيها ولن نستطيع ان اغير فيها شيئا الا بالدعاء، وانا يا حبيبتي الصغيرة ادعوا لكم جميعا في كل وقت حتى لم اعد املك لكم الا ذلك، اتدرين تحتاج اسرتنا الى ثورة كبرى حتى تتماسك من جديد او تنتهى الى الابد.

- دعك من اسرتنا الصغيرة ولنفكر في اسرتنا الكبيرة، هل ستذهب الى رابعة العدوية، لتهتف باسم الشرعية؟

- نعم، دون شك

- اذن خذنى معك

- لماذا لم تذهبي وحدك؟ كما كنتى تذهبين الى التحرير وحدك وكنتى ترفضين دائما ان اذهب معكى او تذهبي معى؟

- هل يجب ان اخبرك السر؟

- إذا اردت، فقط ان اردت

- لأننى أخاف من الاخوان جدا واخاف ان يؤذيني احدهم، لذلك اخشي الذهاب وحيدة وأريد ان اذهب معك

- امل، هل لازلتى على علاقة بهذا الرجل المتمرد اللاحق حمدي؟





- ارتبكت وتلعثمت ولم أستطع الجواب

- حسنا يا امل، اعلمى ان حمدى لا خير فيه ولا رجاء منه وربما يمضي وقته معك دون طائل وربما يحاول ان يستغلك او ربما يحبك لكنه غير قادر على ان يواجه نفسه بك او حتى يواجه العالم بك، اذن فهو كاذب او ضعيف ولا خير في الاثنين، لقد جربنا الكاذب وجربنا الضعيف سابقا في حياتنا العامة والخاصة وأثبتت التجارب بما لا يدع مجالا للشك ان الكاذب والضعيف لا خير فيهما ابدا، اننى لا املك لكى سوى النصيحة، وانتى تدركين كم انا ناصح امين لكى يا حبيبتى.

- كم هو حصيف بليغ مخلص لكن الأمور داخلى اكثر تعقيدا وليست ابدا ولن تكون بمثل هذه البساطة المتناهية فانا أصبحت بيتا متهالكا لا يجدى معه ترميم وانما يحتاج الى إزالة والبناء من جديد، حسنا لا باس يا عزيزى سأعمل بنصحك قدر المستطاع ولكن خذنى معك ارجوك ارجوك

- حسنا يا امل استعدى فلسوف نذهب اليوم.



قلبي مقبوض بشدة ونفسي يضيق كأنها يصعد في السماء واخاف من المجهول أخاف ان يأكلنى الاخوان او يتحرشوا بى او ضربوننى بسياط غليظة لاننى لست معهم ولست منهم او لان لباسي ليس كلباسهم او لغتى او وجهى او حتى نظرة عينى وسكوتى وانفاسي انا احب الرئيس واعلم تماما انه على حق فهو مظلوم مثلى فلسوف ادافع عنه وسيكون معى اخى على كل حال ليحمينى متى طلبت





العون والحماية، وانا اعلم انهم لن يؤذوننى ابدا حتى ولو كانوا شياطين لأننى سأهتف معهم واقف معهم على صف واحد، دخلت شارة رابعة كما يقول الاعلام او ميدان رابعة كما يقول الاخوان فوجدته مليء بالخيام كأنها هو مخيم للاجئين ويعيش فيه الناس على ظروف بدائية تماما وتذكرت ايامى الخوالى في ميدان التحرير حيث كنا أيضا لاجئين وكانت حياتنا بسيطة الى اقصى درجة وكنا ننسى ان ناكل كثيرا او ننسى ان نشرب أحيانا رأيت وجوه العجائز والعاجزين والشيوخ والشباب والفتيان والفتيات وحتى الصغار أيضا كانوا هنا في قلب رابعة، كان الإعلام يقول أنهم مدججين بالسلاح ويخفون الجثث في كل مكان هنا وهناك حتى يلتهمونها في اى وقت وخشيت ان يذبحونني لياكلوننى في وجبة غداء او عشاء ولكنى رأيتهم مبتسمون فرحون مبتهجون لم ارمعهم من السلاح غير سكاكين يقطعون بها الخضروات والفواكه وعصيا يتكئون عليها ويرتدون ملابس بسيطة تثبت انهم من البسطاء وليسوا من أصحاب المصالح او الأغراض ولكنهم كانوا يعزلون بين الرجال والنساء في كل شيء وذهب اخى الى معسكر الرجال وذهبت انا الى فريق النساء، كنت ارتدى ملابسى التي ارتديها دائما بنظالا من الجينس بنى اللون ضيق نوعا ما، لا في الحقيقة هو ضيق كثيرا وارتدى تونك قصير وضيق أيضا، هذه كانت طبيعة ملابسى وكنت اعتبر الملابس شأن خاص جدا ولا اقبل لاحد ان يعدل لى فيها او يتحكم فيما ارتديه او لا ارتديه وهو على غير أفكار الاخوان وانا اختلف معهم كثيرا ولكنى في الحقيقة احترم اخلاصهم واخلاصهم المبهرة او لا اعرف المهم اننى جئت الى هنا كما ذهبت الى التحرير منذ عامين ونصف بحثا عن الموت او بحثا عن حب حقيقي، فترى كيف يكون حظى





هذه المرة؟ لعله سيكون سيئا كما كان وكما اعتدت ان يكون دائما.

نظر الى الفتيات نظرات شذرة وتفحصونى كما لم يتفحصنى الرجال ورمقونى بنظرات شداد وقالت لى احداهن اى تبرج هذا بغلظة وشدة.

وقالت أخرى: هذا مكان العفيفات ليس مكان المترجات

وقالت ثالثة: لعلها جاسوسة من الليبراليين او الصحفيين جاءت لتكتب

عنا، ولكنها دون شك ستكون كاذبة وتكتب ما لا يليق وما لا يصح

وهمت رابعة بى لتطردنى او تضربنى، ولكن همت اخريات واحسبهن

كثيرات وقالت واحدة منهن وهى سيدة كبيرة طاعنة فى السن، أيها الحمقاوات

اتركوها، ماذا فعلت حتى تنتهرنها او تضربنها، لقد جاءت الينا اذن فهى واحدة

منا ولن نسألها حتى عن دينها او اسمها او انتمائها فهى واحدة من الميدان وهذا

ميدان الكرماء وهذا ميدان مصر الذى يسع الجميع حتى ولو كانوا ملحدين انها

مصر التى يجب ان تكون

استمعت اليها الفتيات وهدأن واعتذر بعضهن والبعض الاخر لم يعتذر لكنه

انصرف الى شؤن أخرى، وسلمت السيدة على وقالت اجعلى ملابسك إسلامية

اكثر واحضرى الى هنا فى اوقت شئت، حتى وان لم تفعل ذلك فأهلا بكى فى

اوقت أيضا ولا بأس.

كانت مشاعرى متضاربة بين خوف واطمئنان وقلق وسكينة ولكنى

صممت على البقاء وطردت كل الأفكار التى ارادت ان تدفع بى خارج الميدان،

وهتفت مع الهاتفين وكانت اغلب هتافاتهم





سلمية سلمية

إسلامية إسلامية

مرسي رئيسي

الله اكبر الله اكبر

ورايتهم يهتفون واعينهم تذرف الدموع ويصيحون ويتصاحون بهذه
التهافت ويغنون الأناشيد

الإسلامية والاهازيج ويرقصون في دوائر ويرفعون أيديهم عالياً ويقيمون
الصلوات في أوقاتها ويمنون أنفسهم بنصر مؤزر من عند الله وانتصاراً للشرعية
واستمراراً لبقاء الرئيس في مهامه، هتفت معهم وبكيت معهم واعجبني حماسهم
واخلاصهم وقررت اننى ساكون واحدة من فتيات الاخوان المسلمين ولو بعد
حين!



-٧-

كان اول أيام يوليوا وصيف يوليوا حار وشمسه لو تعلمون حارقة وانتصف
النهار واذاغت وسائل الاعلام ان وزير الدفاع سيلقى كلمة عبر وسائل الاعلام
لبيان موقف القوات المسلحة من الاحداث الجارية في مصر، وترقب الناس جميعا
هذا البيان باهتمام شديد وتابعت هذا البيان وانا جالس مع ايمن الذى كان
يزورنى في المستشفى للاطمئنان على فلم يكن قد رانى منذ فترة وهو يحب ان
يتسامر معى دائماً حضر الى واحضر معه سامى واستمعنا الى هذا البيان سوياً





وهكذا تحدث وزير الدفاع:

- من حق الشعب ان يستخدم حقه في التظاهر والتعبير عن رايه في اى وقت بطريقة سلمية

- لم يجد الشعب المصرى من يحنو عليه

- القوات المسلحة ملك للشعب المصرى وليست ملكا للحاكم او الحكومة وتقف على مسافة واحدة من الجميع ولا تنحاز لاحد ابدا.

- القوات المسلحة ستبذل قصارى جهدها للانحياز الى الشعب والشرعية الدستورية

- القوات المسلحة تمهل القوى السياسية مهلة ٤٨ ساعة لاصلاح الأوضاع وتلبية مطالب الشعب والا انها ستتدخل وفق ما يمليه الضمير وما تمليه المصلحة الراهنة للبلاد

- القوات المسلحة لا تطمع في اى دور سياسي او قيادى.

انتهى البيان واستقبله متظاهروا التحرير بالحفاوة والترحاب وفرح له عدد كبير من المصريين وفرحت امى وجميل ومناع وفرحت انا أيضا ولم يفرح متظاهروا رابعة العدوية ولم تفرح امل ولم يفرح ايمن لذلك

اما سامي فظل عبوسا قمطيرا كما هو ويرى دائما انه لا فائدة من اى شيء صرخت من الفرحة عقب انتهاء البيان وقلت: الله اكبر القوات المسلحة تنحاز الى الشعب وستسقط معنا الاخوان يحيا شعب مصر ويحيا جيش مصر

- وقال سامى وقد ضحك ضحكة سخرية، يبدو ان لعبة الكراسي في مصر





ستستمر الى زمن أطول، لكن ماذا يفعل رجل مثلى بهذه اللعبة وهو مهندس قدير لا يجد عملا، اللعنه على الثورة، اللعنه على السياسه، اللعنه على الاخوان، اللعنه على الجيش، اللعنه على الشعب أيضا.

- وسكت أيمن حيناً ثم قال: انتهت الثورة اليوم وانتهت في مصر الى الابد، وانا سأذهب الى رابعة العدوية لاموت هناك مع من سيرتقى من الشهداء.

- تعجبت من قوله وقلت: اى هراء هذا يا رجل، لم افهم شيئاً مما تقول؟

- هذا انقلاب صريح على الشرعية والدولة ولا بد من مواجهته بأى ثمن لان هذا هو اخر امل لمصر فاذا ولى وانتهى ولت هي أيضا وانتهت وانتهى كل شيء معها.

- كلا يا عزيزى هذا ليس انقلابا ولن يكون فالجيش لا يريد السلطة ولا يريد الا مصلحة الشعب وعمل انتخابات حرة نزيهة ويريد العيش والحرية والعدالة الاجتماعية التي سطى عليها الآخرون

- انت من يقول ذلك يا حمدي وانت من جاهد وشاهد محمد محمود واحداث مجلس الوزراء ومن شاهدت مماطلة المجلس العسكرى في نسليم السلطة لرئيس مدني تقول ذلك.

- نعم يا ايمن انا من يقول ذلك، للإّن من أطلق علينا النار كان هو الشرطة وليس الجيش، والجيش لم يكن يماطل في تسليم السلطة لرجل منتخب وانما هو اختار الوقت المناسب لذلك

- يا حمدي تذكر قولى ان هذا انقلاب ولا تتعجب ان يكون أحد رجالات





الجيش بعد ذلك رئيسا لهذه الدولة

- لن اتعجب، اتدرى لماذا لان ساعتها سيكون الشعب من اختاره
- الم يختار الشعب الرئيس الحالي؟
- اختاره نصف الشعب فقط
- اليست هذه الديمقراطية يا حمدي
- الديمقراطية ان يختار من يجيد الاختيار وان يختار الناس رئيسا ولا يختارون جنة او ناراً.
- ومن يدريك ان من اختار اختيارا غيرك لا يفهم ولا يفقه ولا خير فيه؟
- هل هذا فقط لأن اختياره غير اختيارك
- لا يا صديقي بل الحكم على التبعات، وانظر الى الرجل ظل عاما كاملا في سدة الحكم ولم يؤخر ولم يقدم بل ان شئت ان تقل لقد اخرنا كثيرا.
- اذن يبقى الحل في الانقلاب؟
- كلا هو ثورة شعبية مؤيدة عسكريا، ولو خالف الرئيس القادم أوامر شعبه، فلسوف تنتهى منه أيضا دون شك
- ضحك ايمن بصوت عال وقال، لا تظاهر بعد اليوم ولا ربة بعد اليوم ولا تحرير بعد اليوم ولا ديموقراطية بعد اليوم، انما هو صوت واحد فقط وهو صوت الحاكم ولسوف تكتظ السجون بالشباب والمقابر بجثثهم ولسوف اخبرك يا حمدي ان كل شيء انتهى اليوم وسأخبرك بذلك ان بقي هناك وطن يجمعنى انا





وانت.

وهم ايمن واقفا واراد الانصراف، وقال اعلم يا حمدى ان القادم اكثر سوءا مما مضى وان هذا فراق بينى وبينك حتى يقضى الله امرا كان مفعولا، وهم بالانصراف

لم اتعجب كثيرا من ايمن فهو اكثر اخلاصا منى لما يعتقد ولكنه اقل ذكاءا وفطنة دون شك، ولسوف يعرف ان قواتنا المسلحة هم خير اجناد الأرض وان ولائهم لبلادهم وليس لمنصب او جاه او كرسي وانما لعلم بلادنا وان كان لهم أخطاء فهم محض بشر لكنهم ابداء لن يكونوا شياطين.



استمعت امل الى خطاب الفريق وهى في رابعة العدوية ولم تكن اتصلت بحمدى على مدار يومين ولكنه أيضا لم يتصل بها فقد اعتادت هي الاتصال به دائما وان لم تفعل هي فلا يبادر هو بالاتصال ابدا، بكى الناس بكاء هستيريا في رابعة وصرخوا ان هذا انقلاب انقلاب وان الشرعية في محك خطر وانهم سيفقدون رئيسهم وبلادهم بجماجمهم ودمائهم وهتفوا للحرية والعدالة الاجتماعية وبالاسلامية والشرعية وشعرت امل بالبرد في ظل هذا الحر وشعرت انها عارية من جديد وانها تريد من يدفعها مجددا، لم تجد غير حمدى فاتصلت به كثيرا ولكنه لم يجب، كان حمدى يري هاتفه ويعلم ان امل تتصل به ولكنه كان يتأفف كلما راي اسمها او رقمها على هاتفه ويقرر انه لا يحتاج اعباء جديدة وانه سأم سؤاها المستمر عن موعد تقدمه للزواج منها مجددا وفي الواقع لم يكن يدري هل سيفعل





ذلك مرة أخرى ام لا؟



وسائل الاعلام جميعا عربية واجنبية تنقل كلمة للرئيس على شاشات التلفزيون فور انتهاء مهلة الأربع وعشرين ساعة والكل يتابعها باهتمام وفي كل مكان وهى حديث الساعة والجميع يريد ان يعرف اين الرجل وماذا سيقول الرجل قال ابى، لن يقول شيئا جديدا، وقالت امى ليس مهما ما سيقوله لانه لن يبقيه في الحكم يوما واحدا، وراهننت نفسي وراهننتهم انه سيعلن عن انتخابات رئاسية جديدة لكى يناور ويكسب الوقت او يفعل شيئا اخر يزيد من امد الصراع، فهكذا يراوغ الحكام دائما. وهكذا تحدث الرئيس.

- الثورة تسرق من بين ايدى الشعب
- انقلاب عسكري يحدث الان في مصر
- يريد الرجل الحفاظ على الأولاد والبنات وعلى أرواح الجميع
- ليعلم ابناؤنا اننا لا نقبل الضيم ولا ننزل على اراء الفسدة ولا نقبل التنحى او الفرار من المسؤوليات
- الشرعية، الشرعية، الشرعية، الشرعية، كرها الرجل كثيرا جدا أكثر من اى كلمة أخرى في الخطاب
- على الناس ان تستمر في الثورة.
- كانت هذه اخر مرة أرى فيها الرئيس او يراه فيها الناس متحدثا باسم رئيس





الجمهورية ولقد علمت من كلام الرجل ان ضغوطا كبر تمارس عليه وانه لا يملك من امره قليلا او كثير ولكنه كان كذلك دائما لا يملك من الامر قليل او كثير وانتهى الرئيس.

ضحكت امى ضحكا عاليا بعد انتهاء كلمة الرئيس وقالت: هذا رجل عجيب وغريب حتى في مثل هذه المواقف لا يجيد الرجل الكلام. وقال ابى: هذا الرجل بائس جدا ولم يكن يصلح للحكم يوما فهو لا يجيد المناورة ولا يجيد المراوغة، انتهى امره على كل حال.

قلت لهم اتدرون لو اننى كنت مثله لقلت اشياء أخرى -كنت سأقوم بالدعوة الى انتخابات رئاسية مبكرة واقوم باسقاط الحكومة واقوم بالدعوة الى تعديل الدستور واقوم بعزل وزير الدفاع لانه قام بعمل بيانات وتصريحات دون الرجوع الى، او كنت ساعلن استقالتي على الهواء مباشرة واكلف رئيس المحكمة الدستورية العليا بإدارة البلاد في فترة انتقالية.

استمع ابى الى وقال: لو كان الرجل يريد ان يفعل ذلك لفعله فور اعلان التمرد عليه ولكنه لم يكن يريد ذلك سابقا ولم يعد قادرا عليه الان فقد انتهى الرجل تماما وانتهى الاخوان معه

واستقبل الجميع بيان الرئيس بالغضب، بعضهم لانه لم يتنحى وسيدخل بنا نفق مظلم بدايته دماء واوسطه حرب اهليه ستؤدى الى تقسيم للبلاد، ايقنت دون شك ساعتها ان الجيش سيتدخل لا محالة وان دور الجيش في الفترة القادمة سيكون اكبر دور في الحياة السياسية في مصر فلا مناص من ذلك.

بكت امل وبكى اخوها واقسما على البقاء في الاعتصام ابد الدهر.





- ٨ -

كان مساء الثالث من يوليو فصلا حاسما في الصراع في مصر، وجلس بعض الناس في ميدان التحرير ووصلوا اعدادا غفيرة تقدر بالملايين وتزاحم الفريق الاخر في نهضة مصر ورابعة العدوية وأماكن أخرى وكانت اعدادهم غفيرة أيضا وأعلنت وسائل الاعلام عن كلمة وبيان يصدر من القوات المسلحة بعد انتهاء المدة المخصصة للرئيس وان المجلس منعقد الان للتشاور مع القوى الوطنية المختلفة للوصول الى صيغة شعبية وتوافق وطنية يجعل بلادنا افضل والتف الجميع حول الاعلام لانتظار تقرير المصير وجلست امي تتابع بارتياح وجلست ابى يتابع بقلق وجلست انا قلق أحيانا وخائف أحيانا ومتفائل أحيانا ومتشائم أحيانا، تفكرت في مستقبل بلد انهكه الاستعمار والحروب وبلد يصمد كثيرا ويصمت كثيرا بلد اعيانى امره حتى صرت لا ادري من امره قليل او كثير وانتهى امرى معه الى ارتباك وارتباك وتخبط في المشاعر وتساءلت هللى تنتهى الثورة اليوم او هل انتهت سابقا او هل يجب ان تنتهى الثورة او هل يجب ان تستمر واى شيء سيكون خير لبلادنا واوطاننا ولامتنا وماذا سيحدث في هذا الانقسام وهل دماء أخرى ستراق؟ واى دماء هذه تلك التي ستراق واى دماء يجب ان تراق؟ اوه هذا الوطن لا يعرف اين يذهب حقا، ولكنه في ايدى امينة في ايدى أبناءه من رجال البلاد ورجال القوات المسلحة ولا يمكن ابدا ان يكون ذلك انقلابا وحتى لو كان انقلابا فأهلا به ومرحبا فانا اريده انقلابا شريطة ان ياتى بالافضل وان أكون





غنيا في يوم من الأيام وان يخرج وادى النيل من ضيق الفقر الى سعة العيش ورغده وان تكون مصر قوية جدا وان اتقاضى الاف الدولارات في الشهر ويحل العدل والسلام الميادين جميعا ونتظاهر بحرية وبسلمية تحت مظلة القانون وعدله، حتما لن يغلق التحرير والميادين وسيسمح لنا بالتظاهر في اى وقت نشاء لنقرر مصير الرؤساء والحكام ولن تضربنا يد جيشنا ابدا ولن يكون هناك سجناء رأى في البلاد ولن تكمم الدولة افواه أبنائها الذين هتفوا بإسمها عاليا وحملوا ارواحهم على صدورهم في كل ميدان، سيكون هناك استثمار واستثمار كبير وسيكون هناك عمار وسيكون نهاية الحلم الجميل اليوم كم انا سعيد ان عشت هذه الفترة العظيمة في تاريخ بلادى وصنعتة على يدي، كم انا عظيم، ولكن، ولكن، ولكن ماذا لو كان انقلابا وصارت الأمور الى الاسوء وكمم الحاكم الجديد افواه الجميع، مستحيل هذا لن يكون ابدا ابدا فانا اثق في القضاء والجيش اكثر من ثقتي في نفسي، وابتدأ البيان الذى لف العالم كله وجابه.

وهكذا تحدث البيان:

لم يلق البيان رجلا واحدا او مؤسسة واحدة وانما القاه ممثلون عن جوانب عدة فها هو وزير الدفاع وها هو ممثل عن القوى المدنية ورجل عن المؤسسة الدينية الإسلامية واخر عن المؤسسة الدينية المسيحية وشاب عن حركة تمرد الشباب ورجل آخر ممثلا عن حزب دينى كبير وتحدثوا جميعا في البيان والقى كل منهم كلمته في إشارة الى الناس والعالم ان ما يحدث هو ثورة شعبية مؤيدة من الجيش وليس سرقة للحكم

- القوات المسلحة تستجيب للشعب المصرى ولندائه من اجل الحرية





- القوات المسلحة دعت لحوار وطنى اكثر من مرة ولكن لم تستجب
مؤسسة الرئاسة

- القوات المسلحة اجتمعت برئيس الدولة واخبرته انها ترفض الإساءة
للقضاء وجميع مؤسسات الدولة المصرية

- القوات المسلحة وبعد التشاور مع القوى الوطنية قررت خارطة مستقبل
أولية

- عزل رئيس الجمهورية

- تعطيل العمل بالدستور مؤقتا

- رئيس المحكمة الدستورية العليا يؤدى مهام رئيس الدولة بشكل مؤقت
وله سلطة اجراء تشريعات دستورية

- عمل تديلات دستورية على الدستور المعطل

- انتخاب مجلس نواب جديد حين إقرار قوانين خاصة بذلك

- ميثاق شرف اعلامى جديد

- ادماج الشباب في أنشطة الدولة

- القوات المسلحة تحترم الجميع.

استقبلت امل وايمان وكل من كان في رابعة العدوية هذا البيان بالغضب
والصراخ والبكاء والعيول ورفع اعلام مصر واعلام الدولة الإسلامية العباسية
تلك السوداء المكتوب عليها باللغة البيضاء شهادة الإسلام ورفع بعضهم صوراً





لرئيس المعزول وضج الميدان بالهتاف والصراخ وسقط بعض الناس مغشيا
عليهم الرجال والبنات والشباب وسقطت بعض الاعلام وسقطت بعض
اللافتات وضجت المنصة بالهتاف وهتفوا جميعا

يسقط يسقط حكم العسكر

مش هنرجع حكم العسكر

احنا الشعب الخط الأحمر

مش هيصبل مش هيصبل مش هيصبل

إسلامية إسلامية

وأعادوا الهتاف بإسم الشرعية وتوعدوا وهددوا واقرأوا الاعتصام المفتوح
الذى لن ينتهى حتى يرجع الرئيس الى حكم غدا صباحا او عند اذان العصر، قال
أسامة لامل ارحلى انتى وانا سابقى هنا ولن ارحل ابدا واحضرى كل يوم ان
شئتى لكن لا تبترى هنا فلن ندرى اى حادث يقع ولا اريد ان ينشغل بالى عليكى
يا عزيزتى.

-سابقى معك يا اخى

- لن تتحمل امنا مصيبتين، يكفيها واحدة

- انت لن تموت يا اخى، لن أسمح لك

- لن اموت إذا رحلتى، وساموت إذا بقيتى

وقررت امل ان ترحل على ان تعود كل يوم وقابلت ايمن وهو يهتف في
الميدان فلوح لها بيده ولوحت له أيضا وسالها عن حمدى وقالت لا اعرف عنه
شيئا ثم سألته عن حمدى فقال أيضا لا اعرف عنه شيئا ولا اريد ان اعرف غير





اننى اعتقد انه قد يكون جالسا على اريكته في بيته وسط اهله او يشرب سيجارة في مقهى ما وينظر مع أصدقائه او يطلق الشمايخ في ميدان التحرير ويستمتع برؤية الجميلات، لقد انتهى حمدى بالنسبة لى يا امل.
لم تتحدث امل وودعت ايمن وتمنت له وللميدان التوفيق وانصرفت.



ذهب حمدى وأمه واخوته الى ميدان التحرير وارتدوا أجمل ملابسهم واخذوا الليزر والشمايخ والألعاب النارية معهم واعلام مصر وصورا للقائد الفريق وزير الدفاع وكان الميدان ممتلئا عن اخره مكتظا بالبشر ولا موقع لقدم جديدة فيه ولكنهم تراحموا مع المتزاحمين وأطلقوا الشمايخ والليز واعلام مصر ترفرف في عنان السماء وراى حمدى مناع وجميل أيضا في الميدان ولوحوا له ولوح لهما بابتسامة رضا وانتصار عريضينوارتفعت الاعلام عاليه وتغنى الجميع بالنشيد الوطنى لمصر

بلادى بلادى لك حبي وفؤادى

بلادى بلادى لك حبي وفؤادى

بكيت وانا انشد النشيد القومى وتذكرت حسين وتذكرت نفسي وتذكرت امل وايقنت ساعتها ان الثورة انتهت وان ضوء الشمس سيتسرب الى البلاد او العتمة ستخنفنا الى اجل غير مسمى ونظرت الى وجه امى واخوتى السعداء فسعدت انا أيضا وتناسيت مخاوفي ورفعت علم مصر عاليا ولوحت به الى عنان السماء.





رابعة العدوية

-١-

نهار كليل بهيم في أيامنا هذه وخلافات بين الرجل وزوجه وابيه وامه حتى بين المرء ونفسه وإنقسامات شديدة واستقطاب اشد إما ان تكون مع ٣٠ يونيو أو



تكون مع رابعة العدوية واحتكر الجميع الوطن واحتكروا الفهم في السياسة واحتكروا الدين أيضا بل إن شئت أن تقل ان الناس احتكروا الإنسانية كلها فمن معى هو معى ومن ليس

معى هو بالضرورة ضدى لو انك دافعت عن الإخوان تصبح بالضرورة واحدا منهم او تصبح بالضرورة إرهابيا وشيطانا رجيا ولو دافعت عن ثورة ٣٠ يونيو او انقلاب ٣٠ يونيو سمها كما يحلو لك تصبح عديم الفهم والدين والإنسانية وبلغ الإحتقان مبلغا شديدا وكادت العروق ان تنفجر من كثرة الإحتقان ونسي الناس او تناسو جل مشاكلهم في الحياة لبقى شيء واحد فقط هل انت مع الجيش او انت مع الإخوان هل انت مع الدولة او انت مع القطيع هل تؤيد قتل الإخوان او هل تؤيد قتل الجنود، واصبح الخلاف السياسي والتعصب السياسي هو مائدة الطعام الدسمة التي يلتهمها الجميع ويكأننا ذبحنا بلادنا ووضعناها على مائدة كبيرة وتصارعنا وتشاجرنا وتسايقنا اينما يكألها أولا او أينما يأكل اكبر قدر منها او





اينا يأكل كل شيء دون ان يسمح لغيره حتى بأن ينظر إناه، كانت أيام عصيبة حقا حيث هدد الرجل زوجته بالطلاق وهددت الزوجة زوجها بالخلع، وتلاشت صداقات وانتشر التخوين وانتهت ثورة التوافق لتبدأ ثورة الإنقسام وكان أكثر الناس لا يريد الإخوان واكثرهم يريد أن تنتهى الأمور الى هذا الحد ولا تتصعد ولكن اكثرهم حقا ذلك الرجل الذى لم يكن يعرف ماذا يريد، وذهبت امل كل يوم الى رابعة العدوية وتركت عملها وتفرغت لقضيتها الكبرى التي لم تكن تعرف هل هي رابحة أم خاسرة وجلست امل نهار يوم للحديث مع المرأة التي دافعت عنها وكان إسمها سعاد وقالت لها وقدا بدا عليها الوصب والنصب والضيق والخوف والتعب: هل لنا من خلاص، وهل هناك فائدة مما نفعل، يا سعاد؟

- كانت سعاد ترتدى خمارا بنيا اللون وتضع نظارة كبيرة على وجهها خمري اللون الذى يوجد به حسنة كبيرة على هذا الوجه في الخد الايسر وجسدها ممتليء وتمسك مسبحة في يدها ولا تكف عن الذكر والتسبيح وجاءت من مدينة سوهاج لتعتصم في هذا الميدان، واجابت سعاد في تأن وهدوء، وماذا تعتقدى يا امل، هل لنا الا الخلاص؟

- هذا يعنى أننا سنفك أسر الرئيس ونحمله معنا الى قصره، ولكن هناك أناس كثيرون لا يحبونه ولا يريدون بقاءه في الحكم

- نعم اعلم ذلك ولكن هناك انا س يحبونه ويعتبرونه رئيسا لهم، فلا يوجد شيء في العالم يحوز الوفاق وقد كان أولى للناقمين على الرجل ان ينتظروا حتى،





تأتى انتخابات مجلس شعب جديدة ويفعلوا ما يحلو لهم إن أرادوا ولكنهم اغتصبوا السلطة بالقوة كما عهدوا أن يغتصبوها دائما هكذا هم العساكر يا بنيتى لا يشبعون من السلطة حتى تصيبهم تخمتها وتنفجر بطونهم منها، وهم كذلك دائما.

- وما نتيجة ذلك الصراع، إنقوتنا غير قوتهم واعدادنا ليست كأعدادهم ولا سلاح معنا وانا لا اريد القتل ولا أجيده ولا تمتد يدي إلى وجه مصري ابدا إلا بالسلام ولن تمتد بالموت ابدا ولو رايت سلاحا سوف ارحل ولن اعود ابدا الى هنا

- عزيزتى كما قال مرشدنا قوتنا في سلميتنا ولن نجنح للعنف الا إذا اضطررنا وسيكون دفاعا عن انفسنا ولن نرحل حتى يعود الرجل او تقوم الساعة او..... او.....

- او ماذا يا سعاد؟

- او نموت شهداء فداء لديننا ولعقائدنا ولإوطاننا فنحن كما قال الرئيس لا نقبل الضيم ولا ننزل على رأى الفسدة ولا نرضي الدنية في ديننا، سنبقى هنا حتى نموت فإذا شعرتى بالخطر يا صديقتى ولى هذا المكان دبرك وإرحلى الى الحياة.

- وانتى؟

- تنتهي حياتى هنا

- انا لن ارحل يا سعاد، وسأموت هنا أيضا ولن تكون لى حياة بعد اليوم





فقد خسرت كل شيء ولم يبق لى في الدنيا غير قناعاتى التي احيا من اجلها واموت
أيضا من اجلها، هنيئا لنا الشهادة يا سعاد
والهتاف يلف ارجاء المكان ولا يتوقف الهتاف ابدا الا عند إقامة الصلاة ثم
يعود الهتاف مرة أخرى ويزداد ولا يتوقف.



امسكت هاتفى وحاولت أن اتصل بأيمن وبأمل ولكن لا شبكة مطلقا ولا
اعرف عنهم شيئا فهواتفهما مغلقة وحتى حينما تعود الشبكة الى هاتف امل فانها
لا تحيب، قررت ان اذهب اليها في العمل، فذهبت واخبرونى انها تركت العمل
وسألتهم عن السبب فقالوا لا نعرف ولكنى سمعت إحداهن تقول، لقد ذهبت
الى رابعة وقررت الإعتصام هناك حتى الموت، رابعة العدوية أووه يا الهى، ماذا
تفعل هناك انها ليست اخوانيه، انا اعرف انها تميل الى بعض ارائهم ولكنها ليست
منهم ربما يكون اخوها اخذا هناك عنوة فهو متزمت وشديد لكى يزيد الاعداد
وليضغط على الدولة ولكنى اقسم ان الدولة لن تركع ابدا ولن تستجيب مطلقا
لهؤلاء الخاسرين، ذهبت الى بيت ايمن فرأيت اخاه وسألته عنه فقال لى ايمن في
رابعة العدوية ولن يعود الى البيت حتى يعود الرئيس هكذا اقسم الرجل، أيضا
ايمن ذهب الى هناك، ماذا دهاهم وماذا حدث لهم، هل اصابهم مس من الجنون،
هل اذهب اليهم هناك؟ كلا لايمكن أن افعل ذلك ابدا مهما حدث فهذا المكان
مليء بالسفاحين والقاتلين والذين يقتلون الأطفال ويتاجرون بدمائهم ويقتلون
انفسهم أيضا ويعذبون كل من تقع يدهم عليه يعذبونه عذابا أليما دون شفقة او





رحمة ويضعون اكفانهم تحت المنصة حتى يقولوا ان الدولة والجيش قتلاه، بلاذنب
وانا اخشي إن ذهبت ان يمثلو بى حيا وميتا او يقطعوا اصبعى او يسلخوا جلدى
او يأخذوننى اسير، كل هذا سمعته في الاعلام وانا اصدق الاعلام حقا فحتى لو
كان كاذبا فهو يقول ما أريد ان اسمع هكذا تقول امى دائما (صدق ماتريد) ولكن
هل هذه الحقيقة فعلا وان هناك اكلة لحوم بشر، في الواقع لا اعتقد ابدا فلم ياكل
لحمى احدهم يوما وقد عرفتهم كثيرا في محافل الثورة وفي سنوات الدراسة
ولكنى لا احبهم ولا اطيعهم، ولكن ماذا افعل اريد ان أرى امل وازف اليها خبر
حبى الجارف لها واننى سأتزوجها مهما حصل وان أقول لايمان أنه صديقى ولن
تفرقنا السياسة ابدا وأواسيه في خسارة رئيسه لكل شيء ولكنى لا اجد لهما سيلا،
ربما يكون من الاسلام ان انتظر، ولكنى لا اطيع الصبر فلن اصبر ابدا وسأذهب
الى بيت امل، ولكن أمها لن ترحب بى فصارت تكرهنى او على الأقل لا تحبنى
بعدها تركت ابنتها ودمعاتها على خدها، حسنا سأنتظرها عند البيت طوال النهار،
وذهبت مع ضوء الشمس لكى أراها وهى خارجة من البيت او حتى انتظرها وهى
عائدة من التظاهرات، ولكنى عجزت عن رؤيتها يوما او يومين وكان اليأس قد
استحال قلبى وعقلى لكنى رأيتها مساء اليوم الثالث واستوقفتها ونظرت الى كما
لو كانت لا تعرفنى او تعرفنى ولكنها لا تريد أن تنظر الى او كأنها رأت كومة
هائلة من القمامة كانت نظراتها شظرا وعيناها اكثر قوة من اى وقت مضى فلم تعد
خائفة كما كانت او راجية او باسمة او عاشقة انما كانت قوية متحدية تستعد
للنزال في معركة كبرى وهى على ثقة من أنها ستتصر فيها أو ستزف الى ربه
شهيدة في هذا اليوم،





- احبك يا امل.
- وهل تعرف معنى الحب؟
- ربما اعرف وربما لا اعرف ولكنى افتقدتك كثيرا وعشقتك أكثر
- كم افتقدتنى، وكمعشقتنى، وكم افتقدت نفسك وعشقتنفسك؟
- ما هذه الألغاز يا حبيبتي
- هذه حقيقتك فأنت لغز كبير حتى لأنك تعرف حقيقة نفسك
- ولكنك تحبيننى
- انظر الى الشمس
- اى شمس يا حبيبتي، فقد غربت
- هكذا حبي يا حمدى، غرب أيضا
- ولكن الشمس تشرق من جديد
- نعم ستشرق يا حمدى ولكن على أناس اخرين
- وعدتنى ان تبقى الى جوارى
- وانت وعدتنى الا تتركنى فتركتنى
- انتى خير منى وأطهر
- انا اطهر!، أتذكر حين تركتى وانهييت خطبتك بى، ماذا قلت؟
- لا اذكر.





- لقد قلت وقد إنتصبت هامتك ورفعت رأسك عاليا وحككت انفك بأناملك ثم اشرت الى وجهى بيدك اليمنى وقلت كمن يعلم طفلا صغيرا درسا كبيرا (انتى فتاة فاقدة الشرف والعفة) ولم تكلف نفسك عناء التأكد من امر الرسالة التي بعثت لك وكانت احدى الفتيات التي تراك خيرا كثيرا لا استحقه هي من بعثتها لتفرق بيننا ولكنك كنت تريد ذلك فهنئاً لك بما اردت، كنت تعتبرنى عبئا ثقيلا على كاهلك، خير لظهرك أن يرتاح الان فلا أعباء عليه وخير لعقلك ان يرتاح أيضا فقد انتهى سبب القلق، إذهب الى امك واخبرها ان الفتاة التي لم تكمل تعليمها وتعمل خادمة تحت ارجل الأطباء لا تريد ابنك الرجل العظيم اخبرها ان امل كفرت بحمدى وكفرت بنفسها وبالحياة جميعا.

- امل ما كل هذا الكره؟

- لقد كان يا حمدى حبك في قلبى جبلا كبيرا ظننت الا قيامة له ولا موت ولكنك حطمت اسطورتك العظيمة بنفسك واجهزت على رقبتك وحزرتها بسكين دون ان تعرف انها لن تعود الى عهدها ابدا.

- انا اعرف انكى تحبيننى وعلى قدر الحب يكون العتاب

- لم اكن حتى اجرا ان اعاتبك يا ملاكى الصغير ولكنى بعد صرت قادرة ان انفجر بركانا في وجهك البغيض

وهمت امل بالانصراف وانا لا أحرك ساكنا ودمعاتى في عينى وولت ثم اختفت خلف البشر وذهبت الى حيث لا اعرف

وبكت امل بكاء طفل صغير اضاعته امه في المحفل الكبير





كان ايمن واسامة يبيتان في رابعة العدوية ولا يرحلان عنها ابدا ويأويان فيها الى الأرض والى الحصائر ويسعدان ان استضافتهما خيمة لبعض الوقت وكانت امل تأتى لهما كل يوم بالطعام وكان أسامة وايمن يعرفان البعض فقد التقيا يوم خطبة امل الى حمدى، وساعة قيلولة من نهار وبعد ان اديا صلاة الظهر قال ايمن لأسامة ارجوك سامحنى يا رجل.

- تعجب أسامة وقال: ولما اسامحك ولم ترتكب جرما يا اخى
- كلا لقد اذنبت في حق بيتك واختك حينما كنت مع حمدى ذلك الشيطان وخطبنا اختكما

- هون عليك كل شيء قسمة ونصيب
- ولكن حمدى شيطاننا، هذه ما أوضحته الأيام
- هل كنت تعرف انه شيطان حينما اتيت معه
- كلا، لماكن اعرف
- ونحن أيضا لم نكن نعرف، لذا هون عليك، هذه الحياة تعلمنا الكثير والكثير فقط المهم ان نتعلم، ولقد كان هذا الحمدى يخدعنا او قل ان شئت لم يستطع ان يتحمل مسؤولياته
- يؤسفنى انه غير ذلك
- ماذا تعنى، يا ايمن؟





- اعنى انه يدرك ما يفعل جيدا ولكنه لم يكن يريد الاستمرار لهذا لم يستمر
لا يمكن لشيء ان يقف حجر عثرة امام حمدي ولكنه من يضع الأحجار في طريقه
ليوهم الجميع انه لا يستطيع الحركة

- يارجل انه صديقك

- كلا يا أسامة لم يعد

- دعك منه اذن والتفت لما نحن عليه الان لقد صار صاحبك ذكرى من
الماضي البغيض الذي لن ينغتنا ان نذكره وخذ هذه لك
- وماهذه يا أسامة؟

- هاتان قماشتان إحداهما تلفها حول ذراعك والأخرى تعصب بها رأسك
وهما مكتوب عليهما شهادة الإسلام ومكتوب أيضا الله اكبر والله الحمد، مبارك
لك يا اخي لقد صرت عضوا من جماعة الاخوان المسلمين لقد ذكيتك عند
رؤسائي ووافقوا على انضمامك لنا

- تعرف لم اكن احبكم في الماضي ولكنى الان صرت رجلا منكم وهذا
وسام على صدرى وشرف كبير لى.

انتبه المعتصمون الى بيان اذاعته المنصة وهو يقول ان الرئيس مختطف في دار
الدفاع الجوى وانهم سينقلون جزءا من الاعتصام الى هناك ولن يرحلو حتى
يعودوا بالرئيس، وكان الوقت قد قارب على الظلام فعادت امل الى البيت
وزحف ايمن واسامة مع الزاحفين الى هناك واقسما على العودة بالرئيس او الموت
هناك، وأقيمت صلاة الفجر وشرعوا في الصلاة، وما إن انتهت الصلاة او حتى لم





تكد ان تنتهى حتى عمت الفوضى والصياح والانوار من كل مكان والقنابل
المسيلة للدموع تهطل على الناس كالمطر وهم يتسائلون ماذا حدث، ماذا حدث؟
وصرخ رجل، الجيش يفتح علينا النيران، الجيش يفتح علينا النيران، اهربوا،
اهربوا

وصاح رجل اخر، اثبتوا اثبتوا، انها الشهادة انها الشهادة من يمت منكم
اليوم فهو مع شهداء احد

وصاح ثالث بل اهاجموا واهجموا

وتسائل ايمن واسامة في تعجب بما نهجم وكيف نهجم؟

ولم يتلقيا جوابا شافيا، وحاولت السيقان ان تتسارع بالهرب ولكنها اثقلت
الى الأرض وحجارة من كل جانب وعصى من كل جانب ورصاص خراطيش
وطلقات حية فوق الرؤوس انبطح ايمن واسامة فكادت ان تدهسهما الاقدام
فسارعا بالنهوض وحاولا الفرار فلم يعرفا الفرار وحاولا التقدم الى الحرس، فلم
يجدا ما يمكنهما به الدفاع عن انفسهما، فراوغا وفرا الى بيوت وشوارع جانبية
ولكن ايمن أصيب بخراطيش في ساقه اليمنى وشعر بوخذه الم ونيران تلظى في
ساقه اليمنى وحاول أسامة ان ياخذه معه الى المستشفى، ولكن ايمن صاح فيه، لو
اخذتنى الى اى مستشفى فسوف يلقون القبض على ويعذبوننى عذابا اليما.

- اذن ماذا تريد يا ايمن؟

- خذنى الى مستشفى رابعة الميدانى ان اصابتنى غير خطرة ولسوف اشفى
هناك، حمل أسامة ايمن على كتفه ولاذ به فارا تحت سماء سوداء من الدخان الذى





حال بين وصول ضوء الشمس الى الأرض والوانا حمراء تلوح في الأفق مع سواد وكأنه الجحيم نفسه وسحبا كثيفة من الحجارة التي لا تعرف من تصيب ورصاصا اعمى واطرش يخترق الصدور والعقول والقلوب والسيقان ودماء على الاسفلت وكأنه يوم النحر ولكن رائحة دم البشر لا يقوى على اشتهاها الا من اعتاد عليها فهينفاذة قوية، واكسجين قليل في الهواء ومصابين يملؤن الأماكن وجثث على الأرض، توعك أسامة وايمن في سيرهما في ست جثث على الأقل بعضها له ملامح وبعضها لا ملامح له بعضها انتهى تماما والآخر ينظر الى الموت اكثر من نظرتة الى الحياة، منهم من قضي نحبه ومنهم من ينتظر، ورحل الرجال ولم يدركهما الموت ولم يدركا غايتها في رجوع الرجل الى القصر.



-٢-

تطايرت احداث المنصة او مذبحه المنصة الى العالم وصارت حديث اليوم وكل يوم وصارت حديث كل بيت اسمتها امي حادث المنصة وسماها بعض الزملاء مذبحه المنصة واسماها جميل ومناع بغى واخوان الإرهاب وهكذا اسمها الاعلام، وتجاذب الجميع اطراف الحديث الذى لم ينتهى الى اى نتيجة سوى الخلاف والشقاق والتراشق بالأفاز النابية.

دخلت امي على غرفتى ورأتنى صامتا ثابت العينين كمن دخل في غيبوبة او من فارق الحياة مستلقيا على سريري وعيناي في سقف الغرفة وتنزل منها الدموع دون اى حركة للأطراف او حتى رموش العينين





- ابترتنى قائلة: مابك يا ولدى؟

- اجبت دون ان احرك اى جزء من جسدى غير لسانى: لا داعى ان يموت الناس يا امى، لا داعى لذلك

- يا ولدى هؤلاء ليسوا أناسا عاديين مثلنا هؤلاء ارهابيون قتلة ولا خير فيهم ابدا

- هؤلاء خصوم سياسة وليسوا أعداء وطن

- لا يا فلذة كبدى، هم أعداء وطن لانهم لا يعرفون معنى كلمة وطن ولا يعترفون به ابدا

- ليسوا جميعا كذلك، فيهم المعتدل والمتطرف والإرهابى والرجل الطيب أيضا

- لا طيبة تنبت في مناخ إرهابى تكفيرى، يريدون ازعاج الدولة ولكنها لن تزعج ويريدون اغتيالها ولكنها لن تموت

- انا أيضا اريدها الا تموت واريدهم أيضا الا يموتوا يحزننى ان يقتل احدا الآخر

- لا مناص من ذلك، انها حرب من اجل وطن، ثم اخبرنى بربك، هذا الجندى الشريف الذى يرتدى زى شرطة او جيش ويجلس مدافعا عن حصن متين من حصون الدولة الابية العظيمة فهو كمن يحمى حدود الوطن فى وجه الغزاة، ماذا يفعل حينما يهاجم بالطوب والحجارة والمولوتوف وأيضا بالسلاح





النارى، ايقف متفرجا ام يدافع عن وطنه أولا ونفسه ثانيا، اعلم يا ولدى ان قيادة بلادنا الرشيدة لا تعطى ابدا اى أوامر بضرب النيران الا في الحروب وما حدث انما هو ردة فعل من أناس يحمون الوطن، هذا ان كان الجنود هم من قتلوا أولئك الأربعين حقا ولكن اجزم انهم من قتلوا انفسهم لكى يكتسبوا تعاطف العالم وتعاطف الحمقى من امثالك

- ما هذا الذي تقولين؟ حينما كنا في محمد محمود اطلقت الشرطة النار علينا وقتلتم أيضا أننا من اطلقناه على انفسنا او ان بلطجية ومندسون هم من اطلقوا النيران، وها هو الكلام يعاد

- اووه نسيت ان أقول شيئا (ايه الى وداهم هناك) لا تحزن يا ولد انهم لا يستحقون الحزن

- انهم بشر وكان يمكن لى أوانت أن تكون مكانهم

- اطمئن هذا لن يحدث ابدا الجيش يحبنا ولن يقتلنا انما هو من يقتل أعداء الوطن واعداءه فقط

ورحلت امى وأغلقت الباب بعد ان قبلتنى في جبهتى وقالت استرح قليلا وبعد حين تنسي كل شيء تماما

وتتمت (لقد تجردت امى من مشاعر البشر وتجردت من كل شيء نبيل وانا لم اعد افهم نفسي واخشي اننى لن افهمها ابدا)



إنتصف الشهر الكريم وجلست انا وسامى وجميل على مقهى الكرملين





حيث اعتدنا دائما ان نفعل في لياالى رمضان لنلعب الورق والطاولة وندخن النرجيلة ونتسامر في كل أمر ونستمتع بما في الجو من نسيم عليل فمهما كان الجو حارا او باردا في رمضان دائما هناك انتعاشة في الروح والجسد والطقس وبدات الحديث.

- اتدريان كان ينقصنا ايمن و مناع، لتستمر سهرتنا كما كنا نحب
- اخذ سامى نفس من نرجيلته وقال متأثرا: كل منهما يحمل سلاحه ويستعد ان يطعن به الاخر في صدره احدهما يجلس في رابعة والاخر يجلس في غرفة العمليات، ألم اخبركما سابقا ان الثورة وتبعاتها ستجعل الرجل يقتل اخاه يوما ما، اخبرانى بربكما كيف يكون الحال لو قتل مناع ايمن او قتل ايمن مناع؟
- قال جميل وقد نفخ أيضا من نرجيلته وهو يضع ساقا على ساق ويتنحنح قليلا ويترك النسكافية الذى امسكه بيده اليسرى: مناع ان مات فهو شهيد وان مات ايمن او عاش فهو على خطأ دون شك.

- فتدخلت معترضا: هل تعنى ان ايمن ارهابى؟
- انا اعرف ايمن مثل ما تعرفه يا حمدى ولكنه مغسول الدماغ أحرق باع نفسه للشيطان وكل شيء في العالم لا بد ان يكون له ثمن
- اوه يا إلهي وهل يكون الثمن موته او سجنه الى الابد
- كل انسان يتحمل تبعات قراره
- هل هذا يعنى انه لو جائك متهما وأجريت معه تحقيقا أنك ستعتبره مذنبا؟





- انا اتخذ قرارى بناء على ما لدى من الأوراق وشهادة الشهود ومحاضر النيابة ولا احكم بعلمى ولا احكم بما فى النوايا ابدا هذا هو العمل الصواب وهذا هو القانون

- ولكنك تعلم ان ايمن ليس قاتلا

- لا يهم ما اعلم، المهم الدلائل

- حتى ولو حدثت نفسك ان الدلائل غير حقيقية ومصطنعة

- هذا شأن المباحث وليس شأن النيابة

- هذه ثغرة كبرى، تعنى ان تزوير الأوراق يمكن ان يحدد مصائر الناس

- تدخل سامي: مناع قاتل وايمن أيضا قاتل، لم يكونا كذلك ولكن لونتها

الحياة بلون الدم وصبغت قلوبها باللون الأسود

- انتفض جميل غاضبا: انت يا سامي تساوى بين من يدافع عن وطنه وبين

من يدافع عن رئيس معزول بإرادة شعب حرة

- لا يا عزيزى انا لا اساوى بينهما فى ذلك، بل اساوى بينهما فى شيء آخر

- سألتها وما هو: الاثنان لا يدافعان عن وطن ولا يهمهما امر الوطن فى قليل

او فى كثير انما هو صراع على السلطة، مناع يرى انه احق بالسلطة ويدافع عن هذا

الحق الذى اكتسبه بزيه العسكرى وان غير العسكرى لا يصلح لامر الحكم ابدا،

اما ايمن فقد اعتقد ان الصندوق اكسبه حكم البلاد الى الابد وجعله سيدا عليها،

كل منهما يموت من اجل ثروته وحكمه ليس من اجل تراب الوطن كما تعتقد





وكل منهما يدلس ويزور الحقائق لمصلحته الخاصة لأجل ذلك كل منهما اثم قاتل.

- انا لا اوافقك ابدا يا سامى، فانا اعتقد ان الجيش والشرطة يدافعان عن عقيدة وايمن أيضا يدافع عن عقيدة، عقيدة الجيش الوطن وعقيدة ايمن الدين، المصيبة الكبرى انه لا صراع بين الدين والوطن ولكن التطرف والغلو في الدين والوطنية كفيل بإشعال الحروب، واضفت سائلا جميل، هل تعتقد ان بلادنا على شفا حفرة حرب أهلية.

- فأجاب جميل: لا اعتقد، لأن الجيش سيتدخل بقوة وينهى حالة الإقتسام سريعا، ولا تنسى ان الاخوان مجرد جماعة وليسوا شعبا، فلا داعى للحديث عن حرب أهلية او غيره

- وقال سامى: انا أيضا لا اعتقد ان حربا أهلية ستندلع في بلادنا ولكن ليس لأسباب جميل وانما لأسباب جغرافية، يعنى وحدة وادى النيل أدت الى عدم وجود قبليات وطائفيات وادت الى التقارب في المعيشة والتناسل والتكاثر والتواصل قرب بين الجميع وأسباب دينية أيضا فالمسلمين والمسيحيين في بلادنا لا يكرهون بعضهم ولا نزاع كبير بينهما وما يحدث بينهما من مناوشات في كل حين واخر انها هو امر عادى، ولا طوائف لدينا فتنقسم وجيشنا ليس سنيا ولا شيعيا ولا اسلاميا ولا مسيحيا، واضف الى ذلك يا عزيزى ان الجيش هو من يحكم البلاد من عشرات السنين وهو لن يسمح ابدا بوجود قوة أخرى منافسة له، وانه على يقين أنه سيبيد اى منافس له قبل ان يحبوا او يسير خطواته الأولى.

- تمتمت أتمنى النصر لكل من يحب مصر.





- وسألنى جميل سؤالاً مباشراً وهو ينظر الى بطرف عينيه، انا ومناع مع الدولة وايمن مع الجماعة وسامى مع نفسه وانت يا حمدى لا موقف واضح لك، اخشى انك تخبيء شيئاً ما داخلك فانت أحياناً مع الدولة وأحياناً ضدها وتدافع عن الشيء ونقيضه في وقت واحد فمن انت يا حمدى انا لا افهمك؟

- كان سؤال جميل صعباً جداً لانه سؤال حقيقي فأنا كثيراً لا اعرف نفسي وكثيراً لا اعرف غيرى وأحياناً اعرف ما اريد وأحياناً او كثيراً لا اعرف ما اريد ولا اعرف ما اريد هل اريده حقاً ام لا، وسكت وانا افكر في هذه الأشياء حتى كرر جميل سؤاله مرة أخرى بشيء من الخبث والمكر، وتحت الحاحه قررت ان اجيب ولكنى أيضاً لا اعرف هل ما قلت إجابة حقيقية ام لا، فقلت: انا لست مع الدم أيا كان صاحبه فقتل الاخوان عندى كقتل الشرطة والجيش وقتل من لا انتماء له ولم أشارك في ثورة يناير الا للدفاع عن الدم ولم أشارك أيضاً في ثورة يونيو الا أيضاً من اجل حرمة الدم وانا حزين الان أيضاً لاننى اخشى ان دماً آخر في طريقه ان يراق اكاد اشتمه الان وابصره من بعيد واخشى ان تأكلنا الدماء جميعاً فأنا مع الدولة حين لا تتعسف في استخدام القوة والبطش وإذا استخدمته فسوف اعترض وامتنع حتى تقوم نفسها وتعترف بخطأها وتحاسب القاتلين جميعاً بالعدل لافرق بين مدنى او عسكرى، اما من يقفون ضد الدولة فأنا لست معهم ولست مع استباحة دمهم ابدا فلهم مالنا وعليهم ما علينا

- فأجاب جميل: الدبلوماسية لا تنفع وقت الحروب، ولا صوت يعلو فوق صوت المعركة، ولا بد ان تكون معنا او تكن ضدنا





- انا لست مع أحد ضد أحد واذا لم يعجبني إرهاب الاخوان فلن يعجبني أيضا إرهاب الدولة ولن اصفق لجندى حينما يقتل مدنى ابدا ولن اهتف لمدنى يقتل جنديا ابدا

- ضحك ساميو قال: انت احمق يا حمدى لانك تعيش في اليوتوبيا وما تريده لن يحصل ابدا، سينتصر الجيش في معركته والرئيس القادم دون شك هو الجنرال

- قال جميل: وبلادنا تحتاج رجلا قويا مثل الجنرال

- قلت ولكنه قال ان الجيش لن يعمل في السياسة

- قال جميل وسامى في نفس الوقت: الضرورات تبيح المحظورات، ولن يحكمنا رجل ضعيف مرة أخرى.

- ثم سأل سامي: هل تعتقد يا جميل ان الدولة ستفرض الاعتصامات هذه قريبا؟

- طبعا دون شك ولكن يلزمهم أولا إذن من النائب العام لكى يكون هناك غطاء قانونى للفض، ثم التفت الى قائلا: كيف ترى وانت رجل ذو باع طويل في السياسة عملية الفض يا حمدى، يعنى كيف يجب ان تفض الدولة الاعتصام؟

- اتممممممممممممممممم، لابد من عدم استخدام العنف او القوة المفرطة، اعتقد اننا نقوم بعمل حصار للطعام والشراب ونفتش المداخل والمخارج فستقل اعدادهم تدريجيا سيسرحون أولادهم ونسائهم وننذرهم ونعلمهم بالخروج الامن من الاعتصام وان من يخرج لن تتم ملاحقته ابدا الا اذا كان على ذمة قضايا أخرى، وتدعوا القيادة السياسية في البلاد الى عمل حوار مع الاخوان لكى





يندمجوا في الحياة السياسية مجددا

- ضحك كل من جميل وسامى حتى بدت نواجزهما: الدولة فعلت وتفعل ذلك كل يوم ولكننا نحارب تنظيما دوليا وبه ارهابيون واعمال عنف وحرب تدور رحاها في سيناء واعمال عنف متفرقة في شتى انحاء البلاد، ورفض للمفاوضات والحوار والمطالبة بعودة الرئيس، هؤلاء ينشدون المستحيل، فإذا اخبرتك ان كل خططك فشلت مسبقا ماذا تفعل الدولة حيال ذلك الإعتصام الدموى؟

- ليس دمويا يا جميل انما هو اعتصام عادى، واذا فشلت كل الخطط سابقة الذكر، فيفضونه بالقوة مثل الغاز المسيل للدموع والعصى والمهاووات واستخدام السلاح ضد من يستخدم السلاح وليس بشكل عشوائى او ليس ضد من يرفض الخروج فيمكن ان نحمله على الخروج حتى ولو حملناه بايدينا ودفعناه خارجا.

- انت قصير النظر يا رجل، هؤلاء ارهابيون ولن تجدى معهم غير القوة المفرطة فالقوة لا بد ان تقابلها القوة ولو اننا فعلنا كما تقول وحملناهم على الخروج فانهم سيدعون لإعتصام في مكان اخر او يعتصمون في نفس المكان مجددا، لا بد ان يكون الفض رسالة لكل من ينوى ان يعتصم مجددا او ينوى الاعتراض على هيبة الدولة، وسيكون يوما عظيما لإنتصار دولتنا وبداية حقيقية لنهضتها ورفعتها ونهاية للخريف والزوابع العربية التي جرتنا الى وحل الاعتصامات والاضرابات.

- هذا يؤكد ان دماء أخرى ستسيل كما توقعت يا جميل.

- انا اعتقد ذلك ولكنى لا اتمناه.





كان التلفاز يزيغ المسلسلات التي يكتظ بها كل رمضان ولكنه قد قطع المسلسلات واذا ان معركة كبرى تدور رحاها في منطقة المنصة وعند نصب الجندي المجهول التذكاري ودماء هناك ومولوتوف وحجارة وقنابل غاز، واذا ان القنوات الإخبارية الحكومية والفضائية ان عناصر من الاخوان تحرشوا بمواطنين هناك وارادوا توسيع رقعة اعتصامهم فقابلهم الاهالى والامن بالتصدى فقطعوا الطريق والقوا الحجارة على الامن واطلقوا رصاصا حيا تجاه الشرطة والجيش فما كان من الجيش الا ان تعامل معهم بحسم وبقوة وردهم الى أماكنهم الأولى وتم جرح عدد كبير من رجال الشرطة واستشهاد بعضهم وتصفية عدد قليل من الإرهابيين المعتصمين في شارة رابعة العدوية.

ما ان سمع البيان وتلته صور حية من المنصة حتى قال جميل: ألم اخبرك يا حمدى أنه تنظيم دولى وانهم ارهابيون ولا يستحقون سوى التعامل بقوة وبحسم. لم اجب عليه وطلبت من الرجل ان يدير التلفاز الى شبكة الـcnn وشبكة أخرى عربية شهيرة، واذا ان قنوات أخرى انباء مختلفة تفيد ان الامن هو من بدا اطلاق النار وان ما يقرب من الستين شخصا لقوا مصرعهم في ظل اعتداءات الجيش والشرطة عليهم.

- سألت جميل وسامى عن رأيهما فقالا هذه قنوات صاحبة غرض ومرض وأهدافها معروفة، لم تقتل قواتنا هذا العدد وان الاخوان يمثلون انهم قتلوا او انهم قاموا بقتل انفسهم او بعضهم لكى يزوروا الحقائق.

- لم اجب ولم يستمر فى الحديث اكثر، ونظرنا جميعا الى شاشات الاخبار





التي تناقلت الحدث كل على هواه ووفقا لما يحلو له، وشعرت بالخوف على ايمن الذى كنت اعتبره نموذجا للرجل المخلص كما كان هناك سبب اخر لحبى له وهوانه الرجل الوحيد الذى استفاد من الثورة، لقد اخبرتكى سابقا انه رجل غليظ كرشه ممتليء وعقله فارغ ومشاعره تسبق أفكاره وانه كان يشعل السيجارة من السيجارة ولا يفقه كثيرا مما يقول، كان هذا منذ سنوات، لكنه الان صار رشيقا رياضي الجسم متيقظ الذهن عميق التفكير وطيب القلب ولا يشعل سجائر مطلقا ولا تراه الامتسما بشوشا في وجه الناس دائما ولا يقابل السيئة بالسيئة وانما بالحسنة واكثر، كنت أتمنى ان أكون مثله لكننى خسرت نفسي تدريجيا وخسرت ايمن وخسرت امل وخسرت العالم كله ربما خسرت لاننى لست واضح مع نفسي فيما اريد او ربما لاننى اريد أشياء لا اسعى اليها واسعى لاشياء أخرى، اننى خائف وقلق على امل أيضا فانا ادركت فور ان ابتعدت عيني كم احبها وكم اعشقها واننى لم اعد ارغب في شيء بصدق الا في رغبتى بها واننى على اتم الاستعداد ان اموت فداء لها، ولكن اين هي الان انها في رابعة العدوية اخشي ان يكون الموت قد اقتنصها منى واودعها غياهب الأرض واخشي ان تموت امل وهى غير راضية عني، بل اخشي ان تموت امل وابقى انا في هذا العالم وحيدا دون امل فلن اطيق الحياة وسأقتل نفسي ساعتها وامزق جثتى بيدي، وقمت ذاهبا الى بيتها ووقفت اسفل شرفتها والقيت وردة بيضاء وأخرى بنفسجية اللون وبعثت رسالة الى هاتفها (احبك) ولكننى لم اتلق جوابا، وانتظرت اسفل بيتها حتى الصباح ولكن الصباح اتى دون شمس امل التي غابت عني ورحلت الى مكان اخر.





الله اكبر

صلاة الجنازة اربع تكبيرات على من حضر من اموات المسلمين، ونحسبهم
شهداء باذن الله

وقف الخلق وتراصوا في رابعة العدوية لتادية صلاة الجنازة على شهداء وقتلى
حادث المنصة ورفعوا أيديهم لتكبيرة الإحرام ووقف ايمن الى جوار أسامة،
وذرفت العيون بالبكاء وتعالى النحيب وتعالى أصوات الدعاء على من ظلم
وبغى وقتل الشهداء، وانتهت الصلاة وتحجر ايمن في مكانه كما الصنم، وظل
يبكى لأنه كاد ان يموت ولأنه لم يمت كان مهرولا مدافعا عن الميدان ممسكا
عصى في يده ولا يملك غيرها واتجه صوب المنصة للدفاع عن زملائه او حمل
الجرحى او تضميد جراهم ما استطاع، وتطايرات الرصاصات من حوله يمينا
ويسارا حتى لم يكديري او يسمع غير الأضواء الحارقة والاصوات الزاعقة التي
تخاف الموت او الأصوات التي أصابها الموت حقا وهى في نزعتها الأخير، وكان
يقف الى جواره رجلا طيبا كثيف اللحية ويرتدى جلبابا ابيض وكان يقول لى دائما
لن اغير ثيابى الأبيض ولسوف اكفن فيه حينما اموت شهيدا اليوم او غدا،
اخترقت رصاصة مرت بجوار اذنى اليسرى راس الرجل في منتصف جبهته
فسقط من فوره على الأرض واستقرات عيناه ناظرتان الى الفراغ وسالت الدماء
من رأسه كصخرت تفجرت منها ينابيع المياه او الأنهار، واخذ الرجل يحرك لسانه
بما لا اعرف وبما لا يعرف ونبض لا يزال في عروقه وشرابين راسه، وانفاسه





تتصارع ثم تتباطيء ثم تتسارع ثم تخفت وتخفت والنبض يضعف والعمر ينتهى
وانا جالس لا حول لى ولا قوة اراقب فراق الرجل للحياة والناس تصرخ من
حولى في كل مكان وبكل صوت، اسعاف اسعاف

واسامة عبثا محاولا تهدئتي ولكن بكائي يستمر ولا يتوقف ابدا وتغيرت
ملامحنا وتهتك ثيابنا وصارت عديمة اللون او الشكل وصارت بشرتنا شاحبة
من قلة الطعام وزرقاء من احتباس الدم وسوداء من الرعب والخوف، وبرك
الدماء في كل بقعة على الأرض ورحت انا واسامة نللم متعلقات الجرحى
والقتلى ونللم الشارات المكتوب عليها الله اكبر والله الحمد من كل شبر على
الأرض ودعونا على من ظلمنا ومن قتلنا وايقننا ان هلاكنا قادم وقادم لا محالة فلا
مناص من مواجهة الموت على هذه الأرض التي اتى اليها للمرة الأولى في حياتى
ودون شك ستكون هي المرة الأخيرة.



-٣-

لم تكن من عادتي ان ابيت في الاعتصام وكان اخى أسامة يوصلنى بنفسه
يوميا الى المكان الذى اركب منه عائدة الى البيت، ولكنى اليوم اشعر بالتعب واثار
البرد ولا اقوى على النهوض او القيام الى البيت كما اننى لست قادرة على الهاتف
او القيام بالاعمال الثورية المجيدة فأقنعت اخى بالمبيت هنا في الاعتصام ليوم او
يومين وحتى اقوى على الرحيل او المشاركة الفاعلة في الاعتصام وتعاهدتني
سعاد بالرعاية ويكأننى طفلة صغيرة وهددتني واقامتني على ذراعيها وسألتنى





وهى تجلس الى جوارى سؤالاً: عجيب امرك يا امل؟

-وفيم العجب يا سعاد

- انت فتاة ليست متدينة بالقدر الذى يجعلكى تنضمين الى حركة إسلامية وهى في اسؤ ظروفها كما ترين وطائر الموت يخلق فوق رؤوس أعضائها وربما ينتهى امر حزبنا وجماعتنا قريباً، والفتيات في مثل سنك لا يحببن الخاسرين وانما يحببن الابطال الذين يحملون سلاحهم ويشهرونه في وجه اعدائهم ويملن ويجنحن الى الحرية حتى وان كانت حرية زائفة وغير حقيقية، كل بنات جيلك او اغلبهن هتفن للجنرال، لانهن يعتقدن انه الفارس العظيم، فلماذا لم تهتفى معهن، واخترتى رجلاً ضعيفاً يلفظ أنفاسه الأخيرة؟

- اتممممممممممم، ان قصتى اعقد واطول من اى قصة قد تسمعيها عن فتاة في مثل سننى، ربما كنت سأحب الرجل لو اننى طلبت الفارس المغوار او اننى كنت انشد الأمان في هذه الحياة، ولكن الفوارس قد ماتوا وانتهو وحتى خيولهم أصبحت عرجاء غير قادرة على الحركة وانا زهدت في الأمان وزهدت في الحياة جميعاً وأريد ان أقوم بعمل يجعل لحياتى معنى عظيم، وموت عظيم

- هذا يعنى انك لست صاحبة قضية يا امل؟

- كلا بل انا صاحبة اكبر قضية في هذا الميدان، ليس كل الموجددين هنا أعضاء جماعة او حزب وليس كل رجل فيهم وامرأة يفقهون في السياسة بل اغلبهم لا يفقه في امر السياسة قليل او كثير وانما جاءوا بعواطفهم ومشاعرهم النبيلة وافكارهم المجردة التي لم يدنسها العالم البغيض المليء بالكذب





والاستغلال والكرهية، حتى عندما كنا في يناير لم يكن يفقه اغلب الناس في السياسة شيئاً او ربما اغلبهم بل خرجوا لاحلامهم وانفسهم وانا هنا لاستكمل الثورة واستكمل ما بدأت يا سعاد ولينتهى كما ينتهى، ستشرق شمس اليوم السابع والأربعين قريباً وانا في انتظارها وانتظار الشمس التي تليها ربما حتى الى نهاية العمر.

ربت سعاد على كتفى وتمنت لى السلامة ودعت لى بالهداية والرشاد، لم اكن قد نمت في ليلتى هذه من اثار البرد فكم هو مؤلم ان تصاب بالبرد في فصل الصيف وفي شهر أغسطس وفي منتصفه وتحديدًا يوم الرابع عشر من أغسطس وهو يوم الأربعاء، كان لهذا اليوم معزة خاصة في قلبى من كل أسبوع فقد رأيت حمدى اول مرة يوم الأربعاء وصرح لى بحبه يوم الأربعاء وتواعدنا على الزواج يوم الأربعاء أيضا فما اجمل يوم الأربعاء حتى ولو انتهى حمدى الى الابد وانتهى الاوفياء من العالم فسيبقى الحب معنى عظيم يأبى أن ينتهى، اشعر اليوم بالفرج، او اننى سأموت وامسك بهاتفى الاندرويد وافتح صفحتى على الفيس واكتب فيها اشم رائحة الجنة الان او اننى في الجنة، وداعا يا وطنى العزيز، واغلق هاتفى وارمى جسدى على وسادة ممددة على حصيرة صغيرة في خيمة تشبه اكواخ العصور القديمة واتسائل هل نهايتى تكون اليوم، الناس هنا تتحدث عن فض وشيك او هجوم وشيك على الميدان والجميع خائف ولكن لا احد ينوى الرحيل وكأنهم فدائيين أتوا دون ارواحهم وتركوا الحياة بزخرفها ومتاعها واتوا للموت على الحشائش والاسفلت، فأى تضحية هذه وأى فداء هذا الذى انا عليه الان بل واى عقل واى منطق يدفعنى للموت على ارض كهذه.





يصلى الجميع الفجر ويدعوا الإمام ويبتهل لكى ينصر الله المعتصمين على
الظالمين وان يعيد الرئيس الى الحكم، ويدعون بنصر مؤزر رغم علمهم ان النصر
هذا بعيد المنال او أنه درب من الخيال، ويكسى أسامة وايمن في دعاء الاماء
ويرفعان اكفهما الى الله العلى القدير ان يقبلهما شهداء او يعيدهما الى الواقع سعداء
واحس ايمن ان أنفاسه تتصارع وضربات قلبه تتباطيء وكأن الساعات أصبحت
معدوده فقد علم عن نية وشيكة لفض الاعتصام وان الساعات او الدقائق او
الثوانى أصبحت قليلة وربما تصيبه قذيفة الان او ربما صاروخ اور بما يقع اسيرا في
قبضة الامن ويحجز خلف قضبان حديدة ولا يبصر نور الحياة ابدا ولا يرى وجه
اهله ابدا او أصحابه ولكنه لا ينوى الرحيل حتى ولو كان سيرحل الى دار اخرة او
يرحل الى المجهول وتسائل هل يمكن ان نكون على غير هدى، هل يمكن ان
نكون إرهابيين او نكون قتلة او مأجورين او أعداء للوطن، كلا لايمكن
فهذهالوجوه الطيبة لايمكن ابدا ان تحمل سلاحا او تطلق النار، نعم هناك وجوه
عابسة ووجوه لا ترى فيها الخير هنا ووجوه تعتقد ان اصحابها يتربصون بك أينما
رحلت او حللت ولكن هذه الوجوه لن تحول بينى وبين ما اعتقد ربما يكونون
مدسوسين على هذا المحفل الكريم، ولكن ترى ان قامت المعركة هل سأدافع عن
نفسي وبم سأدافع عن نفسي فانا لا املك سلاحا ولو ملكت سلاحا فانا لا جيد
اطلاق الرصاص ولن أوجه رصاصة او طعنة الى رجل مصري حتى ولو كان
غاشما هكذا كنت وهكذا سأكون، ساحمل الحجارة والعصى واكون مثل أطفال





الحجارة الذين يدافعون عن الاقصي الكريم فلا فرق بيننا وبينهم او احمل سكيننا لاخيف بها رجل تقدم الى ليزهق روحى ويزهق حياتى حتى يتولى عنى ويرحل ولكنى اعلم انه لن يرحل ولن يرتجع فأهلا بالموت متى جاء واينما جاء، وتنتهى الصلاة ويسلم كل رجل على من جواره ربما ليودعه او ليواسيه في فقيد عزيز سيفقده اليوم او غدا ويلتفت الى أسامة ويقول له وهو حزين ولكنه جاد في مقالته: اراك في الجنة يا أسامة مع الصديقين والشهداء والصالحين وارك دائما على خير حال.

- فيجيب أسامة بنفس التأثير سنلتقي على خير في كل مكان ولن يكون هذا الاعتصام اخرنا بل سيكون اولنا دون شك.

- يتسم أسامة ليغالب خوفه وجزعه ويقول اليوم حار جدا وكنت اريد ان اموت في الشتاء

- لاحد يعرف ياخى متى سيموت

- هل تعتقد يا أسامة انهم يقتلوننا

- لا اعتقد فهم مشريون مثلنا ربما يقبضون علينا وربما يفرقون جمعنا بالغاز او

الرصاص المطاطى لكنى اعرف انهم أيضا مصريون مثلنا ولن يبيدونا عن اخرنا.

- ولكن هل تثق في قيادة الجماعة؟

- في الواقع لا اهتم بهم على الاطلاق ولكنى لا اثق بهم الى حد بعيد فلولا

عدم قدرتهم على الحكم لما وصلت الأمور الى مانحن عليه الان.

- اذا كنت لا تثق بهم فلم ترهن حياتك بوجودك معهم في خندق واحد وهو





خندق الموت.

- لم احضر هنا من اجلهم، انما حضرت من اجل ما اعتقد انه الصواب والصواب المطلق.

- هذا يعنى أنك مستعد للموت

- كلا يا ايمن، انا مستعد للشهادة

- هل انت مطمئن على اختك يا رجل

- فأجاب في ثقة وطمأنينة (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا)

- هل تملك سلاحا، يا أسامة؟

- نعم املك سلاحا وسأستخدمه فقط للدفاع عن نفسي

- فتح ايمن فمه وقال: اولىس الاعتصام سلميا

- نعم دون شك ولكن للضرورة احكام ولا يجب ان يموت الرجل سدى

ولكن قبل ان يموت عليه ان يقدم لنفسه ويسقط ماشاء من الغربان السود.

توجس ايمن خيفة ولكنه كان يعرف ان أسامة طيب القلب وانه ليس

إرهابيا وليس سفاحا وامسك كل منهما بيد صاحبه وتعاهدا على الحياة او الموت

فداء الشرعية والعدل

وضج الميدان بعد الصلاة بالهتاف من المنصة ومن كل بقعة في الميدان خاصتا

بعد تيقنهم ان الموت قد صار أقرب إليهم من مواضع اقدمهم وهتفوا

وهتفوا وتعالأ أصواتهم





- بالروح بالدم نفديك يا اسلام
 - بالروح بالدم نفديك يا شهيد
 - بالروح بالدم نفديك يا رئيس
 - بالروح بالدم نفديك يا مصر
 - سلمية سلمية سلمية
 - إسلامية إسلامية
 - الله اكبر والله الحمد
 - تسقط تسقط إسرائيل
 - يسقط يسقط حكم العسكر
 - ثوار احرار هنكمل المشوار
 - احنا الشعب الخط الأحمر
 - خير خير يا يهود جيش محمد سوف يعود
- هتفوا بذلك وهتفوا بالمزيد وتعالى الأصوات وقل الخوف ولكنه لم يرحل
ابدا لم يرحل.



مناع يلبس لباسه الأسود وهو اللبس الخاص بالعمليات في قوات الشرطة
المصرية ويستعد هو وزملائه لاداء صلاة الفجر وقد صدرت اليهم التعليمات بعد
اخذ موافقة النائب العام ومجلس الوزراء بفض هذا الاعتصام وارجاع هيبة





الدولة وصلو الفجر ودعا الامام على الخوارج والظالمين وبث فيهم الحماس واخبرهم انهم يقاتلون اعداء الله واعداء الوطن والدولة وانهم خوارج لا قيمة لهم ولا يصح بقائهم بيننا وانه هجوم لله وللوطن وللبشرية جمعاء وان شعب بلادنا العظيم قد فوضهم لتطهير بلادهم من الأشرار الإرهابيين الذين يتاجرون بالبشرية والدين والدولة ووعدهم الامام بالجنة ان استشدوا وبالدين ان انتصروا واخبرهم ان استخدام السلاح هو شرف عظيم من اجل الوطن وانهم يحقنون بدماء قليلة دماء اكبر وهم يمنعون الاهل والعباد من حرب أهلية ربما لن تبقى أحدا على الأرض، وهتف فيهم القائد تحيا مصر تحيا مصر، سنموت من اجل بلادنا ونحررها ونجعل من اجسادنا الطاهرة جسورا لدولة قوية ودمائنا شرابا ذكيا لارضنا العظيمة الالية، فتقدموا يا رجال الدولة تقدموا واعملوا القانون والرفق بمن يموت او يقع اسيرا واستخدموا سلاحكم في الضرورات القصوى فقط، استمع جميل الى الخطبة من الشيخ والقائد واشتعلت في نفسه حماسة الحرب ولكنه تسائل أيضا ماذنب من يموت من المعتصمين الأبرياء ومن رجال الشرطة الشرفاء، لاذنب، اللعنه لا اريد ان اصوب سلاحى لصدر رجل مصري او امرأة مصرية لا تجد ما تدافع به عن نفسها سوى الحجر، ولكنه استدرك، كلاهم ارهابيون خوارج وحرهم واجب، لا لا هم أبرياء ضحايا قادتهم هم من غسل عقولهم بالزيف والكذب ولا يستحقون الموت، ولكن ان لم اقتلهم سيقومون بقتلى هم فلسوف ادافع عن نفسي ولن اسمح لاحد ان يقتلنى اليوم فانا اريد ان أعيش من اجل نفسي وبيتى واسرتى ومن اجل





اولادى الصغار ومن اجل وطنى الكبير، وقبل سلاحه وقال اعلم انك لن
تخذلنى اليوم ابدا يارفيق جهادى وحياتى واخرج من جيبه صورتا لابنائيه
واحتضنها وقبلها بقوة وكأنه يقبلها لآخر مرة وشعر بالخوف ربما للمرة الأولى في
حياته وخشى ان تكون المرة الأخيرة، وامسك بيد أصدقائه وشد عليها وتعاهدوا
على الموت فداء الوطن او الحياة فداء البلاد، وقال لم اشهد حربا ضد إسرائيل
سابقا ولكنى سأشهد اليوم حربا ضد أعداء الإنسانية ساحرص على الموت كما
سأحرص على الحياة وليكن ما يكون.



استيقظت من نومى وقد كنت نوبتجيا ليلة الامس ولم استطع ان اخلد للنوم
اكثر من سويقات قليلة، وطاردتنى الكوابيس واستيقظت على خبر مفزع ومخيف
وهو خبر الفض للإعتصام خفت كما لو كنت من المعتصمين او كما كنت من
رجال الشرطة او خفت لأننى رجل من اهل البلاد لا يريد الموت لاحد لامن
هؤلاء ولا أولئك، علمت ان المستشفى في حالة طوارئ وكلها مهيئة ومستعدة
لاستقبال الحدث الأبرز في الثورة وربما في تاريخنا الحديث وتهدوت واشعلت
سيجارة وانا انفخ فيها وأقول: اليوم هو يوم عيد كبير او يوم جنازة كبرى، أنا
اريد فض الاعتصام ولكن بلا دماء، ولكن كيف بلا دماء والاخوان يحملون
السلاح والشرطة تحمل السلاح وستكون معركة كبرى اليوم دون شك، ترى لمن
الغلبة؟ ولمن الملك اليوم؟ انا اريد الدولة والرخاء والاستقرار ولكنى سأحزن
على مقتل الجميع، اوه ياألهى ايمن هناك وامل ربما تكون هناك واخوها أسامة





هناك، ومناع أيضا قد يكون هناك، على من يجب ان أخاف، وعلى من يجب ان احزن كلهم واحد كلهم واحد، اللعنة على من كان السبب ولكن هل هو ثورة ينأير ام الاخوان ام الجيش والشرطة؟ اخشي ان اللعنة سوف تحل عليهم جميع ولون معركة كبرى او مذبحة تقع هناك الان فإن اللون الأحمر سيطغى على كل الألوان وستتشح البلاد بالسواد، ماهذا التوتر اننى اقتطع الغرفة واجوبها ذهابا وإيابا واشعر اننى اريد الذهاب الى الحمام واذهب اليه واعدود منه كما دخلت اليه وافتح التلفاز فأرى القنوات المحلية تهتف للفض والقنوات العالمية وبعض العربية تتهم الحكومة بإرتكاب مذبحة كبرى، من على صواب ومن على خطأ، لن اهدأ حتى يستبين الحق من الباطل واعرف مايجرى بدقة، قمت الى الحاسوب ورايت حساب امل على الفيس بوك وقرأت ما كتبت ورأيت تعليق الناس عليه وانها هناك وانها تشتم رائحة الموت وتذكر موقعها من الجنة، اللعنة اللعنة، فليذهب الوطن الى الجحيم وليذهب العالم الى الجحيم ولكن لاتذهب امل الى الموت وانا على قيد الحياة انا احبك يا امل وسوف ابرهن لكى على حبى اليوم، سأموت بدلا عنكى او أعيش معكى الى الابد في سلام وظلال وارفة لن يمنعنى عنك شيء حتى ولو كان الموت، ولكن هل اقوى على الذهاب؟ لقد شهدت مشاهد كثيرة منذ ينأير ولكن اليوم ليس كأي يوم، هل اموت؟ انا احب الحياة.

هل اقتل الاخوان؟ انا لا احب القتل

هل اقتل الشرطة؟ انا لا اقتل الشرطة ولم اقتلهم قبل اليوم قط

وكيف سأذهب الى هناك فالدخول الى هناك مستحيل وانا لا اعرف المداخل





والمخارج ولم اذهب الى هناك قبل اليوم ابدا، حسنا لا بأس سوف اركب سيارة إسعاف وادخل بها الى الاعتصام واخبرهم اننى طيب وانا معى ما يثبت وسوف أقوم بارتداء زى العمليات المميز الذى يبرهن أننى طيب وسأنقذ ايمن وامل ومناع أيضا وكل من عرفت وكل من لم اعرف فلا يهمنى من على صواب ومن على خطأ المهم ان انقذ من أحببت ومن حييت عمرا لاجله ومن يسعدنى ان اموت لاجله، كم كنت أريد ان أعيش طويلا ولكن لا بأس ان انتهى اجلى اليوم فداء الامل فما أجمل الموت فداء للحب وتمت (ياولدى قد مات شهيدا من مات فداء للمحبيب يا ولدى) وارتدت ملابسي وهممت بالانصراف الى الدار الاخرة.

-٤-

مكبرات الصوت ترتفع في كل مكان حول الميدان وتخبر المعتصمين بأن قرارا من مجلس الوزراء صدر بالفض وان القوات مصممة على ذلك ولن ترحل حتى ينتهى كل شيء وان القوات قد وفرت ممرا آمنا لخروج المعتصمين وتعددهم بعدم التعقب او الملاحقة الا من كان مطلوبا على ذمة قضايا أخرى وان هذا التجمع غير قانونى وانه غير سلمى وانه ارهابى وان فضه بات واجبا وطنيا، ونادت المكبرات واستمر النداء قرابة نصف الساعة ثم خفت الصوت وانتهى سمعت امل الصوت وخارت قواها اكثر وقد كانت تريد ان تأخذ أسامة من يده وترحل به ولكنها لم تستطع وقبلتها سعاد على جبينها وهمت واقفة لتنصرف وقالت اليوم هو يوم الشهادة وداعا يا امل، وبكت امل بكاء حارا هو بكاء من يواجه الموت،





واستمع ايمن واسامة الى الصوت ودبت فيهما روح حماس لم يعهداها من قبل وهتف أسامة الى ايمن، اليوم تستمر الثورة او تنتهى الى الابد، إن ينتهى هذا الميدان فلا ثورة ولا ميدان بعده ولو بعد مئات السنين، ولم يشعر ايمن بالخوف فقد انتهى وقت الخوف وبدا وقت النهاية وقال لاسامة خذ اختك وانصرف او اجعلها تنصرف عبر الممر الامن، فقال أسامة اختي في الداخل ولن يصلوا اليها ابدا فأجاب ايمن: لن يتركوا منا أحدا، وتقدمت جرافات الشرطة معها قوات الرجال المسلحة واستقبلها المعتصمون بالحجارة من كل ميدان حتى بدأ اطلاق الغاز من قبل قوات الشرطة منكل جوانب الاعتصام، وتحت دخان الغاز الكثيف سادت الفوضى وقلت الرؤيا كثيرا رغم ان الشمس قد اشرقت توا ولكن لتغرب من جديد، تقدم مناع مع القوات وعينه في الفضاء تبصر كال شيء حولها وتقدم ايمن واسامة الى الامام لكي يحثوا النساء والعاجزين والأطفال على الخروج من الممر الامن الذى فتحت الشرطة ولكن تحت دخان الغاز الكثيف انعدمت الرؤيا تماما ولم يعد المرء يعرف اى طريق يؤدي الى النجاة وايها يؤدي الى التهلكة ولم يبصر ايمن واسامة الممر فاندفعوا بشكل عشوائي الى المقدمة والتقت عين ايمن بصديقه القديم مناع والتقيا وكأنهما يريان بعضهما لأول مرة فقد تبدل الحب الى رغبة في الانتقام ورغبة في الفوز ولا شهوة في العالم تعدل شهوة الفوز ولا غريزة تعادل غريزة البقاء، والتقت عيناهما وثبتت كل عين في جبهة صاحبه ورفع كل رجل منهما علم مصر في وجه الاخر بل رفع أيضا مصحفا شريفا كان معه في جيبه واشاح كل منهما في وجه الاخر بعلامة نصر في وجهه وهتف مناع تحيا مصر





وهتف ايمن بالروح بالدم نفديك يا مصر وفي ظل التقاء عينيها رأي ايمن
رصاصه قادمة في اتجاه الاعتصام وسمع صوتها ورأى ضوئها، واسقطت
الرصاصه رجلا يقف في المقدمة وانفجرت راسه إلى أشلاء وملئت خلايا مخه
المكان، ورأى مناع رصاصه أيضا تنطلق من الميدان من ناحية المعتصمين اصاب
رجل شرطة في ذراعه فسقط منه سلاحه وحمله رفاقة الى الإسعاف الذى أحاط
بالمكان من كل جانب، لم يكن ايمن يعلم من اطلق الرصاص أولا ولا حتى مناع
ولكنها الحرب التي بدأت بين طرفين غير متكافئين على اى وجه وعلى كل حال،
وصمم مناع ان المعتصمين اطلقوا الرصاص أولا وهم مسلحون فعلا وصمم
ايمن ان الشرطة اطلقت الرصاص أولا كما اعتادت دائما وهتف كل منهما بموت
الاخر وانتهى الغاز وانتهى المكبر وانتهى الطوب والحجارة وانتهى أيضا الهتاف
وانتهى كل شيء وبدا شيء واحد فقط وهو الموت الذى بدأ بالدخول الى الميدان
مع انفجار مخ اول رجل مصري من المعتصمين، ولم يبرح الموت يحصد
الرؤوس والصدور حتى غروب شمس اليوم.



دخل حمدي الميدان بزي الطبيب، في سيارة اسعاف ونزل منها دون ان
يستمع الى نداء المسعف الذى توقف ندائه بعد ان اصابته رصاصه قاتلة في
حنجرته اردته صريعا على الفور، وهم يسبح في كل مكان بحثا عن ثلاثة
اشخاص كل منهم يعتبره حمدي اهم من نفسه وذاته، واستمر بحثه سدى
لساعات لم يرى فيها او يبصر غير الجثث والاشلاء التي لم يكد يميز لونها او





جنسها او سنها فقط يميز الدماء التي اعتاد عليها سابقا ولكن لم يعهدها كما هي اليوم دماء كثيفة كثيرة واشلاء مبعثرة، في كل مكان تدوس قدمه احشاء البشر ويتعثر في أجسادهم واعضاءهم وهو لا يعرف هل يموت قبل ان يجد ضالته او ينقذ حياة حبيبته ومن منهما يموت أولا وهل سيصلى عليها ام تصلى هي عليه، أطفال ونساء وشيوخ يجرون هنا وهناك وطفلا يبكى على وفات امه ورجلا يحمل امرأة مسنة ويهرول بها الى المستشفى وتلفظ أنفاسها الأخيرة على يديه، وامرأة تهتف بكل صوت لديها وتلقى الحجارة في اتجاه القوات سمع المرأة التي الى جوارها تقول لها هونى عليكى يا سعاد وقبل ان يتمعن حمدى في هيئتها جيدا اصابتها طلقة في صدرها واخري في فخذها وثالثة في رقبتها فتحول خمارها البنى الداكن الى اللون الأحمر الداكن وسقطت على الأرض فهرول اليها حمدى ليسعفها بما يشاء وحملها على كتفه تارة وبين ذراعية تارة أخرى الى المستشفى ولفظت أنفاسها الأخيرة بين ذراعيه وسقطت من يدها اليسرى مسبحة كانت لاتفارقها قط ومن يدها اليمنى مصحفا ملطخا بالدماء وقالت (نالت سعاد ماتمت، نالت سعاد ماتمت، انا على صواب، انا على صواب، اشهد الا..... ولم تكمل الشهادة وماتت، هرعت بها الى المستشفى ووضعها هناك فرأيت عددا كبيرا من الجثث وعدد اكبر من الجرحى هنالك ولا يوجد من الأطباء مايكفى ولا يوجد من المستلزمات مايكفى أيضا فقررت البقاء في المستشفى حتى أقوم بواجبى ونسيت ماجئت من اجله والعدد يزداد والدماء تخضب الأرض وكأنه مذبح كبير والبكاء في كل مكان والصراخ والعيول وكاميرات للتسجيل والتوثيق





في كل مكان ورائحة الموتى توشك ان تظهر لقلة الاكسجين وزيادة الاعداد والاكفان قليلة والموتى اكثر من الاحياء، نسيت ان اسأل نفسي ككل مرة لم يحدث كل ذلك، وخشيت ان اموت مثلهم ولا يعرف حقيقتى احد وادفن ولا يسمع بى احد، وكثير من الموتى لا اهل لهم ولا بطاقات لكى نسترشد عن أهلهم او حقيقة هويتهم، بقيت اكثر من ثلاث ساعات في هذا المكان افعل ما يمكن ان افعل وابكى لمن يموت ولما لم استطع ان افعل، نظرت الى النافذة حتى لا اختنق ولكن الغاز كان كثيفا في الخارج، والاكسجين قليل في الداخل ولا اعرف كيف اتنفس، ولكننى غالبت نفسي واندفعت الى النافذة فرأيت امل تجرى وهى مجهدة ولا تعرف اين تذهب ولا هى تهتف ولا تحمل في يدها سلاح أو متاع، رفعت صوتى مناديا عليها لكن لا صوت يسمع فالموت اخرس كل صوت لوحث لها بيدى، ولكن لاشيء يرى الا الموت، هرولت نازلا اليها وانا اتخبط في الأطفال والشيوخ والعجائز حتى خرجت من المستشفى ورحت خلفها ولكنها اختفت وسط الضباب ووسط كومة هائلة من البشر، ولمحت خلفى قوات الشرطة تتقدم فخفت منهم وقررت الفرار ولكنى سمعت صوت مناع وهو ينادى على وقد اقترب منى كثيرا

- حمدى حمدى

- فالتفتت فلوح لى بيديه وأشار إلى بالأمان ونظرت امامى وحولى فلم اجد امل، فلوححت اليه فاشار إلى ان اقترب

- تقدمت اليه وتقدم لى، وقال: لعلك لست من الإرهابيين يا رجل





- قلت نعم انا لست منهم ولكنى طيب اؤدى واجبى

- فقال واجبك معنا هناك بعض من الجرحى خلفنا اذهب وداوى جراحهم
فهم أولى بالمداواة من القتلة

- فقلت لا بأس كلهم مصريون، ورحت أعالج المرضى من الشرطة
فوجدت إصاباتهم أيضا بالغة ولكنها لا تؤدى الى الموت وقمت بواجبى على
اكمل وجه وسمعتهم يهمسون وهم ينظرون إلى ملابسي الملوخة بالدماء التي
لا تكاد تميز لونها وهم يقولون هذا الاحمق من الأعداء فالننتقم منه لكن صوتا اخر
يقول انه طيب يعالجنا فلا تكونوا حمقى وصوت ثالث انه قريب الرائد مناع فلا
تصيبوه بسؤ فيفتك القائد بنا

بقيت على حالى اعالج جرحى الشرطة الساعة او الساعتين حتى سمعت
أحدهم يصرخ من بعيد قائلا: القائد مناع أصيب القائد مناع أصيب، فارتبكت
وتوترت وتصيب عرقا وهرولت الى الصوت لاجد مجموعة من القوات تحمل
مناع وهو مصاب بطلق نارى في الصدر اعلى القلب ولونه بدا يأخذ في الشحوب،
فحملته معهم الى عربة الإسعاف وكان به نبض ونفس ولكنه بطيء والدم يخرج
من جسده كالماء مع الشلال فأيقنت أن رفيق طفولتى بدأ يفارق الحياة ولا أمل في
بقاءه وشفاءه وهممت بعمل اللازم له قبل ان نتقل الى المستشفى واخذ ينظر الى
وانا ابكى ووجه يشحب اكثر فاكثر وعيناه تضربان في الفضاء ويقول: انا يا حمدى
لست سفاحا، انما اؤدى واجبى تجاه وطنى ودولتى وقتلنى السفاحون
والارهابيون، لم ار من قتلنى ولكنى سأقتص منه يوم القيامة وتسائل اجبنى يا





حمدى هل انا شهيد هل انا شهيد؟

غالبت دموعى واجبته نعم ان شاء الله

وبكل ماتبقى له من قوة اخرج صورة أبنائه واحتضنها ولم يكذب يقبلها حتى
فارقت روحه الحياة وانتهى مناع الذى كان رفيقى في فصل واحد زهاء اثنا عشر
عاما، بكيته بشدة وخرجت من عربة الإسعاف واخبرت الرجل ان كل شيء قد
انتهى واننى سأذهب الى علاج جرحى آخرين.

صدمة عارمة اصابتنى بالذهول، مات رجل الشرطة النبيل ولا بد ألا يموت
نبلاء اخرون من أى جانب، وقفت في وسط الميدان وصرخت بشكل هيسيرى
كالمجانين: كفايه كفايه كفايه حرام عليك

لم يلتفت لى احد ولم يعلم بوجودى احد، فسقطت ارضا وبكيت ولم يعلم
أيضا بسقوطى احد اخذت حجرا الى الأرض والقيته على الشرطة وصرخت كفى
أيها المجرمون ولم تلتفت لى الشرطة مطلقا وامسكت حجرا اخر والقيته على
المعتصمين وصرخت كفى أيها الارهابيون ولم يلتفت لى أيضا احد، واستمرت
المعركة واستمرت.

لم اشعر بجوع او عطش او خوف واصابنى الصمت كتمثال من حجر وضع
في متحف من الاف السنين، حتى رأيت امل مرة أخرى وهرعت اليها وتقدمت
منها جدا وهى تسير كمن يسير وهو نائم امسكتها من ذراعيها وصرخت في
وجهها ولكنها لم تنظر الى واخذت ارجها واهزها، امل امل انا حمدى انا حمدى
حبيبك.

أبعدت ذراعى بقوة ولم تنظر الى ومضت الى طريق لا تعرفه وسرت خلفها





مجددا فنظرت الى بطرف عينها وقالت: ارجع يا حمدى هذا ليس مكانك وهذا ليس يومك

- ناشدتها وترجيتها ان تأتى معى ولكنها رفضت وقلت لها لقد جئت اليوم من اجلك

- وانا هنا لست من اجلك وانا لست لك ولن أكون لك ابدا
- لقد جئت من اجل نفسك، لكي تعالج قوات الشرطة وتحصل على النياشين

- كلا حبيبتي لقد جئت من اجلك انت وحدك
- ارحلى معى ونكن سويا الى الابد
- الابد يا حمدى ينتهي اليوم
- كلا العمر امامنا طويل
- عمرك انتهى بالنسبة لى
- ولكنك لن تنتهي ابدا من حياتى
- إذا كنت تريد ان تصنع لى معروفا، فالتبحث لى عن أسامة فانا افتقده منذ الصباح وانا لا اعلم اين هو

- سنبحث عنه سويا ونرحل جميعا في سلام
- سأجده وأرحل معه أو اموت معه، وارحل أنت مع الشرطة كما جئت.
وولت امل في طريقها ولكنى بقيت خلفها ولم اذهب يمينا او يسارا وانما





كنت ظلا لها، حتى رايت ايمن واسامه يختبئان حول ساتر رملى كنت اراه في أفلام حرب أكتوبر القديمة فقط ويعتمران بالخوذة ولم يريانى ولكنى رايتها وخفت ان اخبر امل بذلك فتذهب اليهما فيصيبها الموت، ذهبت لهما وسلمت عليهما فاستقبلا سلامى ببرود هائل واخبرانى أيضا ان هذا ليس مكانى، وانصرفا عني حتى اذا نهض ايمن واقفا وأشار باصبعه السبابة في وجهى وقال: انت خائن لله والوطن والثورة وابتعد عن طريق..... لم يكذ يكمل جملته حتى اصابته رصاصة في ذراعه الذى أشار به نحوى فنهضت من فورى لأسعفه ولكنه احتضننى بقوة حتى لا يصيبنى اى رصاص واخرقت رصاصة أخرى عموده الفقرى وثالثة اصابت جمجمته من الخلف وسقط فوقى وكانت عينه في عيني تماما وقال كلمة واحدة: انا شهيد يا حمدى.

فبكيت حيث لم اكن املك غير البكاء، وأغلقت عينيه وقلت نعم شهيد شهيد يا ايمن، وذكرت اول مرة رأيت فيها ايمن حيث كان الأولاد في المدرسة يضربوننى لضعف جسدى وجبنى ويأخذون منى حقيبتى فيأتى ايمن بجسده الممتلىء ليخيف الأولاد ويعيد الى حقيبتى ويربت على كتفى، وذكرت يوم ان صارحته بحبى ورفض العالم هذا الحب ولكنه وقف الى جوارى ولم يمنعنى وانما شجعنى على هذا الحب وذكرت كم نصحنى الى خير وكم حضنى الى بر وها هو الان يموت على جسدى لكى يصنع حاجزا بينى وبين الموت ويموت هو بدلا عني، وحملته على قدمى وبكيت كما بكى أبو محمد الدرة ولده واخذت ابكى وابكى واسامة ينظر الى ويبكى هو أيضا ويربت على كتفى، حملت ايمن على كتفى والنيران حولى والحرائق اخذت في الاشتعال في خيام المعتصمين وامل تحدثنى





ولا اجيب واسامة يحدثنى ولا اجيب والناس تهتف في وجهى لكى ابتعد عن مرمى النيران ولكنى أيضا لا اجيب، حتى وصلت الى المستشفى وكفنت ايمن ييدى وصليت عليه ووضعته أيضا على قدمى وهو في كفنه الأبيض واسندت راسي الى الحائط وانا استمع الى القذائف ولا اتحرك ولا أقوم، حتى استجمعت قواى و اردت ان ارحل فلا مكان لى في الاعتصام ولا مكان لى خارجه ولا مكان لى في هذا العالم واما ان ارحل الى البيت انتظر الموت حتى يأتى الى او انزل واقفا عند المنصة انتظر رصاصة رحمة من رجل لا اعرفه، وتنتهى حياتى كما انتهت حيات احبائي و ذكرت قول ابى العتاهية (الى الله اشكو لا الى الناس اننى. ارى المال يفنى والاخلاء تذهب) ولكنى استبدلت كلمة المال بكلمة الوطن، ووقفت في الميدان واغمضت عيني حتى لا تريان الرجل الذى سيقتلنى وحتى لا اهرب من الموت وظللت هكذا حيننا ولكن الموت أصاب من حولى ولكنه اخطأنى فلم يكن موعدى قد حان أو ساعتى قد اقتربت، وما أن فتحت عيني حتى أرى أسامة ممدد الى جوارى جثة هامدة وامل جاثية فوق اخيها وتضرب وجهها بكفيها وتبكي بلا دموع وتصرخ بلا صوت حملت اخيها وكفنته كما كفنت ايمن وصلينا عليه، وسقطت امل مغشية عليها من الاختناق بالغاز ومن الحزن على فراق اخيها التي احبته ربما اكثر من نفسها، وحملتها الى المستشفى كما حملت اخيها أيضا، وركبت مع امل الإسعاف وانا اضع على وجهها الأكسجين ورحت معها الى المستشفى وخرجت من الميدان مع غروب شمس هذا اليوم الذى ربما لم اعش غيره وليتنى ماعشته ابدا والنيران والحرائق والجثث المتفحمة سواد في سواد





وقرص الشمس يغرب وكأنه يسقط من السماء واخذت انظر الى المسجد وهو
 نيران مستعرة وكأن الجحيم هناك والأراضي خربة والأشلاء والخيام او ما تبقى
 من حطامها في كل مكان والأرض مقفرة من البشر فليس فيها الا مايدل على ان
 معركة أخرى من معارك الحرب العالمية الثانية قد اندلعت اوانها الحرب العالمية
 الثالثة دارت رحاها في هذا المكان ولم اصدق اننى حييت بعد كل هؤلاء الذين
 ماتوا وحملتهم على ذراعى فقد حملت حسين أولا وحملت مناع وحملت ايمن ثم
 أسامة وخلق كثير لم اعرفهم وكنت اراهم لأول مرة واسمع انفاسهم لأول مرة
 واسمعها وهى تخرج الى اخر مرة ودماء خالطت جلدى وملابسي ودمائي لم
 اعرف أصحابها ولم اراهم احياء ابدأ رأيتهم يموتون رايت الموت مائة مرة دون ان
 اجر به قط استنشقت الغاز كثيرا ولكن صدرى لم يظل قادرا على الاستنشاق،
 هرعت الى الموت وتسابقت اليه ولكنه وقف بعيدا عنى وتساءلت متى اموت
 والحق باصحابى وتذكرت قول حسين منذ ثلاث سنوات او اكثر وهو يقول لى
 جادا واثقا ذات يوم (هذا الوطن يستحق العمل من اجله) ها قد مت يا حسين
 وقد مات خلق كثير على اثرك واخشي ان الثورة نفسها قد ماتت ودفنت في كل
 ميدان ودفنت حتى داخل النفوس ولم تعد ذكراها الا ذكرى خيبة وحسرة وندم
 ودماء، اذا لم اكن مت في احداثها فأنا من سيصطفى لظاها ونيرانها أنا من ستأكلنى
 الثورة فيما بعد او انا من سيتحول جلادا يجلد نفسه وغيره بسياط الهزيمة او أكون
 شبحا ينقض على نفسه وعلى الناس فياكلهم دون ادنى حس او شعور.

حملت امل الى المستشفى وبقيت معها حتى اتى بعض أهلها والبعض الآخر
 ذهب لكى يستلم جثمان اخاها أسامة من المستشفى وواسيتهم وعزيتهم





واطمأنت على امل وانصرفت ورحت اعزى اهل مناع في فقيدهم ورحت اعزى
اهل ايمن في فقيدهم ورحت اعزى نفسي في نفسي، ثلاثة أعوام ونصف من
السجال والصراع والصفحات والبراءة والوداعة قد انتهت اليوم ولا أعلم حقيقة
ما بقى من عمر هذه البلاد او عمرى انا فيها.



رحلت الى بيتى فوجدتهم يبكون وكأن جنازة في البيت، ابي يبكى على من
مات في رابعة ويقول: لعن الله الاخوان لقد اهلكوا زهرة شبابهم في الميدان
وفروا هم هاربين الى دول متعددة.

وامى تبكيوتقول: رحم الله رجال الشرطة الذين قضوا نحبتهم في هذا اليوم
العظيم يوم الجهاد الأكبر، واللعنة على من قتلهم من الإرهابيين

واخواتى يبكين لان ابي وامى يبكيان
وانا ابكى على نفسي أولا وعلى دماء المعتصمين الأبرياء التي راحت سدى في
يوم نحر كبير

رحت الى سامى فوجدته يبكى أيضا ويقول: هذه الدولة مجنونة قتلت خيرة
أبنائها من الشباب، لاخير فيها، وهؤلاء الحمقى الذين يموتون من اجل وطن
لاقيمة فيه ولا امل.

الذين ماتوا في يناير حمقى: لإنهلاعيش ولا حرية ولا عدالة اجتماعية
ومن مات في محمد محمود حمقى لإن العسكر سيحكمون سيحكمون وهم
خير من غيرهم





ومن مات في رابعة حمقى أيضا فقد وقفوا امام دولة كاملة ستدهسهم
بجنازير دبابتها واطارات مدرعاتها وخيلها ورجالها
ومن ماتو من رجال الشرطة حمقى أيضا لانه خير لهم الاستمتاع بالنياشين
بدلا من الموت في الميادين
وأشار الى باصبعه أيضا وقال انظر الى ثورتك أيها الابله، جلبت وطنا مهترئا
مليئا بالبقع الحمراء والسوداء ولم تصنع له ثوبا جديدا نضيفا كما كنت تحلم أيها
الساذج بوطن وردى جميل، سنوات وربما عقود حتى يعود الوطن الى سابق عهده
ولكنه ابدا لن يكون عظيما، هذا الوطن لن يكون عظيما يا حمدي ابدا اعلم ذلك
جيذا.

وجاء جميل وهو حزين ويقول الإرهابيين المجرمين قتلوا مناع رفيقى
وصديقى العزيز الذى لم تجد الحياة بمثله ابدا وراحوا يقتحمون الأقسام ويقتلون
الشرطيين الشرفاء في كل مكان وجنود الجيش الأبرار الذين يتساقطون في سينا
من جراء طيش وتطرف فكرى احمق، انا لن ارحم هؤلاء ابدا ما حيت
وسأستخدم القانون بكل ما اوتيت من قوة وحزم لعقاب هؤلاء، وأشار الى
وقال، لما انت صامت هكذا يا حمدي.

- فأجبت اننى لا اقوى على الحديث ولا أريده ولم تعد هناك أى فائدة
ترجى من الحديث فما قد حصل قد حصل ومن مات قد مات، هل تعتقدون أن
حديثى عن ٣٠ يونيو ان كان ثورة او انقلاب سيعيد مناع او حديثى عن رابعة
وشجارنا في تعريف ما حدث على انه مذبحة او احق للدولة سيعيد لنا ايمن او
تعتقدون ان خلافنا عن يناير اذا كان ثورة حقيقية او مؤامرة دولية سيعيد حسين





الى العالم، كم كنت أتمنى لو ان كل ذلك لم يحدث ابدا، انا الان سأعيش لنفسي واموت لنفسي ولن اشغل نفسي بأمر العامة او امر البلاد ابدا وسأوى الى كهف مظلم ابكى فيه ما حييت.

- تأثر جميل وقال: اعلم ان ماشهدته لم يكن هينا، ولكن لابد للوطن من عملية تطهير كبرى كل فترة حتى يسترد وعيه من جديد والقادم افضل والجنرال سيكون رئيسا وسيكون اعظم رئيس جمهورية في التاريخ.

- هز سامي رأسه وقال نعم وسيعبر ببلادنا الى الأمان وهذا مانريده الان ولانريد قلاقل او عثرات او احتجاجات او مظاهرات في المستقبل

- طأطأت راسي: فليوفق الله الجميع.

وغفوت وانا جالس معهم وحلمت بأننى كنت في كابوس وان ايمن يجلس معنا يشرب سيجارته المفضلة ومناع معنا يتحدث عن فريقه المفضل في كرة القدم وان كل مشكلاتنا في شجار جميل حول الأندية وكرة القدم والأفلام والمسلسلات والفاتنات في السينما والمسرح والتلفزيون، ولكنى استيقظت على خبط سامى على كتفى: لقد نمت كثيرا يا حمدى وهذا أوان الرجوع الى البيت ولم اجد ايمن او مناع فتمنيت ان اغفوا مجددا حتى اراهما ولو في احلامى.





ففي مطار القاهرة الدولية

-١-

مرت الأيام بعد ذلك ليلها كنهارها لا أكاد أميزها من بعضها وتقدمت في وظيفتي وحصلت على الماجستير في أمراض النساء والتوليد وتصادقت مع أناس كثيرين وأنهيت علاقتي بأناس كثيرين ولكنى تغيرت وتغيرت كثيرا، ولكن ربما لم اتغير ابدا، حقيقتا لا أعرف، فيمكنك القول اننى عدت كما كنت قبل بداية الثورة، اصبح مزاجى سيئا دائما وصرت عبوس الوجه قليل الابتسام في وجه الناس صرت اتعامل مع الناس وكأننى اتعامل مع الآلات ولا أقيم لاي مشاعر وزن ولا اعترف باى قيم او اخلاق ولا يهمنى مصلحة احد لا وطن لا اب لا ام، كل ما يهمنى في هذه الحياة هو انا وانا فقط حتى ابى وامى اللذين كنت دائم السمر معهما أصبحت قليل الكلام والسمر وأصبحت ملازما للصمت، اتخذت من السجائر والرجيلة صديقين حميمين لى اشعل فى اليوم أربعين او خمسين سيجارة واشرب الرجيلة فى كل مكان اذهب اليه، ولا اتحدث مع اصدقائى حتى فى الأعياد وعزفت عن الحياة العامة وانصرفت الى العمل والعمل فقط ليس من اجل احد الا بناء مجد خاص لى قد يعوضنى عن كل ما فقدت فى هذا العالم البغيض الذى اكرهه بكل ما اوتيت من مشاعر دفينه فى عقلى وقلبى اكرهه وأتمنى زواله بل اكره كل البشر، أراد سامى ان يتواصل معى كثيرا ليخبرنى انه وجد عملا جيدا أخيرا وانه يستعد لزفافه قريبا ولكنى لم اهتم حتى جميل أراد ان يتواصل معى كثيرا وزارنى فى البيت لكنى لم احب ان اتواصل معه ولم ابرقنى ان





اتحدث معه فاخبرتهم ان يخبروه اننى لست في المنزل، صرت اذهب الى كل مكان كان لى ذكرى فيه في الثورة او كان لى ذكرى فيه مع امل والواقع ان أماكن الثورة كانت هي أماكن لقائى بأمل لافرق الا قليلا، وصرت احمل امل في دفاترى في صورى وكتبى واكتب اسمها على الجدران فهى ماتبقى لى من حمدى الذى لم اعد اعرفه، وصورها في حافظتى حتى انى كتبت اسمها على سلسلة ذهبية وعلقتها حول عنقى واقسمت الا انزعها حتى يوم الدين، شربت الخمر كثيرا وقليلا وتعاطيت الأقراص المنشطة تارة والمهدئة تارة أخرى وتعاطيت الحشيش بكميات كبيرة ولكننى لم اكف عن العمل ولم اتوانى عن جمع المال دون النظر الى حالة المرضى المادية المهم المال والمال فقط، ولكننى لم اتوقف عن زيارة بيت امل كلما سنحت لى الفرصة لأقف قريبا من شرفتها والقى وردة بيضاء يوم السبت

وحراء يوم الاحد

ووردية اللون يوم الاثنين

وصفراء يوم الثلاثاء

وبنفسجية يوم الأربعاء

وبنية يوم الخميس

ويوم الجمعة ابعث لها بقصاصة ورق تحوي كلمة احبك

كنت افعل ذلك كل يوم او كلما استطعت او كلما اردت، وكانت امل لا تجيب، لا تجيب بايجاب او سلب وكأنها تتجاهل كل ما ابعث اليها به ويكأننى لست موجودا على الاطلاق، اذكر قولها لى حينما أستوقفقتها وهى تسير في طريقها





منذ اشهر قليلة: انت يا حمدى عدت كما كنت، ولم تحبنى ابدا انما تخشي ان احد
ممتلكاتك ستذهب بعيدا عنك وانت لا تحب ان يحوذ املاكك غيرك حتى اذا
رميتها جانبا ودست عليها بقدميك كأعقاب السجائر، هكذا انت وهكذا ستكون
حتى تخسر كل شيء وينفض الناس والعالم من حولك وتموت وحيدا في ارض
بعيدة لن يسقيك احدهم شربة ماء.

وولت منصرفة، وكم كانت محقة ويبدووا انها كانت تقرأ الغيب وتستشرف
مابه، حملت الورد اليها ذات يوم وجلست اسفل بيتها وقتا طويلا، واستمعت الى
كلام احد الرجال الذين يجلسون الى مقهى قريب من بيتها

- امل بنت عم امين جالها عريس ابن حلال هيسفرها الخليج ويعيشها عيشة
مرتاحة

- امل اخت أسامة الى مات في رابعة العدويه!

- هي بعينها

- ربنا يبارك لها، أحسن العيلة دى مشافتش فرح ابدا ربنا يفرحهم
ويصبرهم على فراق أسامة، شوف يا اخى فانت سنة وكانها لسه امبارح، الله
يرحم الجميع.

استمعت الى كلامهم وكاننى استمع الى رجل يتلوا نعيي في الإذاعة او
يخبرنى نبأ موتى، صعدت الى بيتهم مثل المجانين وكانت الساعة العاشرة مساء
طرقت الباب وبشدة، فاذا أمها رضا على الباب ولم أدرك حقيقتها في البداية فقد
تغيرت كثيرا ولها الحق ان تتغير لم تعرفنى الا بعد دقيقة من النظر والتمعن فقد





ضعف بصرها كثيرا وقل وزنها واحنى الحزن ظهرها وقالت في تعجب، هل انت
الدكتور حمدى؟

- نعم يا حاجة رضا

- خير يابنى، ماذا تريد؟

- خير ان شاء الله، ممكن ادخل

- اتفضل يابنى، امين في البيت، يمكنك الدخول.

- هي امل هنا؟

- لا يابنى، امل بايته عند صديقة لها

- انا يا حاجة رضا من غير مقدمات بحب امل وعلى استعداد انى اتجوزها
دلوقتي حالا.

- ضحكت ضحكة ضعيفة واعتدلت في جلستها وقالت: الانياحمدى، الان
ياحمدى تأتى الينا وانت تقدر قيمة امل وتريد ان تتزوجها وتقترن بها أخيرا بعد
ثلاثة أعوام من الضعف والذل والهوان، بعد أن قمت بخطبتها سرا عن اهلك،
ثم تركتها لأنهم اكتشفوا سترك.

الان ياحمدى وقد عادت اليك باكية تطلب الرضا والحب وتركتها تنبح
كالكلاب في البرية

الان وقد وعدتها أكثر من مرة أنك ستزوجها وأنتك ستطلبها أمام العالم كله
ثم تتركها أيضا





أتذكر وقت ان توفي أسامة وامسكت بيدي وقلت إنك ستزورني قريباً، ثم ها أنت تزورني بعد عام كامل
اسمع يا ولدي لقد دخلت الى بيتنا واکرمناك كما لم نكرم أحداً من قبلك ولا من بعدك وانتهى الامر الى هذا الحد وهذا فراق بيننا وبينك فارحل غير مأسوف عليك

- قاطعتها ولكنى علمت يا خالة ان رجلاً تقدم لخطبة امل، وانا لا اقوى ان أعيش بدونها ولن اتحمل ان تكون لرجل غيرى.
- نعم هناك رجل اخر، وهو ليس طفلاً مثلك
- ومن هو هذا الرجل يا حاجة؟

- رجل من الخليج، تعرفت عليه عن طريق الفيس بوك ولكنه أتى إلينا أكثر من مرة ورأينا أهله وراونا وعلموا كل ظروفنا ومعيشتنا وهم راضون عنا ونحن راضون عنهم، فإرحل لا مكان لك، ثم صمتت ولم تتحدث بأى حرف
لملمت نفسي وحبست دموعى وإنصرفت وأنا خاسر لكل شيء، حتى الحب قد خسرتَه ومات في الثورة، ولكنى لم أياس اذ كان هناك صوت يقول لى دائماً: أن امل تحبنى وستظل تحبنى إلى ابد الدهر وأنها لن تبرح الأرض حتى أعود إليها او تكون من الهالكين.

بعثت اليها برسالة عبر الفيس بوك وقلت فيها:

(امل انا هموت نفسي لو مقابلتيش) وانتظرت الرد حتى جائنى بعد يومين
(انت انانى وعمرك ماتموت نفسك عشانى، موتت نفسك ولا لسه) فأجبت (لسه





مستنى اشوفك واموت على ايديكى) فردت (هقابلك عشان مبقاش ظلمتك يا حمدى، بس ده اللقاء الأخير).

واخترت للقائنا مكانا في مبدان التحرير قريبا جدا من المكان الذي رأيتها تهتف فيه لأول مرة بالعيش والحرية والعدالة الاجتماعية، ووافقت امل على اللقاء بي، على مضض وهي مصممة ان هذا اللقاء هو الأخير ولا لقاء لنا بعده أبدا، تقابلنا وبدأت في الحديث:

- تدرين يا امل رأيتك هنا في أول مرة.
- وأنا أيضا رأيتك هنا في أول مرة
- وأتمنى الا تكون تلك اخر مرة
- كلا سوف تكون الأخيرة رغم انفك ورغم انفى فلم اعد لك ولم تعد لي وذلك ليس من اليوم، إنما ذلك منذ اليوم الذى إعتقدت أننى فتاة ضعيفة قليلة في العقل والقلب ولا تصلح لشيء وقررت أنت ذلك وها أنت تفوز دائما بما تريد، إننى متعجبة من أمرك كثيرا، خططت للقائنا وحبنا ونجحت، وخططت لوداعنا وفراقنا ونجحت، فلم أنت حزين الآن؟
- لإننى أدركت أخيرا كم احبك، واننى لا أقوى على العيش بدونك.
- كلا، بل للإن اللعبة انتهت في وقت لم تحدده انت، هذا ما يضايقك، لكن انا على ثقة أنك واجد لعبة أخرى تسلى بها نفسك ياأيها العاشق
- لم أكن العب وانما كنت أحب
- كلا بل كنت تلعب، فأنت بحثت عنى لكى تلعب، وبحثت عن الثورة





كى تغامر وتغامر، كم انت بائس مسكين، حتى حينما تفوز فأنت حزين.

- وانت يا أمل؟

- وانا ماذا؟

- الست تلعبين؟

- انا لا اجيد ان العب، انا اجيد ان أكون عروسة وتمثالا يلهو ويلعب به
الاخرون.

- اذن انتى لاتحبين الرجل؟

- من قال ذلك هو رجل وانا أحبالرجال، هو يحبنى وانا أحب من يحبنى هو
سيعطينى الأمان وانا ابحت عن الأمان.

- قاطعتها، ولكنك تعرضتى لحادث اليم.

- أتدرى أن الرجل يعرف كل شيء، ولقد صارحته بكل ما حدث لى فى
حياتى ولقد صدقنى ولم يشر الى كمتهمه ويقول انتى لست شريفة، انا اخبرته
بكل شيء يا حمدى الا انت، اتدرى لماذا؟

- ربما لانك لم تحبيننى.

- كلا، لاننى اعتبرك لم تحدث لى ابدًا فى حياتى فقد كنت كابوسا مزعجا، او
حلما جميلا، وسواء اكنت حلما او كابوسا فلقد استيقظت منك الان ولا انوى أن
احلم بك مجددا، كنت اعلم انك ستتركنى يوما ما، لانك فعلا خير منى على كل
حال وستدرك الفرق بيننا يوما ثم تتركنى صريعة البكاء والعشق والنوى، يحسن





بك ان تركتني قبل ان يربطني بك أولاد، لاننى ساعتها ماكنت تاركة اياك ولو الى الابد.

- كل هذا يا امل تكتمينه في صدرك

- لقد كنت احمل كل حب العالم لك، وصرت احمل لك البغض ولكنى لا أحب ان أعيش على البغض ابدا لذلك وافقت على لقاءك اليوم حتى أنتهى منك وتصبح بالنسبة لى ذكرى وذكرى فقط واعلم يا حمدى انى ذاكرة لك الى الابد ولم اكن لانسك يوما ولكن لا حاضر لنا سويا ولا مستقبل

- هذا يعنى الوداع يا امل.

- جفف دموعك يارجل فقد كنت قويا دائما
ثم وقفت وقالت وداعا ورحلت ولم تنظر الى الخلف ابدا.



-٢-

أدركت ان النهاية قد كتبت وان الستار سينسدل الان على هذه الرواية وان النهاية قد كتبت ولكنى لم أكن اريد ان اعترف بهذا وأصبحت في حالة انكار مستدامة لنهاية هذا الحب فاستجمعت قواى ورغبت ان اكتب لها شيئا تتذكرنى به طويلا وتضيفه الى الأشياء التي كتبتها لها سابقا فبعثت لها هذه الرسالة عبر الفيس بوك وانا اعلم انها ستكون الرسالة الأخيرة دون شك.....كنت أحب ان اكتبها باللغة الفصحى ولكنى ارتجلتها فكانت من قلبى بايسر أسلوب





مبتدخليش الفيس كثير

انا عارف

يعنى ممكن تقري الرسالة دى بعد شهر

او شهرين

او اكر

او اقل مش عارف

بس عشمي إنك لما تدخل الفيس وتيجى الرسالة دى قدامك

تمرى عليها بسرعه ومتعطلكيش كثير

تبسمى وانتى شايفها

ابتسامة سخرية

او ابتسامة رضا انها بقت جزء من الماضى

او ممكن تبسمى إنك مبسوطة انى بعثلك حاجة

هتقريها وانتى بتدمعى

بتبكى على ثلاث سنين ضاعوا من حياتك هدر

بتبكى على حب ضيعه واحد ميستاهلش

تبكى على الزمن اللى خلى الحب يقابله الانانية والغدر

مش عارف هتبكى من الكلام





ولا هتبكى على نفسك

ولا على حبك

ولا يمكن تبكي عليا عشان انا وحشتك

ولا يمكن تبكي عليا انى صعبان عليكى انى اتحرمت منك

ولا هتبكى على الحب

دلوقتي انا بقيت ورقة صفرا في دفتر الزمن

بقيت حيوان زى احمد ويمكن اكر

وبقيت بخيل زى ياسر ويمكن اكر

بقيت لعبى زى عدنان ويمكن اكر

بقيت ضعيف الشخصية زى حسين ويمكن اكر

سألتك مره زمان بتحبينى اكر ولا عدنان

عينيكى لمعت وقولتلى: انت محدش بيتقارن بيك

مفيش حد زيك

مكنش في حد زيب في الحب

وبرضه مفيش حد زيب في الألم والغدر

انتى ساهمتهم كلهم

بس مش هتسامحينى





لان كل واحد فيهم كان فيه حاجه بس وحشه
لكن انا فيا كل العبر
انا مش هلومك ابدا
لما حد يسألك عليا وتقولى كان او طى واحد عرفته
كان كلب من كلاب السكك
او انسان من غير قلب
من غير ضمير
من غير روح
من غير عزم
من غير إرادة
فعلا طلع انسان بارد
مب يعرفش يحب
بيعرف بس يضيع وقته ووقتى
متزعلش يا أمل على حد ما يستهلش
بس حكى عقلك المرة الجاية
حكى عقلك قبل قلبك
يمكن ده يسعدك ان شاء الله





انا مش هبعت حاجه تانى خالص

واحتمال اقفل الفيس

وهغير تليفونى عشان اساعدك على النسيان ومزودش همك

بس تاكدى انى هبقى حواليكى

عشان اتنفس هوا عدى عليكى واتنفستيه

وامشي على ارض خطت عليها رجلك

وابص لمكان بصت عليه عيونك

والمس حاجة لمستها اديكى

يمكن كمان اعدى تحت بيتك بالليل

او اعدى على مكان اشتغلتي فيه

ولو رحت شغلى مش هيقالى اى ذكرى غير معاكى هنسي ذكرياتى مع

زمايلي

والعيانين

والدكاترة

وكل ميدان من ميادين الثورة

واللى مات على ايدى واللى عاش

وكل هتاف هتفناه سوا





وكل هتاف مهتفنا هوش
 وكل حلم عشناه
 وكل حلم معشنا هوش
 هفتكر رنة تليفونك
 والمكان الى كلمتك فيه
 واللى مكلمتكيش فيه برضه
 كل مكان عشت فيه واشتغلت فيه
 كان معاكى
 وايدى في ايدك وحضنى في حضنك
 هروح الأماكن دى وافتكرك
 وادعيلك بالسعادة
 مع حبيبك الجديد
 والهنا في بيتك الجديد
 وزى ما بدات حياتى معاك بالشعر
 عاوز انيه برضه بقصيدة شعر
 لقيت نفسي بكتبها وانا نايم على نفسي امبارح
 معلىش هي رخمة شوية بس حبيت اقولهالك





تضميها لاختوتها في الكشكول

وتدفنيهم

وتنسيهم مع الزمن

الزمن بينسي فرح وحزن يا ما

صحيح في اغنية لتامر حسنى

اسمها كمل لوحدك

واغنية لام كلثوم اسمها فات المعاد

انا باعتبارهم اهداء منك ليا يعبروا عن كلام كثير

جواكى انتى مش عارفة تقوليه

او مش عاوزه تقوليه

عشان انتى زى مانتى كنتى بتقولى مبعرفش أقول

اسمحيلى اقولك اخر قصيدة

قبلة منى لكى

مع الرياح المرسلة

والطيور المهاجرة

والأيام والسنين

قبلة أكبر من الجبال





وأعمق من البحار
قبلة في الليل وقبلة في النهار
قبلة لجبهتك
قبلة لو جنتك
قبلة لقدميك
قبلة لقلبك
قبلة منى منذ ان ولدت وحتى اموت
تخبرك أنك كنت عندى ولا زلت عندى
أغلي من الحياة
واصدق من الموت
قبلة للماضي
قبلة للحاضر
قبلة من للغد
قبلة حتى قبلها لمن أحببت من بعدى
قبلة تطوى الزمان والمكان
لتهون عليكى هجرى وبعدى
قبلة حببتي لم يقبلها لك





أحد قبلى ولا أحد بعدى

قبلة اب وقبلة ابن وقبلة اخ وقبلة صديق

وقبلة حبيب

مزق جسده الحب

قبلة تتذكرينى بها

إذا اردتى

او تنسينى إذا اردتى

قبلة غريق

في النار

وحريق في النهر

قبلة من لن تريه ابدا

الى يوم الدين

قبلة شيطان الى

أجمل الملائكة

قبلة طفل الى امه

قبلة من نسي طعم القبل

وبقي له مرارة الندم





وداعا

....

يا اعز حبيب

الى اللقاء



وانتظرت الرد فجائنى بعد ثلاثة أيام وقالت بشكل مقتضب
(دايما بيأثر فيا كلامك يا حمدى، بس المرادى هعتهره كلام وبس ومش هياثر
في خالص، الى اللقاء يا من كنت حبيبي).

ولم اتلق من امل شيئاً اخر ابدا وانتهى كل شيء الى الابد



-٣-

اجلس امام المرأة كما اعتدت ان اجلس امامها كثيرا في سنوات عمرى
لاشتكى لها ما فعله بى الزمان والبشر او ربما اشتكيها هي واحملها تبعات كل ما
مر بى في سنوات عمرى السابقة وما لا اعرفه من سنوات عمرى القادمة واتسائل
في رعب شديد، هل القادم افضل؟ ام هو مسلسل مستمر من الحرمان الذى
يدفعنى الى حرمان وفقد اخر وكأن حياتى كتب عليها الا تكون سعيدة ابدا وان
اطارد السراب تلو السراب وان ادخل القصور والمتزهات فتستحيل فور دخولى





اليها اطلالا وخراب، لكن اتدرون لماذا اجلس اليوم امام المرأة واى مرأة هذه تلك التي أرى نفسي فيها اليوم، انه يوم عرسى، نعم يوم عرسى واجلس الى المرأة لتصف لي احداهن شعري وتعمل على تزييني في اجمل واسعد يوم تنتظره الفتاة في حياتها، سأزف اليوم الى صلاح وهو الرجل الخليجى الذى دخل الى حياتى بعد يوم رابعة المشؤم يوم ان فقدت اخى وفقدت حمدى ولم اعد اشعر بخفقان قلب لحمدى هذا ابداء، تحررت من عبوديته ومن أسره وحطمت تمثاله الشمعى الذى نصبه في قلبى وعقلى، لم اكن اعتقد أننى سأحب رجلا غيره ابداء أو أن قلبى سيعرف الحب بعده او ان هذا العالم به رجال مثل حمدى في دفئه وحبه وحنانه وعنفه وقوته وتناقضه الرهيب لم أكن أعتقد أن رجلا آخر يمكنه ان يلمس يدي فضلا ان يداعب قلبى، كانت ليالى كلها لحمدى وكذلك نهارى وسكوتى له وحديثى له وفكرى كله لحمدى لقد انتزع حمدى عقلى ووضع عقله بدلا منه حتى انهم كانوا يطلقون على في العمل حمدى او حمدى الصغيرة، وها قد مر عام كامل على اخر لقاء جمعنى به او رسالة تلقيتها منه، ولقد ابدلنى الله برجلا خير منه يعرف قدر الحب والعشق ويفى بعهدده ويحبنى ربها اكثر من حبى له ولا يعتبر نفسه خيرا منى في شيء ولا يحبنى في الظلام ويتركنى في العلن، إنه الى جوارى في كل وقت رغم أنى لا أراه في كل وقت فهو في بلاد بعيدة عنى ولكنه استطاع أن يطوى الزمان والمكان ليبقى في قلبى دائما، استطاع أن ينسينى كل هؤلاء الرجال الذين عرفتهم في حياتى واستطاع ان يجعل عينى تريان حمدى في حجمه الطبيعى فهو مجرد مستهتر أحرق لا يقدر قيمة الحب ولا الوفاء بالعهد، اوووووه ياإلهى كم





احبك أن قد عوضاتنى خيرا وادخرت لى كل هذا الخير، كنت ادعوك دائما في سجودى وركوعى وكانت تبتهل اليك دموعى ان تجعل حمدى رفيقى في الحياة، لكنك كنت اعظم واكرم ورزقتنى بمن هو افضل من حمدى رزقتنى بمن يصوننى ويعفنى، بهذا الرجل الذى لا ينام الا بعد نومى ولا يقوم الا بعد قيامى ويشعر بنبضات قلبى رغم الاف الاميال التى تفصل بيننا، رزقتنى الرجل الذى كنت انتظره منذ الاف السنين قبل بدء الخلق وقبل ان اعرف النبض ربما جاء حمدى الى حياتى لكى اعلم قيمة صلاح هذا الشاب العربى الأصيل الذى جاء من بلاده لكى يحملنى على جناحه وأرحل معه بعيدا عن هذا البلد الذى انتهى كل شيء لى فيه وانتهى هو من قلبى كما انتهى حمدى، لقد انتهى حمدى وانتهى وطنى والان سأرحل الى بلاد أخرى وحب آخر ولن احمل معى سوى صورة أخى فى يدى وقلبه فى قلبى وسأحمل ذكريات البؤس والشقاء اللذين تجرعتهما فى وطنى وتجرعتهما بسبب مخلوق بائس تعيس إسمه حمدى لم يحمد نعمة وجودى معه ولم يقدرها يوما وراح يختبئ منى وينكرنى ويتنكر لى امام الجميع، هاأنذا اجلس امام المرأة وقد انتهى السواد من اسفل عيني وصارت بشرتى نضرة حلوة وصار شعرى كثيفا وصارت بسمتى حقيقية ونظرتى صادقة، ولكنى رغم ذلك أريد ان أبكى وانفجر باكية وتسيل دموعى من عيني واخبر كل من يسألنى عن سر دمعاتى، بإبتسامة كاذبة ساذجة أنها دمعات الفرح، كلا إنها ليست دمعات الفرح إنها دمعات الخوف من المجهول الذى ينتظرنى فى بلد لا اعرفه مع رجل احبه ولكنى لم اعرفه الا عن طريق الواتس والفايبر والفيس بوك، لقد أثبت أنه رجل ولكنى أصبحت اخشى كل شيء حتى أننى أخاف من نفسي ومما يمكن أن تفعله





هذه النفس الشقية بى، أتدرون هذه أيضا دمعات الحزن لأننى سأترك وطنى
فلكم أعشق هذا الوطن الذى عشت فيه وأحببت فيه ورأيت الموت فيه والسعادة
والشقاء فيه ودفنت اخى بيدى في ثراه ودفنت حمدي أيضا في دفاتر ذكرياته، إننى
أبكى لإننى كنت أتمنى ان ازف الى حمدي وان يحملنى على ذراعه ويخبرنى عن
حبه واشواقه ويكتب لى شعره الجميل، كنت اريد الحب والوطن ولكن الحب
رفضنى والوطن لفظنى يبدوا ان الحب لم يكن لى وان هذا الوطن ليس وطنى وان
هذه السماء ليست سمائى وان نسيمها لغيرى، ترى كيف حالك يا حمدي
اليوم؟ ماذا تفعل وفيما تفكر ومن تحب؟ انا اعلم أنك انانيا وستبقى كذلك الى
الابد ولن تبحر العالم حتى يملؤ فاك التراب، إننى أحبك يا حمدي من كل
قلبي.....كلا كلا إننى أكرهك من كل قلبي فلولا انت لكنت
انا اسعد ولكان صلاح ملاء بيتى وحياتى بالحب منذ زمن طويل، وسأخبركم
الان كيف تعرفت الى صلاح، إنه شاب من الخليج في منتصف العقد الثانى من
العمر خمرى اللون طويل القامة شعره أسود وعينه سوداوان وشعره ناعم وجميل
ورقيق يجيد الحديث بأكثر من لغة، مثل الهندية والانجليزية والأوردية والتركية
وهو مهندس مدنى يعمل في احدى دول الخليج وله عشرة اشقاء نصفهم من
الذكور والنصف الاخر من الاناث، زارنى طيفه منذ يوم رابعة حينما كنت أنعى
اخى الشهيد في كل مكان على صفحات التواصل، فرأيته يقترب منى في الفضاء
الإلكترونى ثم ظل يقترب ويقترب رويدا وانا كنت احتاج الى ذلك ولقد
اسمعنى كلاما طيب خاطرى وسلب فكرى ووجدانى وأشعرنى أننى لازلت





على قيد الحياة وان امل لم تمت وان الأمل لم يمت، وأن هناك فسحة أخرى للحب وفسحة أخرى للعيش والخروج من هذه البلاد وعدم العودة إليها مرة أخرى ابدا، كان يتحدث إلى كل يوم وطوال اليوم وتحدثنا في كل شيء وعن كل شيء وكان صادقا معي في كل شيء ولم يكذب ابدا ولم يخلف وعدا وعده إياي، شعرت أنه صديق حميم ولكنى كنت احتاج الى الحب، فأحببته لقاء حبه الجارف لى ولم أتمالك نفسي ووجدتني أخبره أنني أحبه دون أن يقول هو ذلك فوجدته سعيدا وفرحا ويكأنه رأى امه التي يبحث عنها بعد زمن طويل، أخبرنى أنه سيحبني وسيطوى الزمان والمكان لكى يكون معي في بيت واحد وتحت ظلال الحب الوارفة، صدقته لأننى كنت أحتاج الى ذلك، كنت احتاج أن انسى حمدى كنت احتاج ان انسى اخى كنت احتاج ان انسى وطنى كنت احتاج الى مخدر او منوم ومن ثم افيق على واقع جديد في عالم جديد وقد إنتهى الماضي وإنتهت ذكرياته، أخبر اهله بشأنى ولكنهم رفضوا كما يرفضنى الأهل دائما وكأنى جرثومة يرفضنى الجميع ولكنه أصر وأصر وإختارنى على الجميع وتحدى العالم كله، فإستجاب له العالم وصار طوع أمره وملك يمينه، وأخبرنى منذ ستة أشهر أنه يعمل على مفاجئة لى، فألحيت عليه في معرفتها ولكنه لم يخبرنى عنها شيئا، وطال الإلحاح وطال الرفض، حتى تلقيت ذات صباح إتصالا من رقم مجهول، فإذا هو صوته وأنفاسه وضربات قلبه، سقط الهاتف من يدى وكدت اسقط انا أيضا مغشية على مما سمعت فإذا به يخبرنى أنه يحبني، وأنه جاء الى مصر من أجلى ولن يرحل حتى يكون معي، ربما كانت هذه اللحظات هي الأجل في حياتى وهى لحظات الفرحة الحقيقية في حياتى، وجاء الى بيتنا وخطبنى، وعقد قرانه على في





نفس اليوم وانتهت كوابيسي وتحولت الى أحلام جميلة، وعشت حبا حقيقيا للمرة الأولى في حياتي وارتميت الى صدره وظللتنى يده الحانية ورتبت على كتفي كفاه الحانيتين، وهاهو يبر بوعده وقسمه ويزفنى اليه اليوم لإسافر معه الى بلاد الخليج وليبدأ فصل جديد في حياتي غير الفصول المظلمة ولأخرج من الكهف الذى قيد حريتى عقدين ونصف من الزمان.

أوه ولكن امى وابى واخي، هل يخرجون من حياتي الى الأبد؟ هذا فقط هو كابوس المرحلة القادمة من حياتي والذى سأعمل جاهدة الا يكدر صفوا فرحتى وغنائي، وحمدى هل انتهى من حياتي الى الأبد؟ لا لا سأحمل دفاتره وأوراقه واشعاره معى أينما رحلت ولكن ليس حبا او عشقا ربما عظة وذكرى، كفا كذبا بل عشقا وهياما، كلا بل عظة، كلا بل حبا وعشقا اووه يا إلهى حتى الآن لا أستطيع أن اقاوم فيروسه المزعج الذى سقط على رأسي ولا يريد ان يخرج منها ابدا. كم اشتاق اليك يا حمدى، وكم اعشقتك، والوجوه حولي تضحك وتبتسم صديقاتى وقريباتى الذين يساعدننى على إتمام زيتتى وارتداء فستانى ويلقون على المديح والثناء ويمسحون دمعائى بإيديهن ومناديلهن المبللة، حتى استمعت الى المذياع وهو يذيع اغنية للعندليب الأسمر

(اى دمة حزن لا لا لا

وقال ايه، جى الزمان يداوينا، من ايه جاي يا زمان تداوينا

ماحنا حيننا، اه حيننا وارتحنا ونسينا، اه ونسينا الجرح بتاع زمان)

إرتسمت الابتسامة على وجهى وقلت نعم أيها العندليب اى دمة حزن لا،





وانا فعلا حببت وارتحت ونسيت الجرح بتاع زمان.

مرت الساعات والدقائق بطيئة حتى رأيت عمرى كله يمر من امامى، حتى انتهت زيتنى وانطلقت الزغاريد وعمت الفرحة وخرجت إلى عريسي الذى كان في إنتظارى ووجدت أما مى باللونة كبيرة على شكل قلب مكتوب عليها احبك يا امل، وجثا صلاح على ركبته وقبل يدى ومن ثم نهض وقبل رأسى واعطانى وردا كثيفا وامسك بىدى ونظر الى وثبت عينيه في عينى وقال لى بهمس، لن نفترق ابدا بعد اليوم يا حبيبة العمر وانهاالت دموع الرجل وانهاالت دموعى ورأيت في عينيه صدقا لم أعهدهما من قبل في حياتى، وانطلق موكب العرس والسيارات خلفنا من كل مكان والطبول والدفوف حتى وصلنا الى الفندق الفخم وسرت يدى في يد صلاح رافعة رأسى منتصبه هامتى للمرة الأولى في حياتى استشعر فخرا مثل هذا الذى اشعر به الان وتمنيت لو ان أسامة موجودا معى ولكنه لم يغب عن ناظرى فكان حولى وامامى وخلفى ويمسك ذيل فستانى وشمعتى ويمسح دمعاتى ويقبل جبينى ويدعوا لى بالسعادة والتوفيق ويجلسنى الى الكوشة ويخبرنى أنه سيكون معى في السراء والضراء وحين البأس، وجلست الى مكان العرس والفرح حولى في كل مكان حتى بدأيتسرب رويدا رويدا الى قلبى المجهد حتى تملك منه وشعرت بالراحة والطمأنينة، ورقصت وفرحت وغنيت الى حبيبى الوحيد نفس الاغنية التي قمت بغنائها لحمدى منذ زمن طويل:

روح ربنا يخليك ليا ويحلى صورتك في عينيا

انا فين هلاقى الحنية الى انت جيت وادتهالى





انا بفهمك من نظرة عين من غير كلام بفهم قصدك

ولكنى لمحت بطرف عيني حمدى وهو يتوسط الحضور رأيتة وعرفته فأنا لا
اخطأ حمدى ابدا وتلاقت عيناي مع عينيه ورأيت في عينيه الندم، ولكنى أشفقت
عليه فقد اضاعنى وها هو يتحمل الألم والأسى، فالقيت نفسي في صدر صلاح
فانا لا اريد ان أرى الا صلاح زوجى وحبى فقط.



كنت أراقب حساب أمل على صفحة التواصل الاجتماعى الفيس بوك ليل
نهار، فكان هذا هو شاغلى الوحيد طوال عام كامل، اذا رايتها سعيدة فرحت وان
رايتها حزينة حزنت، كنت انتظر اليوم الذى تتصل بي فيه ولكنها لم تتصل، كنت
انتظر اليوم الذى تكتب فيه انها فارقت حببها الجديد ولكن ذلك لم يحدث كنت
أريد ان أراها ولكن ذلك أيضا لم يحدث، تميت لو ان تعود الى ولكنى اشفقت
عليها من رجل طائش احمق متقلب المزاج مثلى، وتساءلت مرارا، اينما عشق امل
اكثر، انا ام صلاح؟ ولم اتلق إجابة ابدا وتساءلت أيضا هل امل أحب صلاح كما
أجبتنى او هل كانت تحبنى امل سابقا؟ أيضا لا جواب، ما اصعب تلك الأسئلة
التي تنطلق بلا جواب ولكنها أسئلة حتمية، لماذا رأيت امل؟ ولماذا احببتها؟
ولماذا كنت أخاف منها؟ ولماذا كنت أرى نفسي افضل منها؟ ولماذا ارتبطت
بها؟ ولماذا أيضا فارقتها؟ ولماذا قمنا بالثورة؟ ولماذا مات حسين، وأيمن ومناع
واسامة وكثير من الناس الذين رويت لكم كم نرفوا من دماء وكيف ماتت
ارواحهم، كلها أسئلة بلا إجابة تماما كسؤال لماذا انا ابيض او اسود ولماذا هذه





امى وهذا ابى ولماذا الشمس اكبر من الأرض، قد تكون هناك إجابة ولكنى لم اتوصل اليها وربما ليس من الحكمة ان اتوصل اليها، هل أحببت امل انا حقا؟ انه سؤال صعب فكرت فيه اكثر من الف يوم ولا إجابة على هذا السؤال، ولماذا تنكرت لها كثيرا وخشيت على مستقبل العظم إن أنا تورطت معها في قصة حب أو زواج، كنت اعتقد أننى رجل قوى وأننى صلب بما يكفى لإعرف كل الأجوبة لكننى كنت قويا فقط في طرح الأسئلة وضعيف جدا في الإجابة، من المؤلم جدا ان يرى الانسان حقيقة نفسه او يرى منها الجانب المظلم المخيف، فأنا أكره أمل لأنها أخبرتنى كم أنا جبان وضعيف ومهزوز، وأحبها لأنها أخبرتنى كم كنت قويا فتيا، ربما انا كالقمر ولكن جانبي المظلم اكثر من المضيء بل ربما لا جانب مضيء داخلى فأنا اسرق نجاح الناس وانسبه الى نفسي واسرق حب الآخرين وانسبه الى نفسي المجهدة التي تعبت من كل شيء، ليتنى كنت مثل انا كارنينا (رواية روسية لتولستوى) التي ضحت بكل شيء من اجل حبها او ليتنى مثل جان فالجان (بطل رواية البؤساء لفكتور هوجو) الذى تغلب على الشر في نفسه وصار نبراسا للخير أو ليتنى حتى مثل دراكولا فأقتل ضميرى وانهش في العالم دون شفقة بمخالب حادة وانياب كالسيف، هل يجدر بى ان انتحر فيستريح العالم واستريح انا، او اهاجر لبلاد أخرى لإصنع حبا جديدا وثورة جديدة واستمر في اطلاق الأسئلة التي لن تنتهى ابدا؟

أى بلاد هذه دون امل؟ وهى عنها راحلة واى بلاد لا طموح فيها ولانجاح فقد انتهت الثورة وانهارت معها كل الأحلام والامانى، ربما كانت كاذبة وربما





كانت امانى صادقة، ولكن من رجل كاذب، ليتنى لم أشارك في الثورة وليتنى لم
اولد في هذا العالم.

سأذهب اليوم الى عرس امل ويكأننى أنا العريس، لتقع عيني عليها مرة
اخيرة قبل ان اغادر وتغادر هي أيضا.



وذهبت الى العرس ودخلت كاللص ولكن أحدا لم يعرفنى ولم يكن احد
يريد ان يعرفنى، فقد نسينى كل من رأى سابقا، ورأيت امل بفستان ابيض طويل
وتاج كأنه نور الشمس في الظهيرة وهى تضحك في وجه حبيبها الجديد الذى
رأيته اكبر منى وافضل في كل حال، ورأيتها سعيدة معه كما لم تكن سعيدة معى
ابدا تلاقت اعيننا ولكن لم تتلاق ارواحنا ولم تتألف قلوبنا وراح قلبى يطاردها
وراح قلبها يطرده وزاغت عينها بعيدا عن عيني وامسكت بالمايكروفون
واخذت تغنى الاغنية التي اعتادت ان تتغنى لى بها، وضافت بى الأرض بما
رحبت وانصرفت وانا اقسم اننى لن ابقى في هذا البلد بعد اليوم.



-٤-

احزم امتعتى وامى تقف الى جوارى وهى تبكى وتتوسل الى الا ارحل وان
كل شيء سيكون افضل وان البلاد ستكون افضل مع الرئيس الجديد وان الحب
لن يموت بوداع فتاة احببتها في مستقبل عمري وتمسك بكتفى وتمسك بشبابى





ودموعها تبلل الأرض واخوتى سيكون أيضا وأبى يقف لا يحرك ساكنا، فالتفت الى امى وأقول: هناك يا امى دائما مرة أولى وأخرى أخيرة، فكما صرخت فور خروجى الى هذا العالم للمرة الأولى فانا أصرخ الان أيضا وانا اخرج منه للمرة الأخيرة، وعلمتنى الحياة دائما ان هناك لقاء وهناك وداع.

- لا تقل بانك سترحل الى الابد وأنك لن ترانى مرة أخرى.
- سأراكى كثيرا، لكن ليس هنا، في مكان اخر، حيث نصنع اوقاتا جديدة ونبنى ذكريات جديدة، في عالم لا حزن فيه ولا خوف ولا ألم ولا أمل.
- نظر الى ابى نظرة معينة وقال: تترك وطنك أيها الابله، وتعتقد انك ستكون سعيدا، كلا انت مخطيء أينما كنت سيدركك الخوف والمرض والقلق والنجاح والفشل والحب والكراه وكل ماتصنعه الان سيكون غدا من الذكريات، واذا رحلت وحيدا فإنك ستكون اسيرا لذكرياتك مهما طال العمر او قصر.
- قد تبدوا محقا يا والدى، ولكنى اخترت ان افشل او انجح في مكان اخر، لم أعد اقوى على الذكريات في بلادى التي احبها فلأصنع ذكريات في بلاد أخرى لا يربطنى بها اى شيء.

- حسنا، خذنا معك يا ولدى

- سأخذكما بعد ان أصير الى ما اريد وسأنقلكما الى تربة أعزب والى أسماء أكثر صفاء والى العدل والى الديموقراطية والنجاح والثروة والشهرة حيث تنسيان بلادا اتعبت صدركما بهواء ملوث

- هوائنا ملوث وسماؤنا غير صافية وشمسنا عبوسا، ولكنها ارضنا وسماؤنا





وشمسنا، وانت في بلاد أخرى لا هواء لك ولا شمس لك ولا سماء لك، انت
ياولدى لن يملؤ فاك الا التراب، وستندم يوم لايجدى الندم يوم الاتجد لك أبا او
اما او حبيبة.

- انت ياأبى وياأمى من اضعتما منى الحب.

- اجابت امى: نحن نحافظ عليك ونحميك

- ولكنى لست صغيرا

- فيجيب ابى، جسدك كبير وعقلك وقلبك صغيرين، وسيمر بك قطار
العمر ويشيب شعرك وينحنى ظهرك وتسقط اسنانك وتدرك ان اباك كان على
حق

- نعم سيشيب شعري وتسقط اسناني ولكن وانا صاحب انجاز علمى
هائل في بلاد تقدر العلم والعلماء وساموت وانا راض عن انجازى في الحياة، اما
هنا فساموت وانا كما مهملا حتى التربة التي ستدفننى ستكون هي أيضا كما
مهملا.

- هل هذا يعنى أنك ستنجح دون شك

- سأحاول وسترى

ولم اشأ ان اخبرهم اننى راحل لاننى لا اقوى على فراق امل، فأى ارض
سأخطو عليها خطوات عليها مع امل ولا اعرف سحابة ستمر من فوقى والا قد
مرت سابقا على انا وامل حتى مياه النيل شربت منها وارتوت امل حتى ثيابى



هذه ابتعتها انا وامل أو اشترتها امل لى، المستشفيات والمرضى والكتب والانفاس
ودقات القلب والسعادة والحزن كل ذلك كان مع امل.





مطار القاهرة الدولية

يوليو ٢٠١٤

في صالة الإنتظار في المطار تجلس امل مع زوجها صلاح ويجلس حمدي وحيدا، ويجلسان في قاعة واحدة مقابلين لبعضهما البعض وأمل تتحاشي النظر



اليه وتمسك بيد زوجها
وتمررها على وجهها ولا ترفع عينيها
من وجهه وحمدي ينظر اليهما بكل
حقد وغيظ وتمنى لو أن يقتلها،
ولكنه حتى لا يقوى على ذلك،
ويستعرض حياته مع امل منذ اول
ان راها حتى اليوم، وينادى المذيع

الداخلي في المطار على الطائرة الذاهبة الى دولة الكويت حيث تتجه امل فتسير
امل وزوجها يمينا ثم ينادى المذيع على الطائرة المتجهة الى روما فيسير حمدي
يسارا.

وانتهى من إجراءات السفر، واركب الحافلة التي ستقلني الى الطائرة واهبط
من الحافلة وانا اريد ان اعود الى البيت بأقصى سرعة لإخبر ابي وامى واخوتى
اننى احبهم واننى لن اسافر ولن ارتحل عنهم ابدا ولأقبل أرض وطنى وأخبرها
أننى لن أرتحل عنها ابدا ولأصرخ بكل قوة في حنجرتى





احبك يا امل

احبك يا امى وابى

احبك يا وطنى

ولكنى أغالب دمعة في عيني واتجه الى سلم الطائرة واصعد اليها ويكأننى اهبط الى سلم يؤدى الى لحدى وكأن هذه الطائرة تابوتا كبيرا سيقلنى الى الآخرة، كلما صعدت درجة شعرت بالإختناق كأننى اغوص في الأرض أكثر وأكثر وانظر حولى والتفت بجنون فلا أرى اب او ام او او امل او وطن وانظر الى الأرض التي ساراها لآخر مرة في حياتى، واتذكر نهر النيل الذى لن ارتوى منه مرة أخرى والاهرامات التي اردت ان اخذها معى وهذا الرجل العجوز الذى يحرق الأرض وتشققت قدماه ويداه ولكنه رغم ذلك رسم بسمه عريضة في وجهه وهؤلاء مرضى السرطان الذين يعرفون ان العالم ينسحب من تحت اقدامهم ولكنهم يعيشون ما تبقى لهم برضا وصبر والرجل الذى يمضى وقته على المقهى لأنه لا يجد عملا والفتاة التي خرب عرسها لأنها لم تجد ما تتممه به وأولئك الثكلى الذين يتحبون على ذويهم الذين ماتوا في كل محافل الثورة او حوادث القطارات او السيارات او ماتوا لانهم لم يجدوا سيرا للعناية الفائقة في مستشفى او الغارمين الذين خرجوا من ضيق العيش الى ضيق السجن وهذه الفتاة امل التي كانت تحلم بيت هاديء سعيد فيه اب طيب وام طيبة واخوات طيبون ورجلا يعشقها ويفتديها بروحه وابى وامى اللذان ارادا ان يكونا معى الى الابد وكتبى ومزهرتى ومكتبى وقصصى التي كتبتها وقصصى التي لم اكتبها وذكرياتى التي تغوص في





الأرض وسامى الذى لايزال يبحث عن عمل أو ينتقل من عمل إلى آخر وجميل
الذى لا يزال يبحث عن القانون والعدل وانا حمدى الذى لازلت ابحت عن
حمدى الذى لم اجده فى وطنى، فهل ترانى واجدا له فى غربتى، دخلت بقدمى
اليمنى الى الطائرة واستدرت ورفعت يدى اليمنى ولوحت لبلادى العظيمة
وبكيت قائلاً:

وداعا يا وطنى، الى اللقاء.

نمّة.

بدأت الرواية في يوم ١٩ فبراير ٢٠١٦

تمت في فجر يوم ٢٢ نوفمبر ٢٠١٦

د جعفر محمد جعفر

اخصائى الطب النفسى وعلاج الإدمان

